القِسْمُ الأَوَّل:
الدِّرَاسَةُ

مُقدّمة:

الحمدُ لله حمداً يكون لقائله ذخراً، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد الخلق والبَشر؛ مُحَمَّدٍ، وعلى آله، وأصحابه.

أمَّا بعد:

فقد عُني علماء العربيَّةِ ورجال صِنَاعة الشِّعْر إبَّان القرن الثَّاني الهجريّ بجمع أشعار القبائل، خدمةً لهذا اللسان العربيّ المُبين، والتماساً لما يُشكِلُ من لفظ القرآن في هذا الشِّعر المجموع.

واتَّخذ جمع الشِّعر مناحي شتَّى، فمِن العلماء مَنْ عكف على شعر شاعر بعينه يتتبَّعُ مخارج روايته، ويتحرَّى الصِّدق في رُواته، ومنهم من انصرفتْ همَّته إلى جمع شعر قبيلةٍ أو بطنٍ منها، وهيَّأ الله لهذا العمل الجليل أعلاماً أفذاذاً، منهم المُفضَّل الضَّبِّيّ(ت ١٦٨هـ)، وأبو عمرو الشَّيبانيّ(ت ٢٠٦هـ)، وأبو عُبيدة مَعمر بن المثنّى(ت ٢١١هـ)، وابن الأعرابيّ(ت ٢٣١هـ)، وابن السّكيّت(ت ٢٤٤هـ)، ومحمَّد بن حبيب(ت ٢٤٥هـ)، والسّكريّ(ت ٢٧٥هـ).

ومن أسفٍ أنَّ جُلّ ما صنعه أولئك العلماء من دواوين القبائل قد عَدَتْ عليه العوادي، وطواه الدَّهرُ فيما طوى من ذخائر، وهذا الضَّياع الّذي غيّب ما عَمِله الرُّواةُ ونَقَدَةُ الشِّعر حرّك هِممَ الباحثين المعاصرين لجمع ما تناثر من أشعار القبائل في بطون كتب التُّراث: الاختيارات، والتَّراجم، والسِّيرة، والتَّأريخ، والبلدان، وكتب الثَّقافة العامّة، عسى أن يرتُقوا فتقاً أصاب بنيان الشِّعر، ومن ثَمَّ يتجلّى الشِّعر مُحقَّقاً مُتقبِّلاً لِما يُعقد عليه من دراسات.

وديوان قبيلة بكر بن وائل في الإسلام من جملة ما كانت الفجيعة بفقده بالغةً، وكان قد تحرَّك الدّكتور عبد العزيز نبوي لجمع شعر هذه القبيلة في الجاهليَّة، ونشره في القاهرة سنة ١٩٨٩م، وألمع إلى أهميّة جمع شعرها في الإسلام لِمَا كان لهذه القبيلة من تاريخ حافلٍ أثَّر في سير الأحداث في دولة الإسلام النَّاشئة.

لاقى ما ألمع إليه الرَّجلُ قبولاً في نفسي، فصحّ منّي العزم على أن أصنع ديوان قبيلة بكر بن وائل في الإسلام، وليس يخفى ما في هذا العمل من جَهْدٍ يقتضي فحصَ الشِّعر، وتمييزَ صَحيحِه من منحوله. حتّى إذا بَرَدَ شعر القبيلة بين يديَّ مجموعاً ومُحقَّقاً دلفت إليه بدراسةٍ شاملةٍ تكشف ما فيه من مواطن الجمال، وما انماز به من ظواهر.

وقد سَعيتُ إلى جمع أشعار قبيلة بَكر بن وائل في صَدر الإسلام والعصر الأمويّ ودراستها، ولمَّا انقضى على العملِ زمنٌ أخبرني أستاذي المشرف ـ جزاه اللهُ كلَّ خيرٍ وأثابه ـ أنَّ عملاً مُشابهاً قد فُرِغ منه في الأردن

منذ زمن، وهو بعنوان " شعر قبيلة بكر بن وائل في الجاهليَّة وصدر الإسلام"، فاغتممتُ لذلك واهتممتُ على الرّغم من أنّ العمل المذكور لا يشترك مع عمليّ إلّا في مرحلة صدر الإسلام، وسعيتُ وراء الكتاب حتّى استطعتُ تصوير نسخةٍ منه، ولمّا ولجت في مضمونه بَردَ عني عَرقُ الحيرة والهمّ، ودفعني ذلك العمل إلى مواصلة ما كنتُ بدأتُ به بهمَّةٍ أعلى وطمأنينة مُستقرّة، ذلك أنَّ العمل تَشوبه شوائب، منها:

١ـ ضمّ القسم الأكبر منه شعر بكرٍ الجاهليّ، فجاء في ثلاثة أرباع الكتاب، وأمّا شعر بكر بن وائل في صدر الإسلام فورد على استحياءٍ تحت اسم (المخضرمون)، ولا يشمل العملُ العصرَ الأمويّ.

٢ـ أغفل المحقّق طائفةً من شعراء بكر بن وائل في صدر الإسلام، ولم يأتِ على ذكرهم مثل (مُسيلمة الحَنَفيّ ومُحَكَّم بن الطّفيل) وغيرهما، ولهذين الرّجلين شعرٌ لا بأس فيه.

٣ـ التبس على المحقِّق اسم عددٍ من الشُّعراء (كالبَعِيْث الحَنَفيّ مثلاً) الّذي أورد له قطعةً من عشرة أبيات، ثمّ أورد له أبياتاً مُفردةً استقاها من لسان العرب تحت عنوان (وقال البَعِيْثُ)، ظنّاً منه أنَّه البَعيث الحَنَفيّ، في حين أنّ الأبيات، وهي كثيرة، للبَعِيْث المجاشعيّ، وهي في شِعره بتحقيق عدنان أحمد، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب.

٤ـانصرف اهتمام المحقّق إلى الدِّراسة، فوقعت في (٣٠٠) صفحة من أصل (٥٥١) صفحة، وانصرفت الدّراسة إلى الشِّعر الجاهليّ على حساب مرحلة صدر الإسلام، وكان الباحث أحياناً يلقي أفكاره عن حياة البكريين الاجتماعيّة، ويدرس موضوعات شعرهم مفتقرةً إلى الدَّليل الحسّيّ.

٥ـ لا يذكر الباحث مَن لهم ديوان من الشّعراء، بل لم يستدرك على شِعرهم أصلاً.

٦ـ لم يفصل شعراءَ بكر الجاهليّين عن الإسلاميّين، بل هو يذكرهم متسلسلين، وعلى القارئ أن يحكم.

٧ـ قصَّر الباحث في ترجمته للشّعراء، فجاءت موجزة، مُتسرّعة، وهو أحياناً يكتفي بالقول: لم نجد له أخباراً، فالشّاعر (حمزة بن بِيْضٍ الحَنَفيّ) نجد شعره متناثراً في صفحات الكتب، ولا سيّما الأغانيّ، وقد جَمع شعره (النّادي الأدبيّ بالرّياض، ١٩٩٧م)، فاكتفى الباحث بالقول: لم نجد له أخباراً إلّا قول الآمديّ.....

إلى جانب أنّ حمزة بن بِيض شاعرٌ أمويٌّ، توفيّ سنة (١٢٦هـ)، لكنَّ الباحث أدرجه في قائمة الجاهليين وصدر الإسلام، وكذلك فعل مع موسى بن جابرٍ الحَنَفيّ، ونهار بن تَوسعة الّذي توفيّ بعد (١١٠هـ).

٨ـ قلّة مصادر البحث ومراجعه، وتخريجه بعض الشِّعر من مراجع حديثة، ككتاب (شعراء النَّصرانيّة للأب لويس شيخو)، واعتماده أحياناً على طبعات تجاريّة، وغلطه في أسماء الأعلام، فديوان المسيّب بن

علس بتحقيق جاير، يجعله جابر، إلى جانب خلوّ العمل من الفهارس التّفصيليّة باستثناء فهرس الموضوعات.

٩ـ خلوّ الدّيوان من الضَّبط السَّليم، أو التّام، وكثرة التَّصحيف والتّحريف ظاهرة شائعةٌ في العمل، فمثلاً في الصَّفحة (٥١٥) وقع أكثر من تصحيف، منها (ملاب): نوع من العطر يجعلها قلاب)، (تعرّضتْ مُرْبثّة)، بينما هي (مُريئة) تصغير (امرأة). وفي الصّفحة (٥٤٤) (طرقت فطيمة)، وهي (قطيمة)،(ليس خائبه)، وهي (خائنه)، (ورِكَ)، وهي (ورِكٌ)، (ذُعر)، وهي (زُعر) أي النّبات القليل، أو الشّعر القليل). (كأنّ قرحته) أي بياضه، يجعله(فرعته).

على أنّنا لا يمكن أن نسلب جهد الرّجل، وقد ظهرت له إيجابيّات في أثناء الدِّراسة، ولا سيّما في إبراز الحياة الاجتماعيّة والفكريّة للبكريين، وإن كانت في جوانبها تفتقر إلى الشّاهد والدَّليل.

إنَّ صناعة ديوان لشعر قبيلة كبيرة من قبائل العرب الشَّهيرة؛ وهي قبيلة بكر بن وائل بن ربيعة، يُجمع بين دفَّتي كتاب، عملٌ من أكثر الأعمال فائدةً لتكوين تصوّرٍ عن حال القبيلة والمجتمع في الفترة المحدَّدة للجمع، وهو من شأنه إعادة إحياء تراثٍ ضخم، في مرحلةٍ من أهم مراحل تاريخ الأمّة العربيّة، وأعظمها. فما قد يُبنى من أحكامٍ على الشِّعر العربيّ القديم قبل جمعه وتحقيقه قد تفوته الدِّقّة، ويفتقر إلى الموضوعيّة، ولا سيّما أنّه مبنيٌّ على قليلٍ باقٍ من كثيرٍ ضائعٍ.

على أنَّ الحفاظ على امتداد الشِّعر وتواصله في العصور، ابتداءً بالجاهليّة ومروراً بالإسلام يكشف من شِعرِ القبيلة جوانبَ تجدر بالباحث أن يقف عليها، ويسلِّطَ الضوء على تسلسل الشِّعر، ومنهجه باختلاف العصور، وهو بعض ما سَعيتُ إليه في جمعي شعر قبيلة بني بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأمويّ، وقد استحثّني على ذلك ما وجدته في صفحات كتب الأدب والتّاريخ من صفحة رماديّة اللون، تجمع بين نقيضين في عصر واحدٍ، أو ضمن صدر الإسلام والعصر الأمويّ، وأعني هاهنا مكانة قبيلة بكر بن وائل وعظم شأن شعر أفرادها على اختلاف موقفهم بين تأييد لرسالة الإسلام(لبني شيبان عظيم الأثر في دعم رسالة الإسلام)، ووقوفٍ صارخٍ في وجه انتشاره (لبني حنيفة أثرٌ مهمّ في ذلك).

وفي سعيي إلى صنع ديوانٍ لشعر قبيلة بكر بن وائل ودراسته خدمة للغتنا العربيّة لغةِ القرآن العظيم، ولا سيّما أنّ لهجاتنا العربيّة تصبُّ في خدمة هذه اللغة الشَّريفة، فكان ذلك منطلقاً لي في دراسة لغة بكر وما يشيع فيها من مظاهر لهجيَّةٍ، أو مفرداتٍ اختصَّ بها القومُ، أو استعمالاتٍ نحويّةٍ أو أبنيةٍ صرفيَّةٍ في لغتهم.

وقد شاعت في لغتهم كلمات أعجميّة هَجَمتْ على ألسنتِهم بسبب مجاورتهم الفرس، وإقامتهم معهم

أوثق العلاقات التِّجاريّة والاقتصاديّة، وإبرامهم عُرى الأحلاف والعهود مع غير العرب.

وتبعاً لذلك قُسِّم البحثُ قسمين، الدّراسة والدِّيوان، فأمّا الدِّراسة فقد أدرتُها على تمهيدٍ و ثلاثة أبواب، استقرى التَّمهيدُ نسبَ القبيلة ورجالاتها، ومنازلَ البكريين وأيّامهم، وبحثَ في عقيدتهم في الجاهليّة والإسلام.

وأمّا الباب الأوّل فلبكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأمويّ في فصلين يتفرّعان إلى ثمانية أقسام، فأفردتُ الفصل الأوّل للقبيلة في صدر الإسلام، وهو الّذي عالج معتقدَهم بين الجاهليّة والإسلام، ووفادتُهم على الرَّسول ﷺ (وفد بكر عموماً، وفد حَنِيْفة، وفد شَيْبان،....)، ثُمّ دخولَهم في الإسلام على دُفعات وتأثُّرهم به، وعالج هذا الباب أيضاً في قسمٍ خاصٍّ موقف بكر بن وائل من الرِّدّة، وسلَّطَ الضّوء على معركة اليمامة، ذلك أنّها نَشبت في بَني حَنِيْفة من بكر بن وائل، ثُمَّ مثَّلت المعركة انطلاقةً جديدةً لهم خلافَ ما كانوا عليه.

ولم ينتهِ هذا الباب إلّا بالحديث عن موقف القبيلة من أحداث الفتنة الكبرى في صدر الإسلام، وأعني معركة الجمل، ووقعة صفّين، وقد برز البكريّون في صِفّين، وكان لهم موقف.

وأمّا الفصل الثّاني فقد عقدته للحديث عن القبيلة وشعرها في العصر الأمويّ، وقد عجّ بالمتناقضات، وحفل بصراعاتٍ وتحزّباتٍ شَتّى، وكان لبكر بن وائل موطئ قدم على بِساط الأمراء والخلفاء، وبرز فيهم الفرسان والقوّاد في معارك الفتوح، وكانت لهم الأسبقيّة في نشوء حركة الخوارج، وقيادتهم الخارجين على صعيد الحرب والفِكر.

واتَّجه الباب الثّاني إلى تلمُّس مصادر أشعار بكر بن وائل وأغراضِها، وتوثيقها في فصله الأوّل، من حيث روايةُ أشعارهم وتدوينها، ومصادرُ شعرهم المفرد والمجموع، والنّحل في شِعرهم، وضياع قسمٍ كبير منه، وشأنه في ذلك شأن جُلّ أشعار القبائل.

وانعقد الفصل الثّاني من الباب ليعالج أغراض شعر بكر بن وائل، وبانَ فيه تناولهم أغراض الشِّعر الرّئيسيَّة، من فخرٍ وحماسةٍ، ومدحٍ، وهِجاءٍ، ورثاءٍ، وغزلٍ، وشكوى، وحكمةٍ.

وانفرد الباب الثّالثّ خالصاً لوجه الدِّراسة الفنيّة لهذا الشّعر المجموع بظواهره الأسلوبيّة، والبنائيّة، فالظّواهر الأسلوبيّة عالجت قضايا:

١ـ الوضوح والغموض.

٢ـ الصُّور البيانيِّة الَّتي تبرز المعاني وتوّضحها من تشبيه واستعارة وكِناية...

٣ـ المحسّنات المعنويّة كالطباق والمقابلة والتّكرار. .

٤ـ مصادر معانيهم، الّتي غالباً ما استقوها من البيئة المحيطة بهم، يُضاف إلى ذلك ما أخذوه من المعتقدات و المعاني الدِّينيّة، وتأثّرهم بالقرآن (الاقتباس).

وعالجتِ الظَّواهرُ البنائيّة:

١ـ منهج القصيدة (أو المنهج المسلوك في بناء النُّصوص الشِّعريَّة).

٢ـ موسيقا الشِّعر بشقيّها الخارجي والدّاخلي، فأمَّا الموسيقا الخارجيّة فتشمل الوزن والقافية، وأمَّا الدَّاخليّة فتقوم على أمور أهمّها ما أسماه علماء البلاغة بالمحسّنات اللفظيَّة، و بعض الأمور الأخرى كالتلاؤم بين الحروف والحركات، أو بين الحروف بعضها مع بعض.

٣ـ الظّواهر اللغوية والنّحويّة والتّصرف في بعض القواعد.

وأمّا القسم الثّاني، وهو الدِّيوان، فقد وقع في في أربعة أقسام، الأوّل لأشعار صدر الإسلام، والثَّاني لأشعار العصر الأمويّ، والثَّالث لمجاهيل العصور، والرّابع للمستدرك على صُنّاع الدّواوين والمجموعات الشّعريّة، وبآخر القسمين الأوّلين أشعار مجهوليه، وقد كنتُ بادئ الأمر قد جعلت مخضرمي صدر الإسلام والعصر الأمويّ في قسمٍ خاصٍّ يضمّهم، فأشار عليّ أستاذي المشرف بضرورة دمجهم في العصر الأمويّ، ذلك أنّ هذه المرحلة القصيرة تُعدُّ مرحلة انتقال، ولا يمكن أن تؤلّف زمناً قائماً بعينه.

منهج العمل و البحث:

ليست كثرة شعراء القبيلة في الإسلام ـ ولا قولُ ابن قتيبة(ت ٢٧٦هـ):" والشُّعراء المعروفون بالشِّعر عند عَشائرهم وقبائلهم في الجاهليَّة والإسلام أكثر من أن يحيط بهم مُحيط، أو يقف من وراء عددهم واقف، ولو أنفد عمره في التّنقير عنهم، واستفرغ مجهوده في البحث والسُّؤال"[(١)] ـ مِمَّا يثبّط المرء عن طلب شعر شعراء القبيلة وتحقيقه، وعقد ما يستحقُّه هذا الشِّعر من دراسة.

فقد حرصتُ في جمع شعر قبيلة بني بكر بن وائل، في صدر الإسلام والعصر الأموي، على الحفاظ على تصوّر العلماء القدماء لديوان القبيلة، ليكون نافذةً تعرض صورة حياتها العامّة، من حيث نسبُها ورجالُها وإسلامها وشأن تلك القبيلة العظيمة في الإسلام، وتقصّي أثرها في المرحلة الجديدة في تاريخ الأمّة، ولا سيّما أنّ لبني بكر شأناً في الجاهليّة على أصعدةٍ كثيرة.

(١) الشّعر والشّعراء: ١/٦٠.

وإلى جانب ذلك كان لا بدّ لي من الحديث عن حياة الشّعر في تلك القبيلة الشّاعرة خاصّة، وقد برز فيها غيرُ شاعر فحلٍ، كالأغلب العِجْليّ وأبي جلدة اليَشْكُريّ وأبي النَّجم العِجْليّ وغيرهم، وما يتّصل بعملي في جمعه وتحقيقه وتوثيقه من أمّهات المصادر، وبيان ما يفسِّرُ قصائدَ الدِّيوان ومقطَّعاته، ويشرحُ غريبَها، مع مقابلة رواياتها.

وأمّا فيما يخصّ المجموعات الشّعريّة، و دواوينَ الشُّعراء المحقَّقةَ والمصنوعةَ فقد سعيتُ إلى جمع ما فات محقِّقيها وصانعيها من شِعر، ولو يسير، ومقابلةِ الرّوايات، ولم أُفرد لهم فصلاً يجمع شِعرهم، فهم في سِمط الفُحول من أصحاب الدَّواوين، ولهم شأنٌ عظيمٌ في قسم الدِّراسة (كالنّابغة الشّيبانيّ، وأبي النَّجم العِجْلي، والأغلب العِجْلي، وسُويد بن أبي كاهل اليشكريّ، وأبي جلْدة اليشكري، وحمزة بن بِيْض الحَنَفيّ، وغيرهم)، وإنّما خَصَصْتُ ما قد يُستدرك عليهم بحيِّزٍ خاصٍّ في الدِّيوان، الّذي احتوى على أشعار المقلِّين والمغمورين من شعراء القبيلة الّذين أوردتْ لهم المصادرُ والمظانُّ القديمة شيئاً من أشعارهم، ومن تلك المجموعات الشِّعريّة (شِعر الخوارج) لـ د. إحسان عبّاس، وبعده (ديوان الخوارج) لـ نايف معروف. و(شِعر شَيْبان في الجاهليّة والإسلام) لـ نزيهة طه.

أمّا منهج البحث: فقد اقتضت طبيعته أن أنتفع بغير ما منهجٍ، كالمنهج التّاريخيّ، والمنهج الوصفيّ الّذي يقوم على تتبّع الظّاهرة، واستقصاء مفرداتها، وتحليل ما اتَّفق منها، واستخلاص النَّتائج.

وكنتُ أترجم لأسماء الأعلام ترجمةً وافيةً إن كان الشَّاعر من مشاهير قبيلته، وله صولةٌ وجولةٌ، ثُمَّ أذكر ما له من شِعْر، وأمّا الشّاعر المغمور فما تيسّر من أخباره، وما يُسعفني على تحديد عصره إن أمكن.

وقد رتَّبتُ شِعر كلِّ شاعر بحسب الرّويّ هِجائيّاً، ورتَّبتُ أحرف الرّويّ بحسب حركاتها: المضموم فالمفتوح فالمكسور فالسّاكن، وإذا تشابهت حركة الرّويّ بين قطعتين أو أكثر قدّمت البحرَ التّامَّ على مجزوئه، والأطولَ على الأقصر.

وأمَّا توثيقُ الأشعار في الحاشية فيحكُمه القِدَمُ التَّاريخيُّ للمصدرِ المأخوذِ عنه قبل النَّظر إلى ترتيب الأبيات، أي: قد أُقدِّم في التّوثيق البيتَ الخامسَ المأخوذَ من مصدرٍ قديم على البيت الرّابع ـ مثلاً ـ المأخوذِ من مصدر أحدث، وذلك بعد أن عمدتُ إلى إثبات أفضلِ الرِّوايات في المتن، وأقربِها إلى فهم المعنى، والأولويّة في ذلك لأقدم الرِّوايات إن لم تُعارِض سلامة الشِّعر.

وقد جعلتُ أرقام القصائدِ والقطعِ والأبياتِ الشّريدةِ متسلسلةً من أوّل الدِّيوان إلى آخره.

وأمّا ما طوّق بلدنا الحبيب من أزمات متتاليةٍ فقد ألقت بحِمْلها على النُّفوس، وضَيّقت علينا

الصُّدور، وجعلتني أتنقّل مُهاجراً هُنا وهناك، وأغادر مكتبتي وما ألفته من مصادر أصيلة حرصتُ على اقتنائها، وهو ما يفسّر رجوعي فيما بعد إلى طبعات أخرى من الكتاب نفسه، ذلك أنّ العودة إلى الطّبعة المرجوّة كان أحياناً عسيراً، بل صعبَ المنال.

وبعدُ، فأشكر أستاذيَ الدُّكتور محمود المقداد الّذي اتّسع لي صدره كما اتَّسع بيته لي ولطلبة العلم، فكان الأبَ الحاضن لأولاده، يكلؤني بعلمه وتوجيهاته، وحرصِه الدّائم على طلبة العلم، وقد قوّم ما انآد من عملي بفضل إرشاداته وتوجيهاته، فكان بما أسدى تحت إشرافه مثالَ العالم الباقر، فطوّقني بأياديه، وقيّدني بإحسانه، فكان:

أحــقّ النَّاس بالكــرم امــرؤٌ لــم ... يــزل يأوي إلى أصــلٍ كريــمِ

وله كُلّ الشُّكر:

لأَشْكرنَّــكَ إن لمْ أوتَ منْ أجــلي ... شُكراً يوافيكَ عنِّي آخرَ الأبـدِ

وإن تَوَرَّدْتَ بِي بحرَ البُحُورِ ندىً ... فلمْ أنلْ منهُ إلاَّ غَـرْفةً بيــدي

وأمَّا أخي وصديقي وأستاذي من بعد الدُّكتور العالم محمَّد عبد الله قاسم، فصنيعه تنحني أمامه الهامات، وتعجز دون وفاء حقِّه الكلمات، كيف لا؟ وقد فتح لي باب مكتبته الغَنَّاء، أتنقّل بين أفنانها حائراً، فهي جنّةٌ، فيها لكلِّ عينٍ مرأى، ومن كلِّ صنفٍ مطعم، وقد أشعرَ قلبي حُبّ العربيّة وتُراثها، فله منّي كلُّ الشُّكر والعرفان.

كما أتوجَّه بالشُّكر خالصه وجزيله إلى السَّادة أعضاءِ لجنة الحُكم على ما تجشّموه من عِبء قراءة الأطروحة، وتصويب ما وقع فيها من أخطاء، فلهم أجلُّ التَّقدير، وأعظم الامتنان.

وفي النّهاية، فإنّ الكمال لله وحده ـ جلّت أسماؤه ـ ولا يخلو بحثٌ من عوامل سهو أو وهم أوخطأ تكتنفه ، فإن أصبت ما قصدت فذلك من توفيق الله ورضاه، وهو جلّ ما بغيت، وإن أخطأت، فأرجو الله ألاّ يحرمني أجرَ محاولتي، وحسبي أنّي أخلصت النّيّة له.

تمهيد:

نَسَبُ قَبِيْلةِ بَكْرِ بنِ وَائلٍ، ومَنَازِلهُا، وأيَّامُها

أوَّلاً: نَسَبُ قَبِيْلةِ بَكْرِ بنِ وَائلٍ

بَكْرُ بنُ وائلٍ فرعٌ من رَبيعة إلى جانب تَغْلب بنِ وَائل، وكانت رَبيعةُ قبلَ انْتِشَارِها وتفرُّقِها في البلاد يسكنون بَطْنَ عِرْقٍ وما والاها من البُلدان، فلمَّا كَثُرت انبسطتْ تَطلبُ المياهَ والمنازلَ، فصارتْ فيما بين بُثَيْنَة وتَبَالة[١] والرُّقَيْبَةَ، وبطنِ الجَرِيْب، وذي طَوْقٍ إلى ناحية حَضَن إلى التَّغْلَمَين وضَريَّة ووَارِدَات والذَّنائب.[٢]

وأمَّا بَكرِ بنِ وائلٍ فهم قبيلة عظيمةٌ من قبائل العَدنانيَّة.عِندهم النَّسب الأكبرُ، والبيتُ الأشْهرُ، وفِيْهم الفُرْسَانُ والشُّجْعانُ[٣]، وبَكر من جَماجم العَرَب الأربع: كَلب وتميم وبَكْر ومَذْحج[٤].

وهم ينتسبون إلى بني وائل بن قَاسِطِ بنِ هِنْبِ بنِ أَفْصى بن دُعْمِيّ بنِ جَدَيْلة بنِ أَسَدِ بنِ رَبِيْعة بنِ نِزار.

قال ابن الكلبيّ: حدَّثنا خِراش:" سَمِعتُ أشياخاً لبَكْرِ بنِ وائل يقولون: خرج وائلُ بن قاسط، وامرأتُه تمخَّض، وهو يريد أن يرى شيئاً يُسمِّي به، فإذا هو بِبَكْر قد أشرف، فرجع فوُلِد له غلامٌ، فسمَّاه بكراً، ثمَّ خرج مرَّةً أخرى، وهي تمخَّض، فإذا هو بعنزٍ من الظِّباء، فرجع، فولدت له غلاماً، فسمَّاه عَنْزاً.....[٥]

وبطونهم: تيم الله (تيم اللَّات)، وحنيفة، وزِمَّان، وعِجْل، وشيبان، وقيس بن ثَعلبة، ويَشْكُر.

ويقول النَّسَّابون:" بَكْرُ بنُ وائل على جِذْمَين، جِذْمٌ يُقال له الذُّهْلان، وجِذْمٌ يُقال له اللَّهازم؛ فالذُّهْلان بنو شَيْبان بن ثَعْلبة، وبنو ذُهْل بن ثعلبة، واللَّهازم بنو قَيْس بنِ ثَعْلبة، وبنو تيم اللّات بنِ ثَعْلبة"[٦].

---

(١) تَبَالة: موضعٌ بنواحي مكَّة، وفي المثل: ما نزلت بطنَ تبالة لتحرم الأضياف" الأنساب للسمعاني: ١٧/٣.

(٢) الأنساب للصحاري: ١٧٦. وانظر معجم البلدان: ١١٣/١.

(٣) انظر الأنساب للصَّحاري: ١٦٨.

(٤) الدّيباج: ١١٤. جماجم العرب: رؤساؤهم، وكلّ بَنِي أبٍ لهم عزّ وشرف.

(٥) جمهرة النّسب لابن الكلبيّ: ١٩٣. النّسبة إلى عَنْز عَنْزيّ.

(٦) الفائق في غريب الحديث: ٤٢٤/٣.

وفي الدِّيباج: " اللّهازم: بنو عِجْلٍ، وتيمُ اللّات بن ثعلبة، وإنَّما سُمُّوا اللَّهازم؛ لأنَّ أباهم قال: كونوا بمنزلة اللّهزمتين، إذا لم تُساعد كلُّ واحدةٍ صاحبتها لم تقدر على مَضغ شيء، فكونوا جميعاً تصطحبوا على العدو"(١).

وفي جَنَى الجَنَّتين:" الذُّهْلان: ابنُ شَيْبَان، وابنُ ثَعْلَبة بن عُكَابة".(٢)

فوَلَدُ وائل بن قاسط: بكر؛ ودِثار، وهو تَغْلب؛ وعبد الله، وهو عَنْز؛ والشُّخَيْص، دخل في بني تغلب؛ والحارث، دخل في بني عَائش بن مالكِ بنِ تَيْم الله، بن ثعلبة بن بكر بن وائل، و أُمُّهُم كُلِّهُم هند بنت مُرّ بنِ أُدٍّ بنِ طَابِخَة بنِ الياس بنِ مُضر(٣). يُقال لها: أمُّ القَبائل.

ووَلَدُ بَكْر بن وائلٍ (أخي تَغْلِب بن وائل) : عليُّ بنُ بَكرٍ، ويَشْكُرُ بنُ بَكرٍ، وبَدَن دَخَلَ بنوهُ في بَني يَشْكُر.

ووَلَدُ عليّ بن بكر بن وائل: صَعْب بن عليّ، لم يعقب له غيره. فولد صَعْب بن علي: مالك، ولجَيْم؛ وعُكَابة، فيه البيت والعدد. ومن ولد مَالك بن صعب: شَهْلُ بن شيبان بنِ زِمَّان بن مالك بن صَعْب بن عليّ، وهو بالمعروف بالفِنْد الزِّمَّاني، وهو شاعرٌ جاهليّ. ومن شعراء زمَّان في الإسلام عِصَام بنُ عُبيدٍ الزِّمَّانيّ.

و ولدَ لُجَيْم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل: حنيفةَ؛ وعِجْلاً.

فأمَّا بنو حَنِيفة(٤) بنِ لُجيم بنِ صَعْب فهم أهل اليَمامة، وهُم أَصْحابُ نَخْلٍ وزَرْع. وفيهم العَدد والقوّة والمَنعة، وقال عنهم الجاحظ:" حتّى كأنَّهم وحدَهم يعدِلُون بكراً كلّها"(٥).

فولد حنيفة بن لجيم: الدُّوْل(٦)، وفيه الثَّرْوة من بَني حَنيفة والعَدد؛ وعَدِياً؛ وعَامراً، فكان من مشاهير

---

(١) الدِّيباج: ١١٩.

(٢) جَنَى الجَنَّتين في تمييز نوعَي المثَنَّيَيْن: ٥٢.

(٣) جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ٣٠٢.

(٤) عُرف بنو حَنيفة بتقسُّمهم، حتّى قال جرير:

صَـــارَتْ حَنِيْفَـــةُ أَثْلاثـــاً فَثُلْـــثُهُمُ مِـــنَ العَبِيْـــد، وثُلـــثٌ مِـــنْ مَواليهـــا

(ديوانه: ٥٤٥) تح: نعمان طه.

فقيل لرجلٍ حاضرٍ منهم: من أيّهم أنت؟ فقال: من الثُّلث الملغى ذكره. (الموشّح: ٨٤).

(٥) الحيوان: ٣٨٠/٤.

(٦) الدُّوْل: قال يُونس بن حبيب:" الدّول هم ثلاثة: الدُّول من حَنيفة ساكنة الواو، والدِّيْل في عبد القيس، والدُّئِل في كِنانة هم رَهْطُ أبي الأسود" طبقات فحول الشُّعراء: ١٢/١.

بني حَنيفة مُسَيلمةُ الكَذَّاب بنُ ثُمامة بن كَبِير بنِ حَبيب بنِ الحارثِ بنِ عَبد الحارث بن عَدي بنِ حَنيفة، يكنى أبا ثُمامة؛ ونَجْدَةُ بنُ عُوَيْمِر بنِ عبدِ الله بنِ سَيَّار بنِ عَدي بنِ حَنيفة الخارجيّ؛و الشّاعر حَمْزة بن بِيْض الحَنَفيّ[1]، والشَّاعرُ العَبَّاس بنُ الأَحْنف.

ومن بني مُرَّةَ بن الدُّوْل بن حنيفة هَوذَة بن عليّ، زعيم اليمامة، ويقال له: ذو التّاج. توجّه إلى كِسرى، فأكرمه.

ومن عبد الله بن الدُّول بن حَنيفة أبو مَرْيَم إياس بن صُبَيْحُ بنُ المُحْتَرش بنِ عَبدِ عَمْرو بنِ عُبيد بنِ مَالك بنِ المغيرة بن عبد الله بنِ الدُّوْل، يُقال: إنَّهُ قَاتلُ زَيد بن الخطاب ﷺ ، وأَسْلَم بعد ذلك، وصَلُحَت حالُه، ووفد على أبي بكرٍ الصِّدِّيق ﷺ في عَشَرة مِن بَني حَنيفة؛ ففَقِه في الإسلام والقرآن والعِلم، وولَّاهُ عُمر بن الخطَّاب ﷺ قَضَاء البصرة، وقال فيه:" لأَسْتَعْمِلنّ عَلى القَضَاء رجُلاً إذا رآهُ الفَاجِرُ فَرَقَه"[2].

ولأبي مَرْيمَ أربعُ خِطَطٍ[3] بالبَصْرة؛ إحداهُن في قِبلة المسجد الجامع، وهي تجاه حمَّام دار الإمارة، وتَشْرع على الطَّريق الذي في ظَهرها، وأخرى في بني عَبد الله بن الدُّول تُحاذي دار أخيه مَسْلمة بن صُبَيح، وخِطَّتان بحضرة مَسجد الأحَامِرة[4].

ومن بَني حنيفة: بنو ذُهْل بن الدُّول، ومنهم أبو رَاشد؛ نَافعُ بنُ الأَزْرَق الذي تُنسب إليه الأزارقة من الخوارج؛ وكان في أوَّل أَمْره منمّن لزم ابنِ عبَّاس ﷺ ، وسأله، ثُمَّ غَلبَ عَليه الشَّقَاء، فاسْتَعْرضَ المسلمين بسَيْفه، وقَتَل النِّسَاءَ والأَطْفالَ، وعَطَّلَ الرَّحِم، وفَارقَ الإسْلامَ، وإليه تُنْسَب النّافعيّة، وهي فِرقةٌ من

وقال مُحمّد بن حَبيب (٢٤٥هـ): في ربيعة بن نزار: الدُّوْل بن حَنيفة بن لُجيم بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل...
وفي ضَبَّة بن أُدّ: الدُّوَل بن ثَعلبة بن سَعد بن ضبّة..... وفي الأزْد: الدَّوْل بن سَعد مَنَاة بن غامد (مختلف القبائل ومؤتلفها: ٤٦).

(١)جمع شعرّه وحقَّقه د. حمد بن ناصر الدَّخيل، ونشره النَّادي الأدبيّ بالرّياض، ط١، ١٩٩٧م. ويقع الدّيوان مع الدّراسة في (٣١٥) صفحةً.

(٢) أخبار القضاة لابن وكيع: ١٧٣. فَرَقه: خاف منه.

(٣) الخِطّةُ بالكسر الأَرضُ والدار يَخْتَطُّها الرَّجل في أَرض غير مملوكةٍ ليَتَحجَّرها ويَبْنِيَ فيها، وذلك إذا أَذِن السُّلطان لجماعة من المسلمين أَنْ يَخْتَطُّوا الدُّورَ في موضع بعينه، ويتَّخذوا فيه مَساكِنَ لهم كما فعلوا بالكوفة والبصرة وبغداد (لسان العرب، [خ ط ط]، ٢٨٧/٧).

(٤) أخبار القضاة لابن وكيع: ١٧٥. (الأحامرة): قومٌ من العجم نزلوا البصرة.

الخوارج يُقال لها الأزارقة[١].

ومن حَنيفة[٢]: بَنو ثَعْلبة بن الدُّوْل، ومنهم: ثُمامةُ بنُ أُثَالِ بنِ النُّعْمان بنِ مَسْلمة بنِ عُبَيد بنِ ثَعْلبة بنِ الدُّوْل بنِ حَنيفة[٣]، أَسْلم، وله صُحبة؛ وعمُّه مُطرِّف بن النعمان، كان سَيِّداً؛ وابنُ عَمِّهم حُرَيثُ بنُ جَابر ابنِ مَسْلمة بنِ عُبَيد، كان سَيِّداً؛ وخُلَيْد بنُ عَبد الله بنِ زُهَير بنِ سَارِيةَ بنِ مَسْلمة بنِ عَبيد، ولي خُراسان؛ والمعْتَرِضُ بنُ عِزَال بن سُبَيْعِ بنِ مَسْلمةَ بنِ عُبيد، قُتل يومَ اليمامة؛ وابن عمِّه مُحكِّمُ بنُ الطُّفَيْل بن سُبَيْعِ بنِ مَسْلَمة[٤]، قتل يوم اليمامة، وكان في قومه أشرفَ من مسيلمة، وابنُ عَمِّه: الفُرَافِصَةُ بنُ عُمَير بنِ شَيْبان بنِ سُبَيْع بنِ مَسْلَمة، حَليفٌ لقريش؛ ومُجَّاعَةُ بنُ مُرَارةَ الحَنَفيّ[٥]، أَسَرهُ خَالدُ بنُ الوليد، وعلى يده كان صُلحُ أهل اليمامة.

ومن حَنِيْفة: عبد الرحمن بنُ عليٍّ الحَنَفيّ اليَماميّ[٦]، له صُحبةٌ، وروى عن الرَّسول ﷺ :" لَا يَنْظُرُ اللهُ إلى صَلَاةِ رَجُلٍ لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ"[٧].

ومنهم أبو حُرَّةَ الحَنَفيّ، الّذي أنفَذَه عليّ ﷺ إلى مَصْقَلة بنِ هُبَيْرَةَ الشَّيْبّانيّ يُطالبه بأثمان أسرى بني سَامَه، ويأمره إن لم يُؤدُّوا المال أن يُشْخِصَه إلى ابن عبّاس ﷺ، و كان أبو حُرَّةَ عَامِلَ عليٍّ ﷺ على البصرة والأهواز وفارس[٨].

ومنهم: سَهْمٌ الحَنَفيّ، قال عنه الجاحظ:" وكان سَهْمٌ الحنفيُّ يلي طبَرِسْتان، لمعن بن زائِدة، مع حَداثة سنِّه يومئذٍ، وكان له مروءةٌ وَقَدْرٌ في نفسه"[٩].

---

(١) انظر الأنساب للسَّمعاني: ٤٤٧/٥.

(٢) في عُجالة المبتدي وفضالة المنتهي: ص٥١" وهم جماعةٌ كثيرةٌ من الصَّحابة والتَّابعين، ومَنْ بعدهم من العلماء والأمراء الفرسان والشُّعراء، وعامّتهم كانوا باليمامة، ثمَّ تفرَّقوا" .

(٣) الوافي بالوفيّات: ١٥/١١. وأخباره في الرّوض الأنف: ٥٠١/٧ . ٥٢٩.

(٤) انظر فصل المقال: ٤٢٧/١.

(٥) أسد الغابة: ٥٧/٥. والإصابة: ٣٦٢/٣.

(٦) الاستيعاب: ٨٤٢ (تح: البجاوي).

(٧) مسند أحمد: ٤٦٦/١٦.

(٨) الإيناس بعلم الأنساب: ٧٢.

(٩) الحيوان: ٣٧٩/٤.

وأمَّا بنو عِجل بن لُجيم فمنهم: الأغلب العِجْليُّ الرَّاجز[١]،أَدْركَ الإسلامَ، فأسلَم وحَسُن إسلامُه، وهَاجر، ثُمَّ كَان فيْمَن سار إلى العراق مع سَعدِ بنِ أبي وقَّاص، فنَزل الكُوفة، واستُشْهِد في وقعة نَهاوند، وقَبْرُه بها[٢].

والرَّاوية خِداشُ بن إسماعيل، وله صُحبة. وحَجَّار بن أبجر؛ رأس الكوفة، ومات أبوه نصرانيَّاً[٣]، والرّاجز أبو النَّجم العِجْليُّ (الفَضْلُ بنُ قُدامة)[٤]، والشَّاعر العُدَيْلُ بنُ الفَرْخ[٥]. وفيهم قَيْس بن سَعدٍ العِجْليّ؛ قائد شرطة حمَزة بن المغيرة زمن الحجَّاج[٦].

ومنهم دُهاة العرب، كما وصفهم الطَّبريُّ في تاريخه[٧]، وهم: مَذْعُور بن عَديٍّ العِجْلِيّ، والمُضارب بن يَزيد العِجْليّ، ومَعْبَد بن مُرَّةَ العِجْلِيُّ، وقد أرسلهم سَعدُ بن أبي وقَّاص مع آخرين إلى رستم يوم القادسيَّة.

ثُمَّ بنو عُكَابة بن صَعْب، ومنهم: ثَعْلَبة، وهو الحِصْن، وقَيْس. ومِن ثَعْلَبة: بنو تيم الله (اللّات) بن ثعلبة بن عُكابة[٨]. وأشهر شُعرائهم نهار بن تَوْسعة الّذي مال إلى آل المهلَّب، فمَدَحهم وبالغ في مدحهم، ومدح قُتيبةَ بن مُسْلم البَاهليّ ثُمَّ هَجَاه، ووكِيْعاً الحَنْظليّ[٩]، وقد وصفه ابنُ قُتيبةَ بأنّه أشعر بكر بن وائل

(١) جمع شعره د. نوري القيسي في (شعراء أمويّون)، وقد استدركت على الشّعر في بضعة أبيات في قسم خاصٍ من البحث.

(٢) أسد الغابة: ٢٦٢/١.

(٣) الأخبار الطِّوال: ٢١٦.

(٤)تعاقب على جمع شعره أكثر من أستاذ، فكانت البداية مع الأستاذ علاء الدّين الآغا بطبعة للدّيوان صغيرةٍ، صدرت سنة ١٩٨١م بمدينة الرّياض، ضمن سلسلة كتاب الشّهر عن النّادي الأدبيّ، رقم ٣٣. ثمّ نهض بالعمل د. سجيع الجبيلي سنة ١٩٩٨م.وكان ختام العمل مسكاً حين ندب د. محمّد أديب جُمران(رحمه الله) نفسه لخدمة شعر هذا الشّاعر الفحل، وإيفائه حقَّه. وقد نشر العملَ مجمعُ اللّغةِ العربيّة بدمشق، سنة ١٩٩٩م.

(٥) جمع شعره د. نوري القيسي ضمن سلسلة (شعراء أمويّون).

(٦) تاريخ الطّبري: ٢٩٤/٦.

(٧) انظر تاريخ الطَّبريّ: ٥١٨/٣.

(٨) جاء في عُجالة المبتي وفضالة المنتهي: ص٣٣ " وأمَّا التَّيْميُّ، فهم: تيم قُريش، ومنهم تيم بن مُرَّة. وتيم اللّات بن ثعلبة بن بكر. وتيم الرَّباب، فإذا أُطلق لفظ التَّيميّ فالمراد تيم قُريش" .

(٩) انظر (شعر نهار بن توسعة، جمع وتحقيق: د. خليل إبراهيم العطيّة، مجلة المورد العراقيّة، المجلد ٤، العدد ٤، ١٩٧٥م).

بخراسان[1]. وهو القائل:

[الوافر]

أَبي الإسْـــــلامُ لا أَبَ لِي سِـــــوَاهُ ... إِذَا هَتَفُـــوا بِبَكْـــرٍ أَو تَمـــيمِ
دَعِـــيُّ القَـــوْمِ يَـــنْصُرُ مُدَّعِيـــهِ ... فيُلْحقُـــهُ بـــذي النَّسَـــبَ الصَّـــميمِ
ومـــا كَـــرَمٌ ولـــو شَرُفَـــتْ جُـــدُودٌ ... ولكـــنَّ التَّقِـــيَّ هـــو الكَـــرِيمُ[2]

وقد مَدح الفرزدقُ في شِعره بكرَ بن وائل، فلم تجد ناقته في تردُّدها حيّاً يسترُ عورتَها، ويرعى حُرمتها غيرَ حيّ بكر بن وائل، وخصّ منهم بَني الحِصْنِ؛ أي أبناء ثَعْلبةُ بن عُكابة، فمدَحَهم بنُبْلِ النُّفوس، وإجارةِ المستجير بهم، وذلك حين أتى بَكرَ بن وائل هارباً من زيادٍ وشُرطَتِه، فأجاروه، فأمِن، فقال:

وقَـــدْ مَيَّلَـــتْ بَـــيْنَ المسِـــيْرِ فَلَـــمْ تجِـــدْ ... لِعَوْرَتهـــا كـــالحيِّ بَكْـــرِ بـــنِ وائـــلِ
وسَـــارتْ إلى الأَحْفَـــارِ خَمسـاً فأَصْـــبَحَتْ ... مَكَـــانَ الثُّرَيَّـــا مِـــنْ يَـــدِ المُتَنـــاوِلِ
ومَـــا ضَرَّهـــا إذْ جَـــاوَرَتْ في بِلادهـــا ... بَنِـي الحِصْـن مَـا كَـان اخْـتِلافُ القَبَائِـلِ[3]

ثُمَّ بنو شَيبان بن ذُهْل بن عُكَابة بن صَعْب، ومن وَلده سَدُوس[4]، وفيهم طَائفةٌ وَاسعةٌ من العلماء، وكان السَّدوسيِّون أردافَ مُلوك كندة بني آكل المرَّار. وفي الفائق للزَّمخشريّ:" وبنو شيبان الطُّولُ فيهم غالبٌ، ويُقال للطَّيْلسان سَدُوس"[5].

(١) الشّعر والشّعراء: ٥٣٧/١.

(٢) الشّعر والشّعراء: ٥٣٧/١. وفي (شعر نهار بن توسعة): ١٠١ (إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم).

(٣) طبقات فحول الشّعراء: ٣٠٣/٢، ٣٠٤. الأحفار: موضعٌ في بلاد بني تغلب بن وائل.

(٤) سَدُوس بفتح السّين، وأمَّا بضمّها فهم في طيّئ (انظر ليس في كلام العرب: ١٠٤).
وفي مختلف القبائل ومُؤتلفها لابن حبيب (٢٤٥هـ): ٢٤، وكُلُّ سَدُوس في العرب، فهو مفتوح، إلَّا سُدُوس بن أَصْمَع بن أُبيّ بن عُبيد بن ربيعة بن نَصر بن سَعد بن نَبهان من طيّيء، فهو مضموم. وفيهم يقول امرؤ القيس:
إذا مَـــا كُنْـــتَ مُفْتَخِـــراً فَفَـــاخِر ... بِبَيْـــتٍ مِثْـــلِ بَيْـــتِ بَـــني سُدُوســـا
(ديوانه: ٥٦٦/٢). قاله في خالد بن سُدُوس بن أَصْمَع النَّبهانيّ.
وفي عُجالة المبتدي وفضالة المنتهي: ٧٣ " السَّدوسيّ منسوبٌ إلى سَدوس بن ذُهل بن ثَعلبة بنِ عُكابة بن صَعب بن عليّ بن بكر بنِ وائل، بطنٌ كبيرٌ من ربيعة، وعامَّتهم بالبصرة" .

(٥) الفائق في غريب الحديث: ٩١/٢.

وفيهم الرَّقاشيّون نسبةً إلى أمِّهم رَقَاش[1]، ومن رجالهم عَمرو بن ضُبيعة الرَّقاشيّ. والحُضَين بن المنذر؛ صَاحبُ رَاية الإمام علي ﷺ يوم صفِّين. والصَّحابيّ بَشير بن الخَصاصيّة[2]، وكان اسمه زَحْم، فسمَّاه النَّبيُّ ﷺ بشيراً. وقَتَادةُ بنُ دِعامة السَّدوسيّ، وقيل كان مُتَّهماً بالقَدر، وقال عنه سَعيدُ بن المُسَيِّب: ما أتَاني عِراقيٌّ أحفظُ من قَتادة[3]، وفي سِير أعلام النُّبلاء:" قال الشَّعْبيّ: جَرِيْرٌ: عَنْ مُغِيْرَةَ، قَالَ الشَّعْبِيُّ: قَتَادَةُ حَاطِبُ لَيْلٍ.

قَالَ يَحْيَى بنُ يُوْسُفَ الزِّمِّيُّ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ: قَالَ لِي عَبْدُ الكَرِيْمِ الجَوْزِيُّ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، تَدْرِي مَا حَاطِبُ لَيْلٍ؟ قُلْتُ: لاَ.

قَالَ: هُوَ الرَّجُلُ يَخْرُجُ فِي اللَّيْلِ، فَيَحْتَطِبُ، فَيَضَعُ يَدَه عَلَى أَفْعَى، فَتَقْتُلُه، هَذَا مَثَلٌ ضَرَبتُه لَكَ لِطَالِبِ العِلْمِ، أَنَّهُ إِذَا حَمَلَ مِنَ العِلْمِ مَا لاَ يُطِيْقُه، قَتَلَه عِلْمُه، كَمَا قَتَلَتِ الأَفْعَى حَاطِبَ اللَّيْلِ"[4].

وله خبرٌ مع ابن شِهابٍ الزُّهريّ عند سُليمان بن عبد الملك، ذكره الزُّبيديّ في لحن العوام، فقال:" ورُوِيَ أنَّ سُليمان بن عبد الملك، رضي الله عنه، جمع بين ابن شِهابٍ الزّهريّ وقتادة بن دِعامة السَّدوسي، رحمهما الله، فتناظرا عِنده، فاستشرف قتادة على الزّهريّ، فلمّا نهضا قال سُليمان: الزُّهريُّ فقيهٌ مليحٌ؛ فعدُّوا ذلك منه ميلاً مع الزُّهريّ، وقالوا: تعصَّبَ للقُرشيَّة"[5].

ومنهم مَجزأة وشقيق ابنا ثَور. وكان شَقيق سَيِّدَ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ فِي الإِسْلاَمِ، وَكَانَ رَأْسَهُم يَوْمَ صِفِّيْنَ مَعَ عَلِيٍّ ﷺ، وَيَوْمَ الجَمَلِ. وَلَهُ وِفَادَةٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَقُتِلَ أَبُوْهُ فِي فَتْحِ تُسْتَرَ.

وقِيْلَ: إِنَّ شَقِيْقاً هَذَا لَمَّا احتُضِرَ، قَالَ:"لَيْتَهُ لَمْ يَسُدْ قَوْمَهُ، فَكَمْ مِنْ بَاطِلٍ قَدْ حَقَّقْنَاهُ، وَحَقٍّ أَبْطَلْنَاهُ"[6].

وقد تُوُفِّيَ سَنَةَ خَمْسٍ وَسِتِّيْنَ.

ومِنْهم عبدُالله بن الأسود[7] المهاجرُ إلى رسول الله ﷺ في وفد سَدوس.

---

(١) انظر التّاريخ الكبير (تاريخ ابن أبي خيثمة): ٨٦/٢. وتاريخ دمشق: ١٦٤/١٠.

(٢)انظر الاشتقاق: ٣٥٠.

(٣) التّاريخ الكبير: ٨٣/٢.

(٤) سير أعلام النّبلاء: ٣٢٦/٩.

(٥) لحن العوام: ١٨٠.

(٦) سير أعلام النُّبلاء: ٤٤/٦.

(٧) الدِّيباج: ١٥٦.

ومن سَدوس، أَسْوَدُ بن عُوَيْم السَّدُوْسيُّ، روى عنه حَبِيْبُ بنُ عامرِ بنِ مُسْلم السَّدوسيُّ أَنَّه قال:" سألتُ رسولَ الله ﷺ عن الجمع بين الحُرَّةِ والأَمَة، فقال: للحُرَّة يومان، وللأَمَة يوم"[1].

ومنهم دَغْفَلُ بْنُ حَنْظَلَةَ الشَّيْبَانِيُّ نَسَّابَةُ الْعَرَبِ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ شَيْبَانَ، سَدُوسِيٌّ، ذُهَلِيٌّ، مُخْتَلَفٌ فِي صُحْبَتِهِ، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ: مَا أَرَى لَهُ صُحْبَةً، وَقَالَ الْبُخَارِيُّ: لَا يُعْرَفُ لِدَغْفَلٍ أَنَّهُ أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ.[2]

ومن معرفته في الأنساب ما ساقه أبو عُبيدة في الدّيباج، قال:" أقبل نفرٌ من الأنصار حتّى وقفوا على دَغْفَلٍ بعدما عَمِيَ، فقال: من القومُ؟ قالوا: أشرافُ اليمن.

قال دَغْفل: أهلُ مُلكِها القديم، وحسبِها العميم: كِندة؟. قالوا: لا، قال: فأهلُ شرفها المذكور، وبيتِها المعمور: آلُ ذي يزن؟، قالوا: لا، قال: فالطِّوال قَصَباً، المُمَحَّصُون نَسَباً: بنو عبد الْـمَدانِ؟، قالوا: لا، قال: فأقودها للزُّحُوف، وأحزمُها للعَيُوف، وأضربُها بالسِّيوف: رهطُ عمرو بن معدي كرب؟، قالوا: لا، قال: فأطيبُها فِناءً، وأعجلها قِراءً: رهطُ حاتم؟، قالوا: لا، قال: فالقائلون بالعدل، الغارسون للنَّخل، والمطعمون في المحل: الأنصار؟، قالوا: نعم[3].

وممّا يُؤثر عنه قوله:" كانت الجاهليَّة للأيامن، والإسلام لمضر، والفِتن لربيعة"[4].

ومنهم عِمران بن حِطَّان الشَّاعر الأمويّ المعروف، وقد قَالَ فيه الفَرَزْدَقُ: "عِمْرَانُ بنُ حِطَّانَ مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ؛ لأَنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَقُوْلَ مِثْلَنَا، لَقَالَ، وَلَسْنَا نَقْدِرُ أَنْ نَقُوْلَ مِثْلَ قَوْلِهِ"[5]. وكان من أفصح النَّاس، وأعلمِهم بأيّام العرب[6].

وأمَّا قيس بن ثعلبة[7] فولدَ: ضُبيعةَ وتَيْماً وثَعْلبة وسَعداً. فمن بني ضُبيعة[1] المرقِّشان؛ الأكبر

هو عبد الله بن الأسود بن شُعبة بن علقمة بن شهاب بن عوف بن عمرو بن الحارث بن سَدوس.

(١) أسد الغابة: ٢٣٢/١.

(٢) معرفة الصّحابة: ١٠١٥/٢.

(٣) الدِّيباج: ١٥٨ـ ١٥٩.

(٤) الدِّيباج: ١٤٦.

(٥) سير أعلام النّبلاء: ٢٣٨/٧.

(٦) الفتوح لابن الأعثم: ١٢/٣.

(٧) قيس بن ثَعلبة كُلُّهم بكريّون، ويتوزّعون على أقسام ثلاثة: بنو ثَعلبة بن ذهل، و بنو ثعلبة بن شيبان، و بنو ثعلبة بن بكر.

والأصغر. والأعشى الكبير؛ ميمون بن قيس في الجاهليّة. قال ابن قُتيبة:" وفي ضُبيعة العَدد"[٢].

ومن رِجالهم في صدر الإسْلامِ طَلْقُ بنُ خَشَّاف[٣]؛ أَدْرك عُثمانَ وعَائشة (رضي الله عنهما)، وروى عن نفسه، فقال:" وَفَدنا إلى المدينة لنَنْظرَ فيما قُتل عُثمان، فلمَّا قدِمنا مَرَرْنا ببعض آل عليّ وبعضِ آل الحسين ابن عليّ وبعضِ أمَّهات المؤمنين، فانطلقتُ حتَّى أَتيتُ عائشةَ، فسلَّمتُ عليها، فردَّت السَّلام، وقالت: منِ الرَّجل؟ قلتُ: من أهل البصرة، قالت: ومن أيِّ أهل البصرة؟ قلتُ: من بكر بن وائل، فقالت: ومن أيِّ بكر بن وائل، فقلت: من بَني قَيس بن ثَعلبة، فقالت: من آل فلان؟ فقلت لها: يا أمَّ المؤمنين! فيمَ قتل عثمان؛ أميرُ المؤمنين؟ قالت: قُتل والله مظلوماً، لَعَنَ اللهُ مَن قَتَله[٤].

وفي عصر بني أميّة برز من قَيس بن ثَعْلبة مَالكُ بنُ مُقَاتل بن مِسْمعٍ، قَتَله يزيدُ بنُ المهلَّب في البَصرة. وتُدْرَج قبيلة قيس بن ثعلبة في الصَّنائع؛ إِحْدى كَتَائبِ النُّعْمان بنِ المنذر؛ مِن أَشْهر قَبائل العَرب، وقد شَهد بذلك حَسّانُ بنُ ثابت، والأخطل، فقال الأخطل: [الطَّويل]

غِضَـــابٌ كَـــأنِّي في بَيَـــاضِ أَكُفِّهِـــمْ ... ألا ربَّـــما لمْ تَسْـــتَطِعْنِي اللَّهَـــازِمُ[٥]

وقال حَسَّان بن ثابت: [الطَّويل]

أَتَانَـــا رَسُـــوْلُ اللهِ لَمَّـــا تَجَهَّمَـــتْ ... لَـــهُ الأَرْضُ يَرْمِيْـــهِ بِهَـــا كُـــلُّ مُوفِـــقِ

تُطَـــرِّدُهُ أَفْنَـــاءُ قَـــيْسٍ وخِنْـــدِفٍ ... كَتَائِـــبُ إِنْ لا تَعْـــدُ لِلـــرَّوْعِ تَطْـــرُقِ[٦]

وفي قيس بن ثعلبة الشَّرف والجاه في الجاهليّة والإسلام، ذكر أبو عمرو المدنيّ " أنّ الأسود بن شَريكٍ الشَّيبانيّ دخل على عبد الملك بن مروان، ففخر بقومه، فذكر أنّه ليس في بكر بن وائل مثلُهم، فقال عبد الملك: فأين أنتَ من بَني قيس بن ثَعلبة، إنَّ منهم لحيَّين ما يَزيدك عليهم حيَّان؛ عمرو بن مَرْثَد في الجاهليَّة،

(١) جاء في الأغاني:٢٦٠/٢٤ (ضُبَيْعاتُ العرب ثلاثٌ، كُلُّها من ربيعة: ضُبَيعةُ بنُ ربيعةَ وهم هؤلاء، ويقال: ضبيعة أضجم، وضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وضبيعة بن عجل بن لجيم).

(٢) المعارف: ٦٠.

(٣) انظر الإصابة: ٥٣٨/٣ (تح: البجاويّ).

(٤) مجمع الزّوائد للهيثميّ: ٢١١/١٩.

(٥) شعر الأخطل: ٣٥٤. أراد: كانَّهم قد قدروا عليَّ، وصرتُ في أيديهم. اللّهازم: قيس وتيم اللّات ابنا ثعلبة بن عُكابة، قال ابن قتيبة: وأمّا تيم الله بن ثعلبة، فهم اللّهازم، وهم حلفاء بني عِجْل (المعارف: ٦٠).

(٦) ديوانه: ١٨٥/١.

وبنو مِسْمعٍ في الإسلام"[١]، ومِنهم فُكَيْهَة الّتي ضُرب بها المثل في الوفاء في الجاهليّة، فكانت من الثَّلاث الوافيات في الجاهليّة[٢].

وأمَّا ولد يَشْكر بن بكر فمنهم: الحارث بن حِلِّزة اليَشْكُري؛ في الجاهليَّة، وسُويد بن أبي كاهلٍ اليَشْكُريّ في الإسلام.ومنهم: عبدُ الله بن المُنْتَفِق اليَشْكُريُّ والد المُغِيْرة بن عبد الله اليَشْكُريّ روى عن النَّبيّ ﷺ أنَّه أتاه وساءَله[٣].

وابنُ الكوَّاء؛ أميرُ صلاة الخوارج في حَرُوْرَاء، وهو من رهط حَرْب بن يَشْكُر[٤]، وهو الَّذي سأل عليّاً ﷺ: "ما البيتُ المعمور؟ قال: هو الضّراح، وهو حذاء هذا البيت، وهو في السَّماء السَّادسة، يدخله كلَّ يومٍ سبعون ألف ملكٍ لا يَعودون فيه أبداً"[٥].

ولبكر بن وائل شأن عظيم بين القبائل، ولا سيَّما في الجاهليَّة، فقد طار ذكرها وسما، وارتفع شأنها وعلا، وكانت لهم مَكْرمةٌ من مكرمات العرب يَفْخَرون بها، على أنَّها آيةٌ لهم بين الأمم في الجاهليّة،فلمّا كان الإسلام زاد من شأنها، وحثَّ على استمرارها؛ وهي نخلٌ كان وَقفاً لأبناء السّبيل، حتَّى إذا كانت حَجَّة الوداع ووضع رسول الله ﷺ كُلَّ دَمٍ ومَكْرُمةٍ كانت في الجاهلية الا السِّدَانةَ والسِّقايةَ، قام ابنُ رَبيعة بنِ الأسود اليَشْكريّ، فقال: " يا رسول الله! إنَّ أبي كان وقفَ نَخْلاً له على أبناءِ السَّبيل، أفَهي مَكرمةٌ له فأُمْضِيْها؟" فأمره النبي ﷺ بإمْضَائها.

فبنوه يَصْرِمون ذلك النَّخل على ثلاثٍ واثنتين، يكون أصلُ النَّخلة واحداً وأعلاها ثلاثاً.وتُصْرم في السَّنة مرَّتين؛[٦] وفي ذلك يقول رجلٌ من بكر بن وائل: [الطَّويل]

هَلُمَّ إلى حُكَّامِ بَكْرِ بنِ وَائِلِ ... ولا تَكُ مِثْلَ الجَاهِلِ المُتَرَدِّدِ
بَنِي خَالِدٍ مِنْ آلِ شَيْبَانَ في الذُّرَى ... أَوِ الصِّيْدِ مِنْ أَبْنَاءِ عَمْرو بنِ مَرْثَدِ
أَوِ اليَشْكُرِيِّيْنَ الكَرِيْمِ فِعَالُهُمْ ... بَنِي مَوْرِثِ الأَضْيَافِ مِنْ آلِ أَسْوَدِ[١]

(١) الدِّيباج: ١٤٨.
(٢) انظر الدِّيباج: ٧١.
(٣) الاستيعاب: ٩٩٨/٣.
(٤) نسب عدنان وقحطان، المبرِّد: ١٧.
(٥) أخبار مكة للأزرقي: ٤٩.
(٦) المحبَّر: ٢٤٢

ولكرم تلك النّخل، وشرف صاحبها، قال معاوية بن أبي سفيان:" وددت أنَّ صَاحِبَ نَخْلِ رَبِيعة بن أسود مَكان الخلافة لي".[٢] وأشار الفرزدق إلى مكرمات بكر بن وائل ومآثرهم، فقال:

وقد فَضَلتْ بَكْرٌ رَبِيْعَةَ كُلَّها بِفِعْلِ العُلى والمأْثُرَاتِ الأَوَائِلِ[٣]

ثانياً: منازِلُ بَكْرِ بنِ وائل

كانَ للحربِ المشْهُورة بينَ بكرٍ وتَغْلب عَظِيْمُ الأَثَرِ في تَنقُّل البَكْرِيِّين مِن مَكانٍ إلى آخر هَرباً مِن بَطْش الزّير؛ أبي ليلى المهلهِل، فلم يكن يَستقر بهم موضعٌ حتّى يُغَادِروه، وأمَّا مسْكَنُهم بعد (بطن عِرْق) فهو وادي الثَّرْثار؛ وهو وادٍ عَظِيمٌ بالجزيرة يَمُدُّ إذا كَثُرت الأمطارُ، فأما في الصَّيف فليس فيه إلَّا مَناقعُ ومِياهٌ حَاميةٌ وعُيُونٌ قَليلةٌ مَلِحَة، وهو في البريَّة بين سِنْجار وتَكْريت، كان في القديم منازل بكر بن وائل، واخْتصَّ بأَكْثره بنو تَغلب منهم، وكان لِلْعرب بِنَواحية وَقائعُ مَشْهورةٌ، ولهم في ذكره أشعار كثيرة .[٤]

وأمَّا مَنازلُ بَني بكر على العموم فامتدَّت من اليَمامة إلى البحرين (وتسمَّى العَرُوض) إلى سِيْف كَاظمة إلى أطراف سواد العراق (دجلة والفرات)، فلأُبُلَّة، فَهِيْت[٥]، ثمَّ تَغَلْغلت بكرٌ في العِراق إلى دِجلة فيما يُعرف اليوم (بديار بكر) وهي منسوبة إلى بكر بن وائل. وذلك لما أصاب ربيعة من قحطٍ وجفاف، من العراق أتت الجزيرة، وسكنت اليمامة، فكانت معقلاً من معاقلهم[٦].

ومن جبال بكر: أسود، والطّور البرِّيّ. ومن أوديتها: الثَّرْثَار. ومن أشهر مياههم: سَلْمان، وهو فوق الكوفة، وإليه يُنسب يوم سَلمان، وهو من أيام العرب المشهورة لبكر بن وائل على بني تميم، أَسرَ فيه عِمران ابنُ مُرَّة الشَّيبانيُّ الأقرعَ بنَ حابس ورئيساً آخر من تميم[٧].

ولذُهْل بن ثعلبة مياه اسمها (تُقَيّد)، وهي ماءٌ بأعلى الحزن جامعٌ لتَيم الله وبني عِجْل وقيس بن ثعلبة[١].

---

(١) المحبّر: ٢٤٢.

(٢) المحبّر: ٢٤٢.

(٣) ديوانه: ٦٦٨.

(٤) معجم البلدان: ٢/٧٥.

(٥) صفة جزيرة العرب: ٢٨٤.

(٦) انظر معجم قبائل العرب لـ عمر كحّالة: ١/٨٢.

(٧) معجم البلدان:٣/٢٣٩.

وذهل بن الدُّول لهم الهدَّار من نواحي اليمامة، ولهم العُقَيْر[٢] من نَخْلِ اليَمامة، وهي قرية على شاطئ البحر بحذاء هَجَر. وفيها قبرُ الشَّيخ إبراهيمِ بنِ عَربي الَّذي كان واليَ اليمامة في أيَّام بَني أمية.

وسَدُوس شيبان لهم: القُرَيَّة.من أشهر قُرى اليمامة، لم تدخل في صلح خالد بن الوليد، ﷺ، يوم قَتَلَ مُسَيلمة الكذَّاب، وهي قرية بني سدوس باليمامة، بها قصرٌ بناه الجن لسليمانَ بن داود، عليه السَّلام[٣]. ولذلك يقول الحطيئة فيهم: [الكامل]

إنَّ اليَمامَـــــــةَ شَرُّ سَـــــــاكِنِهَا ... أَهْـــلُ القُرَيَّـــةِ مِـــنْ بَنِـــي ذُهْـــلِ

قَـــــوْمٌ أَبَـــــادَ اللهُ غَـــــابِرَهُمْ ... فَجَمِـــيْعُهُمْ كَـــالحُمَّرِ الطُّحْـــلِ[٤]

ثُمَّ إنَّه كان قد ادّعى انتسابه إلى أهل القُريَّة من بَني ذُهل، فقال : [الكامل]

لأَمْـــدَحَنَّ بمِدْحَـــةٍ مَـــذْكُوْرَةٍ ... أَهْـــلَ القُرَيَّـــةِ مِـــنْ بَنِـــي ذُهْـــلِ[٥]

وقال يَصْرف بنسبه إليهم: [مجزوء الكامل]

قَـــوْمِي بَنُـــو عَمْـــرو بـــنِ عَـــوْ ... فٍ إنْ أَرَادَ العِلْـــــــمَ عَـــــــالِمْ

قَـــــوْمٌ إِذَا ذَهَبَـــــتْ خَضَـــــا ... رِمُ مِـــــنْهُمُ خَلَفَـــــتْ خَضَـــــارِمْ

لا يَفْشَـــــــــلُوْنَ ولا يَبِيْـــــــــ ... ـــــتُ عَـــلَى أُنُـــوْفِهِمُ الخَـــوَاطِمْ[٦]

وجعل يَصْرف بنسبه إليهم، فأتاهم، فلم يُعطوه شيئاً، فمرَّ، وهو يُريد السّوق، فرأى جماعة على باب دار عُتَيْبة بنِ النَّهَّاس العِجْليّ، وكان من أشرف وجوه بكرٍ بن وائل، وقد أوفده نُعَيْم بن مقرّن بالأخماس إلى عمر ابن الخطّاب ﷺ بعد فتح الرّيّ[٧]، وجعله عمر بن الخطّاب على مُجَنّبة سُويد بن مقرّن إلى قومِس[٨]، وكانت

(١) معجم البلدان: ٢/٣٧.

(٢) معجم البلدان:٤/١٣٨.

(٣) معجم البلدان: ٤/٣٤١.

(٤) ديوانه: ٨١.

(٥) ديوانه: ٢٦٦.

(٦) ديوانه: ٢٦٤.

الخِضْرِم: الكثير المعروف. لا يفشلون: لا يجْبُنون ولا يضعفون. الخواطم: واحدة الخاطمة، وهي في الأصل الأنف.

(٧) تاريخ الطّبريّ: ٤/١٥٠.

(٨) تاريخ الطّبريّ: ٤/١٥١.

له دارٌ عظيمةٌ قوراء ذات بابٍ في السَّماء، وكان ضربَ قِباباً من أَدَم في الجاهليّة للأضياف، فعُرف قومه بها، فدخل عليه الحُطيئة في عباءةٍ، فلم يعرفه، فقال: أعطني، فقال: ما أنا على عَمَلٍ فأعطيَك من عُدَده (أي فضوله)، وما في مالي فُضُول عن قومي! فانصرف الحطيئة، ولّما علم عُتَيبة أنَّ الدَّاخل عليه كان الحُطيئة خَشي لسانه، فدعاه، وجعل يُسوّغُ صنيعه معه، فقال للحُطيئة: بئس ما صَنعتَ، ما استأنَسْت استئناسَ الجار، ولا سلَّمتَ تسليمَ أهل الإسلام، ولا رحَّبت ترحيب ابن العمّ، .... اجلس فإنَّ لك عندنا ما يسرُّك، وقد عَرفنا النَّسَب الّذي تمُتُّ به، وأنت جارٌ وأشعر العرب[1]، لكنَّ ذلك لم يشفع للنَّهّاس عند الحطيئة، فهجاه قائلاً:

سُـئِلْتَ فَلَـمْ تَبْخَـلْ ولمْ تُعْـطِ طَـائِلاً ... فَسَـيَّانِ لا ذَمٌّ عَلَيْـكَ ولا حَمْـدُ
وأَنْـتَ امْـرُؤٌ لا الجُـوْدُ مِنْـكَ سَـجِيْةٌ ... فتُعْطِي وقد يُعْدِي عَلَى النَّائِلِ الوُجْدُ[2]

وأمَّا منازل بني عجل فهي من اليمامة إلى البصرة. ومن مياههم:

ـ شُبْرُم، وهو ماءٌ عذبٌ في البادية، بينه وبين الجبل تسعةُ أميال، وهو لبني عِجْل في طرف البريّة من الكُوفة[3].

ـ وزُمٌّ يمتدّ من طريق الكوفة إلى مكّة والبصرة.

ـ والرُّوَيْثة بين طريق الكوفة والبصرة إلى مكَّة.

ـ ومَحْضَرة بين طريق الكوفة والبصرة إلى مكَّة[4].

وأمَّا قيسُ بنُ ثَعْلبة فمن منازلهم: مَنْفُوحة[5] وهي قريةُ الأعشى، وبها قبره، وقد نزلوها بعد قتل مُسيلمة؛ لأنَّهم لم يدخلوا في صُلح (مُجَّاعة) لَّما صالحَ خالد بن الوليد على اليمامة. ومن خبرها ما جاء في بلاد العرب

(١) انظر تتمّة الخبر في ديوان الحطيئة: ٢٦٧.

(٢) ديوانه: ٢٦٨. الوُجْد: اليَسَار، والسَّعة.

(٣) معجم البلدان: ٣/٣٢١.

(٤) معجم البلدان: ٥/٦٢.

(٥) قيل: إنَّما سُمِّيت مَنفوحة لأنَّ بني قَيس بنِ ثعلبة قَدِمت اليَمامة بعدما نزلها عبيد بن ثعلبة، وأنزل حوله بطون حنيفة فقالوا: إنك أنزلتنا في ربعك، فقال: ما من فضل غير أني سأنفحكم، فأنزلهم هذه القرية، فسُمِّيت منفوحة(معجم البلدان:٥/٢٤١، ٢١٥).

للأصفهانيّ :" أَتَتْ بنو قَيسِ بن ثَعلبة عُبَيْداً، فقالوا له: انْفُح لنا ممَّا أصبتَ، أي هَبْ لنا، فجعل لهم قريةً، فسُمِّيَتْ منفوحةً، من أجل قولهم: انفح"[١].

ومن منازل قيس بن ثعلبة : ضُبيعة، والنّميلة، وكلُّها باليمامة.

ومن أوديتهم: الخَرْجُ، وهو خيروادٍ باليمامة، أَرْضُهُ أَرْضُ زرعٍ ونَخْلٍ قَليل.

ومن مياههم: عُبَيَّة، وعُبَاعِبُ ببطَنْ فَلْجٍ من ناحية اليمامة[٢].

ثالثاً: أيَّام بَكْرِ بنِ وائل

أيام بكر في الجاهليَّة:

حروب بكرٍ في الجاهليّة كثيرة، شأنها شأن قبائل العرب القائمة على الغزو وردّ العدوان[٣]، وأيّامهم على قسمين: قسمٌ داخليّ، وهو حروب بكر فيما بين بطونها ، وقسمٌ خارجيّ، وهنا نشير إلى القتال الدَّائم بينهم وبين بني تميم على الأرض والسِّيادة[٤].

وأمَّا أشهر حروب بكر فهي مع ابنة عمّها تغلب، فيما عُرف بحرب البَسوس[٥]، بعد مقتل كُليب بن وائل زعيم ربيعة، الّذي يُقال فيه: أعزُّ من كُليب وائل[٦]، ودامت الحرب أربعين سنةً، دارت على أيَّامٍ عدّة، منها[٧]:

ـ يوم النِّهْي: وقد التقى الطَّرفان بماءٍ يقال له: النِّهْي، وكانت بنو شَيبان نازلةً عَليه، ورئيسُ تَغْلب المهلهل، ورئيسُ شَيبان الحَارثُ بنُ مُرَّة، فكانت الدائرة لبني تغلب، ولم يقتل في ذلك اليوم أحدٌ من بني مُرَّة[٨].

---

(١) بلاد العرب للأصفهانيّ: ٣٦٠.

(١) معجم البلدان: ٧٦/٤.

(٣) انظر جامع أنساب قبائل العرب: ٢٧ وما بعد.

(٤) خاض البكريّون والتّميميّون أكثر من ثلاثين يوماً، تغلّب بنو تميم في عشرين منها (انظر: شعر بني تميم في العصر الجاهليّ: ٢٣).

(٥) انظر أيّام العرب في الجاهليّة: ١٤٢.

(٦) أمثال العرب للمفضّل: ١٢٩/ ١٨٥.

(٧) انظر العقد الفريد: ٢٠٣/٥ وما بعد.

(٨) انظر العقد الفريد: ٢١٩/٥. ونهاية الأرب: ٣٠٦/١٥.

ـ يوم الذَّنَائب: وهي أعْظمُ الوقعات، ففيها ظفرت بنو تغلب، وقُتِلتْ بكرٌ مَقْتلةً عَظيمةً.

ـ يوم واردات.

يوم عُنيزة.

يوم قِضَة. وهو أوَّل يوم شهده الحارث بن عُباد، وكان اعتزل الحرب من بدايتها، ويُسمّى (تحلاق اللّمم).

يوم تحلاق اللِّمم: **إنَّما سُمِّي بذلك لأنَّ الحارث بن عُبَاد لَمَّا تَوَلَّى الحرب قال لقومه: احملوا معكم نِساءَكم يَكُنَّ من وَرائكم، فإذا وَجَدْن جريحاً مِنهم قتلوه، وإذا وجدْنَ جَريحاً منا سَقَيْنَه وأَطْعَمْنه، فقالوا: ومن أين يتميز لهن؟ فقال: احْلقوا رُؤوسكم لتمتازوا بذلك، فسُمِّي به.**

وقد أجمل ابن قُتيبة أيّام بكر وتغلب في حرب البَسوس بخمسة أيّامٍ مشهورة، فقال:" وَكانت أيَّام بكرٍ وتَغْلب خمسة أيامٍ مَشَاهير: أولها يوم عُنَيْزة، وتَكَافَؤوا فيه، والثَّاني يَوم وَارِدات، وكان لتغلب على بكرٍ، والثَّالث يوم الحِنْوِ، وكان لبكرٍ على تغلب، والرَّابع يوم القُصَيْبات، وكان لتغلب على بكرٍ، وقتلوهم قتلاً ذَرِيعاً، والخامس يوم قِضَةَ، وهو آخر أيَّامهم، وكان لبكرٍ، وفيه أسر مُهلهل بن ربيعة."[1].

أيّام تميمٍ على بكر:

- يوم ذي طُلُوح[2]:

كان عُمَيرةُ بنُ طَارقٍ بنُ حُصَيْنَةَ بنُ أُرَيْم بنِ عُبيد بنِ ثَعْلبة التّميميّ، تزوَّج مُرَيَّة بنتَ جَابر، أختَ أَبْجر ابنِ جابرٍ العِجْليّ، فابْتَنى بها في بني عِجْل، فأتى أَبْجرُ أُخْتَه امرأةَ عُمَيرة يزورها فقال لها: إنِّي لَأَرْجو أنْ آتيك بِبِنْتِ النَّطِف امرأةِ عُمَيرةَ الَّتي في قومها، فقال له عُمَيرة: أَتَرْضى أنْ تُحاربَني وتَسْبِيَنِي؛ فَنَدِمَ أَبْجرُ، وقال لعُمَيرةَ: ما كُنْتُ لأغزوَ قَومَك، ثُمَّ غَزا أَبْجرُ والحَوفزان مُتَساندين، هذا فيمن تَبِعه من بني شَيْبان، وهذا فيمن تبعه من اللَّهازم[3].

- ***يوم الحائر وهو يوم مَلْهَم:***

وذلك أن أبا مُلَيْلٍ عَبدَ اللهِ بنَ الحارثِ بنِ عَاصمِ بنِ عُبيد، وعَلْقَمة أخاه انطلقا يَطْلُبان إبلاً لهما حَتَّى وَردا مَلْهَم من أرضِ اليمامة، فخَرَجَ عَليهما نفرٌ من بني يَشْكُر، فقتلوا عَلْقَمة وأخذوا أبا مُلَيْلٍ، فكان

(١) الشّعر والشّعراء: ١/٣٠٠.

(٢) ذو طُلوح: موضع في حزن بني يربوع بين الكوفة وفيد.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٥/٢٩٣، ٢٩٤.

عِنْدَهم ما شَاءَ اللهُ، ثُمَّ خَلَّوا سَبِيْلَه، وأَخَذُوا عَلَيه عَهْداً ومِيْثاقاً ألَّا يُخبر بأمرِ أَخِيه أَحَداً، فأتى قومه فسألوه عَنه، فلَمْ يخبرهم، فقال وبرة بن حمزة: هذا قد أُخِذَ عليه عهد وميثاق، فخرجوا يقُصُّوْنَ الأثر وبينهم شِهابُ بنُ عَبْدِ القيس حَتَّى وَردوا مَلْهَم، فلما رآهم أهل مَلْهَم تحصَّنوا، فحرقت بنو يَرْبُوعٍ بعضَ زرعهم، وعقروا بعض نخلهم، فلما رأى ذلك القوم نزلوا إليهم فقاتلوهم، فهزمت بنو يشكر، وقُتِل عمرو بن صابر صَبراً، ضَرَبُوا عُنُقَه، وقتل عُتَيبَةُ بن الحارث بن شهاب رجلاً آخر منهم، وقتل مَالك بن نويرة حُمْرَانَ بنَ عبدِ الله[1].

- **رأس العَين**[2]:

وهو لبني يَرْبُوعٍ على بَكر، وفيه أَغَارتْ طَوائفُ من بني يربوع على بني أبي ربيعة برأس العين، فاطَّرَدوا النَّعَم، واتَّبَعَهم مُعَاوية بنُ فِراس في بني أبي رَبيعة فأدركوهم، فقُتِلَ مُعَاوية، وفاتوا بالإبل[3].

ومن أيَّام تميم على بكر:

- يوم القَحْقَح: وهو يوم مالة لبني يربوع على بني بكر.
- يوم العُظَالى: وسُمِّي بذلك؛ لأنَّه تَعَاظَل على الرِّيَاسة بِسْطَامُ بنُ قَيْسٍ الشَّيبَانيّ و هَانئ بنُ قَبيْصةَ ومَفْروقُ بنُ عَمرو الشَّيبانيُّ. وفيه كانت بكر بن وائل تحت يد كِسرى وفارس.
- يوم الغَبِيْط[4]: ويُقال له: يوم الثَّعَالب. وفيه غَزا بِسطام بنُ قَيس، ومَفْروقُ بن عمرو، والحَارث ابنُ شَريك بلادَ بني تميم، فأغاروا على بني ثعلبة بنِ يَرْبوع، وثَعْلبةَ بنِ سَعْدِ بنِ ضَبَّة، وثَعْلبةَ بنِ عَدِيّ بنِ فِزارة، وثَعْلبةَ بنِ سَعْدِ بنِ ذُبْيان، فسُمِّي ذاك اليومُ بيوم الثَّعَالب.
- يوم مُخَطَّط.
- يوم جُدود[5].
- يوم سَفَوَان. وغيرها.

(١)نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٩٣/١٥. قتله صراً: حبسه حتّى مات.

(٢) مدينة من مدن الجزيرة السّوريّة، بين حَرَّان ونُصيبين.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٩٥/١٥. فاتوا بالإبل: سبقوا بها.

(٤) الغبيط: موضعٌ، وكُلّ وادٍ منخفض هو الغبيط.

(٥) الجدود: موضع في بني تميم قريب من حَزن بني يربوع على سمت اليمامة.

أيّام بكرٍ على تميم في الجاهليّة[1]:

- يوم الزُّوَيْرين: والزُّويران جملان.

كَانت بكرُ بن وائل تَنْتجع أرضَ بني تميم في الجاهلية ترعى بها إذا أَجْدبوا، فإذا أرادوا الرُّجُوع لم يدعوا ما يصيبونه ولا شيئاً يظفرون به إلا اكْتَسحوه، فقال بنو تميم: امنعوا هؤلاء القوم من رعي أرضكم، فحشدت تميم، وحشدت بكر واجتمعت، فلم يتخلَّفْ عَنْهم إلاَّ الحَوْفَزَانُ بنُ شَريك في أُناسٍ من بني ذُهْلِ بنِ شَيبان، وكان غَازياً، والتَقى القَومُ فاقتتلوا قتالاً شَديداً. فأَسَرت بنو تميم حِرَاث بنَ مَالكٍ أَخا بني مرة بن همَّام. فرَكَض به رَجلٌ منهم وقد أردفه، فاتبعه ابنه قَتادةَ بن حِراث حَتَّى لحِق بالفارس الذي أسر أباه، فطعنه فأرداه عن فرسه، واسْتَنْقذ أباه، ثم انهزمت بنو تميم[2].

- يوم صَعْفُوق[3]:

وفيه أَغَارت بنو رَبيعة على بني سَلِيْطِ بنِ يَرْبُوع يومَ صَعْفُوق، فأصَابوا مِنْهُم أَسْرى، فأَتَى طَرَيْفُ بنُ تميم العَنْبَريّ فَرْوَةَ بنَ مَسْعُود، وهو يومئذٍ سَيِّدُ بَني ربيعة، ففَدَى منهم أَسرى بني سَليط ورهنهم ابنه، فأبطأ عليهم، فقتلوا ابنه[4].

- يوم مُبَايض.
- يوم فَيحان.
- يوم ذي قار الأوَّل.
- يوم الحاجز.
- يوم الشَّقيق.

(١) للاستزادة يمكن العودة إلى ديوان بكر في الجاهليّة، د. عبد العزيز نبوي. دار الزّهراء، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م. وأيّام العرب في الجاهليّة: ١٧٠ ـ ٢٢٨.

(٢) نهاية الأرب: ٢٩٩/١٥، ٣٠٠.

(٣) صَعفوق: موضعٌ في رسم مُبايض.

(٤) العقد الفريد: ٢٠٧/١.

أيام بَكْرٍ في الإسلام:

عُرِفَت رَبيعةُ عُموماً بِبَسالتها، وشراستِها في القتال، وفي الخبر أنَّ عُمَر بنَ الخَطَّاب ﷺ كَتَب إلى يَزِيد بن أبي سفيان أنْ ابْعَثْ جيشاً، وادْفَع لِواءَهم إلى رجلٍ من رَبيعة ، فانِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : "لا يُهْزَمُ جَيْشٌ لِواؤُهُم مَعَ رَجُلٍ مِنْ رَبِيْعَة"[١]. ووصف عليّ بن أبي طالب رايات ربيعة، وجُلّهم بكريّون، برايات الحقّ، وأثنى عليهم صَبْرهم في القتال، واحتمالهَم شدَّة الطِّعان[٢].

وبكر بن وائل فِرعٌ من ربيعة، فكانت أشهر مَعَاركهم في الإسلام:

- معركة اليَمامة: أثناء ردَّة بني حنيفة (وسيأتي الكلام عليها في موضعها إن شاء الله).
- يوم الشَّيِّطَين [٣]:

ذلك أنَّه لَمَّا ظَهر الإسلامُ سَارت بكرُ بنُ وائل إلى السَّواد وقالت: نُغِير على بَني تميم بالشَّيِّطَين، فإنَّ في دِين ابنِ عبد المطَّلب أنَّه مَن قَتل نفساً قُتِل بها، فَنُغير هَذه الغَارةَ، ثُمَّ نُسْلِمُ عليها.

فارتحلوا من (لَعْلَع) بالذَّرَارِي والأمْوال، فأتوا الشَّيِّطَيْن في أربع، وبينهما مسيرة ثمانية أميال فسبقوا الخبر، فصَبَّحُوهم وهُم لا يشعرون، ورئيسهم يومئذٍ بِشْرُ بنُ مَسْعودِ بنِ قَيْس بنِ خالد ذي الجَدَّيْن، فقتلوا بني تميم قَتلاً ذَريعاً، وأَخذوا أموالهم. فقُتِل من بني تميم يوم الشَّيِّطين ولَعْلَع ستُّ مئةِ رَجلٍ، فوفد وفد من بني تميم إلى النبي ﷺ، فقالوا: ادعُ اللهَ على بَكر بن وائل! فأبى ﷺ.[٤]

- يوم الوَقِيط[٥]: أو الوقيظ[٦]، كان في فتنة عثمان بن عفّان ﷺ، وفيه تجمَّعت اللَّهازم لتُغِيْر على تميم وهم غَارُّون (غافلون)، وكان على الجيش أَبْجرُ بن جَابرٍ العِجليُّ ، وفيه أُسر ضِرَار بن القَعْقَاع

---

(١) كنز العمّال: ١١٠/١٧.

(٢) وقعة صفّين: ٢٨٨.

(٣) الشَّيّطان: واديان، وهو أيضاً ماء لبني بكر.

(٤) نهاية الأرب: ٣٠٠/١٥.

(٥) الوقيط: المكان الصَّلب الَّذي يستنقع فيه الماء.

(٦) الوقيظ: بين ديار بني عبس وديار بني يربوع. وفي معجم ما استعجم للبكري:٢٩/٨ " الوقيظ بالظاء المعجمة والطاء المهملة معاً عَلَى وزن فعيل، ماءٌ لبَنِي مجاشع بأعلى بلاد بني تميم إلى بلاد بني عامر، وليس لبني مجاشع بالبادية إلَّا زَرُود والوقيظ".

ابن زُرارة، وتنازَعَ في أَسره بِشْرُ بنُ العَوراء من تيم اللَّات، والفِرْزُ بنُ الأسود، فجزُّوا نَاصِيَته وخلَّوا أَسْره من تحت الليل[1].

ولهم مُشاركات في معارك الفتوح في صدر الإسلام، وإسهامات واضحة في عصر بني أميَّة إلى جانب الولاة والأمراء (يأتي التَّفصيل فيه في موضعه إن شاء الله).

رابعاً: عَقيدة بَكرِ بنِ وَائل في الجاهليَّة

وكان العرب في جاهليتهم قد اتَّخَذَوا فِي دَارِهِمْ صَنَمًا يَعْبُدُونَهُ فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ سَفَرًا تَمَسَّحَ بِهِ حِينَ يَرْكَبُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ مَا يَصْنَعُ حِينَ يَتَوَجَّهُ إِلَى سَفَرِهِ وَإِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرِهِ تَمَسَّحَ بِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى أَهْلِهِ، فَلَمَّا بَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالتَّوْحِيدِ أَنْكَرَتْ قريشٌ ذلك، قال تعالى : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ [ص: ٥]، وَكَانَتْ الْعَرَبُ قَدْ اتَّخَذَتْ مَعَ الْكَعْبَةِ طَوَاغِيتَ وَهِيَ بُيُوتٌ تُعَظِّمُهَا كَتَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ ، لَهَا سَدَنَةٌ وَحُجّابٌ وَتُهْدِي لَهَا كَمَا تُهْدِي لِلْكَعْبَةِ وَتَطُوفُ بِهِ كَطَوَافِهَا بِهَا ، وَتَنْحَرُ عِنْدَهَا . وَهَى تَعْرِفُ فَضْلَ الْكَعْبَةِ عَلَيْهَا ، لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا بَيْتُ إبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَمَسْجِدُهُ[2].

وقد عَبدتْ ربيعةُ الأوثان في جاهليتها، وكانت لها طقوسها الدِّينيّة شأنها شأن قبائل العرب، ثُمَّ صاروا إلى ما صارت عليه الأمم والقبائل (من تعظيم البيت، والطَّواف به، والحجّ، والعُمرة، وإهداء البُدْن، وغيرها).

---

(١) انظر خبر ذلك اليوم في نهاية الأرب في فنون الأدب:١٥/ ٢٨٩ وما بعد. أيّام العرب في الجاهليّة: ١٧٠.
ذُكِر في مصادر عدّة، ومنها العمدة لابن رشيق أنَّ يوم الوقيظ كان لبكر بن وائل على تميم في الإسلام، ولكنّني ما وجدتُ إلّا يومَ الوقيظ في الجاهليّة، وهو عينه ما أشارت بعض المصادر إليه على أنّه في الإسلام في الفتنة الّتي كانت بمقتل عثمان ﷺ، وليس أدّل على صِحّة ذلك من إشارة عنترة إلى مقتل حكيم النّهشلي في ذلك اليوم، فقال:

وغادرنـــــا حكيمـــــاً في مجـــــال صـــــريعاً قـــــد ســـــلبناه الإزارا

(العقد الفريد: ١٨٥/٥).
وحين أشار ابن قُتيبة في المعارف إلى ذلك اليوم أدرجه تحت عنوان (ذكر الأيّام المشهورة في الجاهليّة)، لكنّه حين ذكر يوم الوقيط، قال: هو يومٌ كان في الإسلام بين بني تميم وبكر بن وائل (المعارف: ٣٣٣).
(٢) السّيرة النّبويّة: ٨٣/١.

ومن طقوس العرب[1]:

كانت نزار تقول إذا ما أَهَلَّت:

لَبَّيك اللَّهمَّ/ لَبَّيْك/ لَبَّيْكَ/ لا شَرِيكَ لَك/ - إلَّا شَريكٌ هُو لَك/ تَملكُه وما مَلَك!

ويُوحِّدُونه بالتَّلبية[2]، ويُدخِلون مَعه آلهتم ويجعلون ملكها بيده.

وكانتْ تَلْبية عَكّ، إذا خرجوا حُجَّاجاً، قَدَّموا أَمَامهم غُلامين أَسْودين من غِلمانهم، فكانا أمام رَكْبهم.

فيقولان:

نَحْـــــــــنُ غُرَابـــــــــا عَـــــــــكّ!

فنقولُ عَكٌّ من بعدهما: (من منهوك الرّجز)

عَـــــــــكٌّ إِلَيْـــــــــكَ عَـــــانِيَـــــــــه

عِبَـــــــــــــادُكَ اليَمانِيَـــــــــــــه[3]

كَـــــــــيْما نَحُـــــــــجُّ الثَّانِيـــــــــه![4]

وأمَّا تلبية بكر بن وائل، فهي: (منهوك المنسرح)

لَبَّيْـــــــكَ حَقَّـــــاً حَقَّـــــا تَعَبُّـــــــــــداً ورِقَّـــــــــا

جِئْنَـــــــــاكَ للنَّصَـــــــــاحه لم نَـــــــــأتِ للرَّقَاحـــــــــه[5]

وهي من التّلبيات المسجوعة، من منهوك المنسرح، وقد ذُكِرتْ بكرُ بنُ وائلٍ في تلبية تميمٍ، وفيها

(١) للاستزادة انظر حديث د. شوقي ضيف في كتابه (العصر الجاهليّ: ٩١ وما بعد).

(٢) ذكر المعرّي أنّ تلبيات العرب في الجاهليّة جاءت على ثلاثة أنواع؛ مسجوعٍ لا وزن له، ومنهوكٍ، ومشطورٍ، وأمّا المنهوك فهو على نوعين: أحدهما من الرَّجز، والآخر من المنسرح. والّذي من المنسرح جِنسان: أحدهما في آخره ساكنان، والآخر لا يجتمع فيه ساكنان، وقد ضرب أبو العلاء لكلّ نوعٍ مثالاً من تلبيات قبائل الجاهليّة (انظر رسالة الغفران: ٥٣٤ ـ ٥٣٧).

(٣) الأصنام لابن الكلبي: ٧.

(٤) الأصنام: ٧.

(٥) رسالة الغفران: ٥٣٦.

النَّصاحه: الإخلاص. الرَّقاحه: الكسب والتِّجارة، والرّقاحي: التَّاجر.

اتُّهِمت بكر بالكُفْر دون النّاس جميعاً، فيقولون في تلبيتهم: (مشطور الرّجز)

لَبَّيْـــكَ لَـــوْلا أنَّ بَكْـــراً دُوْنَكـــا يَشْـــكُرُكَ النَّـــاسُ ويَكْفُرُوْنَكـــا

مَـــــا زَالَ مِنَّـــــا عَـــــثَجٌ يَأْتُوْنَكـــــا[1]

وكَانَتْ رَبِيْعةُ (ومنهم بكر بن وائل) إذا حَجَّت، فَقَضتْ المناسِكَ ووقفتْ في المواقف، نَفَرت في النَّفر الأوَّل، ولم تُقِمْ إلى آخر التَّشْرِيق.

وقد اتَّخذ بنو حنيفة إلهاً من حَيْسٍ[2] وعَبَدوه دهراً، ثمَّ أَصَابتهم مجاعةٌ، فأكلوه، وفي ذلك يقول رجلٌ من تميم: [الخفيف]

أَكَلَـــتْ رَبَّهَـــا حَنِيْفَـــةُ مِـــنْ جُـــوْ عٍ قَـــدِيْمٍ بِهَـــا ومِـــنْ إِعْـــوَازِ[3]

وفي الإسلام ظلَّت بكر بن وائل على تلبيتها الجاهليّة زمناً قبل أن تُسْلم، فلمَّا كانت عُمْرةُ القَضَاء، وهو العَام السَّابعُ سَمِع المسلمون تَلْبية المشْرِكين، وكانت كُلُّ طَائفةٍ من العرب تُلبِّي عَلى حدتها، فَسَمعوا بكر بن وائل تلبِّي، ومَعَهم الحُطَيم بن ضُبيْعة، فاستأذنوا رسول الله أن يلْقَوه، فيقتلوه، ويأخذوا ما معه، فأنزل الله ﷻ في النَّهي عن ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾[المائدة: ٢]، يعني الفَضْل في التِّجارة، ورضوانا وهو لا يرضى عنهم[4].

وممّا عبدت بكر بن وائل من الأصنام:

- ذُو الكَعْبين (أو الكَعْبات)[5]: عبدته إياد بسَنْداد[1]، ثُمّ بكرُ بنُ وائل بعدهم. وَلَهُ يَقُولُ أَعْشَى

(١) رسالة الغفران: ٥٣٦.

العَثَج، والعَثْج: الجماعة من النَّاس في السّفر(انظر لسان العرب: [ع ث ج]، ٣١٧/٢).

(٢) الحَيس: الخلط، والحَيْس: تمرٌ وأَقِط يُعجنان بالسَّمن. وقيل هو التَّمر يُنزع نواه ويخلط بالسّويق. وبالحَيْس رمز رجلٌ كان أسيراً في بني بكر بن وائل، وقد عزموا على غزو قومه، فأرسل إليهم مع عبدٍ وصية فيما أوصى قوله لهم: "وأن يركبوا جملي الأَصْهب بأمارة ما أكلتُ معكم حَيْساً"، ففهم القوم أنّ بني بكر بن وائل أرادوا غزوهم، ذلك أنَّ الحَيْسَ أخلاطٌ يجمع التّمر والسّمن والأَقِط.

(٣) المعارف: ٣٣٩ . والبصائر والذّخائر:٤٤/٥. آثار البلاد وأخبار العباد للقزوينيّ: ١٣٥.

(٤) أخبار مكّة للفاكهيّ:٢٥٨/٢.

(٥) الأغاني: ٣٥٥/٢٢. وفي معجم ما استعجم: ١٣٠/١ "ذو الكعبات".

بَنِي قَيْسِ بْن ثَعْلَبَةَ: [الكامل]

بَـــيْنَ الْخَوَرْنَـــقِ وَالسّـــدِيرِ وَبَـــارِقٍ وَالْبَيْـــتِ ذِي الْكَعَبَـــاتِ مِـــنْ سَـــنْدَادِ[٢]

- المحَرِّق: كان بسَلْمان، وراء الكُوفة ، وكانوا قد جعلوا في كلِّ حيٍّ من ربيعة ولداً له.[٣]، ويَظنُّ بعض المستشرقين أنَّه عُرفَ بالمحرِّق؛ "لأنَّ عَبدتَه كانوا يُقدِّمون إليه بعض القرابين البَشريَّة محروقةً"[٤].

وكان في عَنزة (بَلْجٌ) بن المحرِّق، وكان في عُمَيرةَ وغُفَيْلةَ (عَمرو) بن المحرِّق، وكان سَدَنتُه آل الأَسْود العِجْلِيُّون[٥].

- أَوَال (إيال): صَنمٌ بكر و تغلب ابني وائل[٦].
- عَوْضٌ.[٧]

واعتنق النَّصرانيَّةَ من البكريين قسمٌ كبير، بل كانت النَّصرانيَّة دينَ ربيعة إلى حدٍّ ما، ولا سيَّما بنو حنيفة منهم، الَّذين كانت النَّصرانيَّة متجذِّرة فيهم، راسخةً عندهم، وقد تعلَّموا من نصارى تغلب[٨].

(١) السّيرة النّبويّة: ٨٨/١.
(٢) السّيرة النّبويّة: ٨٨/١.
(٣) تاج العروس:١٥٦/٢٥. والأعلام: ٧١/٢.
(٤) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٢٨٠/٦.
(٥) المحبّر: ٣١٥.
(٦) تاج العروس: ٣٨/٢٨.
(٧) تاج العروس: ٣٠/١٢.
(٨) تاريخ الطَّبري: ٢٧٢/٣.

الباب الأوَّل
بنو بكر بن وائل في صَدر الإسلام والعَصر الأمويّ

- **الفصل الأوّل: بنو بكر بن وائل في صدر الإسلام:**

القسم الأوَّل: مُعتقد بكر بن وائل بين النَّصْرانيَّة والإسلام.

القسم الثَّاني: وِفَادَتُهم على الرَّسول ﷺ ، وكتب الرَّسول إليهم.

القسم الثَّالث: دخولُهم في الإسلام، وتأثُّرهم به.

القسم الرَّابع: موقف بكر بن وائل من الرِّدّة: ١ـ ردَّة بني حنيفة، ومَعْرَكة اليمامة.

٢ـ استقواؤهم بالفرس، وسعيهم إلى إعادة مجدهم.

القسم الخامس: مواقفهم من أحداث الفتنة الكبرى:

١ـ معركة الجمل.

٢ـ معركة صفِّين.

الفصل الأوّل
بنو بكر بن وائل في صدر الإسلام

القسم الأوَّل: معتقد بكر بن وائل بين النَّصْرانيَّة والإسلام:

قال ابن قُتيبة: " وكانت النَّصرانيَّة في رَبِيْعةَ وغَسَّان وبعضِ قُضَاعة، وكانت اليهُوديَّةُ في حِمير وكِنانة وبني الحارث بن كَعْب وكِندة، وكانت المجوسيَّةُ في تميم"[1] .

وإذا ما عُدَّت قبائل العرب المُتنصِّرة كانت بكرٌ وتغلب في طليعتها.

وقد كان لموقع بكر بن وائل الجغرافيّ عَظِيمُ الأثَر في تَنصُّرِهم، ولا سيَّما قاطني دِجلة والفُرات، ومَن استقرَّ منهم في جوف العِراق، حيث فارس. وكان سَبب مُقامهم في العراق، ثمَّ تنصّرهم قدوم ربيعةَ إلى هذا البلد، فبعث إليهم كِسرى ملكُ الفرس، فَدَعاهم، ثُمَّ قال: يا معشرَ العرب! ما الَّذي أَقْدَمَكم إلى بَلدي، فقالوا: أيُّها الملك! أَصَابنا في بلدنا قَحْطٌ وجَهد، فرغِبنا في مجاورة الملك، وفَزِعْنا إلى أَرضه والكَيْنونة في كنفه، والاتِّصال بقربه، فإن أذِن لنا أَقَمنا، وإلَّا ارْتحلنا، فأذن لهم كِسرى في المقام على أنَّهم لا يُفسدون، وأنَّهم يحسنون له الجوار، فضمنوا له ذلك[2].

وقد كانت للفُرس في بغداد مكانةٌ عَظيمة، ولهم موقعهم السّياسي والتِّجاريّ، ولا سيّما فيما عُرِف (بسوق بغداد)، كانت بغدادُ في أيام مملكة العَجَم قريةً يجتمع فيها رأسَ كُلِّ سَنةٍ التُّجَّارُ، وتقوم بها للفُرس سُوقٌ عظيمةٌ، فلمَّا تَوجَّه المسلمون إلى العراق، وفتَحَوا أوَّل السَّواد، ذُكر للمثنَّى بنِ حَارثة الشَّيبانيّ أمرُ سُوق بغداد، فأعدَّ العُدَّة، وأغار عليهم[3].

وقال د. جواد عليّ في انتشار النّصرانيّة في هذه البقعة من الأرض:" ذلك لأنَّ النَّصرانيّة انتشرت في امبراطوريَّة الرُّوم والسَّاسانيين بالتَّدريج، ثمَّ صارت ديانةً رسميّةً للقياصرة والرُّوم، والشُّعوب الّتي

(١) المعارف:٣٣٩ . والأعلاق النَّفيسة: ١٩٤.

(٢) انظر الرِّدَّة للواقدي: ٢١٦.

(٣) انظر الخبر بتمامه في تاريخ بغداد: ٧٩/١.

خضعت لهم، فلم تظلّ النَّصرانيّة أقليَّة هناك لتضطرَّ إلى الهجرة جماعةً وكُتلةً إلى بلدٍ غريب"[(١)]، وذلك بعد الأربع مئة للميلاد، وكانوا قبل ذلك في صراعٍ مذهبيّ، وكانوا مضطهدين حتّى في البلاد الّتي تحت سيطرة الرّوم.

وقد كانت بكرُ بنُ وائل مِن القبائل المؤيِّدة للسَّاسانيين، وكان الفُرسُ يُقوِّمونهم ويُجهِّزُونهم، ويشرف على تجهيزهم عاملهم على عَيْن التَّمر[(٢)]. وكانت لهم قُوّة وسطوة تُهاب، لذلك حين أرسل أبو بكرٍ الصّدّيق ﷺ خالدَ بن الوليد إلى العِراق سنة (١٢هـ) بعد فراغه من اليمامة دعاه إلى مُداراة الفُرس ومن معهم من العرب، فقال له:" سِرْ إلى العراق حتَّى تدخُلَها، .... وتألَّفْ أهل فارس، وما كان في مُلكهم من الأُمَم"[(٣)].

وتمنّى عُمر بن الخطَّاب أن يُكْفى المسلمون شَرّهم ما استطاعوا، فقال ﷺ:" ودِدتُ أنَّ بيننا وبين فارس جَبلاً من نارٍ لا نَصل إليهم مِنه، ولا يَصلون إلينا"[(٤)].

ومع ظهور الإسلام، وانتشاره رويداً رويداً في أرجاء الجزيرة العربيّة وما حولها، كان من الصَّعب أن نحكم على بني بكر جميعاً بالإسلام، إذ كانوا شِيَعاً وفِرقاً، ليسوا على دين واحد، ولا معتقدٍ يجمعهم، حالهم في هذه حال حروبهم في جاهليّتهم، إذ انقسموا إلى طرفين، طرفٌ وقف إلى جنب العرب، وآخر رأى أنَّ وقوفه إلى جانب الفُرس هو ما يضمن له السِّيادة والأمان.

ومع إقرار كسرى لربيعة بالمكوث عنده، نزل بنو شَيْبان وغيرهم من ربيعة أرضَ العراق، فكانوا لا يُؤذون أحداً من الفُرس، وكذلك فَعَل الفُرْس.

ثمَّ إنَّ الفرس جعلت تتعدَّى على العرب وتؤذيهم، ووقعت بينهم البغضاء والشَّحناء، فبرز لهم رجلٌ متمسِّك بإسلامه هو المثنَّى بن حارثة الشَّيبانيّ.

---

(١) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٥٨٧/٦.

(٢) انظر المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام (دار السّاقي): ٢٠٧/٧.

عين التّمر: بلدةٌ قريبةٌ من الأنبار، غربي الكوفة على طرف البريّة (معجم البلدان: ١٧٦/٤). كانت مركزاً لبني وائل في العهد الإسلاميّ، ومنها رحلوا إلى خيبر تحت اسم عَنزة، افتتحها خالد بن الوليد مع الأنبار، وسُمِّيت تلك الغزوة ذات العيون؛ لأنَّ المسلمين رشقوا الفرس بالنِّبال، ففقؤوا منهم ألف عين ، وكان على رأسهم شيرزاد (تاريخ ابن خلدون: ٥١١/٢).

(٣) تاريخ الطّبري: ٣٤٣/٣.

(٤) نهاية الأرب في فنون الأدب: ١٥٩/١٩.

الوَجَة وأُلَّيْس:

ولعلَّ وقْعة الوَجَة وَ أُلَّيْس بقيادة خَالدِ بنِ الوليد خيرُ شَاهِدَين على تفرّع بكر باختلاف انتمائهم الدِّيني، فقد أَعَان الفُرسَ قسمٌ كبير منهم، في حين كان آخرون في صُفُوف المسلمين[1].ويمكن أن نشير هاهنا إلى وقوف بني حنيفة إلى جانب الفرس، ممثّلين بملك اليمامة هَوْذة بن عليّ الحَنفي، الّذي ألبسه كسرى التّاج، فَعُرف (بذي التّاج).

ولا يقتصر مثلُ هذا التَّشرذمِ على بُطون بكر بن وائل المتعدّدة، بل يمتدُّ إلى أبناء البطن الواحد، كبني عِجْل مثلاً، الّذين وقف نصاراهم إلى جانب الفرس، في حين وقف مسلموهم إلى جانب المسلمين.

ففي معركة الوَجَة ـ وكان خالدُ بنُ الوليد قد فَرغ من الثِّنْي وأتى الخبر أَرْدَشِير بَعْثَ الأَنْدَر زَغَر ـ أرسل بَهْمَن جَاذويه في أثره في جيشٍ، وحَشر إلى الأندرزَغَر من بين الحيرة وكَسْكَر ومن عرب الضَّاحية والدَّهاقين وعَسكروا بالوَجَة. وسمع بهم خالدٌ فسار إليهم من الثِّنْي فلقِيَهم بالوَجَة وكَمَن لهم، فقاتلهم قتالاً شديداً أشدَّ من الأوَّل، حَتَّى ظنَّ الفريقان أنَّ الصَّبر قد أفرغ. واستبطأ خالد كَمينه، فخرجوا من ناحيتين، فانهزمت الأعاجم، وأخذ خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم فقتل منهم خلقاً كثيراً، ومضى الأندرزغَر منهزماً فمات عطشاً، وأصاب خالدٌ ابناً لجابر بن بُجَير العِجليّ وابناً لعَبد الأسود وهما من بكر بن وائل، وكانت وقعة الوَجَة في صَفَر، وبذل الأمان للفلاحين، فعادوا وصاروا ذمَّةً، وسَبى ذَراريّ المقاتلة ومن أعانهم[2].

ولَمَّا أصاب خالد يوم الوَجَة ما أصاب من نَصارى بكر بن وائل الذين أعانوا الفرس، غضب لهم نصارى قومهم، فكاتبوا الفرس واجتمعوا على أُلَّيْس وعليهم عَبد الأسود العِجْليّ، وكان قد قُتل له ولدٌ يوم الوَجَة وكان مُسلمو بني عِجْل ـ منهم عُتَيبة بن النَّهاس، وسَعيد بن مُرَّة، وفُرات بن حَيَّان، ومَذْعور بن عَدي، والمثنى بن لاحق أَشدَّ النَّاس على النَّصارى من بني بكر بن وائل[3]، وكتب أَرْدشير إلى بَهْمَن جاذويه وهو بِقُسْيَانا يأمره بالقُدوم على نصارى العرب بأُلَّيْس، فقَدَّمَ بَهْمن جاذويه (جابان) إليهم، وأمره بالتوقُّف عن المحاربة إلى أن يَقْدُم عليه ورجع بهمن جاذويه إلى أردشير ليشاوره فيما يفعل فوجده مريضاً، فتوقَّف عليه،

(١) انظر ذلك في الكامل في التَّاريخ: ٢/٢٤١.
الوَجة: ممّا يلي كَسْكر إلى البرّ.
(٢) تاريخ الطّبري: ٣/٣٥٣. والكامل في التَّاريخ: ٢/٢٤٠، ٢٤١. ونهاية الأرب: ١٩/٦٨.
(٣) الإصابة: ٦/٢٧٦.

فاجتمع على (جابان) نصارى عِجْل، وتَيم اللَّات، وضُبَيْعة، وجَابرُ بنُ بُجير، وعربُ الضَّاحية من أهل الحِيرة، وكان خالدٌ لَمَّا بلغه تجمع نصارى بكر وغيرِهم سار إليهم ولا يشعر بدنو (جابان)، وليست لخالد همَّة إلَّا مَن تجمَّع له من عَرب الضَّاحية ونصاراهم، فأقبل، فلما طلع جابان بأُلَّيس قالت العجم له: أَنُعَاجلهم أم نغذِّي النَّاس ولا نريهم أنَّا نحفل بهم، ثُمَّ نقاتلهم بعد الفراغ ؟ فقال جابان: إن تركوكم!. فتهاونوا بهم، فعَصَوه، وبَسَطوا الطَّعام ووضَعُوا الأَطْعِمةَ وتَدَاعَوا إليها، وتوافوا إليها وانتهى خالد إليهم، وحَطَّ الأثقال، ثمّ توجه إليهم وطلب مبارزة عبد الأسود وابن أبجر، ومالك بن قيس، فبرز إليه مالكٌ من بينهم فقال له خالد : "يا بن الخبيثة ما جَرَّأك عليَّ مِن بينهم ، وليس فيك وفاءٌ، فَضَرَبه ".فقتله خالد[1].

هذا وإن أدركنا مُراد خالد مِن أنّه أراد عَرب الضّاحية ونَصاراهم بقتاله عرفنا حجم الشّقاق بين العرب أنفسهم في مرحلة من مراحل الصِّراع بين العرب والعَجَم، وعرفنا كذلك حجم المناصرة والمؤازرة اللّتين حَفِل بهما العَجم من فرس وروم من قبل العَرب، وليس أدلّ على ذلك من طلب خالد بن الوليد مبارزة عددٍ من فُرسان بكر مِمَّنْ ناصر الفرس (أبجر بن جبير، عبد الأسود العِجلي، و.....).

وعلى الطَّرف النّقيض نجدُ من بكر بن وائل مَن ناصر المسلمين، ووقف إلى جانبهم ضدّ قومه من النَّصارى، وحسبك ببني عِجْلٍ، وبالمثنى بن حارثة الشَّيباني قائد فتوح العراق، وجَندل العِجْليّ الَّذي أرسله خالدٌ بخبر فتح أُلّيس إلى أبي بكر ﷺ شواهد على ذلك، وكان جَنْدلٌ دليلاً صارماً، فقدم على أبي بكر بالخبر، وبفتح أُلَّيس، وبقدْر الفيء وبعدّة السَّبي، وبما حصل من الأخماس، وبأهل البلاء من النَّاس، فلمَّا قَدِم على أبي بكر، فرأى صَرَامته وثباتَ خبره، قال: ما اسمك؟ قال: جَنْدل، قال/ وَيْهاً جندل!

[الرَّجز]

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَاما ... وعَوَّدَتْهُ الكَرَّ والإِقْدَاما[2]

(١) الكامل في التَّاريخ: ٢/٢٤١.

(٢) استشهد الخليفة أبو بكر بالرّجز، وتمامه:

وصيَّرته بَطلاً هُماماً

(اللباب في علوم الكتاب: ٥/١٩٧)

وعصام: هو عِصام بن شهير بن الحارث بن ذُبيان، كان من فُرسان العرب وفصحائهم ، وأحزمهم رأياً، يضرب به المثل فيمن شرف بالاكتساب لا بالانتساب، كان حاجباً للنّعمان بن المنذر (الأعلام: ٤/٢٣٣).

وأمر له بجاريةٍ من ذلك السَّبي، فولدت له[1].

وقد يتخطّى أمرُ المُعتقد الدِّينيّ البطنَ الواحد إلى البيتِ الواحد، أي داخل أفراد البيت البكريّ نفسه، فليس عجيباً أن نرى اعتقادين مختلفين في الأسرة الواحدة، على ما كان عليه الأمر في مرحلة صدر الإسلام الأولى، حين أسلم بعض الشّباب وظلّ آباؤهم على شِركهم وكُفْرهم، بل وقف واحدهم ضدّ الآخر محارباً له، وقاتلاً.

فهذا حجَّارُ بن أبجرٍ العِجْليّ مات والده أبجر على دين النَّصرانيَّة، وفي الخبر الّذي ساقه أبو حَنِيْفة الدِّينوريّ: "كَان ابنُ مُلجم يجلس في مَجلس تيمِ الرَّباب من صَلاة الغَداة إلى ارتفاع النَّهار، والقومُ يفيضون في الكلام، وهو ساكتٌ، لا يتكلَّم بكلمة، للَّذي أجمع عليه من قتل عليّ. فخرج ذات يوم إلى السُّوق مُتقلِّداً سَيْفه، فمرَّت به جِنَازة يُشيِّعُها أشرافُ العرب، ومعها القسِّيسون يقرؤون الإنجيل، فقال: ويحكم، ما هذا ؟ فقالوا: هذا أَبْجر بن جابر العِجْليُّ مات نصرانياً، وابنه حَجَّار بن أبجر سيِّد بكر بن وائل. فاتبعها أشراف الناس لسؤدد ابنه، واتبعها النَّصارى لدينه"[2].

وفيه يقول ابن مُلجم الخارجيّ: [الطَّويل]

لَـئِنْ كَـانَ حَجَّـارُ بـنُ أَبْجَـرَ مُسْـلِماً ... لَقَـدْ بُوْعِـدَتْ مِنْـهُ جَنَـازَةُ أَبْجَـرِ
وإنْ كَـانَ حَجَّـارُ بـنُ أَبْجَـرَ كَـافراً ... فَـما مِثْـلُ هَـذَا مِـنْ كَفُـوْرٍ بِمُكْنَـرِ
أَتَرْضَـوْنَ هَـذَا أَنَّ قِسّـاً ومُسْـلِماً ... جَمِيْعـاً لَـدَى نَعْـشٍ؛ فيـا قُـبْحَ مَنْظَـرِ
فَلَـولا الَّـذِي أَنْـوِي لَفَرَّقْـتُ جَمْعَهُـمْ ... بـأَبْيَضَ مَصْـقُوْلِ الرِّئـاسِ مُشَـهَّرِ
ولكِنَّنِـي أَنْـوِي بِـذَاكَ وَسِـيْلَةً ... إلى الله أَو هَـذَا فَخُـذْ ذَاكَ أَو ذَرِ[3]

وكان أبجر بن بُجير (أو جابر) بنِ حجَّارٍ العِجْليّ متمسِّكاً بدينه، مُعتزّاً بنصرانيَّته، لا يؤمن بمحمَّد ﷺ ولا بدينه المُحدث الوافد كما وصفه، حتّى تهدَّده خالدُ بنُ الوليد بضرب عُنقه، حين نزل بماء لبني بكر، وهناك رجلٌ من العَرب، يُقال له: أبجر بن بُجير العِجليّ، فوقف بين يديه، وقال: " أيُّها الأمير! قَدِمتَ

(١) تاريخ الطّبري: ٣٥٨/٣.
(٢) الأخبار الطِّوال: ٢١٦.
(٣) شعر الخوارج: ٣٤.
الأبيض: السّيف، الرّئاس: مقبض السّيف، مشهّر: مشهور معروف.

خيرَ مَقْدمٍ، فعظّمَ الله بك المغنم، ودَفعَ بكَ الهِمَم، ونَصَرك على العَجم"(١)، فقال له خالد: أظنّك شاعراً، فأين السّلام، قال: ليس في ديني السَّلام، فاستوى خالدٌ في جِلسته، وسأله عن دينه، فقال: أنا على دين عيسى بن مريم عليه السلام، فقال خالدٌ: وأنا على دين عيسى بن مريم عليه السلام، ولكن هل تؤمن بنبوَّة محمّد ﷺ؟قال: لا، أنا على دين عيسى بن مريم. ولمّا تهدّده خالدٌ بضرب عنقه أو أن يسلم، قال أبجر : " يا هذا! ومتى جئتم بهذا الدّين، إنَّما جئتم به منذ سنوات، وإنَّما هو دينٌ مُحدثٌ"(٢).

وبعد سجال بين الاثنين طويل طلب أبجر أن يُمْهَل أيّاماً ثلاثة حتّى يرى رأيه في الإسلام، فحبسه خالدٌ في خيمة، ثُمَّ تشفّع المُثنّى له عند خالد بن الوليد، قائلاً:" أيُّها الأميرُ! إن رأيت أن تخلِّيَ سبيلَه في وقته هذا، فإذا فرغتَ من نَصارى العَرب، فأنا كَفيلُه أن أدفعَه إليك، فتحكُمَ فيه بما تُحبّ". وظلَّ أبجر محافظاً على دينه حتّى مات، وكان قد قال للمُثنى:" أيُّها الأمير! والله إنِّي لو علمت أنَّ دينه خيرٌ من ديني لاتَّبعتُه"(٣).

وقد ذكر حجَّار بن أبجر العِجْليّ الصَّليب في شعره، فقال:

تُهـــدِّدُنِي عِجْـــلٌ ومـــا خِلـــتُ أنَّنـــي خَـــلاةٌ لِعِجْـــلٍ والصَّـــلِيْبُ لَهـــا بَعْـــلُ(٤)

وممَّن ظلَّ على نصرانيَّته هانئ بنُ قَبيْصَة الشَّيْبَانيُّ؛ وهو من سادات بني شَيْبان، مات على دينه بالكوفة، وكان ممَّن فاوضوا خالدَ بنَ الوليد باسم قومه على دفع الجزية للمسلمين(٥). وقد كان ألينَ من أبجر في موقفه، حين طلب إلى خالدٍ أن يُمهل حتّى يرى رأيه وقومه فيما عرضه خالدٌ عليه كما طلب أبجر من قبل، وقد ساق البيهقي الخبر في سننه:"قَالَ خَالِدٌ : أَدْعُوكُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ وَإِلَى أَنْ تَشْهَدُوا أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَتُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَتُؤْتُوا الزَّكَاةَ، وَتُقِرُّوا بِأَحْكَامِ الْمُسْلِمِينَ، عَلَى أَنَّ لَكُمْ مِثْلَ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْكُمْ مِثْلَ مَا عَلَيْهِمْ، فَقَالَ هَانِئٌ : فَإِنْ لَمْ أَشَأْ ذَلِكَ فَمَهْ؟ قَالَ : فَإِنْ أَبَيْتُمْ ذَلِكَ أَدَّيْتُمُ الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ. قَالَ: فَإِنْ أَبَيْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ : فَإِنْ أَبَيْتُمْ ذَلِكَ وَطِئْتُكُمْ بِقَوْمٍ الْمَوْتُ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ إِلَيْكُمْ، فَقَالَ هَانِئٌ : أَجِّلْنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ فَنَنْظُرَ فِى أَمْرِنَا، قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الْقَوْمُ غَدَا هَانِئٌ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَدِ اجْتَمَعَ أَمْرُنَا عَلَى أَنْ نُؤَدِّىَ الْجِزْيَةَ، فَهَلُمَّ فَلأُصَالِحَكَ، فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : كَيْفَ_ وَأَنْتُمْ قَوْمٌ عَرَبٌ_ تَكُونُ الْجِزْيَةُ وَالذُّلُّ أَحَبَّ

(١) الرّدة: ٢٢٣.

(٢) الرّدة: ٢٢٤.

(٣) انظر الخبر في الرِّدّة: ٢٢٤، ٢٢٥.

(٤) الأغاني: ٢٥٧/١٤.

(٥) انظر الإصابة: ٢٥٩/١. و الأعلام: ٦٨/٨.

إِلَيْكُمْ مِنَ الْقِتَالِ وَالْعِزِّ؟ فَقَالَ : نَظَرْنَا فِيمَا يُقْتَلُ مِنَّا، فَإِذَا هُمْ لاَ يَرْجِعُونَ، وَنَظَرْنَا إِلَى مَا يُؤْخَذُ مِنَّا مِنَ الْمَالِ، فَقَلَّمَا نَلْبَثُ حَتَّى يُخْلِفَهُ اللهُ لَنَا، قَالَ : فَصَالَحَهُمْ خَالِدٌ عَلَى تِسْعِينَ أَلْفًا"[1].

وقد كان لبعض نصارى بكر الرُّتبة العالية، والمنزلة الرَّفيعة في قومهم، وبين أنصار دينهم، فكانوا يتقدَّمون الوفود، ويتكلَّمون بلسانهم، على ما كان من وفد نجران النَّصرانيّ إلى رسول الله ﷺ ، وقد تقدَّمهم رجلٌ بكريٌّ هو أبو حَارثة بن عَلْقَمة إلى جانب رُؤوس نجران، وفيهم: العَاقِب؛ واسمه عبد المسيح، وهو أمير القوم، وذو رأيهم، والأيهم السَّيِّد؛ صاحب رحلهم ومجتمعهم[2].

وكان أبو حَارثة بن عَلْقمة البَكريُّ ، أَسْقُفَّهم وصاحبَ مِدْرَاسِهم[3]، وكان مُلوكُ الرُّوم قد شَرَّفوه، وأَكْرَموه، وبنوا له الكنائس لما كان من عِلْمِه واجْتِهاده، وقد قابل النَّبي ﷺ في الوفد، وجادله في شأن الأُلوهيّة، وشأن المسيح عليه السلام ، ولّما قامت الحجّة عليهم أصروّا على مواقفهم وغادروا[4]. وكان يعرف الحقَّ في نفسه وينكره، ويعلم أنَّ النَّبيّ ﷺ مُرسلٌ من عند الله ﷻ، وهو ما أسرَّ به لأخيه، حين توجَّهوا من نَجْران، فجلسَ أبو حَارثة على بَغْلة له، وإلى جَنْبه أخٌ له يقال له كُوز بن عَلْقمة يُسايره، إذ عَثَرت بغلةُ أبي حَارثة، فقال كوز: تَعَسَ الأَبْعدُ – يريد رسول الله ﷺ – فقال له أبو حارثة: بل أنتَ تَعَسْت! فقال له كوز: ولِمَ يا أخي ؟ فقال: والله إنَّه لَلنبيّ الَّذي كُنَّا ننتظره، فقال له كُوز: ومَا يمنعك، وأنت تعلم هذا؟ فقال له: ما صَنع بنا هؤلاء القوم، شَرَّفونا ومَوَّلونا وأكرمونا، وقد أَبَوا إلَّا خِلافه، ولو فعلتُ نزعوا منَّا كل ما ترى، فأضمر عليها منه أخوه كوز، حتَّى أسلم بعد ذلك[5].

القسم الثَّاني: وِفَادَتُهم على الرَّسول ﷺ ، وكتب الرَّسُول إليهم

كان من دأب رسول الله ﷺ في المرحلة الأولى من الدَّعوة الإسلاميّة أنَّه كلَّما اجتمع له النَّاسُ بالموسم أتاهم، يدعو القبائلَ إلى الله وإلى الإسلام، ويَعرض عليهم نفسه، وما جاء من الله من الهُدى والرَّحمة، وهو لا يسمعُ بقادمٍ يَقدم مكَّة من العرب، له اسمٌ وشَرفٌ إلَّا تصدَّى له، فدعاه إلى الله، وعَرَض عليه ماعنده[6].

---

(١) سنن البيهقي: ٣٩٩/٢.

(٢) السّيرة النّبويّة: ٥٧٣/١.

(٣) المِدراس: البيت الّذي يدرسون فيه كتابهم.

(٤) انظر السّيرة النّبويّة: ٥٧٤/١.

(٥) السّيرة النّبويّة: ٥٧٣/١.

(٦) الرّوض الأنف: ٣٩/٤، ٤٠.

فكان ﷺ يقف على مَنازل القبائل من **العرب، فيقول "يا بَني فُلان إنِّي رَسُولُ الله إِلَيكم، يَأْمُرُكُم أَن تَعْبُدوا اللهَ ولا تُشْركوا به شيئاً، وأنْ تَخلعوا ما تَعْبدون من دونه من هذه الأنداد، وأنْ تُؤمنوا بي، وتُصدِّقوا بي، وتمنعوني، حَتَّى أُبَيِّنَ عن الله ما بَعَثَني به"**[1].

فصدف مرَّةً أن كان رجلٌ أَحولُ وضيءٌ، له غَدِيْرتان، عَلَيه حُلَّةٌ عَدَنيَّة، فإذا فرغﷺ من قَوله وما دعا إليه قال ذلك الرَّجلُ:" يا بَني فُلان! إنَّ هذا إنَّما يَدْعُوكُم أنْ تَسْلَخُوا اللَّات والعُزَّى من أعناقكم وحلفائكم من الجن من بني مالك بن أُقَيْش، **إلى ما جاء به من البِدْعة والضَّلالة فلا تُطيعوه ولا تسمعوا منه**"[2]. فإذا هذا الرَّجل عمُّه عبد العُزَّى بن عبد المطّلب.

وقد كانت بنو حَنيفة من أوائل بطون بكر بن وائل الّتي عرضَ النَّبيُّ ﷺ نفسه عليها، وكان مسكنهم اليمامة.

قال السُّهَيْلي في الرَّوض الأُنف، فيما ينقل عن ابن إسحاق: " حدَّثنا بعضُ أَصْحَابنا عن عَبد الله بنِ كَعب بنِ مالك، أنَّ رسولَ الله ﷺ أتى بني حَنيفة في مَنَازلهم، فَدَعاهم إلى الله وعَرضَ عَليهمْ نَفْسه، فلم يكن أحدٌ من العَرب أقبحَ عليه ردّاً مِنْهُم"[3].

وحدَّث الواقديّ عن عامر بن سَلَمة الحَنفيّ، وقد ساق الخبر الحميريّ في الرَّوض المعطار، قال أي عامر:" رأيتُ رسول الله ﷺ جَاء ثلاثةَ أعوامٍ بعُكاظ ومِجنَّة وذِي المجاز يدعُونا إلى الله ﷻ، وأنْ نَمنعَ له ظَهرَه حتَّى يُبلِّغَ رسَالاتِ ربِّه ويشترط لنا قال: فما اسْتَجَبْنا له، ولا رَدَدْنا جميلاً، لقد خَشِنَّا عليه، وحَلُمَ عنَّا، قال عامر: فرجَعتُ إلى حَجْر في أوَّل عَامٍ، فقال لي هَوْذةُ بن عليّ: هلْ كان في موسمكم هذا خبرٌ؟ فقلت: رجُلٌ من قُريش يَطوف على القَبائل يدعوهم إلى الله وحدَه، وأن يمنعوا ظهرَه، حتَّى يبلِّغَ رسالات ربه، ولهم الجنَّة، فقال: من أي قُريشٍ هو؟ قلت: من أوسطهم نسباً في بني عبد المطلب، قال هوذة: أهو محمَّد بن عبد المطَّلب؟ قلت: هُوَ هُوَ، قال: أمَا إنَّه سَيظهر على ما هاهنا، فقلت: هاهنا فقط من بين البلدان، فقال: وغيرِ ما هاهنا، ثُمَّ وافيت في السَّنة الثَّانية، فقدِمْتُ حَجراً، فقال: ما فعل الرَّجلُ؟ فقلت: رأيته على حاله في العام الماضي، قال: ثم وافيت في السَّنة الثَّالثة، وهي آخر ما رأيته، وإذا بأمره قد أَمِر، وإذا ذِكْرُه كثر في النَّاس، وأسمع أن الخزرج تَبِعته، فقدِمت حجراً فقال لي هَوْذة: ما فعل الرَّجلُ؟ فقلت: رأيت أَمْرَه قد أَمِرَ،

(١) الرّوض الأنف: ٤/٣٧.

(٢) الرَّوض الأنف: ٤/٣٧.

(٣) الرّوض الأنف: ٤/٣٨.

ورأيت قومه عليه أشدَّاء، فقال لي هَوْذة: هو الذي قلتُ لك، ولو أنَّا تَبِعناه كان خيراً لنا، ولكنَّا نَضِنُّ بمُلْكنا. وكان قومه تَوَّجوه وملَّكوه"[1].

وأمَّا بنو شيبان فكانوا في ردِّهم ألطف، ونفسهم إلى ما دعاهم إليه الرّسول ﷺ أكثر قبولاً، وقد لاقى عندهم طمأنينة ورضى، ففي الخبر الّذي ساقه عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، ﷺ قَالَ: " لَمَّا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَعْرِضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ خَرَجَ، وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ ﷺ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَجْلِسٍ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ، وَلَهُمْ أَقْدَارٌ وَهَيْئَاتٌ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ: مِمَّنِ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا: نَحْنُ بَنُو شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ، فَالْتَفَتَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، لَيْسَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ عِزٍّ فِي قَوْمِهِمْ، وَكَانَ فِي الْقَوْمِ مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو، وَالْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ، وَهَانِئُ بْنُ قَبِيصَةَ، وَالنُّعْمَانُ بْنُ شَرِيكٍ، فَتَلَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١] ، فَقَالَ مَفْرُوقٌ: مَا هَذَا مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ كَلَامِهِمْ لَعَرَفْنَاهُ، فَتَلَا رَسُولُ الله ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾[النحل: ٩٠] ، فَقَالَ مَفْرُوقٌ: دَعَوْتَ- وَالله- يَا قُرَشِيُّ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، وَمَحَاسِنِ الْأَفْعَالِ، وَلَقَدْ أَفِكَ قَوْمٌ كَذَّبُوكَ وَظَاهَرُوا عَلَيْكَ، وَقَالَ الْمُثَنَّى: قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ، وَاسْتَحْسَنْتُ قَوْلَكَ يَا أَخَا قُرَيْشٍ، وَأَعْجَبَنِي مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ، وَلَكِنْ عَلَيْنَا عَهْدٌ مِنْ كِسْرَى أَلَّا نُحْدِثَ حَدَثًا ، وَلَا نُؤْوِي مُحْدِثًا ، وَلَعَلَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ الْمُلُوكُ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ نَنْصُرَكَ وَنَمْنَعَكَ مِمَّا يَلِي بِلَادَ الْعَرَبِ فَعَلْنَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: " مَا أَسَأْتُمُ الرَّدَّ إِذْ أَفْصَحْتُمْ بِالصِّدْقِ، إِنَّهُ لَا يَقُومُ بِدِينِ الله إِلَّا مَنْ حَاطَهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ "، ثُمَّ نَهَضَ رَسُولُ الله ﷺ قَابِضًا عَلَى يَدِ أَبِي بَكْرٍ "[2]

وكان رسولُ الله ﷺ مُعجباً بهذا البطن من شَيْبان، فكان أن جَهّز مرّةً جيشاً، فأعجبه ما رأى من حالهم وعُدَّتِهم، فقال: " والَّذي نَفْسي بيده لو لَقُوا حُمرَ الحَمالِيق[3] من بَني ربيعة لهزموهم"[4].

وأمّا بنو قَيْس بنِ ثَعْلبة فلم يُجِيبوا النّبيّ ﷺ حين سألهم المَنَعة بسبب خوفهم من الفُرس، فانْصَرفَ عَنهم

(١) الرَّوض المعطار في خبر الأقطار: ٤١١.

(٢) معرفة الصَّحابة لأبي نعيم: ٢٦٤١/٥.

(٣)الحماليق بياض العين أجمع ماخلا السواد، واحدها حملاقٌ. وعين مُحْملقة وهي التي حول مقلتها بياضٌ لم يخالط السَّواد (تهذيب اللغة:[ح م ل ق]، ١٩٦/٥، تح: مرعب).

(٤) جمهرة النّسب لابن الكلبيّ: ١٩٣.

حين عَلم أن لا طائلَ منهم، فقد جاء في السّيرة:" فأتَى بكرَ بن وائل فقال: ممنْ القومُ ؟ قالوا: من بكرِ ابنِ وائل، فقال: من أي بكر بن وائل ؟ قالوا: من بني قَيس بن ثعلبة. قال: كَيفَ العَدد ؟ قالوا: كَثيرٌ مِثل الثَّرى.

قال: فكيفَ المنعة ؟ قالوا: لا مَنَعة، جَاورْنا فَارس، فنحنُ لا نمنع مِنهم ولا نُجير عليهم، قال: " فتَجْعلون لله عَلَيكم- إنْ هُو أَبقاكم- حتَّى تنزلوا مَنَازلهم، وتَسْتَنْكِحوا نِسَاءَهم، وتَسْتَعْبدوا أبناءَهم أنْ تُسَبِّحوا اللهَ ثلاثاً وثلاثين، وتحمدوه ثلاثاً وثلاثين، وتكبِّروه أربعاً وثلاثين ؟ ". قالوا: ومن أنت ؟ قال: أنا رسول الله، ثمَّ انطلق[1]. وفي رواية أنَّه لَمَّا سألهم ﷺ قالوا له: حتَّى يجيء شيخُنا حَارثة، فلمَّا جاء قال: إنَّ بينَنا وبينَك من الفُرْس حَرباً، فإذا فَرِغنا عمَّا بيننا وبينهم عُدنا، فنظرنا فيما تقول، فلمَّا التَقوا مع الفُرْس، قال شيخُهم: ما اسمُ الرَّجل الَّذي دعاكم إليه؟ قالوا محمَّد، قال: فهو شِعَاركم، فنُصروا على الفُرس، فقال رسول الله ﷺ: بي نُصِروا، أي نُصِروا بذكرهم اسمي[2].

ثُمَّ لّما اشتدّ عُود الإسلام، وقسا، و فَتح رسولُ الله ﷺ مكَّة ، وفَرغ من تَبُوك، وأَسْلمت ثَقِيف وبايعت ضَربتْ إلى النَّبيّ ﷺ وُفُود العرب من كل وَجه، وسُمِّي ذلك العام بعام الوفود. وتسابقت وفود العرب مُتَتابعةً إلى رسول الله تَشهد بنبوّته، وتُقرُّ بإسلامها، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾ [النصر: ١ - ٣]، فكان وفد بكر بن وائل من الوفود الّتي قابلت النّبي ﷺ تُشهر إسلامها، ثُمّ تفرّعت وفود بكر إلى بطون القبيلة بطناً بطناً.

١ـ وفد بكر بن وائل[3]:

يتقدَّمهم أبو الخَمْخام[4] وكان في الوفد بَشِيْر بن الخَصاصيَّة، وعبدُ الله بنُ مَرْثَد، وحسَّان بن خُوْط، وفي ذلك يقول رجلٌ من ولد حسَّان: [الرَّجز]

(١) السّيرة الحلبيّة: ١٥٨/٢(دار المعرفة).

(٢) السّيرة الحلبيّة: ١٥٨/٢.

(٣) انظر الطّبقات الكبرى: ٣١٥/١(تح: د. إحسان عبّاس، دار صادر). وأسد الغابة: ١٨٩/٤، ١٥/٥. ونهاية الأرب: ٤٦/١٨.

(٤) وقيل هو الخمخام: مالك بن الحارث، شهد مع النبي ﷺ حُنَيناً، وكتب معه كتاباً إلى عَشيرته بكر بن وائل، وهم قوم باليمامة من أسلم فيهم (أسد الغابة: ١٥/٥).

أَنَــا ابْــنُ حَسَّــانَ بــنِ خُــوْطٍ وأبي رَسُــوْلُ بَكْــرٍ كُلِّهــا إلى النَّبِــي[1]

وقيل: قَدم معهم عَبدُ الله بن أَسْوَدَ بنِ شِهَابِ بنِ عَوفِ بنِ عامر بنِ الحارث بنِ سَدُوس، وكان ينزل اليمامة، فباعَ ما كان له من مالٍ باليمامة، وهاجر وقَدِمَ على رسول الله ﷺ بِجِرابٍ من تَمر، فدعا له النَّبيﷺ بالبَركة.[2]

وكان في الوفد أَسْود بن عِمْران، وقِيل عِمْران بن الأسود، قال:" كنتُ رسولَ قومي إلى رسول الله ﷺ ووافدهم، لَمَّا دخلوا في الإسلام وأقرُّوا"[3].

ولمّا كان الوفد عند النَّبي ﷺ قال له رجلٌ مِنهم: هل تعرف قُسَّ بنَ سَاعدة؟ فقال رسول اللهﷺ: ليس هو مِنْكُم، هذا رجلٌ من إِياد تحنَّف في الجاهليَّة، فَوَافى عُكاظ، والنَّاس مجتمعون، فيكلمهم بكلامه الذي حفظ عنه[4].

وكان ممَّن همَّ بالوفود على الرَّسول ﷺ ضمن ذلك الوفد الأَعْشى؛ مَيْمُونُ بنُ قَيْس بن ثَعلبة؛ الشّاعر البَكريّ المعروف، وقد خرج إلى النّبيّ ﷺ يريد الإسلام[5]، ويمدحه بقصيدته الّتي مطلعها:

أَلَمْ تَغْــتَمِضْ عَيْنَــاكَ لَيْلَــةَ أَرْمَــدا وعَــادَكَ مَــا عَــادَ السَّــلِيْمَ المسَــهَّدا[6]

فلمَّا كان بمكَّةَ أو قريباً منها، اعْترضَه بعضُ المشركين من قريش، فسأله عن أمره، فأخبره أنَّه جاء يريد رسول الله ﷺ لِيُسْلم، فقال له: يا أبا بَصِير! إنَّه يحرِّم الزِّنا، فقال الأعشى له: والله إنَّ ذلك لأمرٌ مالي فيه من أَرَبٍ. فقال: يا أبا بصير! فإنَّه يحرّم الخَمْرَ، فقال: أمَّا هَذه، فو الله إنَّ في النَّفْس منها لَعُلالاتٍ[7]، ولكنّي مُنْصرفٌ، فأتروَّى منها عامي هذا، ثُمَّ آتيه، فأُسْلم. فانصرف، فمات من عَامه ذلك، ولم يعد إلى رسول الله ﷺ.[8]

(١) نهاية الأرب: ١٨/٤٦.
(٢) انظر نهاية الأرب: ١٨/٤٦.
(٣) أسد الغابة: ١/٢٣٢.
(٤) الطّبقات الكبرى: ١/٣١٥.
(٥) السّيرة النّبويّة: ١/٣٨٦.
(٦) ديوانه: ١٣٥.
(٧) العُلالات: مفرد العُلالة، وهي البقيّة.
(٨) نهاية الأرب: ١٨/٤٨.

٢ـ وفد حَنيفة:

جاء في الرَّوْض المِعْطار للحميريّ:" قالوا : لمّا قدمت وفود العرب على رسول الله ﷺ لم يَقْدم وفدٌ أسوأ قُلوباً، ولا أحرى أن يكون الإسلامُ لم يقرَّ فيهم من بني حَنيفة"(١).

وضمَّ الوفدُ بضعةَ عَشَر رجلاً، فيهم رَجَّال بنُ عُنْفُوة، وسَلْمَى بنُ حَنْظَلة، وطَلْقُ بنُ عَليّ بنِ قَيْسٍ، وحُمْرانُ بنُ جَابر، وعَليُّ بنُ سِنان، والأَقْعَسُ بن مَسْلَمَة، وزيدُ بنُ عَمرو، ومُسَيلمةُ بن حَبيب، وهو الكذّاب. وعلى الوفد سَلْمَى بنُ حَنْظَلة، فأُنْزِلوا دارَ رَمْلةَ بنتِ الحَارث، وأُجْريت عَليهم ضِيافةٌ. فأتَوا رَسُولُ الله ﷺ في المسجِد، فسلّموا عليه، وشَهدوا شَهَادة الحقّ.

وأَعْطَاهم رسول الله ﷺ إِدَاوةً من مَاءٍ فيها فَضل طَهُوره، فقال: " إذا قَدِمْتم بَلدَكم، فاكْسِروا بِيْعَتكم، وانْضَحُوا مكانها بهذا الماء، واتَّخِذُوا مَكَانها مَسجدًا " ففعلوا، وصارت الإداوة عند الأَقْعَس بنِ مَسْلمة، وصار المؤذّن طَلْق بن عليّ، فأذَّن، فسَمِعه راهبُ البِيْعَة، فقال: كلمةُ حقٍّ، وهَرب، فكان آخر العهد به(٢).

وطَلْقُ بن عليّ من رجال اليمامة، وقد بنى المسجد النَّبويّ مع رسول الله ﷺ ، جاء في وفاء الوفا:" كان رجلٌ من أهل اليمامة يقال له طَلْق من بنِي حَنِيْفةَ يقول: قَدِمْتُ على النَّبيّ ﷺ و هو يبني مَسْجدَه، و المسلمون يَعْملون فيه معه، و كنتُ صاحبَ عِلاج و خَلْط طين، فأخذت المِسْحَاة أَخْلط الطِّين، و النَّبيُّ ﷺ ينظر إليَّ، و يقول: إنَّ هَذا الحَنفيَّ لَصاحِبُ طِيْن"(٣).

وروى عن نفسه قائلاً:" بنيتُ المسجد مع النَّبيِّ ﷺ، فكان يقول: قَرِّبوا اليَمامِيَّ من الطِّيْن، فإنَّهُ أَحْسَنُكم له مَسْكاً، و أَشَدُّكُم مَنْكِبا"(٤).

وكان في الوفد مُسيلمة بن حَبيب الحنفيّ، وقد جاءت به بنو حنيفة تَسْتره بالثّياب، وقيل: بل خلَّفوه وراءَهم، فلمَّا أَسْلموا ذكروا مكانه، فقالوا: يا رسول الله! إنَّا قد خَلَّفْنَا صَاحباً لنا في رِحَالنا وفي رِكابنا يحفظها لنا، فأمر له ﷺ بمثل ما أمر به للقوم، وقال: " أما إنَّه ليس بشرِّكم مكاناً"، أي لِحِفْظه ضَيْعة

(١) الرَّوض المعطار: ٦٢٠.

(٢) نهاية الأرب: ٤٩/١٨.

(٣) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: ٢٥٧/١.

(٤) وفاء الوفا: ٢٥٧/١.

أصحابه، وذلك الذي أراده رسول الله ﷺ.[١]

فلمَّا انتهوا إلى اليمامة ارتدَّ مُسيلمة وتنبَّأ وتكذَّب لهم، وقال: إنِّي قد أُشْرِكت في الأمر مَعه. وقال لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذَكَرتموني له: أما إنَّه ليس بشرِّكُم مكاناً ؛ ما ذاك إلا لما كان يعلم أنِّي قد أُشْركت في الأمر معه، ثُمَّ جَعل يَسْجَع لهم الأَسَاجيع، ويقول لهم فيما يقول مُضاهاة للقرآن:" لقد أَنعم الله على الحُبلى، أَخرج منها نَسْمة تَسعى، من بين صِفَاقٍ وحَشَى"[٢]، وأحلَّ لهم الخَمر والزِّنا، ووضَع عَنْهم الصَّلاة، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبيٌّ، فأَصْفَقت (حَشَدت) معه حَنيفة على ذلك[٣] .

ويرى د. إحسان صدقي العمد أنّ تخلُّفَ مُسيلمة وراء قومه أمرٌ مُسْتَبعد على زعيم قَبيلةٍ دينيّ وسياسيّ معروفٍ مثلِ مُسيلمة،إذ لا بُدَّ وأن يسأل النَّبيُّ ﷺ عنه، ويجتمع به[٤].

٣_ وفد شَيْبان:

ثُمَّ تَبع وفدَ حَنيفةَ وَفدٌ من بَني شَيبان، واقتصر وفدُ شَيْبان على رجلٍ وامرأة؛ هما حُرَيْث بن حَسَّان الشَّيبانيُّ، وقد بَايَعَ عَن نَفْسه وقومه، وقَيْلَةُ بنتُ مَخْرَمة من تَميم، وقد صَحبته في الوفد. وهي الّتي أَرْعَدت من الفَرَق[٥] لمّا أتت رسول الله ﷺ، فقال لها: " يا مِسْكِيْنةُ، عَلَيكِ السَّكِيْنة " فهدأت[٦]. ولمَّا بايع حُريَث رسول الله ﷺ عن نَفْسه وقومِه قال: يا رسول الله اكْتُب بَيْننا وبين بَني تميمٍ بالدَّهْناء[٧] لايُجَاوزها إلينا مِنْهُم إلَّا مُسَافرٌ أو مُجَاورٌ، وكانت الّتي مَعه في الوفد من تميم، فقال: يا غُلامُ! اكْتُب لهُ بالدَّهْناء؛ فلمَّا رَأت المرأة الّتي في الوفد، وهي قَيْلَةُ بنتُ مَخْرَمة التَّميميَّة، أنَّ الرَّسول ﷺ أَمَر بأن يُكتبَ له بالدَّهناء شُخص بها، وهِيَ وَطَنُها ودَارُها، قالت: يا رسول الله! إنَّه لم يَسْألك السَّوِيَّة من الأرض إذْ سَألك، إنَّما هَذه الدَّهْناء عِنْدك مُقيَّد الجمَل، ومَرْعَى الغَنَم، ونِسَاءُ تميمٍ وأبناؤها وراءَ ذلك! فقال:"

(١) الرّوض الأنف: ٤٠٠/٧.

(٢) السّيرة النّبويّة: ٥٧٦/٢.

(٣) الرّوض الأنف: ٤٠١/٧.

(٤) حركة مسيلمة الحنفي: ٤٧.

(٥) انظر أمتاع الأسماع للمقريزي: ٦٢/٧. الفَرق: الخوف.

(٦) نهاية الأرب: ٤٩/١٨.

(٧) الدّهناء: ديار بني تميم.

أَمْسِك يا غُلامُ، صدقتِ المسكينة، المسلمُ أَخُو المسلم يَسَعُهما الماءُ والشَّجرُ، ويتعاونان على الفَتَّان[1]". فلمّا رأى حُريث أنْ قد حِيْل دُون كِتابه ضَرَب بإحدى يديه على الأخرى، وقال: كُنْتُ أنا وأنتِ كما قيل:" حَتْفَهَا تَحْمِلُ ضَأْنٌ بأظْلافِها"[2]، فقالت: أما والله إن كنتَ لدَليلاً في الظَّلماء، جَواداً بذي الرَّحْل، عَفيفاً عنِ الرَّفِيْقة، حتَّى قَدِمتُ على رسول الله، ﷺ، ولكن لا تَلُمْني على حظِّي إذْ سَألتَ حَظَّك، فقال: وما حَظُّكِ في الدَّهْناء_ لا أبا لك! فقالت: مُقَيَّد جَملي تَسْأله لجَمَل امرأتك! فقال: لا جَرْم، إنِّي أُشْهد رسول الله أنِّي لكِ أخٌ ما حَيِيْتُ إذ أُثْبت هذا عليَّ عِنْده[3].

كُتب الرَّسول ﷺ ورسُلُه إلى بَني بَكر بن وائل:

كتبَ رسول الله إلى مُسيلمة الكذَّاب كتاباً مُختصراً، قال فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم:

مِن مُحَمَّدٍ رَسولِ الله إلى مُسَيْلمةَ الكذَّاب، سَلامٌ على مَن اتَّبع الهدى،

أمَّا بَعدُ :

فإنَّ الأرضَ لله يُوْرِثها مَنْ يَشاءُ مِن عِباده، والعَاقبةُ للمتَّقين"[4] ، وكان هذا الكتاب ردّاً على الكتاب الَّذي أرسله مُسيلمة إلى الرَّسول ﷺ يخبره فيه أنَّ اللهَ أشركه في النُّبوة، فقال: " مِن مُسَيلمةَ رسُولِ الله إلى محمَّد رسولِ الله، سَلامٌ عَليك، أمَّا بَعد: "فإنِّي قَد أُشْرِكتُ في الأمر مَعَك، وإنَّ لنا نِصْفَ الأرض، ولقُرَيشٍ نِصفَ الأرض، ولكنَّ قُريشاً قَوْمٌ يَعْتدون" .[5]

وكان ذلك آخرَ سَنة عَشْر للهجرة، وقد أرسل مُسيلمة كتابه مع رسُولين له، فسألهما رسول الله ﷺ:" فما تقولان أنتما ؟ قالا: نقول كما قال! **فقال: "أَما والله لولا أنَّ الرُّسُلَ لا تُقْتل لَضَربت أعناقكما"**[6].

(١) الفتَّان: الشّيطان، لأنّه يفتن النَّاس عن الدّين.

(٢) مجمع الأمثال: ١٩٢/١. يُضرب لمن يوقع نفسه في هَلَكة.
وأصله أنَّ رجلاً وجَد شاةً ولم يكن معه ما يَذْبَحها به، فضربَتْ بأظْلافها الأرضَ، فظَهرَ سِكِّينٌ فذبَحها به.

(٣) الطَّبقات الكبرى: ٣١٧/١.

(٤) البداية والنهاية (تح: علي شيري): ١٦٢/١٨.

(٥) الرّوض الأنف: ٤٢٧/٤. والبداية والنّهاية: ١٦٢/١٨.

(٦) تاريخ الطّبري: ١٤٦/٣.

وفي البلدان للبلاذري: " أرسل مُسيلمة كتابه إلى النّبيّ ﷺ مع عُبَادَةَ بنِ الحَارِث؛ أحدِ بني عامر بن حَنِيْفة، وهو ابن النَّوَّاحة الّذي قتله عَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ بالكوفة"(١).

وقد بعث رسول الله ﷺ "حَبِيْب بنَ زَيْدِ بنِ عَاصم" أَحدَ "بني النَّجَّار" و"عَبدَ الله بنَ وَهَبٍ الأَسْلميّ" إلى مُسَيلمة، فلم يعرض مُسيلمة لعَبدِ الله، وقطع يَدَي حَبيب ورِجْلَيه. وذلك أنَّ مُسَيْلمة إذا قال له : أَتَشْهد أنَّ محمَّداً رسولُ الله؟ قال : نَعَم، وإذا قال : أتشهد أنِّي رسولُ الله؟ قال : أنا أصمُّ لا أَسْمع، ففعل ذلك مِراراً، فقطَّعه مُسيلمة عُضواً عُضواً، فمات شهيداً .(٢)

وبَعَثَ رَسُولُ الله، ﷺ، سَلِيْطَ بن عَمْرو العَامِرِيّ(٣)، إلى هَوْذَة بنِ عَلِيٍّ الحَنَفِي يدعوه إلى الإسلام، وكَتب معهُ كِتَاباً، فَقَدِم عَليه، وأَنْزله وحَبَاهُ، وقرأ كِتاب النَّبيّ، ﷺ ورَدَّ رَداً دُون رَدّ، وكتب إلى النَّبيِّ، ﷺ :"مَا أَحْسَنَ مَا تَدْعُو إليْهِ وأَجْمَلهُ، وأنا شَاعِرُ قَوْمِي وخَطِيْبُهم، والعَرَبُ تَهَابُ مَكَاني، فاجْعَلْ لي بَعْضَ الأمرِ أَتَّبِعْكَ". وأَجَازَ سَليطَ بنَ عَمْروٍ بِجَائزة، وكَسَاه أَثْواباً من نَسْجِ هَجَر، فَقَدم بذلكَ كُلِّه على النَّبيّ ﷺ، وأَخْبره عنه بما قال، وقرأ كتابه. فقال: لو سألني سَيَابةً(٤) من الأرْضِ ما فَعَلْتُ، بَادَ وبَادَ ما في يَديه! فلما انصرف من عام الفتح جاءه جبريلُ، فأخبره أَنَّهُ قد مات(٥).

وكان ممّا قاله سَليط لهوذة: " **يا هَوْذَةُ إنَّكَ سَوَّدَتْك أَعْظُمٌ حَائِلةٌ، وأَرواحٌ في النَّار، وإنَّما السَّيِّدُ مَن مُنِّعَ بالإيمان ثُمَّ زُوِّد التَّقوى، وإنَّ قوماً سَعِدوا برأيك فلا تَشْقَ به، وإنِّي آمُرك بخيرٍ مأمورٍ به، وأَنْهاك عن شَرٍّ مَنْهيٍّ عنه؛ آمُرك بعِبادة الله، وأَنْهاك عن عِبادة الشَّيْطان، فإنَّ في عِبادة الله الجنَّة، وفي عِبادة الشَّيطان النَّار، فإن قَبِلت نِلْت ما رَجَوت، وأَمِنْتَ ما خِفْت، وإنْ أَبَيْتَ فبينَنا وبينَك كَشْفُ الغِطاء وهَوْلُ المطلع**".(٦)

ومن رُسل النَّبيّ إلى بكر بن وائل مَرْثَد بن ظَبيان، فقد أتى رسول الله ﷺ، فوَهَب له سَبي بكر بن وائل، وأَسْلَمَت بكر بن وائل على يديه، وكتب معه رسول الله ﷺ إلى بَكْرِ بنِ وَائل أن " أَسْلِمُوا تَسْلَموا " فلم

(١) البلدن وفتوحها وأحكامها: ١٠٣.

(٢) أسد الغابة: ٢٥١/٣.

(٣) تاريخ الطّبري: ٦٤٤/٢ ـ ٦٤٥. انظر حديث سليط وهوذة في الرّوض الأنف: ٥٩٠/٦.

(٤) سَيابة: بَلَحة (البُسْر الأخضر)، جمعها سَياب. والسّيابة: ناحية من الأرض.

(٥) الطبقات الكبرى: ٢٦٢/١.

(٦) الرَّوض الأنف: ٥٩٠/٦.

يجدوا من يقرأه لهم حَتَّى قَرَأه رجلٌ من بَني ضُبَيْعَةَ بنِ رَبِيْعة. فولده اليوم يسمون بني الكاتب(١)، وكساه رسول الله ﷺ بُرْدَين(٢).

القسم الثَّالث: دخولُهم في الإسلام، وتأثُّرُهُم به.

لم يكن البكريُّون من السَّبّاقين الأوائل إلى الإسلام، والمنافحين عن الرَّسول ﷺ وقت الهياج والمُنافحة، لكنَّهم حين دخلَ الإسلامُ ديارَهم، واستقرَّ في قلوبهم، وأخذ بلُباب بعضهم كانت لهم قفزات بالإسلام جليَّةٌ، وإنجازاتٌ في خدمة الدّين بارزة. وهو ما عبّر عنه ابن خلدون بقوله:" لما استُكْمل الفتح، واستكمل للملَّة الملك، ونزل العَربُ بالأمْصَار في حُدُود ما بينهم وبين الأُمَم من البصرة والكُوفة، والشَّام ومِصر، وكان المختصُّون بصحبة الرَّسول ﷺوالاقتداء بهديه، وآدابه: المهاجرين والأنصار، وقريش، وأهل الحجاز، ومن ظَفر بمثل ذلك من غيرهم، وأمَّا سائر العرب من بني بكر بن وائل، وعبد القيس، وسائر ربيعة، والأزد، وكنده، وتميم، وقضاعة، وغيرهم فلم يكونوا في تلك الصُّحبة بمكانٍ إلا قليل منهم؛ وكانت لهم في الفُتُوحات قَدم"(٣).على أنّنا لا يمكن بحال أن نطلق الأحكام عامّةً على قومٍ ما أو قبيلةٍ بعينها، ذلك أنَّ الاستثناء لا يخلو منه حُكمٌ، ولا يفلت منه أمر. فليس كُلُّ بني بكر بن وائل أسلموا، ولا مَن أسلم منهم قد حَسُن إسلامه ونقيَ، بل شأن ربيعة عموماً أن تَسُود في الإسلام كما سادت في الجاهليَّة، وأن يُخلِّد التَّاريخ أسماءَ بعضهم على مرِّ العُصور، فكأنَّ المجد يشتاق إلى كثيرٍ منهم فيلبَسُون عباءته، كما أنّ العار مرّ قريباً منهم في لحظةٍ من لحظات التَّاريخ الإسلاميّ، وفي مرحلةٍ دقيقة من مراحل الدَّعوة الإسلاميَّة، حتّى كاد مُسيلمةُ الحَنَفيُّ يصْبغ بني حَنيفة بصِباغ الكَذِب والنِّفاق. فكان ثُمامة بن أثالٍ الحَنَفيّ مُحترزاً ممّا سيوقعه القَدَر من أمر مُسيلمة، فكان خيرَ مخرج لبني حَنِيْفة. وأَصْلَحَ اعتذارٍ.

وإلى ذلك وإن كانت ربيعة عموماً، ولا سيّما بكرٌ مِنها قد وُسِمت بعلاقاتها المتجذِّرة مع الفُرس، وهو ما أساء طائفةً من العرب، فإنَّ ربيعة في الإسلام أخذت وِسامَ الفُرس ولقبَها القديم "فارسَ الأسد"، وذلك

(١) الآحاد والمثاني: ١٣٣/٣.

(٢) انظر الأنساب للسمعاني: ٧٥/١.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ٥٨٦/٢.

يوم القادسيّة، إذ ساق الطّبري:" لم يكن أحدٌ من العرب أَجْرأَ عَلى فَارسَ من رَبِيعة، فكان المسلمون يُسمُّونهم ربيعةَ الأَسَد أي ربيعةَ الفُرْس، وكانت العَرب في جاهليّتها تسمِّي فَارسَ: الأسدَ، والرُّوم الأسد"[1].

وفي الخبر أنَّ عُمَر بنَ الخَطَّاب ﷺ كَتَب إلى يَزِيد بن أبي سفيان: أنْ ابْعَثْ جيشاً، وادْفَع لِواءَهم إلى رجلٍ من رَبيعة ، فانِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول : "لا يُهْزَمُ جَيْشٌ لِواؤُهُم مَعَ رَجُلٍ مِنْ رَبِيْعَة"[2].

وحين وقف طُلَيْحة الأسديّ في قومه خَطيباً، يَسْتَنفر قواهم، ويَحُضُّهم على مهاجمة الفِيَلة، وقد اسْتَصْرخهم سعد بن أبي وقّاص، استشهد بقوَّة ربيعة، وما تأتي به من العَجَب في فِعالها، فقال:" لله دَرُّ ربيعةَ! أيَّ فَرْيٍ يَفْرُون! وأيَّ قِرْنٍ يُغْنون، هل يوصَل إلى مَوَاقِفهم؟"[3].

وبَكر بن وائل بقيادة المُثنّى هُم من أَنْقذوا المسلمين يوم الجِسْر[4] سنة (١٣هـ) ، وقد نالت منهم فِيَلة الفُرس، وكاد الفيل يطأ جَسَد القائد أبي عُبَيد بن مسعود الثَّقفيّ، فتَتَابع أمراءُ أبي عُبيد الثَّقفيّ الَّذين عَهِد إليْهِم، كُلُّهم يأخذ اللِّواء، فيُقَاتل حتَّى يموتَ، وصَبَر النَّاس حتَّى قُتلوا، وصارت الرَّاية إلى المثنَّى بن حارثة، فَجَاش بها النَّاس سَاعةً، ثمَّ انهزم النَّاس وركِبَهم المشركون، ثُمَّ حمل المثنَّى في سَبْعين من بَكر بن وائل أصحابِ خَيْلٍ مُقَرَّحة كان يُعِدُّها للطَّلب وللغَارَة، فقَاتَلهم حتَّى ارتَفَع عَنْهُم المشرِكُون، فانضمُّوا إلى إِخْوانهم مِنَ المسلمين[5].

(١) تاريخ الطّبري: ٤٨٧/٣.

(٢) كنز العمّال: ١١٠/١٧.

(٣) تاريخ الطَّبريّ: ٥٣٩/٣.

(٤) يوم الجسر: كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة، ويُعرف أيضاً بيوم قُسّ النَّاطف، وكان من حديثه أنَّ أبا بكر ﷺ أمر خالد بن الوليد وهو بالعراق بالمسير إلى الشَّام لنَجدة المسلمين ويخلِّف بالعراق المثنَّى بن حارثة الشَّيبانيّ، فجمعت الفرس لمحاربة المسلمين، وكان أبو بكر قد مات، فسيَّر المثنى إلى عمر بن الخطاب ﷺ يعرِّفه بذلك، فندب عُمر النَّاس إلى قتال الفُرس، فهابوهم، فانتدب أبا عُبيد بن مسعود الثقفي والد المختار بن أبي عبيد في طائفة من المسلمين، فقدموا إلى بانِقْيَا، فأمر أبو عبيد بعَقْد جسر على الفرات، ويقال: بل كان الجسر قديماً هناك لأهل الحيرة يعبرون عليه إلى ضِياعهم، فأصلحه أبو عبيد وذلك في سنة ٣١ للهجرة وعبر إلى عَسْكر الفُرس (معجم البلدان: ١٤٠/٢).

(٥) الرَّوض المِعطار : ١٧٩/١.

ولّما كتب الْحَكَمُ بْنُ عَمْرٍو الْغِفَارِيُّ إِلَى مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى خُرَاسَانَ أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ جَاشَهُ ، كَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةُأَنِ اجْعَلْ مَنْ يَلِيهِمْ بَكْرَ بْنُ وَائِلٍ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ : "إِنَّ الْمُشْرِكِينَ لا يَظْهَرُونَ عَلَى بَكْرِ ابنِ وَائِلٍ "[1].

ولبكر بن وائل شرف الهجرة مع المسلمين، فقد جاء في أسد الغابة، وغيره:" هَاجَرَ من بكرِ بن وائل أربعةُ رِجال؛ رجلان من بني سَدُوس : أَسود بنِ عبد الله من أهل اليمامة، وبَشِير بن الخصَاصية وعَمرو بن تَغلب من النَّمر بن قاسط، وفُرات بن حيَّان من بني عِجْل "[2].

رجال بكر بن وائل، وتأثّرهم بالإسلام:

حين نقرأ في كتب التَّاريخ أنَّ رجلاً من بكر بن وائل اسمه المُثنَّى بن حارثة الشَّيْبانيّ فتح العِراق، وكان في طليعة القُوّاد العَرب، نحسب لهذه القبيلة شيئاً من العَظَمة في تاريخها الإسلاميّ، ولكنّنا حين نقرأ أنَّ رجلاً من بكر أيضاً هو مذعور بن عديّ نافس المثنّى البَكْريّ على هذا الشّرف لا يُمكننا إلَّا أن نتهيّأ لمعرفة رجالٍ شُرفاء بصموا في تاريخ أمّتهم، وسجَّلوا في قِرطاسها ما تيقَّنوا أنَّه واجبٌ عليهم، فيذكر الطّبريّ في تاريخه:" وقَد زَعَمتْ بنو عِجْلٍ أنَّه كَان خرج مع المثنَّى بن حارثة رجلٌ منهم، يُقال له: مَذْعُور بن عَدي، نَازع المثنَّى ابنَ حارثة، فتكَاتبا إلى أبي بكر ؛ فكتب أبو بكر إلى العِجْليِّ مِصر ، فشَرُف بها وعَظُم شأنه ، فدارُه اليوم بها مَعْرفة "[3]

وإذا ما عُدَّ رجال بكر بن وائل كان ثُمامة بن أُثال الحَنَفِي في صدارتهم، ذلك أنَّه كان أسيراً في بداية أمره ، ثُمَّ أَسْلم وحَسُن إسلامه، فكان من السَّبّاقين، والثَّابتين على دينه حين ارتدَّ قومه، ووقف في وجه مُسيلمة مدافعاً عن الإسلام الّذي طالما عانده، وازورّ عنه.

وقِصَّة إسلامه رواها السُّهَيلي: قال "خَرَجت خيلٌ لرسول الله ﷺ ،فأخذت رجلاً من بني حنيفة لا يشعرون من هو حَتَّى أَتَوا به رسول اللهﷺ،فقال: أتدرون من أَخَذْتُم؟ هذا ثُمامةُ بنُ أُثالٍ الحَنفِيُّ، أَحْسِنوا إِسَاره؛ ورجع رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال " اجْمَعوا ما كان عندكم من طعام، فابعثوا به إليه" وأمر بِلِقْحَته أن

(١) الآحاد والمثاني: ٣/٢٥٠(دار الرّاية).

(٢) أسد الغابة: ١/٢٣١، ٤/١٨٩.

(٣) تاريخ الطّبري: ٣/٣٤٥.

يُغدى عليه بها ويُراح، فجعل لا يقع من ثمامة موقعاً، ويأتيه رسول الله ﷺ، فيقول " أَسْلِم يا ثُمامة " فيقول إيْهاً يا محمَّد! إنْ تَقْتُل تَقْتُل ذا دَمٍ، وإنْ تُرِدِ الفِداء، فَسَل ما شِئت، فمكث ما شاء الله أن يمكث ثم قال النَّبيُّ يوماً: " أَطْلِقوا ثُمامة " فلمَّا أَطْلَقوه خرج حَتَّى أَتى البَقِيع ، فتطهَّر، فأحسن طُهُوره، ثُمَّ أقبل فبايع النبيﷺ على الإسلام، فلمَّا أمسى جاؤوه بما جاؤوه بما كانوا يأتونه من الطعام، فلمْ يَنل منه إلا قليلاً، وباللِّقْحة[1] فلم يُصب من حِلابها إلا يسيراً، فعَجِب المسلمون من ذلك، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك " مِمَّ تعجبون؟ أمن رجلٍ أكَل أوَّل النَّهار في مِعًى كَافرٍ، وأكل آخر النَّهار في مِعًى مُسلم. "إنَّ الكافر يأكلُ في سَبعة أَمْعاء وإنَّ المسلم يأكل في مِعًى واحد "[2]،ولمَّا خرج ثُمامةُ مُعْتمراً، حَتَّى إذا كان ببطنِ مَكَّة لبَّى، فكان أوَّلَ مَن دخل مكَّةَ يُلبِّي، فأخذته قريش، فقالوا: "لقد اخترت علينا، فلمَّا قَدَّموه ليضْرِبوا عنقه، قال قائلٌ منهم: دعوه، فإنَّكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم، فخلَّوه، فقال الحنفي في ذلك: [الطَّويل]

ومِنَّا الَّذِي لَبَّى بِمَكَّةَ مُعْلِناً بِرَغْمِ أَبي سُفْيَانَ في الأَشْهُرُ الحُرُمْ[3]

وتحقيقاً لصدق إسلامه، وتبياناً لتأثّره بدينه أَسْهم في حِصار قريش حين أصرّت على شركها، وقال لهم: " لَا وَاللهّ لَا تَصِلُ إلَيْكُمْ حَبّةٌ مِنْ الْيَمَامَةِ حَتّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللهّ ﷺ". ثُمّ خَرَجَ إلَى الْيَمَامَةِ ، فَمَنَعَهُمْ أَنْ يَحْمِلُوا إلَى مَكّةَ شَيْئًا ، فَكَتَبُوا إلَى رَسُولِ اللهّ ﷺ:" إنّك تَأْمُرُ بِصِلَةِ الرّحِمِ وَإِنّك قَدْ قَطَعْت أَرْحَامَنَا ، وَقَدْ قَتَلْت الْآبَاءَ بِالسّيْفِ وَالْأَبْنَاءَ بِالْجُوْعِ"، فَكَتَبَ رَسُولُ اللهّ ﷺ إلَيْهِ أَنْ يُخَلّي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَمْلِ(٤). ثمّ أصبح ثُمامة عاملاً للرسول على " حَجْر[5] اليمامة" . وقد أرسل إليه الرّسول فيما بعد يأمره بقتل مسيلمة[6]. وقال ناصحاً قومه: إيَّاكُم وأمْراً مُظلماً لا نُورَ فيهِ، وإنَّه لَشَقاءٌ كَتَبه الله ﷻ على مَنْ أخذ بهِ مِنْكم، وبَلاءُ مَنْ لم يأخذْ به منكم يا بني حنيفة[7].

(١) اللِّقحة: النَّاقة الحلوب، الغزيرة اللّبن.

(٢) صحيح مسلم: ١٦٣١/٣.

(٣) السّيرة النّبويّة: ٦٣٨/٢. والروض الأنف: ٥٠٢/٧.

(٤) السّيرة النّبويّة: ٦٣٨/٢. والروض الأنف: ٥٠٢/٧.

(٥) جاء في الرّوض المعطار ١٨٩: حجر: بفتح الحاء باليمامة، وهي منازل بني حَنيفة وبعض مُضر، وحجر من اليمامة على يوم وليلة.

(٦) أسد الغابة: ٤٧٨/١.

(٧) انظر الرّدّة للواقدي: ١٥٦ وما بعد.

ـ ومن الدَّاخلين في الإسلام والمتأثِّرين به فُرات بن حيّان العِجْليُّ، و كان في وفد قومه إلى رسول الله ﷺ، فأَسْلَمَ وحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَفَقُهَ فِي الدِّينِ، فأكْرَمَهُ النَّبِيّ ﷺ، فَأَقْطَعَهُ أَرْضًا بِالْيَمَامَةِ تُغِلُّ أَرْبَعَةَ آلَافٍ وَمِئَتَيْنِ[1].

وكان قد وقَعَ أَسِيْراً قَبْلَ إِسْلامِهِ حين بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَرِيَّةً لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ فِي مِئَةِ رَاكِبٍ لِيَعْتَرِضُوا عِيراً لقُرَيْشٍ، وَكَانَ دَلِيلَهُمْ فُرَاتُ بْنُ حَيَّانَ، فَأَصَابُوا الْعِيرَ، وَأَسَرُوا فُرَاتًا، فَأُتِيَ بِهِ رَسُولَ الله ﷺ أَسِيرًا، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأَطْلَقَهُ وَلَمْ يَقْتُلْهُ، فَلَمْ يَزَلْ يَغْزُو مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى أَنْ قُبِضَ فَتَحَوَّلَ، فَنَزَلَ الْكُوفَةَ وَابْتَنَى بِهَا دَارًا فِي بَنِي عِجْلٍ، وَعَقِبُهُ بِهَا[2]. وشَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بالإيمان، فقال: " إِنَّ مِنْكُمْ رِجَالاً نَكِلُهُمْ إِلَى إِيمَانِهِمْ مِنْهُمْ فُرَاتُ بْنُ حَيَّانَ"[3].

ولَمَّا جاء الله ﷻ بالإسلام وفد الفُرات بن حيَّان العِجْليّ الى النَّبيّ ﷺ فسأله عن العُقُود، فقال: " ما زَادَها الإسلامُ إلّا شِدَّةً"[4].

وقد شَهِدَ القادسيَّة، وكان من أهل الرَّأي والاجتهاد، وكان في وفود أهل العراق الّذين قدموا على عمر رضي الله عنه[5].

ـ ومن رجال بكر حَجَّارُ بن أَبْجر. كان نصرانياً، فَرَغِب في الإسلام، فأتى أباه فقال: يا أَبَه! إنِّي أَرى أقواماً قد دخلوا في هذا الدِّيْن ليس لهم مِثْلُ قِدَمي ولا مثلُ آبائِي فشرُفُوا، فأحبُّ أن تأذنَ لي فيه، قال: "يا بُنيَّ! إذا أَزْمَعتَ على هذا فلا تَعْجل حَتَّى أَقْدُم مَعك على عُمَر، فأُوْصِيَهُ بك، وإنْ كُنْت لابد فاعلاً، فخذْ منِّي ما أقول لك: "إيَّاك أن تكونَ لكَ هِمَّةٌ دُون الغاية القُصوى، وإيَّاك والسآمة، فإنَّك إنْ سَئِمت قذفَتْك الرِّجالُ خلف أعقابها، وإذا دخلت مِصْراً فأكثر من الصَّديق فإنك على العدو قادرٌ، وإذا حَضرت بابَ السُّلطان فلا تُنَازِعنَّ بَوَّابَه على بابه، فإنَّ أيسر ما يلقاك منه أن يُعَلِّقَك اسماً يَسُبُّك به النَّاس، فإذا وصلت إلى أميرك فبوِّئ لنفسك منزلاً يجمُل بك، وإيَّاك أن تجلِس مجلساً تُقَام منه، أو أن تجلس مجلساً يُقصِّر بك، فإن أنت جالست أميرك فلا تجالسه بخلاف هَواه، فإنَّك إنْ فعلت ذلك لم آمن عَليك- إن لم يُعَجِّل عُقوبتك- أنْ يَنْفِر قلبُه

(١) معرفة الصحابة: ٤/٢٢٩٣.
(٢) معرفة الصّحابة: ٤/٢٢٩٣.
(٣) سنن البيهقي: ٨/١٩٧.
(٤) المحبّر: ٣٢٩.
(٥) تاريخ الطّبري: ٣/٤٨٦.

عنك، فلا يزالُ منك مُنْقَبضاً، وإيَّاك والخُطَبَ فإنَّها مِشوارٌ كَثيرُ العَثَار، وإيَّاك أن تكونَ حُلواً فتُزْدَرَدَ، ولا مُرّاً فتُلْفَظ؛ واعلم أنَّ أمثلَ القومِ بقيةً الصابرُ عند نزول الحقائق، الذَّائدُ عن الحُرَم"[1]. فأسلم حجّار في عهد عمر ﷺ، وحسن إسلامه ، ومات في إمارة زياد على العراق سنة (٥٣هـ). وكان لحجّار بن أبجر كلّ الشّأن في إسلامه، وقد كان من أشراف أهل الكوفة.

ـ والنُّسير بن ثور العجليّ كَانَ من أَشْرَافِ بنى عِجْلٍ و فُرْسَانِ بَكْرِ بنِ وائلٍ، و مِنْ رؤوس أَصْحَابِ المثنَّى بنِ حَارثة، وله مُشَاركةٌ في حَرْبِ الجَمَل والفُتوح، وقد تولّى على هَمَذَان (من إمارة عثمان) بعد أن عُزِلَ يزيدُ بن قيس، ومات عثمان وهو على ولايته في همذان[2].

ـ والمثنى بن حارثة الشَّيبانيّ، وكان في قومه الّذين التقاهم الرّسول ﷺ، حين عرض نفسه على القبائل، وقد رفض أوّل الأمر الإسلام، وقال للرّسول قولاً طيّباً، :" **قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتَكَ، وَاسْتَحْسَنْتُ قَوْلَكَ يَا أَخَا قُرَيْشٍ، وَأَعْجَبَنِي مَا تَكَلَّمْتَ بِهِ، وَلَكِنْ عَلَيْنَا عَهْدٌ مِنْ كِسْرَى أَلَّا نُحْدِثَ حَدَثًا ، وَلَا نُؤْوِي مُحْدِثًا ، وَلَعَلَّ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي تَدْعُونَا إِلَيْهِ مِمَّا يَكْرَهُهُ الْمُلُوكُ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ نَنْصُرَكَ وَنَمْنَعَكَ مِمَّا يَلِي بِلَادَ الْعَرَبِ فَعَلْنَا**"[3].

ثُمّ لّما قدم مع وفد قومه سنة تسع أسلم، و كان من رموز الإسلام، وقادة الفتوح العظام إلى جانب قائد الفتوح خالد بن الوليد، **وكان** المثنى بن حارثة **الشيباني ممن حارب وانتصر في البحرين، وكان ممَّن أطمع أبا بكر والمسلمين في الفُرس، وهوَّن أمرهم عندهم، فاستأذن أبا بكر أن يغزو العراق[4]، فأذن له فكان يغزوهم قبل قدوم خالد، فتقدم نحو الخليج العربي، وأخضع القَطِيف، ثُمَّ قاد جيشه إلى دلتا الفرات وبلغ عدد جيشه ٨٠٠٠ مقاتل.**

وكان شَهما شجاعاً، مَيمونَ النَّقيبة، حَسَنَ الرَّأي، أبلى في قتال الفرس بلاءً لم يبلغه أحدٌ، ولما ولي عمر بن الخطاب ﷺ الخلافة سيَّر أبا عبيد بن مَسعود الثَّقفيّ والد المختار في جيش إلى المثنَّى، فاستقبله،واجتمعوا ولقوا الفرس "بقُسِّ النَّاطِف" واقتتلوا، فاستُشهد أبو عبيد وجُرح المثنَّى، فمات من جراحته يوم الجسر قبل القَادسيّة، وهو الذي أوصى أخاه المعنّى أن يزوج سَعد بن أبي وقاص امرأته سَلْمى بنتَ جعفر، وهي الَّتي

(١) الفاخر: ٢٤٧.

(٢) انظر ذلك في كتاب الرّدّة والفتوح والجمل: ٧٣.

(٣) معرفة الصّحابة: ٢٦٤١. والأنساب للسمعاني: ٦٦/١.

(٤) تاريخ الطّبري: ٣٤٤/٣.

قالت لسَعْدٍ بالقادسيَّة حين رأت من المسلمين جَولة : وامُثنَّياه، ولا مُثنَّى للخيل اليوم[1]! فلطَمَها سعدٌ، فقالت: أَغَيْرَةً وجُبْناً؟! فذهبت مثلاً. وكان المثنَّى كثيرَ الإغَارة على الفُرس، فكانت الأخبار تأتي أبا بكر ﷺ، فقال: من هذا الذي تأتينا وقائِعُه قبل معرفة نسبه، فقال قيس بن عاصم التّميميّ: أما إنَّه غيرُ خَامل الذِّكر، ولا مجهولُ النَّسب، ولا قليلُ العَدد، ولا ذليلُ الغَارة. ذلك المثنَّى بنُ حارثة الشَّيْبانيّ.[2]

ـ وبشير بن الخَصاصيَّة؛ يروي قصّة إسْلامه، فيقول: "أتيت النبي ﷺلأُبَايعه، فقلت: على ما تبايعني يا رسول الله، فمدَّ يَدَه، ثُمَّ قال: تشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له وأنَّ محمَّداً عبدُه ورسولُه، وتصلِّي الصَّلوات الخمس المكتوبة لوقتها، وتؤدِّي الزَّكاة المفروضة، وتصُومُ رمضان، وتحُجُّ البيتَ، وتجاهدُ في سبيل الله، فقلت: يا رسول الله لا أطيق إلا اثنتين، أمَّا الزَّكاة فما لي إلّا حَمُولةُ أهلي، وما يَقوون به، وأمَّا الجهاد فإنِّي رجلٌ جَبان فأخاف أن تجشَع نفسي، فأبوءَ بغضبٍ من الله، فقبض رسول الله ﷺ يده ثُمَّ قال: يا بَشير! لا جِهاد ولا صَدقة، فبم تدخل الجنة إذاً؟! قلتُ يا رسول الله: ابْسُط يَدَك أُبايعْك، فبايعته عَلَيْهن.[3] فحسن إسلامه، وروى عن النَّبيّ ﷺ، وشارك في معارك الفتوح، ومنها القادسيّة، حين استخلفه المُثنّى على النّاس ومعه وفود أهل العراق، وسَعْد بن أبي وقَّاص يومئذٍ بزَرُوْد[4]. وشهد نِهَاوند، وكان من الأربعة عشرَ رجلاً من أشراف الكوفة، الَّذين تسابَقوا لبناء فُسْطاط النُّعمان بن مقرّن، وكان معه: حُذَيْفة بنُ اليَمان، وعُقْبة بن عمرو، والمغيرة بن شُعبة[5].

ـ وممّن دخل الإسلام من بكر بن وائل وخلّد التّاريخ اسمه[6]: قُطْبةُ بنُ قَتادة الّذي أغار على البصرة، وفتح الأُبُلَّة، ومَجْزأةُ بنُ ثور الّذي بشَّر المسلمين بنفسه، وفتح الله على وجهه الأهواز، وشَقِيْقُ بن ثور الّذي ساد قومه أربعين سنة، وسُوَيْد بن مَنْجُوف[7] الّذي كان أعظمَ العربِ وِفادةً، وأحسنَهم شفاعةً، وخيرَ شريف قومٍ ليتيمٍ وأَرْملة.

(١) تاريخ الطّبري: ٥٤٢/٣.
(٢) أسد الغابة: ٥٥/٥.
(٣) تاريخ بغداد (تح: مصطفى عبد القادر عطا): ٢٩٧/١.
(٤) تاريخ الطّبريّ: ٤٨٦/٣.
(٥) تاريخ الطّبريّ: ١٢٩/٤.
(٦) انظر الانساب للسمعانيّ: ٧٦/١، ٧٧ .
(٧) الدّيباج: ١٥٤.

القسم الرَّابع: موقف بكر بن وائل من الرِّدّة:

١ـ ردَّة بني حنيفة، ومَعْرَكة اليمامة.

٢ـ استقواؤهم بالفرس، وسعيهم إلى إعادة مجدهم.

١ـ ردَّة بني حنيفة، ومَعْرَكة اليمامة.

أهميَّة اليمامة:

لليمامة أهميَّة كبيرة في تاريخ العرب والإسلام، فمنها انطلقت الفتوحات، وفيها بُنيت الحواضر؛ من المدينة المنوّرة إلى دمشق وبغداد، ذلك أنَّها تقع على هضبة نجدٍ الوسطى، وتمتاز بموقعها الجغرافيّ الّذي تجتازه طرقٌ مُتعدِّدة تَصِل بين أطراف الجزيرة العربيّة، إلى جانب تنوّع مواردها الاقتصاديّة ومصادرها المائيّة، ثمّ قربها من مكّة المكرّمة؛ مَهبط الوحي[١]. هذا وغيره فرض على بَني حَنيفة (سكّان اليمامة) الدُّخول في علاقات اقتصاديّة وسياسيّة ومُصاهرة مع بعض القبائل والدّول المجاورة، وتشكيل الأحلاف والعهود والالتزام بها.

وقد سكن اليمامة أقوامٌ وشعوب كثيرة، حتّى استقرّت حنيفة فيها، وأوّل من سكنها منهم عُبيد بن ثعلبة، حين ظَعنت بنو حَنيفة بنِ لجُيم بنِ صَعْب بنِ عَليِّ بنِ بكرِ بنِ وائل يتبعون الكلأ والماء، وينتجعون مواقع القَطْر والغَيْث، على السَّمت الذى كانت عبد القيس سلكت.فخرج منهم عُبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة ابن الدُّول بن حنيفة، مُنتجعاً بأهله وماله، حَتَّى هَجَم على اليمامة[٢]، وبدأت حَنيفة بالتّوسّع العمرانيّ والزّراعيّ، ثُمَّ إنَّ القومَ تَكَاثروا، وانتشروا في اليمامة حتَّى غدت حاضرَتهم ومَسْكَنَهم ومَوردَ رزقهم، وهو ما هيّأ لهم أن يسيطروا على منطقة جغرافيّة مهمّة على مختلف الأصعدة، إلى جانب امتلاكهم الثّروة والعدد، والقادة (من أسلم منهم ومن بقي على معتقده).

(١) للاستزادة انظر (ولاية اليمامة) د. صالح بن سليمان الوشمي: ٢٩.

(٢) معجم ما استعجم: ١٥٤/١.

ردَّة بَني حَنِيْفة:

يمكن أن نسجِّل أنَّ بكر بن وائل دخلت الإسلام سنة تسعٍ للهجرة؛ أي بعد قدوم وفدهم إلى رسول الله ﷺ، ثُمَّ سُرعان ما انقلب القوم على أعقابهم بوفاة النّبيّ ﷺ سنة (١٠) للهجرة باستثناء بعضهم ممَّن وجد الإيمانُ موطئاً له في قلبه، وهذا يعني أنَّ بكراً ولا سيَّما حَنيفة منهم قد تشرَّفت بالإسلام عاماً واحداً على أقلِّ تقدير، وهي فترة لا تكفي لمعرفة مبادئ الإسلام وقيمه، والإحاطةِ به إحاطةَ السّوار من المعصم، ناهيك عمَّن وقفوا عُمُرَهم على انتهاز الفُرص المواتية، وتصيُّد الأوقات السّانحة للارتداد، فكان بنو حنيفة وجهةَ المرتدّين، وقد جعلوا من مُسيلمة الحَنَفيّ نبيّاً لهم، ومُلهماً لمن وجد في الإسلام قيداً ينوء به كاهله.

وكانت اليَمامةُ مرتعاً خصباً، وأرضاً صالحة للبِذار، وفيها بذر مُسيلمة حَبَّه عسى أن يحصدَ القوم نتاجهم بعد حين.

ويمكننا أن نسجِّل أيضاً أنَّ بذور ردَّة حنيفة غُرِسَت قبل أن يكون ثمَّة إسلام في خواطرهم، وليس أدلّ على ذلك من تهيّب القوم أو شُعُورهم بشيء من نقص العقيدة حين وفدوا على رسول الله ﷺ وقد ستروا مُسيلمة في رحالهم، وادّعوا أنَّهم خلَّفوه في رحالهم يقوم على شؤونها، وكأنَّهم قد أعدّوا شيئاً من الرَّفض المسبق لما هم مقبلون عليه، فما لبثوا أن احتشدوا خلف مُسيلمة إثر عودتهم من عند النّبيّ ﷺ. وممّا أسهم في نجاح مُسيلمة في إقناع قومه ما قدَّمه بين أيديهم من حِيلٍ على أنّها معجزات من الله ﷻ، فكان يَلْتَمِسُ تعلُّم الحِيَل والنِّيرَجَات[١]، واختياراتِ النُّجُوْمِ والمتَنَبِّئين، وقد كان أحكَمَ حِيَل السّدَنَةِ والحُوَّاءِ[٢] وأصحابِ الزَّجْر والخَطِّ ومَذْهبَ الكَاهنِ والعَيَّاف[٣] والسَّاحِر، وصَاحَبَ الجنّ الذي يَزْعم أنَّ مَعَه تَابِعَهُ[٤].

(١) النَّيرج: المِدْوَسُ الذي يُداسُ به الطعام حديداً كان أَو خشباً، والنِّيرَجُ أُخَذٌ تُشْبِه السِّحْرَ وليست بحقيقته ولا كالسِّحْر. إنما هو تشبيه وتلبيس (لسان العرب: [ن ر ج]، ٣٧٦/٢). والنَّيرجات: كلمة فارسيّة تعني الشّعبذة (مثل الشَّعوذة).

(٢) الحوّاء: نبتٌ يُشبه لون الذّئب، واحدته حُوَّاءة. والحوّاء: أرض تُستخرج منها الحيّات. والعرب تقول: وعَرَم الحوَّاء: إذا استخرج الحيَّة، كأنَّه يُقْسم عليها (المحكم والمحيط الأعظم: (ع ز م، ٣٣٣/١).

(٣) العَائِفُ: الذي يَعيفُ الطير فيَزْجُرُها وهي العِيافة. وفي الحديث العِيافة والطَّرْق من الجِبْتِ (سنن البيهقي:٨/ ١٣٩) والعِيافة زجْرُ الطير والتفاؤل بأَسمائها وأَصواتها ومَمَرِّها. وهو من عادة العرب كثيراً وهو كثير في أَشعارهم (لسان العرب: [ع ي ف]، ٢٦٠/٩).

(٤) انظر الحيوان وما سَاقَه الجاحظ من قِصَص: ٣٧٠/٤. والكامل في التّاريخ: ٢٢٠/٢. وآثار البلاد وأخبار العباد: ١٣٤.

ثُمَّ إنَّ أموراً كثيرةً وقفت إلى جانب مُسيلمة في ادِّعائه النُّبوَّة، وسيطرته على اليمامة، منها:

١ـ أنَّ تنبُّؤه كان في السَّنة العاشر للهجرة، وهي السّنة الّتي مرض فيها الرّسول ﷺ ، وتُوفي فيها.

٢ـ خُلو بني حنيفة في هذه الفترة من الزَّعامة المؤثِّرة، فَهَوْذةُ الحنفيّ ملك اليمامة مات عام الفتح (٨ هـ)[١].

وثُمامة بن أُثالٍ الحنفي ظلَّ إلى جانب الرَّسول ﷺ والمسلمين، فضعُف بذلك مركز ثُمامة عند قومه.[٢] إلى جانب اعتماد مُسيلمة على الرَّجَّال بن عُنْفُوة، ومُحَكَّم بن الطُّفيل،وهما من سادات أهل اليمامة، وقد ادّعى أنَّهما يشهدان أنَّ النّبي ﷺ قد أشركه معه في النُّبوّة.[٣]

٣ـ انتشار الإسلام بين القبائل بعد فتح مكّة، وخشية بني حنيفة أن يُسحب بساط التّجارة والاقتصاد والزَّعامة من اليمامة. ويؤيِّد هذا ما ساقه ياقوتٌ الحموي من أنَّ مُسيلمة لَمَّا تنبَّأ في الهدَّار كاتبه قومه واستجلبوه وأنزلوه حَجْراً .[٤]

(١) الطّبقات الكبرى: ٢٦٢/١.

(٢) ولاية اليمامة: ٦٢.

(٣) الرّدّة للواقدي: ١٠٨.

(٤) معجم البلدان: ٣٩٤/٥.

مَعْركةُ اليَمامة:

إذا كانت جملةٌ من الأسباب كثيرةٌ دَعت مُسيلمة إلى التَّنبؤ، وقد رأى من مرض الرَّسول ﷺ فرصة سانحة لنشر الارتداد، فإنَّ الرَّسول ﷺ لم يكن ليشغله مرضه عن أمر خطير مثل هذا، وهو الَّذي بُعث ﷺ لنشر ديانة الإسلام، وكرّس لذلك حياته، فسارع ﷺ يَكتبُ إلى بعض عمَّاله في اليمامة في أمر مُسيلمة، وكان ممَّن كتب إليهم عَمْرو بنُ المحْجُوب العَامِريّ يأمره بالجدّ في قتال أهل الرِّدَّة[1]، وأرسل إلى ثُمامة بن أُثال في قتال مُسيلمة وقتله.

ولمّا انتقل رسول الله ﷺ إلى الرَّفيق الأعلى، أخذ أبو بكرٍ الصّدّيق ﷺ على عاتقه إكمال ما بدأ به المصطفى، ولا سيَّما أنَّ ردَّة اليمامة كانت من أعظم الرّدّات، والقضاءَ عليها سيكون قضاءً على حركة الرِّدّة إلى حدٍّ ما، وقد بلغ عدد مقاتلي اليمامة قرابة الأربعين ألفاً[2]، إلاّ أنَّ في اليمامة مَنْ ظلَّ على إسلامه، وثبت على دِينه، ومنهم: فُرات بن حيَّان العِجْليّ الّذي أرسله الرّسول ﷺ إلى ثُمامة في أمر مُسيلمة وقتله، ومُرَّة بن ضَابئ اليّشْكُريّ، وقد كان عزيزاً باليمامة، وأبوه سيّد يشكر، و منهم ثُمامة بن أُثال الحَنَفيّ ومن اتَّبعه من قومه، وما فتئ ثُمامة ينهى قومه عن اتِّباع مُسيلمة وتصديقه، ولمّا عَصَوه وأصفقوا على اتِّباع مُسيلمة عزم على مفارقتهم[3].

فانقسم النَّاس في اليمامة فئاتٍ ثلاثاً على ما ذكره صُهْبان بن شِمْر الحنفيّ في كتابه الّذي رفعه إلى أبي بكر ﷺ:" إنَّ النَّاس قبلَنا ثلاثةُ أصناف؛ كافرٌ مَفتون، ومُؤْمنٌ مغبون، وشَاكٌّ مَغْمُوم"[4].

ولمّا ضجَّ النّاس إلى أبي بكر ﷺ وقالوا: " يا خَليفةَ رسول الله! ألا تسمعُ إلى ما قد انتشر من ذِكر هذا الملعون الكذّاب بأرض اليمامة؟ قال أبو بكر ﷺ:" لا تَعجلوا فإنّي أَرْجو أن يكونَ اللهُ ـ تبارك وتعالى ـ قد أذن بهلاكِه".[5]

فوجّه أبو بكر خالداً إلى مُسيلمة، وأَوْعَب معه الناس(أخذهم جميعاً)، وعلى الأنصار ثابتُ بنُ قيس، وعلى المهاجرين أبو حُذيفة وزيد، وعلى القبائل على كل قبيلة رجلٌ، وتعجَّل خالدٌ، حَتَّى قَدم على أهل العَسْكر بالبِطَاح، وانتظر البَعْث الَّذى ضَرب بالمدينة، فلمَّا قدم عليه نهض حتَّى أتى اليمامة، وبنو حنيفة يومئذ كثير.

(١) انظر الإصابة: ٤٣٥/٧.
(٢) تاريخ الطّبري: ٢٨١/٣.
(٣) أسد الغابة: ٤٧٨/١.
(٤) الإصابة: ٢٩٢/٥.
(٥) الرّدة: ١١٢.

فسار خالد حتى إذا أظلَّ عليهم، و أسند خيولاً لِعَقَّة والهُذيل وزياد، وقد كانوا أقاموا على خَرْج أخرجه لهم مسيلمة ليلحقوا به سَجَاح، وكتب إلى القبائل من تميم فيهم، فنفروهم حَتَّى أخرجوهم من جزيرة العرب وعَجَّل شُرَحْبِيل بن حَسَنة، وفَعل فِعْل عَكرمة وبادر خالداً بقتال مسيلمة قبل قدوم خالد عليه فَنُكِب فَحَاجَزَ[1]، فلمَّا قَدم عليه خالدٌ لامه، وإنَّما أَسْند خالدٌ تلك الخيولَ مَخافة أن يأتوه من خلفه، وكانوا بأفنية اليمامة.

وكان مُسيلمة يُصانع كُلَّ أحدٍ ويتألَّفُه ولا يُبالي أن يطَّلعَ النَّاس منه على قبيحٍ، وكان معه الرَّجَّال بن عُنْفُوة، وكان قد هاجر إلى النبي ﷺ وقرأ القرآن وفَقِه في الدين، فبعثه مُعلِّماً لأهل اليمامة وليَشْغَب على مُسيلمة وليَشْدُد من أمر المسلمين، فكان أعظم فتنةً على بني حنيفة من مُسيلمة، شهد له أنه سمع محمَّداً ﷺ يقول إنَّه أشرك معه، فصدقوه، واستجابوا له[2].

ولمّا التقى الطّرفان، وكان مُسيلمة قد ضرب مُعسكره بعَقْرَباء[3]، أشهر بنو حنيفة سيوفهم، وضجّوا ضجّة، فقال خالد بن الوليد ﷺ :" أيُّها القوم، أَبْشِروا، فإنّ القوم مخذولون، إنْ شَاء الله تعالى، وإنّما سلّوا هذه السّيوف ليُرهِبُوكم، ولم يفعلوا ذلك إلاّ جزعاً وفشلاً "(٤). واستعرت الحرب بين الطّرفين، وقتل من المسلمين زهاء ثلاث مئة رجل، ومن حنيفة أضعافهم، وفي المساء رجع القوم بعضهم من بعض، وفي اليوم التّالي تقدّم مُحكّم بن الطّفيل وزير مُسيلمة شاهراً سيفه، وحمل على المسلمين، فقاتل قتالاً شديداً، فبرز له ثابتُ بنُ قيسٍ الأنصاريُّ، فطعنه في خاصرته طَعنةً نَكَسه عن فرسه قتيلاً. وصَاحت بنو حنيفة بعضها في بعض، وحَملوا على المسلمين حملةً مُنْكرة، فأزالوهم عن موقفهم، وقتلوا منهم نيّفاً على ثمانين رجلاً، وثبت خالدٌ وبعض المسلمين، فالتفت إلى المسلمين منادياً:"ويحكم يا قرَّاء القرآن، أَمَا تَخافون غَضَب الرَّحمن، وعَذابَ النِّيران، ويحكم يا أهلَ دِينِ الإسلام، أينَ القرآن ممّن يزعم أنَّه شريكُ نبيِّكم محمّد في نبوّته

(١) حاجز عدوّه: منعه.

(٢) تاريخ الطّبري: ٢٨٢/٣.

(٣) عقرباء: منزل من أرض اليمامة في طريق النّباج، قريبٌ من قرقرى (معجم البلدان: ١٣٥/٤). وفيها يقول ضرار بن الأزور:

ولَـــو سَـــأَلَتْ عَنّـــا جَنُـــوبٌ لأُخْـــبِرَتْ عَشِـــيَّةَ سَـــالتْ عَقْرَبـــاءُ ومَلْهَـــمُ

(معجم البلدان: ١٣٥/٤).

(٤) الرّدّة: ١٢٣.

ورسالته"(١)، فثاب إليه النّاس من كلّ جانب، واجتمعت آراء المسلمين أن يحملوا على بني حنيفة حملة رجل واحد، فاجتمعوا في مكان واحد، وحملوا عليهم، حتّى ردُّوهم إلى الحديقة، وبرز أبو دُجانة الأنصاري يرتجز:

أَنَـــــا سِـــــماكٌ وأَبُـــــو دُجَانَـــــه
لَسْـــــتُ بِـــــذِي ذُلٍّ ولا مَهَانَـــــه
ولا جَبَـــــانِ القَلْـــــبِ ذِي اسْـــــتِكَانَه
لا خَـــــيْرَ في قَـــــوْمٍ بِـــــدِيْنٍ خَانَـــــه(٢)

وصاح رجلٌ من حَنِيْفة: وَيْلكم يا مَعْشرَ بني حَنيفة، اعلموا أنَّ هذه الحديقة حديقةُ الموت(٣)، فقاتلوا أبداً حتّى تموتوا كراماً. واشتدّ الأمر على الطّرفين، ثمّ مال إلى المسلمين، وهنا برزت بوادر الانشقاق عن مُسيلمة، حين سأل بعضهم: "فأَيْن مَا وَعَدْتَنا من ربِّك أن ينصُرَنا على عدوّنا، وأنَّ هذا الدّين الّذي نحن فيه هو الدّين القيِّم" فقال: قاتلوا عن أحسابكم(٤)، فعلم القوم أنّهم كانوا في غرور وضلال، وجعل رجلٌ منهم يرتجز:

لَبِـــــئْسَ مَـــــا أَوْرَدَنَـــــا مُسَـــــيْلِمه
أَبْقَـــــى لَنَـــــا مِـــــن بَعْـــــدِنا أُغَيْلِمـــــه
ونِسْـــــوةً جَـــــرَا لهُـــــم مُنَيْنِمـــــه(٥)

ثمّ اقتحم المسلمون، فقاتلوا مُسيلمة وأصحابه، حتّى احمرَّت أرض الحديقة من الدِّماء، ونظر وَحْشِيُّ بنُ حَرْبٍ إلى مُسيلمة، وقد ألجأه المسلمون إلى جانب الحديقة، فقصده وحشيّ، وقصده رجلٌ من الأنصار هو

(١) الرّدّة: ١٢٩.
(٢) الرّدّة: ١٣٣.
(٣) قال البلاذري في البلدان وفتوحها عن محمّد بن ثمال اليماميّ:" سُمِّيت الحديقة بحديقة الموت لكثرة من قُتل بها، وقد بنى إسحاق بن أبي خميصة مولى قيس فيها أيّام المأمون مسجداً جامعاً، وكانت الحديقة تُسمَّى أباض" (البلدان وفتوحها وأحكامها للبلاذري: ١٠٩، ١١٠).
(٤) تاريخ الطّبري: ٢٩٤/٣.
(٥) الرّدّة: ١٣٥.

عبد الله بن زيد[1]، فبادره الأنصاريُّ بضربةٍ على رأسه فأوهَنَه، ثمّ عَاجَله وحشيّ بحربته في خاصرته، فمات.

وبلغ القتل في المشركين كُلَّ مبلغٍ، حتّى كان بعضهم يَتَماوت خوفاً من المواجهة، فقد حَدَّثَ الضحاك عن أبيه قال: "كان رجلٌ من بني عامر بن حَنِيْفة يُدعى الأغلبَ بنَ عامر بنِ حَنيفة، وكان أغلظَ أهل زمانه عُنُقا فلمَّا انهزم المشركون يومئذٍ، وأحاط المسلمون بهم تَماوت، فلمَّا أثبتَ المسلمون في القتلى أتى رجلٌ من الأنصار يكنَّى أبا بَصِيرة ومعه نفرٌ عليه، فلمَّا رأوه مُجَدَّلاً في القتلى، وهم يحسبونه قتيلاً قالوا يا أبا بَصيرة: إنَّك تزعم ـ ولم تزل تزعم ـ أنَّ سيفَك قاطعٌ، فاضْرِب عُنق هذا الأغلب الميِّت، فانْ قَطَعته فكُلُّ شَيءٍ كان يبلغنا عن سيفك حَقٌّ، فاخْتَرطَه، ثُمَّ مَشى إليه ولا يَرَوْنه إلَّا مَيِّتا، فلمَّا دنا منه ثار، فَحَاضَره واتَّبَعه أبو بصيرة وجعل يقول: أنا أبو بَصيرة الأنصاريّ، وجعل الأغلبُ يَتَمَطَّر[2] ولا يزداد منه إلَّا بُعداً، فكلَّما قال ذلك أبو بصيرة قال الأغلب: كيف ترى عَدْوَ أخيك الكافر! حتى أفلت"[3].

ثُمَّ أقبل مُجَّاعة بن مُرارة الحَنفيّ على خالد ﷺ، يعرض عليه الصُّلح على من وراءه، وكان مُجَّاعة قد أمر النِّساء أن يَنْفُشْنَ شعورهن، وأن يتقلَّدن سيوفهن، وكان قد أعدَّ الحصون والقلاع، فتردَّد خالدٌ في الموافقة، فقال مُجّاعةُ:" فهلمَّ أصالحْكَ عن قومي لرجلٍ قد نَهكته الحربُ، وأُصِيب معه من أشراف النَّاس مَنْ أُصيب"[4]، ثمّ صالحه على اليمامة على ما ظهر من الصّفراء والبيضاء من الذَّهب والفِضّة، وعلى ثُلُث الكُرَاع، ورُبع من السَّبي[5]. ولَمَّا فَرِغا من الصُّلح، فُتِحت الحُصُون، فإذا ليس فيها إلَّا النِّساءُ والصِّبيان، فقال خالدٌ لمُجَّاعة: ويحكَ خدعتني! قال: قومي! ولم أستطعْ إلَّا ما صنعت[6].

وبعد ذلك خطب خالدٌ إلى مُجَّاعة ابنته، وتزوَّجها في أرض اليمامة، ما أثار غضب الخليفة أبي بكر.

---

(١) هو عبد الله بن زيد بن عاصم بن ليث الأنصاري، من بني النّجّار، شهد بدراً، وكان مسيلمة قتل أخاه حبيب بن زيد (الإصابة: ٤٥٧/٢).

(٢) يتمطّر: يُسرع في عدوه، وأصله في الخيل.

(٣) تاريخ الطَّبريّ: ٢٩٥/٢، ٢٩٦.

(٤) تاريخ الطّبريّ: ٢٩٧/٣.

(٥) انظر الرّدة: ١٣٩. وتاريخ الطّبري: ٢٩٥/٣، ٢٩٦.

(٦) تاريخ الطّبريّ: ٢٩٨/٣.

وقد بعث خالدُ بن الوليد وفداً من بني حنيفة إلى أبي بكرٍ ﷺ، فقدِموا عليه، فقال لهم أبو بكر: ويْحَكم ما هذا الذي استَزَلَّ منكم ما استَزَلَّ! قالوا يا خليفةَ رسول الله! قد كان الَّذي بلغَك ممَّا أَصَابنا، كان أمراً لم يُبارك الله ﷻ له ولا لعشيرته فيه، قال: على ذلك، ما الَّذي دعاكم به؟ قالوا :"كان يقول يا ضِفْدعُ نِقِّي نِقِّي لا الشَّاربَ تمنعين، ولا الماءَ تُكَدِّرين، لنا نِصفُ الأرض، ولقُريشٍ نِصفُ الأرض، ولكنَّ قُريشاً قومُ يعتدون[1].

وكان عديد من قُتل من بني حنيفة في عَقْرَباء (أوّل ما التقى الطّرفان) سبعة آلاف، وفي حديقة الموت سبعة آلاف.

ويمكن القول: إنَّ معركة المسلمين مع بني حَنيفة مرّت بخمس مراحل، كما صنّفها د. إحسان صدقي العمد[2]:

١ـ تسرُّع عكرمة بن أبي جهل، وشُرَحبيل بن حسنة في مواجهة بني حَنيفةَ قبل وصول خالد بن الوليد، وهزيمة قوّاتهما على يد مُسيلمة.

٢ـ التَّريُّث والتَّمهيد بإرسال الطَّلائع للوقوف على مدى قوَّة العدو.

٣ـ شَنُّ حربٍ إعلاميّةٍ نفسيّةٍ للنيل من الرُّوح المعنويّة لبني حنيفة.

٤ـ الاشتباك المُسلَّح بين الجانبين في موقعة عَقْرَباء.

٥ـ القَضاءُ على القوَّة الباقية لبني حَنيفة في موقعة حديقة الموت.

ولعلَّ من أبرز نتائج معركة اليمامة[3]:

١ـ إقدام أبي بكر ﷺ على جمع القرآن الكريم، لما رأى من القتل الكثير في حفظة القرآن، فأقبل النَّاس بما كان معهم وعندهم، فكان أبو بكر أوَّل من جمع القرآن في مصحف[4].

٢ـ توطين بعض بطون من القَبائل العربيَّة في الأماكن الّتي آلت إلى الخلافة الإسلاميّة بموجب عقد الصّلح بين خالد وأهل اليمامة، وتكمن وراء ذلك التّوطين أمورٌ عدة، منها:

(١) تاريخ الطّبري: ٣/٣٠٠.

(٢) حركة مسيلمة الحنفيّ: ٥٥.

(٣) ولاية اليمامة: ٨٨، ٨٩.

(٤) المغازي لموسى بن عقبة: ٣٤١.

١ـ الحرص على إعادة اليمامة إلى حظيرة الإسلام، ويؤيّد ذلك أنّ أغلب من قطن اليمامة بعد الرِّدّة حافظت على إسلامها من الرِّدّة.

٢ـ استغلال الناتج الاقتصادي الغني لأرض اليمامة.

٣ـ كانت غنائم اليمامة من أوّل الغنائم الّتي تزوَّدت بها الخلافة في عهد أبي بكر، ولمّا تمّ الصُّلح أخرج خالدٌ سلاحاً كثيراً ودنانير ودراهم ووزن الذّهب والفضّة، وعزل خمس ذلك كلّه، وقدم به على أبي بكر.

٤ـ استخدمت طُرق اليمامة لتسيير الحملات العسكريّة، ومنها انطلق خالد بن الوليد إلى فتح العراق بأمر من الخليفة أبي بكر.(١)

٥ـ بناءً على نتائج اليمامة أصدر أبو بكر ﷺ أمراً بعدم الاستعانة بالمرتدِّين السّابقين في جيوش الفتح الإسلاميّ حتّى مات، ونصّ كتابه ﷺ: " أمّا بعد، فإنَّ أحبَّ مَن أدخلتم في أموركم إليَّ مَن لم يرتدّ، ومن كان ممّن لم يرتدّ، فأجمعوا على ذلك، فاتَّخِذوا منها صنائع، وائذنوا لمن شاء في الانصراف، ولا تستعينوا بمرتدّ في جهاد عدوّ"(٢).

ولم تكن ردَّة بني حنيفة آخر الرِّدَّات، وإن كانت أعظمها وأكثرها عدداً، فقد روى أنسُ بن مالك أنَّ نفراً مِن بَكر بن وائل ارتدُّوا عن الإسلام يوم تُسْتَر(٣)، فلحِقوا بالمشركين، فلمَّا فُتِحت قُتلوا في القتال، قال: فأتيتُ عُمر بفَتْحها، فقال: ما فعل النَّفَرُ من بكر بن وائل؟ فَعَرَضْت عن حديثه لأُشْغِله عن ذكرهم، فقال: لا، ما فعل النَّفر من بكر بن وائل، فقلت: قُتِلوا، قال: لأن أكونَ كُنتُ أَخذتُهم سِلْماً أحبُّ إليَّ ممَّا طَلعت عليه الشَّمسُ من صَفْراء وبَيْضاءَ، قلت: وهَل كان سَبِيْلُهم إلَّا القتلَ، ارتدُّوا عن الإسلام ولحقوا بالمشركين، قال: كُنت أعْرِضُ عليهم أن يدخلوا في الباب الذي خَرَجوا منه، فإن قَبِلوا قبلتَ مِنْهم، وإلَّا اسْتَوْدَعْتهم السِّجن(٤).

(١) تاريخ الطّبري: ٣٤٣/٣.

(٢) تاريخ الطّبري: ٣٤١/٣.

(٣) تُسْتَر: أعظم مدينة بالأحواز اليوم، فُتحت زمن عمر بن الخطّاب ﷺ (انظر معجم البلدان: ٢٩/٢)..

(٤) الاستذكار للنمريّ: ١٥٣/٧.

ورُوِيَ أنَّ عَلِيّاً ﷺ أخَذ رجلاً مِن بكر بن وائل تَنَصَّر بعد الإسلام، فعَرَض عليه الإسْلام شَهْراً، فأبى، فأمر بقتله[1]، وقيل هو المُستَوْرِدُ العِجْلِيُّ ارتدَّ عن الإسْلام ، فاسْتَتابه عليٌّ ﷺ ،فأبى أنْ يَتوبَ ، فقَتَله ، وقَسَّم مَاله من وَرَثته ، وأَمَر امرأته أنْ تَعْتدَّ أربعة أشهرٍ وعَشراً[2] .

٢ـ استقواؤهم بالفرس، وسعيهم إلى إعادة مجدهم

لا شكَّ أنَّ تصدّي خالد بن الوليد ﷺ لردَّة بني حَنيفة قد أدَّى إلى القضاء على جلِّ حركتهم، وهم أهل بأس وقوّةٍ، وقد قيل إنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ [الفتح: ١٦] يَعْنِي هَؤُلَاءِ الّذِينَ تَخَلّفُوا عَنْك فِي عُمْرَةِ الْحُدَيْبِيَةِ. ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [الفتح: ١٦]،قيل: هُمْ فَارِسُ وَالرّومُ، وَيُقَالُ: هَوَازِنُ، وَيُقَالُ: بَنو حَنِيفَةَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ[3]. لكنَّ بعضهم ما فتئ يدُسّ الدَّسائس، ويؤمِّل الأمُنيات لإعادة عزِّ بكر بن وائل ومجدها.

فنجد أنَّ خالداً حين فَرِغ من أمر اليمامة وبني حَنيفة وقتل مُسيلمة، أقام بأرض اليمامة ينظر أمر أبي بكر، وقد عزم أن يوجِّهه بجيشٍ من المسلمين إلى محاربة أهل البحرين، وكان من سبب أهل البحرين وارتدادهم عن دين الإسلام أنَّ نفراً من بكر بن وائل كانوا يُعادون قبائل عَبد القيس، وعبد القيس يومئذٍ على دينهم، مُتمسِّكون بالإسلام، لم يرتدُّوا مع من ارتدّ، وجعل هؤلاء الّذين ارتدّوا من بكر بن وائل يقول بعضهم لبعض:" تعالوا حتَّى نَردَّ المُلك في دار النُّعمان بن المنذر، فإنَّه أحقُّ بهذا الأمر من ابن أبي قُحافة"[4].

وعزموا على ذلك، فخرج نفرٌ من رؤسائهم وأهل الشّرف منهم، حتَّى قدموا على كِسرى ملك الفرس، فقال لهم: ما الّذي أقدمكم يا مَعْشرَ العرب؟ قالوا: أيُّها الملك! إنَّه قد مضى ذلك الرَّجلُ من العرب الّذي كانت قريشٌ وسائر مضر يعتزّون به، وقد قام بعده خليفةٌ له؛ ضعيفُ البَدَن، ضعيفُ الرّأي، وقد انصرف عامله إلى أصحابه، وبلاد البحرين ضائعةٌ ليس بها أحدٌ ممّن هو على دين الإسلام، إلاّ شِرذمةٌ من عبد

(١) الاستذكار: ١٥٤/٧.

(٢) مصنّف عبد الرّزاق: ١٠٥/٦.

(٣) المغازي: ٦٢٠/٢.

(٤) الرّدّة: ١٤٧.

القيس، وليس هم عندنا بشيء، ونحن أكثرُ خيلاً ورَجْلاً، ولو بعثت إلى البحرين رجلاً يأخذها، لم يكن أحدٌ يمانعها عليها"[1].

فوجّه كسرى معهم المنذرَ بن النُّعمان بن المنذر[2] وأمره بالمسير إلى البحرين مع بكر بن وائل، ومعهم أبو ضُبَيْعة؛ الحُطَمُ بنُ زيد، وظَبيان بن عمرو، ومِسْمَع بن مالك. وكلّهم من بكر بن وائل.

وهنا برز قائدٌ بكريٌّ فاتح لبلاد العرب والمسلمين اسمه المُثَنَّى بن حارثةَ الشَّيْبانيّ، فوقف في وجه قومه من بكر، وعَذَلهم في فعالهم، ونهاهم عمَّا قد عزموا عليه من قتال إخوتهم عبد القيس، وهدَّدهم بالمهاجرين والأنصار، وكتب إليهم: [الرَّمل]

طَـــالَ لَـــيْلِي لِتَمنِّـــي مِسْـــمَعٍ ... وابـــنِ ظَبْيـــانَ جَمِيْعـــاً والحُطَـــمْ
وغَـــزَوا خَـــنْفَس جُبْنـــاً مِـــنْهُمُ ... عَمْـــرَكَ اللهُ وحينـــاً للعَجَـــمْ
لَـــنْ تحِـــبَّ الفُـــرْسُ بَكْـــراً أَبَـــداً ... مـــا جَـــرَى البَحْـــرُ ومَـــا أَوْفَى إِضَـــمْ
بَعْـــدَ ذِي قَـــارٍ ولَـــولا صَـــبْرُكُمْ ... كُنْـــتُمُ مِثْـــلَ ثَمُـــوْدٍ أو إِرَمْ[3]

فلمَّا وصلت الأبيات إلى بكر جعل بعضهم يقول لبعض: " لقد حَسَدَنا المُثنّى بن حارثة على ثلاث خصال؛ على مُلك المنذر بن النّعمان، وعلى صُلْحِنا كِسرى، وعلى التَّوسُّع في البحرين، والله ما قبلنا ما أشار به علينا".

وتوسَّطت بكرُ بن وائلٍ أرض البحرين، واجتمعت عبدُ القيس إلى الجارود بن المُعلَّى العبديّ في أربعة أَلْف[4]، وكان عديد بكر بن وائل تسعة أَلف من الفُرس، وثلاثة ألف من العرب، فاقتتلوا قتالاً شديداً، حتّى دارت الدّائرة على بكر بن وائل، ثمّ اقتتلوا ثانيةً، فكانت الدّائرة على عبد القيس، ولمّا علمت عبد القيس أنّها لا طاقة لها بقتال بني بكر بن وائل انهزموا إلى حِصن بأرض هَجَر، يُقال له: جُوَاثى[5]، وأقبلت بنو بكر والفرس، وحاصروا الحِصن، ولمّا علم أبو بكر بحصار عبد القيس، واجتماع الفرس وبني بكر

(١) الرّدّة: ١٤٨.

(٢) هو المنذر بن النّعمان بن المنذر الرّابع بن المنذر بن امرئ القيس اللّخميّ، آخر المناذرة أصحاب الحِيرة في الجاهليّة، حكم ثمانية أشهر، وقتل في البحرين سنة (١٢ هـ). وكان يُسمى الغَرور (تاريخ الطّبري: ٣٠٣/٣).

(٣) الرّدّة: ١٥٠.

(٤) ألف وآلُف وأُلوف وآلاف بمعنى واحد.

(٥) جواثى أو جواثاء: قال ياقوت:" يُمدُّ وهو علم مرتجل، حصنق لعبد القيس بالبحرين، فتحه العلاء بن الحضرميّ، سنة ١٢هـ (معجم البلدان: ١٧٤/٢).

عليهم اغتمَّ غمّاً شديداً، فدَعا برجلٍ من المسلمين يقال له: العلاء بن الحَضْرميّ، وأمره بالتّوجّه إلى البحرين ونُصرة عبد القيس، وألاّ يمرَّ بحيٍّ من أحياء العرب إلاّ استنهض هممهم إلى قتال بني بكر بن وائل، وممّا قاله له:" فإنَّهم قد أتوا بالمنذر بن النُّعمان بن المنذر من عند كسرى ملك الفرس، وقد عقدوا التّاج على رأسه، وقد عزموا على إطفاءِ نور الله، وقتلِ أولياء الله، فَسِرْ، وقل: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله"[(١)]. فكتب العلاء إلى من أقام على إسلامه، فسار حتّى صار بأرض اليمامة، فاستقبله ثُمامة بن أُثالٍ الحَنَفيُّ، وكان ممّن ثبت على دينه ولم يرتدّ، وسأله العلاء أن ينضمّ وقومه من حَنيفة إلى قتال أبناء عمومتهم البكريين، فقال له ثُمامة: " ويحك يا علاء! أنت تعلم أنَّ قومي قريبٌ عهدهم بالرِّدَّة مع مُسيلمة الكذّاب، وما أظنّهم يجيبون إلى ذلك" . وجال ثُمامة جولةً مع قومه عَسى أن يقنعهم بالقتال، وأن يُكفِّروا عن ذنبهم حين ارتدوّا عن الإسلام، ونصروا مُسيلمة في ادّعائه، فرفضوا، فقال لهم: " وَيْحكم يا مَعْشر بني حَنيفة، ليس الأمرُ فيما ذكرتم من هَتْك حَرِيمكم، وسَفْكِ دِمائكم، وذَهَاب أموالِكم، فذلك بما كان من كُفْركم ورُجُوعِكُم عن دين الإسلام، وخُرُوجِكم مع مُسيلمة الكذّاب، تَضْربون وجوه المهاجرين والأنصار، فأنزل بكم خالدُ بن الوليد ما أنزل من الذّلّ والصَّغار، والعلاء بن الحَضرميّ في وقته هذا إنَّما يدعُوكم إلى نصرة الإسلام، وليس القياس فيما ذكرتم بسواء، وأنا والله ماضٍ معه، غيرُ راغبٍ بنفسي عنه"، فأجاب إلى ما دعاهم إليه ثمامة نفرٌ من بني حنيفة، فسار بهم حتّى توسّط أهل البحرين، وكانت كُتب سائر بكر بن وائل قد وصلت إلى العلاء تعاهده القيام بأمر الله، فأمن بذلك ظَهره[(٢)]، وما خشيه من غدر ومكر، فوصل العلاء وثُمامة إلى الرَّدْم[(٣)]، فقُتِل أَبجرُ بن بُجير العِجْليّ، وانهزمت بكرُ بن وائل، فلحقوا بالبراري والفَلَوات هائِمين من سيوف المهاجرين والأنصار[(٤)].

وما كانت بكر بن وائل لتستنجد بالفرس إلَّا لما تعلمه من صلةٍ وثيقةٍ تربطها بالفرس منذ الجاهليّة، فنجد أنَّ أحد أمراء الفرس أوّل ما يُكاتب من العرب بكرَ بن وائل، وهو الآزاذمر حين بعث قابوس بن قابوس بن المنذر إلى القادسية وقال له: ادعُ العرب فأنت على من أجابك وكن كما كان آباؤك – يعني المناذرة الذين

(١) الرّدّة: ١٤٥.

(٢) تاريخ الطّبري: ٣/٣١٠.

(٣) الرَّدم: موضع بالبحرين.

(٤) الرّدّة: ١٦٥.

كانوا ولاة الفرس – فنزل القادسيَّة، وكاتب بكرَ بن وائل بمِثْل ما كان النُّعمان يُكَاتبهم به مُقاربةً ووعيداً[1].

ويمكن القول: إنّ ردّة البحرين الّتي أشعلت فتيلَ نارها بطونٌ من بكر بن وائل، وردّةَ حنيفة في اليمامة كانتا المطرقة الّتي كسرت جبروت الكفر عند من ارتدّ من بكر أو من ظلّ على كفره وشركه، حتّى انتقل القوم إلى مرحلة جديدة من عهد الإسلام، هي مرحلة الفتوح داخل وخارج الجزيرة العربيّة. وكان لبكر بن وائل، ولا سيَّما بنو شيبان منهم، شأنٌ عظيم في هذه المرحلة، وقد برز فيهم المثنّى بن حارثة الشَّيبانيّ. وكان أوَّل قوّاد الفتوح، وقد اختاره أبو بكر ﷺ لمثل تلك الحروب الخارجيَّة؛ ذلك أنَّه ألِف الحرب بين العَرب والعَجم، وقد كانت ربيعة من بَني شيبان قد سكنت العراق من قحطٍ أصابهم، ثُمَّ أتت الجزيرة، وسكنت اليمامة.

وبرز في معارك الفتوح رجالٌ من حَنيفةَ وعِجْلٍ في مناسبات، وغابوا عنها في مواضع أخرى، ما دعا الطّبريّ في تاريخه إلى النَّصّ على تغيّب بعضهم عن المعارك، ففي فتح نِهاوند يقول:" ولم يَشْهد نِهاوند عِجْليٌّ ولا حَنَفِيّ"[2].

وبرز إلى جانب المثنّى بن حارثة سُويد بن قُطبة العِجْليّ في فتوحاته، وقد أُعجب أبو بكر الصّدِّيق ﷺ بالمثنَّى، ولم يكن قد رآه بعد، فكانت الأخبار تأتي أبا بكر ﷺ، فقال: من هذا الذي تأتينا وقائِعُه قبل مَعرفة نسبه، فقال قيس بن عاصم: أما إنَّه غيرُ خَامل الذِّكر، ولا مجهولِ النَّسب، ولا قليلِ العَدد، ولا ذليلِ الغَارة. ذلك المثنَّى بن حارثة الشَّيبانيّ.[3] فأرسل إليه أبو بكر، وجعله رئيساً على قومه بني شيبان، وقد كانوا خيرَ نصيرٍ له ومُعين، وبعث إليه بخِلْعَةٍ ولواء، وأمره بقتال الفرس، بعد أن استأذنه المثنّى بذلك[4]، على أن يقدم عليه خالدٌ بعد فراغه من حرب المرتدّين، فكان المثنّى يقاتل الفُرس من ناحية الكوفة وما يليها، بينما ضمّ إلى سويد بن قُطبة العِجْليّ جيشاً ووجّهه إلى نحو البصرة.

(١) تاريخ الطّبريّ: ٤/٤٨٩.

(٢) تاريخ الطّبريّ: ٤/١٤٦.

(٣) أسد الغابة: ٥/٥٥.

(٤) الكامل في التّاريخ: ٢/٢٣٨.

القسم الخامس: مواقفهم من أحداث الفتنة الكبرى:

١ـ معركة الجمل.

٢ـ معركة صفِّين.

١ـ معركة الجمل:

بعد مَقتل الخليفة عثمان بن عفَّان ﷺ، وما كان من الفتنة، ومُطالبة مُعاوية بن أبي سفيان بدم الخليفة المقتول، كانت وقعة الجمل أُولى الوقائع بين عليٍّ ﷺ وعائشة رضي اللهُ عنها.

وقد نهض بالحرب طَلْحةُ بنُ عُبَيد الله والزُّبَير بن العوّام، فسار طلحة والزبير إلى مكَّة، وابنُ عامرٍ بها قد قدم من البصرة[١]، فاجتمعوا عند عائشة فأداروا الرَّأي، فقالوا: نمشي إلى المدينةِ، فنقاتل عليّاً. فقال بعضهم: ليست لكم بأهل المدينة طاقةٌ، قالوا: فنسير إلى الشام ففيه الرِّجالُ والأموال وأهل الشَّام شِيْعةٌ لعثمان؛ فنطلب بدمه ونجد على ذلك أَعْوانا وأنصاراً ومُشَايعين. فقال قائل منهم: هناك مُعاوية وهو والي الشَّام والمطاع به، ولن تنالوا ما تريدون، وهو أولى منكم بما تحاولون لأنَّه ابنُ عمِّ الرَّجل. فقال بعضهم: نسير إلى العراق، فلطلحةَ بالكوفة شِيْعةٌ، وللزبير بالبصرة من يهواه ويميل إليه، فاجتمعوا على المسير إلى البصرة، وأشار عبد الله بن عامر بن كريز عليهم بذلك وأعطاهم مالاً كثيراً قوَّاهم به، وأعطاهم يَعْلى بن منية التَّيميّ[٢] مالاً كثيراً وإبلاً، فخرجوا في تسعمائة رجل من أهل المدينة، ومكَّة، ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل. فبلغ عَليّاً مَسيرُهم،فأمر عليٌّ ﷺ سَهْلَ بن حُنَيْفٍ الأنصاريّ وشخص حتى نزل بذي قار. هذا باختصار ما عزم عليه القوم من طلبهم الأخذ بثأر الخليفة المقتول، وقد انقسم النّاس بين بعضهم بانقسام البصرة والكوفة، فكيف تعامل بنو بكر مع الحدث الجلل، وإلى أيِّ الصَّفَّيْن مالوا؟

كانت مشاركة بكر بن وائل في معركة الجمل متفاوتةً فيما بينهم، بتفاوت مَشَاربهم وانتماءاتِهم، ولم يكن لهم الشّأنُ كما في صِفِّين، أو الذِّكرُ القويّ، أو قوَّة المشاركة كما عند الأَزْد[٣] وبني ضبّة مثلاً،وقد انقسم بنو بكر

(١) انظر مروج الذّهب: ٣٦٦/٢ (تح: محمّد عبد الحميد).

(٢) يعلى بن منيّة، وهي أمُّه، وقيل ابن أُميّة، أسلم يوم فتح مكّة، وشهد حنيناً والطّائف، وتبوك، تُوفي يوم صفّين سنة ٣٧هـ، كان من أكثر النّاس غنى (أسد الغابة: ٤٨٦/٥).

(٣) الأزد: وهم الّذين قال فيهم مُعاوية حين عبَّأ الصُّفوف للحرب يوم صفّين: "اكفوني الأزد" (وقعة صفّين: ٢٢٩) لما

بن وائل يوم الجمل إلى قسمين: قسمٌ ناصر عليّاً ﷺ وجُلُّهم من ربيعة الكُوفة، وقُدِّر عددهم (باثني عشر ألفاً)، قال الطّبري: أي ما يعادل ثُلث الكُوفة[1]، وآخر حارب مع أمِّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) وهم ربيعة البصرة، ثُمَّ صارت بكر بن وائل من أنصار عليٍّ وشيعته. ذلك أنَّ في الكوفة أنصاراً لعليّ، وأنصاراً لعائشة، وكذلك الأمر في البصرة، وقد قُتل منهم جميعاً في المعركة (٥٠٠)رجل[2].

وأمَّا القسم الَّذي ناصر أمَّ المؤمنين فقد أشادت بقوَّتهم، وشَهدت لهم حين جعلتْ تحرّض النّاس على الثّبات والقتال، وقد نظرت عن يمينها، فقالت: مَنْ هؤلاء القوم ؟ فقالوا: نحنُ بَكْرُ بنُ وائل، فقالت: لكم يقول القائل:

[الطَّويل]

وجَـــاؤُوا إِلَيْنَـــا بالحَدِيْـــدِ كَـــأَنَّهُمْ مِـــنَ العِـــزَّةِ القَعْسَـــاءِ بَكْـــرُ بـــنُ وَائِـــلِ[3]

وكانت رايتهم مع الحُضين بن المنذر الرَّقاشيّ، وذلك بعد أن اختصمت بكر بن وائل بن ربيعة على الرَّاية يوم الجمل، فدعا عليّ ﷺ الحُضَيْن بنَ المنذر، وقال له:" يا حُضَينُ دُونك هَذه الرَّاية، فوالله ما أَخْفقت قطُّ فيما مضى ولا تُخْفق، فيما بَقِي رايةٌ هي أَهْدى منها إلا راية خَفَقت على رسول الله ﷺ"[4]

وأمَّا راية بكر بن وائل من أهل الكُوفة يوم الجمل فكانت مع حَسَّان بنِ مَحْدُوج بنِ بِشْرِ بنِ خُوْط الذُّهليّ[5]، فقُتل، فأخذها أخوه حُذَيْفةُ بنُ مَحدوجٍ، فأُصِيْب، ثم أخذها بعده عددٌ من الخُوطيين، فقُتِلوا جميعاً. وقِيل كانت راية بكر بن وائل في بني ذُهْل مع الحارث بنِ حسَّان الذُّهْليّ ، فأَقْدَم، وقال : يا مَعْشَرَ بكرٍ لم يكن أحدٌ له من رسول الله ﷺ مِثلُ مَنزلة صاحبكم، فانْصُروه ، فتقدَّم، وقاتَلَهم، فقُتل ابنُه وخمسةٌ من بني أهله ، وقُتل الحارثُ ، وقُتِل رجالٌ من بني مَحدوج ، وقتل من بني ذُهْل خمسةٌ وثلاثون رجلاً ، وقال رجل لأخيه وهو

سمع من فِعالهم يوم الجمل.

(١) تاريخ الطّبري: ٥٢٨/٤.

(٢) الرّدة والفتوح والجمل. مسير عائشة: ٣٦٣. وتاريخ الطّبري: ٥٣٩/٤.

(٣) الكامل في التّاريخ: ١٣٤/٣.

العِزّة القَعساء: تُضرب للعزيز الثّابت، الممتنع.

(٤) أنساب الأشراف: ٢٤٣/٢.

(٥) في تاريخ الطّبريّ: ٥٢٢/٤ (مع الحارث بن حسّان بن خُوط).

يقاتل : يا أخي! ما أحْسَنَ قتالَنا إن كُنَّا على الحقّ! قال : فإنَّا على الحقِّ ، إنَّ النَّاس أخذوا يميناً وشمالاً ، وإنَّا تمسكنا بأهل بيت نبيِّنا، فقاتلا حتَّى قُتلا[1].

ولَّما دعا الحسن بن عليّ وعمَّار بن ياسرٍ أهلَ الكُوفة إلى إنجاد عليٍّ ﷺ، والنُّهوضِ إليه سارعت ربيعة عموماً، ومنهم بنو بكر إلى ذلك، فنفَرَ مع الحسن عشرةُ آلاف على راياتهم، ويقال: اثنا عشر ألفاً، وكانوا يدعون في خلافة عثمان وعليٍّ أسباعاً، فكانت بكر بن وائل وتغلب، وسائر ربيعة – غير عبد القيس – سُبْعاً، عليهم وَعْلة بنُ مَحْدوج الذُّهْليّ.

ولّما سار الحسن بالناس من الكوفة إلى أبيه وعلى الكوفة قَرَظَةُ بنُ كَعْبٍ[2]، فوافاه بذي قار، خرج عليٌّ بالنَّاس من ذي قار حَتَّى نزل بالبصرة؛ فدعاهم إلى الجماعة ونهاهم عن الفُرقة، وخرج إليه شيعته من أهل البصرة من ربيعة؛ وهم ثلاث آلاف، وعلى بكر بن وائل شقيقُ بن ثور السَّدُوسيّ، وقد قال لهم شَقِيقُ بن ثَور: "يا مَعْشَر رَبيعة لا عُذْرَ لكم في العَرب إنْ وُصِل إلى عليٍّ فيكم، وفيكم رجلٌ حَيّ، وإن مَنَعْتُموه، فمجدُ الحياة اكتَسَبْتُموه"[3].

وقد آوت بكرُ بنُ وائل يوم الجمل مَروانَ بن الحكم ؛ قاتلَ طَلْحة حين صار إلى قومٍ من ربيعة. وقد ارْتُثَّ (ضَعُفت حالُه)، فصار إلى قوم من عَنزة، وبعث إلى مَالك بن مِسْمع يستجيره، فأشار عليه أخوه مُقَاتل أن يفعل، فأجاره[4]، وسأل عليّاً له الأمان، فآمنه، وعرض عليه أن يبايعه حين بايعه الناس بالبصرة؛ فأبى، وقال: ألم تؤمِّنِّي ؟ قال: بلى. قال: فإنِّي لا أُبَايعُك حَتَّى تُكْرِهَني. قال عليّ: فإنِّي لا أُكْرِهُك، فواللهِ أن لو بايعتني باستك لغدرت[5].

وقد أصيب من بكر بن وائل يوم الجمل خلقٌ كثير، فيذكر سَيف بن عُمر التَّميميّ أنَّ كثيراً من بكر بن وائل خرجوا إلى بيت المال حين وزّع عليٌّ الأُعطيات، ووثب عليهم النَّاس، فأصابوا منهم، وخرج القوم حتّى نزلوا على طريق عليّ.

---

(١) إمتاع الأسماع للمقريزي: ١٣/٢٤٧.

(٢) قَرَظة بن كعب الأنصاريّ الخزرجيّ، من فُضلاء الصّحابة، شهد أحداً، وولي الكوفة لعليّ ﷺ، وقد شهد فتح الرَّيّ زمن عمر ﷺ (تاج العروس: ٢٠/٢٥٨).

(٣) تاريخ الطّبريّ: ٥/٣٧. (وقيل: قال ذلك يوم صفّين).

(٤) تاريخ الطّبري: ٤/٥٣٦.

(٥) الرّدّة والفتوح والجمل . مسير عائشة: ٢٩٧.

وكان من أبرز مَن قُتل من بكر يوم الجمل: حسَّانُ بن مَحْدوج؛ سيِّد ربيعة وكِنْدةَ، وعِلْباءُ بن الهَيْثم الَّلذين شهد فيهما أعشى هَمْدَان حين تنافر إليه رجلان من بكر بن وائل، فقال للذُّهْلي: فمن أيِّكُما كان عِلْباءُ بن الهيثم الذي قُتل يوم الجمل وهو سيِّد رَبيعة، وكان يأخذ في الاسلام ألفين وخمس مئةٍ ؟ قال الذُّهْلي: كان مِنِّي[1].قال فمِن أيِّكُما كان حَسَّانُ بنُ مَحْدوج الَّذي قُتل يوم الجمل، وهو سَيِّد رَبِيعة وكِنْدة فنزع منه الأشعث بن قيس ؟قال الذُّهْليُّ: كان مِنِّي. وكان عَمْرو بنُ يَثْرِبيّ مَنْ قتل علباء بن الهيثم[2].

وقتل يومئذ ثُمامة بن المثنَّى بن حارثة الشَّيباني، فقال الأعور الشَّنِّيّ: [البسيط]

يَـــا قَاتَـــلَ اللهُ أَقْوَامـــاً هُـــمُ قَتَلـــوا ... يَـــوْمَ الخُرَيْبَـــةِ عِلْبـــاءً وحَسَّـــانا

وابـــنَ المثنَّـــى أَصَـــابَ السَّـــيْفُ مَقْتَلَـــهُ ... وخَـــيْرَ قُـــرَّائِهِمْ زَيْـــدَ بـــنَ صُـــوْحَانا[3]

٢ـ معركة صِفِّين:

بعد خروج عليٍّ ﷺ من موقعة الجمل منتصراً نزل من البصرة إلى الكُوفة سنة (٣٦هـ)، ومعه أشراف النَّاس وأهل البصرة.

ويمكن أن نتلمَّس موقع قبيلة بكر بن وائل، وأهميتها في صفّين من خلال أمورٍ كثيرة، منها:

١ـقول عُبيد الله بن عمر بن الخطّاب، حين جعل يحرِّض النَّاس على ربيعة عموماً، فجعل الانتصارَ على ربيعة انتصاراً لدم عثمان ﷺ، وقتلُهم هو أخذٌ بالثَّأر،فقال:" يا أهلَ الشّام! هذا الحيُّ من أهل العِراق قَتَلةُ عُثمان بن عفَّان، وأنصارُ عليّ بن أبي طالب، وإن هَزمتُم هذه القبيلةَ أدركتم ثأرَكم في عثمان، وهلكَ عليٌّ وأهلُ العِراق"[4] .

(١) الأنساب للسَّمعانيّ: ١/٤٥.

(٢) تاريخ الطّبريّ: ٤/٥١٧، ٥١٨.

(٣) أنساب الأشراف: ٢/٢٣٧.

الخُريبة: مَحِلَّةٌ من محال البصرة، وقعت فيها معركة الجمل. علباء: هو علباء بن الهيثم، سيّد ربيعة. حسّان: هو حسّان بن محدوج حامل راية ربيعة وكندة. ابن المثنّى: هو ثُمامة بن المثنّى بن حارثة الشّيبانيّ. زيد بن صُوحان: العبديّ، يُكنّى أبا عائشة، قُتل يوم الجمل مع عليّ.

(٤) وقعة صفّين: ٢٩١.

ويُعَزِّز هذا الأمر أنَّ مُعاوية لَمَّا بعث عبد الله بن عَمْرو الحضْرَميّ إلى البَصْرة، أوصاه بوصايا كثيرة، من بينها أن يُوَادِع رَبيعة، ويحذَرهم ما استطاع، لأنَّهم من أنصار عليّ ﷺ، قائلاً له:" وادِعْ ربيعةَ، فلنْ ينحرفَ عنك أحدٌ سِواهم، لأنَّهم تُرابيَّة كلّهم، واحذرْهُم"[1].

٢ـ ومن الأمور الّتي تشي بمكانة ربيعة، وعِظَم شأنها، ولا سيّما بكر بن وائل منها، أنَّ معاوية بن أبي سُفيان نذر في سَبي نِساء ربيعة (على ما ذكر ابن مُزاحم)، وقَتلِ المقاتلة[2]، وهو ما لم يفعله مع قبيلة أخرى، فقال في ذلك حامل لواء ربيعة؛ خالد بن المُعمَّر: [الطَّويل]

تَمَنَّـــى ابـــنُ حَـــرْبٍ نَـــذْرَةً في نِسَـــائِنا ... ودُوْنَ الَّـــذِي يَنْـــوِي سُـــيُوْفٌ قَوَاضِـــبُ

ونَمْـــنَحُ مُلْكـــاً أَنْـــتَ حَاوَلْـــتَ خَلْعَـــهُ ... بَنـــي هَاشِـــمٍ قَـــوْلَ امْـــرئ غَـــيْرِ كَـــاذِبِ[3]

٣ـ وَصَف عليّ ﷺ راياتِ ربيعة براياتِ الله، وهذا الوصف له ما له من دلالات تؤكّد فِعال ربيعة من بكرٍ وتغلب يوم صفّين، من غير النّظر إلى أيّ صفّ كانوا، وإلى أيّ الفريقين مالوا، فمنهم من كان في صفّ عليّ، ومنهم من وقف إلى جانب مُعاوية، وإن كانوا إلى عليّ ﷺ أميل، حتّى دعا لهم عليّ حين انهزم النّاس، وأفاضوا من حوله، قائلاً:" لمن هذه الرَّاياتُ ؟ قالوا: رَاياتُ رَبيعة. قال: بل هي رايات الله، عَصَم اللهُ أَهلها، وصَبَّرهم، وثَبَّت أقدامهم"[4].

وأمَّا رياسة بكر وربيعة عموماً فكانت يوم صفّين للأَشْعَثِ بنِ قَيْس، فكان على ربيعة وكِندة، ولكن لَمَّا بلغ أهل العراق مسيرةُ معاوية إلى صفّين، دعا عليّ بن أبي طالب ﷺ حسَّان بن مَحْدوجٍ الذّهليّ من بكر بن وائل، فجعل له تلك الرِّياسة، فتكلَّم في ذلك أُناسٌ من أهل اليمن، منهم: الأشْتَر، وعَديّ الطَّائيّ، وزَحْرُ بنُ قيس، وغيرهم، فقاموا إلى عليٍّ ﷺ، فقالوا: " : يا أميرَ المؤمنين، إنَّ رِياسةَ الأشْعث لا تَصْلح إلا لمثله، وما حَسَّانُ بن مَحدوج مِثلَ الأَشْعث"[5]، فغضبت ربيعة، فقال حُريث بن جابرٍ الحَنَفيُّ:" يا هؤلاء! رَجلٌ برَجلٍ، وليس بصاحِبِنا عَجْزٌ في شَرفه وموضعِه، ونَجْدته وبأسه، ولسنا ندفع فضلَ صاحبِكم وشَرَفَه"[1].

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٠/١٢٠. تُرابيّة: نسبة إلى أبي تُراب؛ لقب عليّ بن أبي طالب ﷺ.

(٢) وقعة صفّين: ٢٩٤.

(٣) وقعة صفّين: ٢٩٤.

(٤) وقعة صفّين: ٢٨٨.

(٥) وقعة صفّين: ١٣٧.

وفي ذلك يقول النَّجاشيّ الحارثيّ: [الطَّويل]

رَضِيْنَا بِما يَرْضَى عَلِيٌّ لَنَا بِهِ ... وإنْ كَانَ فِيْما يَأْتِ جَدْعُ المناخِرِ
وَصِيُّ رَسُوْلِ اللهِ مِنْ دُوْنِ أَهْلِهِ ... ووَارِثُهُ بَعْدَ العُمُوْمِ الأَكَابِرِ
رضِي بِابْنِ مَحْدُوجٍ فَقُلْنَا الرِّضَا بِهِ ... رِضَاكَ وحَسَّانُ الرِّضَا لِلْعَشَائِرِ
ولِلأَشْعَثِ الكِنْدِيِّ في النَّاسِ فَضْلُهُ ... تَوَارَثَهُ مِنْ كَابِرٍ بَعْدَ كَابِرِ[٢]

وفي هذا الخبر شكٌّ، فهذا الخبر ساقه ابن مُزاحم في (وقعة صفّين)، وحسّان بن محدوج قُتِل يوم الجمل، فكيف له أن يرأسَ رايات ربيعة.

وأمّا رايةُ بكر بن وائل فقد اختصموا حولها، حتّى وصلت إلى خالد بن المُعمَّر، وهو ما نُقل عن بني تيم الله ابن ثعلبة من بكر بن وائل، يقولون: كانت راية ربيعة كُوفيَّتُها وبصريَّتُها مع خالد بن المعمر [من أهل البصرة]. ونقل ابن مزاحم: وسمعتهم يقولون: إن خالد بن المعمَّر وسَعيدَ بنَ نَوْرٍ السَّدُوسيّ اصطلحا أن يولِّيا راية بكر بن وائل من أهل البصرة الحُضَينَ بنَ المنذر، وتنافسا في الرَّاية، قالا: هَذا فَتًى له حَسَبٌ، ونجعلها له حتى نرى من رأينا، ثُمَّ إنَّ عليّاً أعطى الرَّاية خالدَ بن المعمَّر، رَايةَ ربيعة كلِّها[٣].

ثُمَّ إنَّ راياتِ ربيعةَ تضَعْضَعت حين أقبل ذو الكَلاع الحِمْيَريّ في حِمْيَر ومَن لفّ لفَّها، ومعها عُبيد الله بن عُمر في أربعة آلافٍ من قُرَّاء أهل الشّام، وقد بايعوا على الموت، وهم على مَيْمنة أهل الشّام، في حين كانت ربيعة في مَيْسرة أهل العِراق، فلم يثبت من ربيعة إلاّ قليلٌ من الأخيار والأبدال[٤].

وحين رأى قائد ربيعة خالدُ بن المعمَّر انهزامَ القوم، جعل يحفّزُهم، ويحرّضهم على الثّبات، فقال فيهم:" يا مَعْشرَ ربيعة! إن اللهَ ﷻ قد أتى بكلِّ رجلٍ مِنكم من مَنبِته ومَسْقطِ رأسه، فَجَمعكم في هذا المكان جمعاً لم يجمعْكُم مِثله منذ نَشَركم في الأرض، فإن تُمسكوا بأيديكم وتنكُلوا عن عَدوِّكم وتزولوا عن مَصَافِّكم لا يرضَ الله فعلَكم، ولا تقدِّموا من الناس صغيراً أو كبيراً إلَّا يقول: فَضَحتْ ربيعةُ الذِّمار، وحَاصتْ عن القتال، وأُتِيَتْ من قِبَلها العربُ، فإيَّاكم أن تَتَشاءَم بكُمُ العَربُ والمسلمون اليوم، وإنَّكم إن تمضُوا مُقْبلين

(١) وقعة صفّين: ١٣٧.
(٢) وقعة صفّين: ١٣٧، ١٣٨.
(٣) وقعة صفّين: ٢٩٠. وتاريخ الطّبريّ: ٣٤/٥.
(٤)تاريخ الطّبريّ: ٣٤/٥. وفي وقعة صفّين: ٢٩١" فثبتوا إلاّ قليلاً من الأحشام والأنذال" . الأحشام: الأتباع، والأنذال: الأعوان.

مقدِمين وتَصيروا مُحتسبين، فإنَّ الإقدامَ لكم عادةٌ، والصَّبرَ مِنكم سَجيَّةٌ، واصبِروا ونيَّتُكم أن تُؤجَروا، فإنَّ ثواب من نوى ما عند الله شرفُ الدنيا وكرامةُ الآخرة، ولن يُضِيع الله أجرَ مَنْ أحسن عملاً"[1]، فقام رجل فقال: ضاع والله أمرُ ربيعة حين جعلت إليك أمورَها، تأمرنا ألَّا نزول ولا نحُول حَتَّى تقتُلَ أنفسَنا وتَسْفِك دماءَنا، ألا ترى النَّاس قد انصرف جُلُّهم، فقام إليه رجالٌ من قومه، فَنَهَروه، وتَنَاولوه بألسنتهم، فقال لهم خالد: أَخْرجوا هذا من بينكم، فإنَّ هذا إن بقيَ فيكم ضَرَّكم، وإن خرج منكم لم يَنْقُصكم هذا الذي لا ينقص العددَ ولا يملأ البلد، بَرَّحك اللهُ من خَطيب قومٍ كرامٍ، كيف جُنِّبْتَ السَّداد.

وقد فَخرت بكر بن وائل بأنَّها قتلت عُبيدَ الله بنَ عُمرَ بنِ الخطَّاب، وهو ما ادَّعتهُ غيرُ قبيلة من العَرب، ونَسَبته إليها، فقال بنو بكر:" قتله رجلٌ منَّا من أهل البصرة، يُقال له مُحْرِز بن الصَّحْصح أحدُ بَني عائش بن مالك بن تيم اللَّات بن ثعلبة[2]، وأخذ سَيْفه (ذا الوشاح)[3]، فأخذ به معاوية بالكوفة بكر بن وائل حين بُويع[4].

و اشتدّ القتال بين ربيعة وحِمير وعبيد الله بن عُمر حتى كثرت بينهم القتلى، فقُتل من بكر بن وائل سميرُ بنُ الزَّيَّان بنِ الحارث العِجْليُّ، وكان من أشدِّ النَّاس بأساً[5]، واستحرّ القتل في بكر بن وائل، حتّى قال زيادُ بن خَصَفة: " يا عبدَ القيس! لا بكرَ بعد اليوم"[6]. وقد أرسل الحُضين إلى عليّ ﷺ:" يا أميرَ المؤمنين! قد أسرعَ السَّيفُ في ربيعة، وخاصّة في أسرى منهم"، فوقّع إليه:" بقيَّةُ السَّيف أنهى عدداً"[7]. إلى جانب أولئك الّذين اعتزلوا الفريقين المتقاتلين، وخرجوا على عليّ بن أبي طالب ﷺ، وفي مقدّمتهم عبد الله بن الكوَّاء اليَشْكُريّ[8]، فكانَ أمير صلاة الخوارج في حَرُوْرَاء، وكان ممّن خرج من بكرٍ على عليّ ﷺ في النَّهْروان فيما

(١) تاريخ الطّبريّ: ٣٥/٥.

(٢) مختلف القبائل ومؤتلفها: ٧٠.

(٣) ذو الوشاح: اسم سيف عمر بن الخطّاب ﷺ، وكانت نعله من فِضَّة (المنمَّق في أخبار قريش: ٤١٣/١)، ط حيدر أباد.

(٤) تاريخ الطّبري: ٣٦/٥.

(٥) تاريخ الطّبري: ٣٦/٥. وفي وقعة صفّين: ٢٩٣ هو شَمِر بن الزَّيّان بن الحارث العِجْليّ.

(٦) تاريخ الطّبري: ٣٦/٥.

(٧) خاص الخاص للثّعالبيّ: ٨٦.

(٨) الأوائل للعسكريّ: ١٠٩ (تح: قصّاب والمصري).

بعد أشْرَسُ بنُ عَوفٍ الشَّيْبانيُّ، خرج بالدَّسْكَرة[1] في مئتين، وتوجَّه إلى الأنبار، فأرسل إليه الإمام عليّ الأبْرَشَ بن حَسَّان في ثلاثمائة مقاتل، فقتل الأشرس سنة ثمانٍ وثلاثين[2]. وخرج عليه أيضاً من البكريين سعيدُ بنُ قُفْل التَّيمي[3]؛ من تيم اللَّات بن ثعلبة، في مئتي رجلٍ، فأتى دَرْزِيجان[4]، فخرج إليهم مُجَيْعد بن مسعود، فقتلهم[5].

ومن هنا بدأ عهد جديد لبكر بن وائل ضمن قافلة الخوارج في عصر بني أميَّة.

(١) الدَّسْكَرة: قريةٌ كبيرة ذاتُ منبر بنواحي نهر الملك من غربي بغداد، والدَّسْكرة: قريةٌ في طريق خُراسان قريبةٌ من شَهْرَابان (معجم البلدان:٢/٤٥٥).

(٢) نهاية الأرب: ٢٠/١٠٨.

(٣) انظر الأعلام للزركليّ: ٣/١٠٠.

(٤) دَرْزِيْجان: قريةٌ كبيرة تحت بغداد على دِجلة بالجانب الغربيّ، وهي إحدى المدائن السّبع الّتي كانت للأكاسرة (معجم البلدان: ٢/٤٥٠).

(٥) نهاية الأرب: ٢٠/١٠٩.

الفصل الثّاني
بنُو بَكرٍ في عصر بني أميَّة

القسم الأوَّل: علاقة بكر بخلفاء بني أميَّة.

القسم الثَّاني: مواقف بكر من الأحداث السِّياسيَّة في العصر الأمويّ. (الخوارج من بكر بن وائل).

القسم الثَّالث: علاقاتهم بغيرهم من القبائل، ومُشاركتهم في الفتوح: (النِّزاع بين البكريين والتّميميين على الأرض والسِّيادة مثلاً، وحرب قيسٍ وتغلب).

القسم الأوَّل: بكر بن وائل في عصر بني أميَّة.

البكريّون الخوارج:

إذا أردنا ان نسجِّل لبكر بن وائل بن ربيعة وجوداً في عصر بني أميَّة، فيمكن أن نحظى بكثير من أخبارهم ضمن ما عُرِف بحركة الخوارج، الّتي كانوا من مؤسِّسيها، و كان أكثرُ أئمَّة الخوارج منهم، فكان شاعرهم ومُلهمهم عِمْران بن حِطّان السَّدُوسيّ. ورئيسهم في مرحلة ما نافعُ بن الأزرق الحَنَفيّ؛ زعيم الأَزَارِقة.

وقد انبعثت حركة الخوارج أوّل ما انبعثت بعد معركة الجمل، حين خرج حَسَكَةُ بن عتَّاب الحَبَطِيّ، وعِمْران بن فُضَيْل البُرْجُميّ، فنزلوا زَالِقَ[1] من سجستان[2]، ولَّما رُفعت المصاحف على أسنّة الرِّماح يوم صفِّين تكلّم من خرج أيضاً يومها مع عليّ ﷺ، وأبَوا إلَّا تركَ الحرب، والرُّجوعَ إلى كتاب الله، فلما رَجَع عليٌّ من صفّين بعد كتابة الصَّحيفة، خالفت عليه الحَروريَّة، ورجعوا على غير الطريق الذي أقبلوا فيه، وأخذوا طريق البرِّ، وعادوا وهم أعداء مُتَباغضون، يقطعون الطريق بالتشاتم والتضارب بالسِّياط، يقول الخوارج: يا أعداء الله أدهنتم في أمر الله! ويقول الآخرون: فارقتم إمامنا وفرقتم جماعتنا! فلما انتهى عليّ إلى الكوفة فارقته الخوارج وأتت حَرُوراء، فنزل بها منهم اثنا عشر ألفاً، ونادى مناديَهم: " إنَّ أمير القتال شَبَثُ بنُ رِبْعيّ التَّميميّ، وأميرُ الصَّلاة عبد الله بن الكَوّاء اليَشْكُري (من بكر بن وائل)، والأمر شورى بعد الفتح،

(١) زالِق: من نواحي سجستان، وهو رستاقٌ كبير فيه قصور وحُصون، افتتحها الرَّبيع بن زيادٍ الحارثيّ سنة ٣٠هـ عَنوةً (معجم البلدان: ١٢٧/٣).

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٩٦/٢٠.

والبيعة لله ﷻ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "[1] . فلما سمع عليٌّ ﷺوأصحابه ذلك، قامت إليه الشِّيعةُ، فقالوا له: " في أعناقنا بَيْعةٌ ثابتةٌ. نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت " فقالت الخوارج: " استَبَقْتم أنتم وأهلُ الشَّام إلى الكُفر كَفَرَسي رِهان، بايع أهل الشَّام مُعاوية عَلى ما أحبَّ وكرهوا، وبايعتم أنتم عليّاً أنَّكم أولياءُ من والى وأعداءُ من عادى "[2].

وبعث عليٌّ ﷺ عبد الله بن العبَّاس إلى الخوارج، وقال له: لا تَعْجل إلى جَوابهم وخُصُومتِهم حَتَّى آتيَك. فخرج إليهم، فأقبلوا يكلِّمونه، فلم يصبر حتَّى راجعهم، فقال، " ما نقمتم من الحكمين، وقد قال اللهﷻ: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾[النساء: ٣٥]،فكيف بأمة محمد ﷺ؟ . فقالت الخوارج: " أمَّا مَا جَعل اللهُ حُكمه إلى النَّاس وأَمَرهم بالنَّظر فيه فهو إليهم، وما حَكَم فأمضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه. حَكَم في الزَّاني مِئةَ جَلدة، وفي السَّارق القطع، فليس للعباد أن ينظروا في هذا "[3] . فكانت هذه انطلاقة الخوارج نحو العالم الخارجيّ، وكان ما قالوه في تفسير آيات الله هو دُستورهم الّذي انتهجوه في سير حياتهم، وحياة مَن والاهم.

وأمّا أوّل الخارجين على عليّ ﷺ من بكر بن وائل فهو عبد الله بن الكَوَّاء اليَشْكُريّ، الّذي كان أميرَ صلاة الخوارج. وهو الَّذي قال لأبي موسى الأشعريّ:" إذا أَنْتَ لَقِيت عَمْراً فأَعْلِمهُ أنَّ مُعَاويةَ طَليقُ الاسْلام، وأنَّ أباه لعينُ رسول الله ﷺ، وأنَّه ادَّعى الخلافةَ على غير مَشُورةٍ ، فإن صَدَّقك، فعَجِّل خَلْعَه، وإنْ كَذَّبك فقد حُرِّم عليك كلامه، فإن زعم أنَّ عُمر وعُثمان استعملاه فقد صَدَق"[4].

وأوَّل المُصطفّين والثّابتين مع الإمام علي من بكر هو صَيْفِي بن نُشَيْلٍ الشَّيْبانيّ، الّذي بايع عليّاً ﷺ على الحياة والموت، وطلب منه أن يسير بالنَّاس إلى حرب الخوارج، فقال: " يا أميرَ المؤمنين، نَحْنُ حِزْبُكَ وأَنْصارُك، نُعادي من عَاداك، ونُشَايع من أَنَاب إلى طَاعتك، فسِرْ بنا إلى عَدوِّك من كانوا وأينما كانوا، فإنَّك إنْ شاء الله لن تُؤتى من قِلَّة عَدَد، ولا ضَعْفِ نيَّةٍ أَتْبَاع "[5]

ووقف وراء فِكر الخوارج عددٌ كبير من رجال بكر بن وائل وشُعرائها، فكان على رأسِهم:

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٠/٩٧.
(٢) انظر تاريخ الطّبري: ٥/٦٤، ٦٥.
(٣) نهاية الارب: ٢٠/٩٨.
(٤) أخبار الدّولة العبّاسيّة: ١/٣٧.
(٥) نهاية الأرب: ٢٠/١٠٤.

عِمْران بنُ حِطَّان السَّدُوسيّ، الّذي صَهَر في شعره جميع العواطف الدّينيّة، ومثَّلَ حقيقةَ الزُّهد الخارجيّ[١]، حتّى قال فيه الآمدي:" رأسٌ من رؤوس الخوارج، وشاعرٌ محسنٌ مقدام، وأشعرُ النّاس في الزّهد"[٢].

وأعلن في شعره ثورة عارمة على الظّلم والكذب والتّملّق، فهو القائل: [الخفيف]

لا تَقُــلْ في الجَــوَادِ مَــا لَــيْسَ فِيْــهِ وتُسَــمِّي البَخِيْــلَ باسْــمِ الجَــوَادِ[٣]

وقد طلب الحجَّاجُ عِمرانَ بنَ حِطَّان حين جاء العراق أشدَّ الطلب، فهرب، فنزل بالشّام على قوم من بني غسَّان، فأنكروه، فتحوَّل عنهم ونزل على قوم من بني لَخم، فأنكره ربُّ منزله، فتحول حتى صار إلى رَوْح ابن زِنْباع وغيَّر اسمه ونسبه وذكر أنه من أَزْد شَنوءة، فلما كاد أمره ينكشف ارتحل ونزل على زُفَرٍ فأقام عنده، ثُمَّ تحوَّل عنه ومضى إلى بلاد عُمان، فنزل على قوم من الأَزْد، فلم يزل بعمان حتَّى مات الحجَّاج[٤].

وخرج سنة (٥٢هـ) زِيَادُ بنُ خِرَاشٍ العِجْليّ في ثلاثمائة فارس، فأتى أرضَ مَسْكِن من السواد، فسيَّر إليه زياد ابن أبيه خيلاً عليها سَعدُ بن حُذَيفة أو غيره، فقتلوهم وقد صاروا إلى مَاه[٥].

ولم يكن عِمران الرّجلَ البَكْريَّ الوحيدَ في صفوف الخوارج، فهو ممّن قاتلوا بلسانهم لا بسيفهم، إلّا أن نافعَ ابن الأزرق الحَنَفي قاتل بسيفه وعقله، فنُسبت إليه فِرقة الأزارقة[٦]، وكان ذلك فيما بين وفاة يزيد وولاية عبد الملك بن مروان، واسمه نَافِع بنُ الأَزْرَق بنُ قَيْس الحَنَفِيّ البَكْرِي الوَائِلِيّ الحَرُوْرِيّ، أبو راشد.

ينتسب اليه الأزارقة أكبر فِرق الخوارج، وأصحابُها يعدون أشدَّ فرق الخوارج تطرفاً في الأفكار والمبادئ ، وكان ابنُ الأزرق أوَّلَ مَن أحدث الخلاف بين الخوارج لتطرُّفه، فقد بَرِئ من القَاعدين، الَّذين لا يخرجون معه للقتال، كما قال بكُفْر من لم يهاجر إليه. فضلاً عن إبَاحَته أموالَ ودِماءَ مُخالفيه[٧]، وتَكْفِيره مُرتكبَ الكبيرة وحُكمِه بخلوده في النَّار، ومالت هذه الفرقة من الخوارج إلى الانفصال الكامل عن المجتمع المسلم،

(١) انظر شعر الخوارج لـ د. إحسان عبّاس: ١٨، ١٩،....

(٢) المؤتلف والمختلف: ١٢٦.

(٣) شعر الخوارج: ١٢٦.

(٤) انظر الإصابة: ٤٥٢/٨.

(٥) الكامل في التّاريخ: ٣٤٠/٣. ونهاية الأرب: ١٧٦/٢٠.

مَسكن وماه: موضعان بالكوفة.

(٦) انظر الأنساب للسّمعاني: ٤٧٧/٥.

(٧) انظر تاريخ ابن خلدون: ١٨٣/٣.

حيث زعم نافعٌ وأتباعُه أنَّ دارَ مخالفيهم دارُ كفر. إلى جانب إيمانهم بمبدأ الاستعراض فكانوا يتعرضون للنَّاس بالقتل والنهب.

و كان نافعُ بن الأزرق أميرَ قومه وفقيهَهُم، من أهل البصرة، صَحِب في أول أمره عبد الله بن عبَّاس يسأله في مسائل من القرآن وغيره[1]، وروى عنه، ثُمّ تأوّلَ الآيات، وغلبت عليه الشِّقْوَةُ، الأمر الّذي دعا قوماً من أصحابه إلى مغادرته، فمن ذلك أنَّه تأوَّل قوله تعالى: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾[نوح: ٢٦ – ٢٧]. على أنَّ قتل الأطفال و بَقْرَ النِّساء عن الأجنَّة حَلالٌ، فلمَّا أظهر ذلك، فارقه طائفةٌ من أصحابه[2]. وكان نافعٌ يذهب إلى سُوق الأهواز ، ويعترض النَّاس بما يحيِّر العقل ، ولما ولي عبيدُ الله بن زياد إمارة البصرة اشتدَّ على الحَروريين ، وقُتل زعيمهم مِرْداسُ بن حُدَيْرٍ الحَنْظليّ التَّمِيْمِيّ[3].

وكانت بينهم وبين الأُمَويين مَعارك ، وكان نافع جبَّاراً فتَّاكاً ، فقاتله المهلَّب بن أبي صُفْرة ولقي الأهوال في حربه ، وقتل يوم دَوْلاب[4]على مقربة من الأهواز سنة (٦٥هـ) بعد أن اشتدّت شوكة الخوارج في هذه السّنة بالبصرة ، وقد قُتل من الأزارقة سبعة آلاف[5].

وإلى جانب نافع بن الأزرق كان نَجْدَةُ بنُ عَامر بنِ عَبد الله بن سائر بن المطَّرِح الحَنَفيّ، كان مع نافع بن الأزرق ثم فارقه بعد أن قال بتبرُّؤه من القَعَديَّة وتحريمِه التَّقية، وصار نجدةُ إلى اليمامة، وهنالك كَثُرَ أصحابُه فصاروا ثلاثة آلاف، ثُمَّ أتى البحرين، ومالت إليه الأَزْد قائلة " نَجْدة أحبُّ إلينا من ولاتنا؛ لأنَّه يُنْكر الجَور وولاتُنا جَائرون " ، وأقام بالقَطِيْف، وحاربته عبد القيس، فهزمها، ولمّا قدِم مُصعب البصرة (سنة ٦٩هـ) أرسل إليه جيشاً، فهزمه نجدة، وبلغ من نفوذه أن بايعه أهل صَنعاء، وأرسل أبا فُدَيْك إلى

(١) انظر الكامل للمبرّد: ١١٤٥/٣، ١١٥٢. وانظر مساءلة نافع لابن عبّاس في سنن البيهقيّ: ٣٥٩/١، ٢١٣/٢، ١٧٨/٢.

(٢) الأوائل: ١١٠.

(٣) انظر ترجمته في الأعلام: ٢٠٢/٧.

(٤) دَوْلاب: موضع قرب الأهواز، أعجميّ مُعرَّب (معجم البلدان: ٤٨٦/٩).

(٥) تاريخ الطّبري: ٦٢١/٥. ونهاية الأرب: ٣٢٨/٢٠.

حَضْرموت ليجبي صدقاتها، وخضعت له الطَّائفُ وتَبَالةُ والسَّرَاة، ثم لقي مَصْرَعه على يد أبي فُدَيك، بعد أن دبَّ الخلاف في جماعته، وفارقه من فارقه منهم، لأمورٍ أخذوها عليه(١).

وفي هذه الفترة من عصر بني أميّة احتشد من خوارج بكر بن وائل الكثيرُ، وكانوا على رأس كلّ فرقة و جيشٍ، حتّى دبَّ الخلافُ بين بعضهم، وافترقوا ، ولا سيّما اتّفاقهم على خلع نَجْدة الحّنفي، وقد اختلفوا عليه لأسباب نقمُوها منه، فخالف عليه عَطيَّة بنُ الأسود الحَنَفيّ؛ وسبب ذلك: أنَّ نَجْدةَ بعث سَريَّة برّاً وبَحراً، فأعطى سَريّة البرِّ أكثرَ من سريّة البحر، فنازعه عطيَّة حتى أغضبه، فشتمه نجدة، فغضِب عطيّة وفارقه، وألَّب النَّاس عليه، فخالفوه وانحازوا عنه، وولَّوا أمرهم أبا فُدَيْك عبدَ الله بن ثور، من بني قيس ابن ثعلبة، فاستخفى نجدة، وقيل لأبي فُدَيك: إنْ لم تَقتله تفرَّق النَّاس عنك، فألحَّ في طلبه حتَّى ظفر به أصحابه، فقتلوه، فلما قُتِل نجدةُ سخط على قتله جماعةٌ من أصحاب أبي فُديك، ففارقوه، وثار به مُسْلِم بن جُبير، فضربه اثنتي عشرة ضربة بسكّين، فقُتل مسلم، وحمل أبو فديك إلى منزله(٢).

وكان نَجْدة الحَنَفيّ قد فارق نافع بن الأزرق وسار إلى اليَمامة في خلافة عبد الله بن الزُّبير، وكان أبو طَالوت وهو من بني بكر بن وائل، وأبو فُدَيك؛ عَبدُ الله بنُ ثَوْر بنِ قيس بن ثعلبة، وعطيَّةُ بن الأسود الحَنَفيّ، قد وثبوا بها مع أبي طَالوت، فلمَّا قَدِمها نجدةُ دعا أبا طالوت إلى نفسه، فأجابه بعد امتناعٍ، ومضى أبو طالوت إلى الخَضَارِم(٣)، فَنَهَبها، وكانت لبني حَنيفة، فأخذها منهم مُعاوية بن أبي سفيان، فجعل فيها من الرَّقيق ما عِدَّتهم وعِدّة أبنائهم ونسائهم أربعة آلاف، فغَنِم ذلك وقسَّمه بين أصحابه، وذلك في سنة خمس وستين، ثُمَّ إنّ عَيراً خرجت من البحرين – وقيل من البصرة – تحمل مالاً وغيره يُراد بها عَبد الله بن الزبير، فاعترضها نجدة، فأخذها وساقها حتى أتى بها أبا طالوت بالخَضَارم، فقسمها بين أصحابه، وقال: اقتسموا هذا المال ، وردُّوا هذه العبيد، واجعلوهم يعملون بالأرض لكم، فإنَّ ذلك أنفعُ، فاقتسموا المال، وقالوا: نجدة خير لنا من أبي طالوت، وذلك في سنة ستٍ وستين(٤).

(١) انظر نهاية الأرب: ٣٤/٢١.

(٢) نهاية الأرب: ٣٤/٢١.

(٣) الخضارِم: وادٍ بأرض اليمامة، أكثر أهله بنو عِجْل، وهم أخلاطٌ من حنيفة وتميم، يثقال له: جَوّ الخضارم (معجم البلدان: ٣٧٦/٢).

(٤) نهاية الأرب: ٣٢/٢١.

وجاء في اتِّفاق المباني وافتراق المعاني أنَّ ابنَ نَجْدة هو من الخوارج، وإليه تُنْسب النَّجدات، لا إلى نَجْدة، قال أبو الرَّبيع المصريّ:" ونَجْدةُ اسمُ رَجلٍ، وابنُ نَجْدة رجلٌ منَ الخوارج يُنْسَب إليه النَّجدات؛ قَومٌ مِنهم "[1].

ثُمّ كان أبو فُدَيْك: عَبْدُ الله بنُ ثَوْر أحد بني قَيْس بن ثعلبة بن عُكَابة، خالفَ نجدةَ بنَ عامرٍ الحَنَفيّ فيمن خالفه من أصحابه، وقد كان مركزُه في البحرين، وكانت بيعته سنة ٧١هـ؛ وقد قَوِيَ أمرُه لانشغال مُصعب وعبد الملك بالحرب بينهما، فلما قُتل مصعب وجَّه إليه عبد الملك جيشاً قويَّاً بقيادة أُميَّة بن عبد الله بن خالد ابن أُسَيْد، فهزمته الخوارج رغم قلَّة عَددها، ثُمَّ قُتل على يد جيش بقيادة عُمرَ بنِ عَبد الله بن مَعْمر سنة ٧٤هـ[2].

وكان مَن خوارج بكر زمن عبد الملك بن مروان عُبَيْدةُ بن هلال اليَشْكُريّ، كُنيته أبو مالك، كان عُبيدة على مَيمنة جيش الخوارج سنة (٦٥هـ) في حربهم عبد الله بن الزّبير[3].وكان في أصحابه من الدِّين والجهاد بمكان، سألوه أن يتولَّى أمرهم فأبى، ودلهَّم على قَطَريّ، وأبلى في الحرب ضد المهلَّب، ولَمَّا انقسم الخوارج على أنفسهم قِسمةً فرقت بين العرب والموالي، ظلَّ عُبيدة ينتقَّل مع قطري (في تلك الحركة التي يسميها الخوارج " الهرَب "[4]) وانحاز الموالي إلى عبد ربِّه الكبير، واتَّهم قَطَريّاً وعُبيدة بأنَّهما إنما يتنقلان حرصاً على الحياة، ووصف عبيدةَ بالاختلاط، وقد لَقِي مَصرَعه بعد قَطَريّ بقليل، وبموتهما ضُعف أمر الأزارقة من النَّاحية الحربيَّة، بعد أن أضعفتهم الانقسامات الكثيرة[5].

وكان سَبُرة بنُ الجَعد من بَني شَيْبان من رؤوس الخوارج، اتَّخذه الحجّاج سَمِيراً له، فما كان يطلب شيئاً من الحديث إلَّا وجده عنده، وكان من أصحاب قَطريّ بن الفُجاءة، وقد بلغ قَطريّاً ما كان بين سَبُرة والحجّاج، فكتب إليه:

لشـــــتّان مـــــا بـــــين ابـــــنِ جَعـــــد وبيننـــــا[6]

(١) اتِّفاق المباني وافتراق المعاني: ٢٣١.

(٢) انظر نهاية الأرب: ٣٣/٢١.

(٣) انظر تاريخ الطّبري: ٦١٨/٥.

(٤) شعر الخوارج: ٢٥٨.

(٥) انظر خبر عُبيدة بن هلال في (شعر الخوارج): ٩٣ وما بعد.

(٦) وفيّات الأعيان: ٣٦/٢.

فلما قرأ كتابه بكى وركب فرسه وأخذ سلاحه ولحق بقَطَريّ، وطلبه الحجَّاج فلم يقدر عليه، ولم يلبث أن جاء الحجَّاجَ كتابٌ فيه شعر قَطَري الذي كان كَتب به إليه، وفي أسفل الكتاب أبيات من جملتها:

[الطَّويل]

فَمَـــنْ مُـــبْلِغُ الحجَّـــاجَ أَنَّ سَـــمِيْرَهُ قَـــلى كُـــلَّ دِيْـــنٍ غَـــيْرَ دِيْـــنِ الخَـــوَارِجِ[1]

فطرح الكتاب إلى عَنْبَسَةَ بنِ سَعِيد[2]، وقال: هذا من سَمِيْري الشَّيبانيّ، وهو خارجيّ ولا نعلم به!.

وظهر أيضاً من خوارج بكر بن وائل في عصر بني أميّة بعد عهد عبد الملك بن مروان إلى آواخر الدّولة الأمويّة شَبِيْبُ بنُ يَزِيْد الشَّيبانيّ، وقد دخل الكُوفة، وبعد أن دخلها شَبِيبٌ استنفر الحجَّاجُ ضِدَّه قوماً من أهل الشَّام، فانحاز شَبيب إلى السَّبَخَة[3]،، فجالدوه حتى أزالوه عنها، وصاروا جميعاً بالأرض، فقاتلوا حتى كثرت الجراح في الفريقين، وولَّى شَبيب وأصحابه منهزمين ووجهتهم الأنبار.

وكان شَبيب قد خرج مع صَالح بن مُسرِّحٍ التَّميميّ، فأرسل شَبيبٌ إليه:" إنَّك كُنت تريد الخروج، فإن كان ذلك من شأنك اليوم فأنت شَيْخ المسلمين، ولن نَعْدِل بك أحداً، وإنْ أردت تأخير ذلك فأَعْلِمني؛ فإنَّ الآجال غاديةٌ ورائحةٌ، ولا آمن أن تخترمَني المنيَّةُ، ولم أجاهد الظَّالمين".

فكتب إليه صالح: "إنَّه لم يمنعْني من الخروج إلَّا انتظارُك، فاخرج إلينا، فإنَّك ممَّن لا يُسْتَغْنى عن رأيه، ولا تُقضى دونه الأمور"[4].

فلمَّا قرأ شَبيب كتابه دعا نفراً من أصحابه؛ منهم أخوه مُصَاد بن يزيد، والمُحلَّل بنُ وائل اليَشْكُريّ وغيرهم، وخرج بهم حتَّى قدِم على صالح ، فلمَّا لقيه قال: اخْرُج بنا، رحمك الله، فوالله ما تزداد السُّنَّة إلا دُرُوْساً، ولا يزداد المجرمون إلا طُغياناً. وكانت وفاته سنة (٧٧هـ)، وكان الحجّاج نادى عند انهزام شَبيب: مَن جاءنا منكم فهو آمن، ما جعل التّفرقة تسري في قومه.

---

(١) وفيّات الأعيان: ٣٧/٢.

قلى كلّ دين: تركه وهجره.

(٢)عنبسة بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص بن أمية أبو خالد القرشي الأمويّ الكوفيّ (تاريخ بغداد: ٣٢٠/٦).

(٣) موضع بالمدينة، بين موضع الخندق وبين سلع، الجبل المتصل بالمدينة (معجم ما استعجم: ١٨/٥).

(٤) نهاية الأرب: ٩٨/٢١.

وكان شَبيب يُنْعى لأمه فيقال لها: قُتل، فلا تقبل ذلك. فلمَّا قِيل لها غَرق صَدَّقت ذلك، وقالت: إنِّي رأيت حين وَلَدْته أنَّه خَرج منِّي شهابُ نَار، فعلِمْتُ أنَّه لا يُطْفِئه إلَّا الماء، وكانت أمُّه جاريةً روميَّة اشتراها أبوه، فأولدها شَبِيْباً سنة خمس و عشرين يوم النَّحْر[1].

ثُمّ كان منهم شَمر بن عبد الله اليَشْكُريّ، وأخوه الرَّيَّان بن عبد الله، إلّا أنَّه لم يكن لهما شأن كبير ضمن حركة الخوارج.

وخرج من بكر بن وائل سنة (١٠٠هـ) شَوْذَبٌ الخَارجِيّ من بَني يَشْكُر، واسمه بِسْطام. وكان خُرُوجه في ثمانين رجلاً، فكتب عُمر بن عبد العزيز ﷺ إلى عبد الحميد عامِلِه بالكوفة ألَّا يحرِّكَهم حَتَّى يَسْفِكوا الدِّماء أو يُفْسِدوا في الأرض، فإن فعلوا وجَّه إليهم رجلاً صَليبا حازماً في جُنْدٍ.

فبعث عبد الحميد محمَّدَ بنَ جرير بن عبد الله البَجَليّ في ألفين، وأمره أن يفعل ما كتب به عُمر، وكتب عمر إلى بِسْطام يسأل عن مخرجه، فقدم كتاب عمر عليه، وقد قدم عليه محمد، فكان في كتاب عمر: بلغني أنَّك خَرَجْت غَضباً لله ولرسوله، ولست بذلك أولى منِّي، فهَلُمَّ إليَّ أُنَاظِرك، فإن كان الحقُّ بأيدينا دخلت فيما دخل فيه النَّاس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرك.

فكتب إليه بِسطام: قد أنصفت، وقد بعثت إليك برجلين يُدَارسانِك ويُنَاظرانك. فأرسلَ إليه مولى حبشياً لبني شَيْبان اسمه عاصم، ورجلاً من بني يَشْكر، وبعد مناظرة طويلة، قال عُمر بن عبد العزيز: فليس أحدٌ منهم يقول: لا أعمل بسُنَّة رسول الله ﷺ، ولكنَّ القومَ أَسْرفوا على أنفسهم على عِلمهم أنَّه مُحَرَّمٌ عليهم، ولكنْ غلب عليهم الشّقاءُ[2].

وقد توارثت جماعةٌ من بكر بن وائل إمارة الخوارج (سنة١١٩هـ) حين طلب النَّاسُ من البُهْلول بن بِشْرٍ الشّيبانيّ أن يولِّيَ أمرهم من بعده: فقالوا له: ولِّ أَمْرنا مِن بعدك من يقوم به، فقال:" إنْ هَلَكْت فأميرُ المؤمنين دِعَامةُ الشَّيبانيّ، فان هَلك دِعَامةُ فأمير المؤمنين عَمْرو اليَشْكُريّ"[3].

وقد كان بهلولٌ الشّيبانيّ يتألّه، وكانت له سَطوة وحُظوةٌ عند هِشام بن عبد الملك، وهو ثائرٌ من الشُّجعان الزُّعماء من أهل الموصل، خرج في أربعين رجلاً أيام خالدِ بن عبد الله القَسْري، واتفقوا على قتل خالد.

---

(١) الكامل في التّاريخ: ١٧٨/٤.

يوم النّحر: أي عيد الأضحى.

(٢) نهاية الأرب: ٢١٩/٢١.

(٣) تاريخ الطّبري: ١٣٣/٧.

فلما ظهر أمرهم وجه إليهم خالدٌ جيشاً في(٨٠٠) مقاتل، فالتقوا بهم في صَرِيْفِيْنَ (في سواد العراق) فانهزم جيش خالد. واستفحل أمر بُهلول، فأزمع السَّير إلى الشَّام لقتال الخليفة هشام بن عبد الملك، وعَلِم عمَّال هشام بمسيره، فتجهَّز لقتاله جيشٌ من العراق وجيشٌ من الجزيرة، وجُنْدٌ من الشَّام، واجتمعوا بدَيْرٍ بين الجزيرة والموصل، نحو عشرين ألفاً. وأقبل بُهلول عليهم في عددٍ يسير، فنَشَبتِ الحربُ، فقُتل بهلول بعد عراك هائل. ولمّا وليَ عمرو اليَشْكُريّ بعد بهلول لم يلبث أن قُتل، وكذلك مَن بعده[1].

على أنَّ نفراً من خوارج بكر بن وائل رأى بعد خُروجه أنَّه قد جانب الصّواب، وحاد عن الحقّ، فرغِبَ في التَّوبة، فكان فيهم الهَيْهَاثُ بنُ ثورٍ السَّدُوسيّ يسأل طوَّاف بنَ غلَّاق الخارجيّ عن سبيلٍ إلى التّوبة، فيقول له: ما ترى لنا من توبة! فقال: ما أجدُ لك إلا آية في كتاب الله عز وجل[2]: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ﴾[النحل: ١١٠].

ثُمَّ ظهر منهم ما يُسمَّى بالتَّوَّابين، فكان في مقدّمتهم رجلٌ من بكر بن وائل هو عبد الله بن وَأل التَّيمي.

فإن كان لبكرٍ موطئ قدمٍ في الخروج فلهم أيضاً قدمٌ أخرى في الرّجوع، فكان ابن وأل التَّيميّ في جماعة التّوّابين؛ وهم نفرٌ من الشِّيعة التقت، وأظهرت النَّدم على ما كان من الشِّيعة من استدعائهم الحُسين وخِذلانه حتّى قُتل، ورأوا أنَّه لا يغسل عنهم العار والإثمَ الذي ارتكبوه إلا قتلُ مَن قتله أو القتل فيه.

فاجتمعوا بالكوفة إلى خمس نفر من رؤوس الشِّيعة، وهم: سُلَيمان بن صُرَد الخُزَاعيّ، وكانت له صحبة، والمسيَّب بن نَجَبَة الفَزاريّ، وكان من أصحاب علي وخِيارهم، وعبدِ الله بن سَعد بن نفيل الأَزْدِيّ، وعبد الله بن وَأْلٍ التَّيْمي؛ تيم بكر بن وائل، ورَفَاعةُ بن شَدَّاد البَجَليّ[3].

(١) تاريخ الطبري: ١٣٤/٧.

(٢) نهاية الأرب: ١٧٧/٢٠.

(٣) أخبار التّوّابين ومقتلهم ساقها ابن الأثير في الكامل: ٤٨٦/٣. وانظر نهاية الأرب: ٣٣١/٢٠.

مواقف بكر من الأحداث السِّياسيَّة في العصر الأمويّ:

بيعة عبد الله بن الزُّبير، وموقفهم من ابن زياد:

يمكن القول: إنَّ بكر بن وائل هم من أفسدوا على عُبيد الله بن زياد ابن ابيه بيعته الّتي نهض بها بعد وفاة يزيد بن مُعاوية، وثبّتوا دعائم عبد الله بن الزُّبير، ذلك أنّ أول من بُويع بالعراق بعد وفاة يزيد بن معاوية عبيدُ الله ابن زياد بن أبيه، فلمَّا أتاه الخبر بوفاة يزيد، وبلغه ما النَّاس فيه بالشَّام من الاختلاف، أمر فنودي: " الصَّلاة جامعة " ، فاجتمع النَّاس، فصَعِد المنبر، فنعى يزيد وعرَّض بثَلْبِه[١]، لأنَّ يزيد كان قد كرهه قبل موته، وصرَّح بلعنه بسبب قتل الحسين بن علي، حَتَّى خافه عُبيد الله على نفسه، ثم قال عبيد الله: " يا أهل البصرة إنَّ مُهَاجرَنا إليكم، ودَارَنا فيكم، ومَوْلدي فيكم، ولقد ولِّيتكم وما أُحصي ديوان مقاتلتكم إلا سبعين ألف مقاتل، ولقد أُحصي اليوم ثمانين ألف مقاتل، وما أحصي ديوان عُمَّالكم إلا تسعين ألفاً، ولقد أحصي اليوم مئة ألف وأربعين ألفاً، وما تركت لُكم ذا ظِنَّةٍ[٢] أَخَافه عَليكم إلَّا وهو في سِجْنكم، وإنَّ يزيد قد تُوفِّي، وقد اختلف النَّاس بالشَّام، وأنتم اليوم أكثرُ الناس عدداً، وأعرضُه فِناء، وأغناه عن النَّاس، وأوسعُهم بلاداً، فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترضَوْنه لدينكم وجماعتكم، فأنا أوَّل راضٍ بما رَضِيْتُموه لدينكم وجماعتكم، فإن اجتمع أهل الشَّام على رجلٍ تَرْضَونه دخلتم فيما دخل فيه المسلمون، وإن كرهتم ذلك كنتم على جَدِيْلتكم[٣] حتَّى تُعْطوا حاجتكم، فما بكم إلى أحدٍ من أهل البلدان حاجةٌ، وما يستغني النَّاس عنكم". فقام خطباؤهم، وقالوا: قد سَمِعنا مقالتك، وما نعلم أحداً أقوى عليها منك، فهلُمَّ نُبَايعك، فقال: لا حاجة لي في ذلك، فكرَّروا عليه، وهو يأبى عليهم ثلاثاً، ثُمَّ بسط يده، فبايعوه، ثُمَّ انصرفوا ومسَحُوا أيديهم بالحيطان، وقالوا: أيظن ابن مرجانة إنَّا ننقاد له في الجماعة والفرقة[٤].

ولَمَّا بايعوه أرسل إلى أهل الكُوفة مع عَمْرو بنِ مِسْمَع وسَعدِ بن قَرْحَا التَّيْميّ[٥] يدعوهم إلى البيعة له، ويعلمهم ما صنع أهل البصرة، فلما وصلا إلى الكوفة وكان خليفة عبيد الله عليها عَمْرو بن حُرَيث، فجمع

(١) أي بعَيْبه.

(٢) الظَّنين: المتَّهم، ومصدره الظِّنَّة.

(٣) الجديلة: الرّأي والعزم. يُقال: رأَيت جَدِيلَةَ رَأْيه أَي عزيمَتَه (لسان العرب: [ج د ل]، ١٠٣/١١).

(٤) انظر تاريخ الطّبري: ٥٠٧/٥.

(٥) لم اجد في ترجمته إلّا ما جاء في سنن البيهقيّ:" نُبِّئْتُ أَنَّ سَعْدَ بْنَ قَرْحَا رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَمَعَ بَيْنَ

النَّاس، وقام الرسولان فخطبا وذكرا ذلك للنَّاس، فقام يزيد بن الحارث بن يزيد الشَّيْبانيّ وهو ابن رُوَيم، فقال: الحمد لله الذي أراحنا من ابن سُمَيَّة، أنحن نبايعه؟ لا ولا كرامة[1].

وحَصَبَهما النَّاس بعده، فشرَّفت هذه المقالة يَزيد بن رُوَيم بالكوفة ورفعته، ورجَع الرَّسولان إلى عُبيد الله، فقال أهل البصرة: أيخلعه أهل الكُوفة ونولِّيه نحن؟! فضَعُف سُلطانه عندهم، فكان يأمر بالأمر فلا يقضى ويرى الرَّأي، فيُردُّ عليه، ويأمر بحبس المخطئ فيُحَال بين أعوانه وبينه.

على أنَّنا لا يمكن أن نعمّم موقف أهل الكوفة من بكر على البكريين جميعاً، فمن بكر بن وائل مَن ناصر ابن زياد مقابل المال، وهو ما ساقه الطّبريّ في تاريخه، فقال:" إنَّ شَقِيقَ بنَ ثَوْر، ومَالكَ بن مِسْمَع و[حُضَين][2] ابن المنذر أَتَوا عُبيد الله ليلاً، وهو في دار الإمارة، فبلغ ذلك رجلاً من الحيِّ من بنى سَدُوس. قال: فانطلقت فلزِمتُ دار الإمارة، فلبثوا مَعه حتَّى مضى عليه اللَّيل، ثُمَّ خرجوا، ومعهم بَغْلٌ موقَرٌ مالاً. قال: فأتيت حُضَيناً، فقلت: مُر لي من هذا المال بشيء، فقال: عليك ببني عمِّك، فأتيت شَقيقا، فقلت: مُر لي من هذا المال بشيء، قال وعلى المال مولى له يقال له أيُّوب، فقال: يا أيُّوب! أَعْطه مئة دِرهم، قلت: أمَّا مئة درهم والله لا أقبلها، فسكت عنِّي ساعةً، وسار هُنيهةً، فأقبلت عليه، فقلت: مُر لي من هذا المال بشيء، فقال: يا أيُّوب أعطه مئتي درهم، قلت: لا أقبل والله مئتين، ثُمَّ أمر لى بثلاث مئة ثم أربع مئة، فلمَّا انتهينا إلى الطُّفَاوة، قلت: مُر لى بشيء، قال: أرأيت إن لم أفعل ما أنت صانعٌ؟ قلت: أنطلق والله حتَّى إذا توسَّطْتُ دُور الحيِّ وضعت إصبعي في أُذني، ثُمَّ صرخت بأعلى صوتي: يا مَعْشر بكر بن وائل! هذا شَقيق بن ثور وحُضين بن المنذر ومالك بن المِسمع قد انطلقوا إلى ابن زياد، فاختلفوا في دمائِكم، قال: ماله؟ فعَل اللهُ به وفعل! ويلك أَعْطِه خمس مئة دِرهم، قال: فأخذتها، ثُمَّ صبَّحت غادياً على مالك. ثُمَّ رأيت حُضيناً، فدخلت عليه، فقال: ما صنع ابن عمِّك، فأخبرته وقلت أعطني من هذا المال، فقال: إنَّا قد أخذنا هذا المال ونَجَونا به، فلن نخشى من الناس شيئاً، فلم يُعْطني شيئاً"[3].

امْرَأَةِ رَجُلٍ وَابْنَتِهِ مِنْ غَيْرِهَا" (سنن البيهقي: ٢/٢٧١).

(١) نهاية الأرب: ٢٠/٣١٤.

(٢) [حُصَين] أو حُضين بن المنذر الرَّقاشيّ من بني سدوس. صُحّف في اسمه كثيراً، والصّواب أنّه الحُضين بالضاد الْمُعْجمة.

(٣) تاريخ الطّبريّ: ٥/٥٠٥.

ثُمَّ إنَّه لَمَّا انفضَّ النَّاس في البَصرة، وظهر أنَّهم إلى مُعاوية مائلون، خاف زياد ابن أبيه، فاستدعى حُضَيْن بن المنذر ومالِكَ بن مِسْمع، وقال:" أنتم يا مَعْشَر بكر بن وائل أنصارُ أمير المؤمنين وثقاته، وقد كان من ابن الحَضْرميّ ما ترون، وأَتاه من أتاه، فامنعوني حتَّى يأتيَ أمرُ أمير المؤمنين". فقال حُضين بن المنذر: نعم. وقال مالك: ـ وكان يميل إلى بني معاوية ـ هذا أمرٌ لي فيه شُرَكاء، أسْتَشير فيه وأنظر[1].

وقد اعتمد عُبيد الله بن زياد على قِسم من بكر ليس بيسير، وليس أدلّ على ذلك من إغرائه بعضَهم بالمال كما سبق، وقول أخيه عبد الله لهم وقد استمسك بعُروتهم :" إنَّا واللهِ لا نَخرج عنكُم. قد أَجَرْتُمونا وعَقَدتم لنا ذمَّتكم، فلا نخرج حتَّى نُقْتَل بين أَظْهركم، فيكونَ عاراً عليكم إلى يوم القيامة".

وكان شَقِيق بن ثَور قد أرسل إلى عبدِ الله بن جَريرٍ المازنيّ:" إنَّه قد بَلَغَني أنَّ ابنَ مَنْجُوف هذا وابنَ مِسْمَعٍ يُدْلجان باللَّيل إلى دار مَسْعود ليرُدَّا ابن زياد إلى الدَّار، ليصلوا بين هَذين الغارِيْن فيُهْرِيقوا دماءَكم، ويعزُّوا أنفسهم، ولقد هممتُ أن أبعثَ إلى ابن مَنْجوفٍ فأشُدَّه وِثاقاً، وأُخرجه عنِّي، فاذهَبْ إلى مَسعود، فاقرأ عليه السَّلام منِّي، وقل له: إنَّ ابن مَنْجوف وابن مِسْمع يفعلان كذا وكذا، فأَخْرِجْ هَذين الرَّجلين عنك. وكان مَعه عُبيد الله وعبد الله ابنا زياد. قال عبد الله بن جريرٍ المازنيّ: فدخلتُ على مَسعودٍ، وابنا زياد عنده: أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، فقلت: السَّلامُ عليكَ أبا قَيْسٍ، قال: وعليك السَّلام، قلتُ: بَعَثَني اليكَ شَقيقُ بنُ َثور، يقرأ عليك السَّلام، ويقول لَكَ: "إنَّه بلَغَني"، فردَّ الكلام بعينه إلى "فأخرجهما عنك"، قال مَسعود: والله فعلت ذاك؛ فقال عُبيد الله: كيف أبا ثور ونَسِي كُنيته إنَّما كان يُكنَّى أبا الفضل، فقال أخوه عبدُ الله:" إنَّا واللهِ لا نَخْرج عَنكم، قد أَجَرْتُمُونا وعقدتم لنا ذِمَّتكم، فلا نَخْرجُ حَتَّى نُقْتَل بين أَظْهُرِكم، فيكونَ عَاراً عَليكم إلى يوم القيامة"[2].

وساق تفاوت مواقف البكريين بين بعضهم في هذه المرحلة انقساماً عندهم، وتشتُّتاً بينهم في القبائل، فعُقدت الأحلاف، وأُمِّر الأمراء، حتّى قال بعضُهم: [الطَّويل]

نَزَعْنَا ووَلَّيْنا وبَكْرُ بنُ وَائِلٍ ... تَجُرُّ خُصَاهَا تَبْتَغِي مَنْ تُحَالِفُ

ومَا بَاتَ بَكْرِيٌّ مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً ... فَيُصْبِحَ إلَّا وَهْوَ لِلذُّلِّ عَارِفُ[3]

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٢٠/١٢١.

(٢) تاريخ الطّبري: ٥/٥١٢.

(٣) تاريخ الطّبري: ٥/٥١٣.

الأمر الّذي اسْتَدعى من بَكر بن وائل أن تُعيد أحلافاً قديمة كانت في الجاهليّة، أضف إلى ذلك أنَّ هروبَ عُبيد الله بن زياد من البصرة وتوافقَ القوم على عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطَّلب القُرشيّ ـ وعُرِف ببَبَّة ـ ، جعل البكريين يخوضون في مُنازعات يَمنة ويَسرة، حتّى كَثُر أعداؤهم، وفلّت أحلافهم.

كما أنَّ شيئاً من عدم الرّضى على الأمير الجديد داخل قوماً من بكر بن وائل من غير أن يظهر جليّاً، حتّى وقع بينهم وبين مُضر من قريش قوم ببَّة؛ اقتتالٌ؛ كان سببه أنَّ مالك بن مِسْمع كان في المسجد، فوافى الحلْقَةَ رجلٌ من ولد عَبد الله عَامر بن كُرَيْز القُرشيّ يريد ببَّة، ومعه رسالة من عبد الله بن خَازِم، وبَيْعَتِه بهَرَاة، فتنازعوا، فأغلظ القرشيُّ لمالك، فلطم رجلٌ من بكر بن وائل القرشيّ، فتهايج مَن ثمَّ مِن مُضر وربيعة، وكثرتهم ربيعة الذين في الحَلْقة، فنادى رجل: يالَ تميم! فسمعت الدعوة عصبةٌ من ضبة بن أد – كانوا عند القاضي – فأخذوا رِماح حَرَس من المسجد وتِرسَتَهم، ثم شَدُّوا على الرَّبْعيِّن فهزموهم، وبلغ ذلك شَقيقَ ابن ثور السَّدوسيّ – وهو يومئذ رئيس بكر بن وائل – فأقبل إلى المسجد فقال: لا تجدُنَّ مُضَرياً إلا قتلتموه، فبلغ ذلك مالك بن مِسْمع، فأقبل متفضّلاً يسكِّن الناس، فكفَّ بعضهم عن بعض، فمكث الناس شَهراً أو أقل[1].

ثُمَّ أضاف بنو بكر بن وائل إليهم خصماً جديداً؛ من بني ضَبّة. حين جالسَ رجلٌ من بني يَشْكر من بكر بن وائل رجلاً من بني ضَبَّة في المسجد، فتذاكرا لَطْمةَ البكريّ القرشيَّ، ففخر اليَشْكُريُّ. قال: ثُمَّ قال: ذهبت ظَلْفاً[2]. فأحفظ الضبي بذلك، فوجأ عنقه، فوقَذَه النَّاس في الجمعة، فحمل اليَشْكريّ إلى أهله ميتاً، فثارت بكر إلى رأسهم أَشْيَم بنِ شَقيق، فقالوا: سِر بنا؛ فقال: بل أبعث إليهم رسولاً، فإن سَيَّبوا[3] لنا حقَّنا وإلَّا سِرنا إليهم، فأبت ذلك بكر، فأتوا مالك بن مِسْمع – وقد كان قبل ذلك مملَّكاً عليهم قبل أَشْيم، فغلب أَشيم على الرِّياسة حين شَخص أشيمُ إلى يزيد بن معاوية؛ فكتب له: إلى عبيد الله بن زياد أن رُدُّوا الرِّياسة إلى أَشيم، فأبت اللَّهازِم، وهم بنو قيس بن ثعلبة وحُلفاؤهم عَنزة وشَيْع اللَّات وحلفاؤها عِجْل، وآلُ ذهل ابن شَيبان[4] وحلفاؤها يَشْكر، وذُهْلُ ثَعْلبة وحلفاؤها ضُبَيْعة بن ربيعة بن نزار؛ أربع قبائل وأربع قبائل،

(١) تاريخ الطّبري: ٥/٥١٥.

(٢) ظلفاً: أي من غير فائدة.

(٣) سيَّبوا: تركوا.

(٤) قال ابن قتيبة في ذُهل بن شَيبان:" وفيه العَدد والبيت" (المعارف: ٦١).

وكان هذا الحلف في أهل الوَبَر في الجاهلية، فكانت حَنِيفةُ بَقيتْ من قبائل بكر لم تكن دخلت في الجاهلية في هذا الحلف، لأنهم أهل مَدَر، فدخلوا في الإسلام مع أخيهم عِجْل، فصاروا لهزمةً[1]، ثم تراضوا بحكم عِمْران بنِ عِصام العَنْزيّ؛ أحد بني هُمَيْم، وردها إلى أشيَم، فلما كانت هذه الفتنة استخفّت بكر مالك بن مِسمع، فخف وجمع وأعدّ، فطلب إلى الأَزْد أن يجدِّدوا الحلف الذي كان بينهم قبل ذلك في الجماعة على يزيد ابن معاوية.

فاجتمع مالك بن مِسْمع زعيم بكر بن وائل، ومسعود بن عَمْرو زعيم الأَزْد، وغايتُهم أن يُعيدوا عُبيد الله ابن زياد إلى دارِه، فقال مالك: جدِّدوا حِلْفَنا وحِلْفَ كِنْدة في الجاهليَّة، وحلفَ بني ذُهْل بنِ ثَعْلبة في طيّىء ابن أَدَد من ثُعَل؛ فقال الأحنف: أما إذ أتوهم فلن يَزالوا لهم أَتْباعاً أَذْناباً. وكان حلف بكر بن وائل مع كندة من أوثق الأحلاف، وأعقدها[2]، وقد ذكر ذلك الحلف أبو طالب في شعره، فقال: [الطّويل]

وَكِنْـــدَةُ إذَا هُـــمْ بِالْخِصَـــابِ عَشِـــيّةً ... تُجِيـــزُ بِهِـــمْ حُجّـــاجُ بَكْـــرِ بْـــنِ وَائِـــلِ
حَلِيفَـــانِ شَـــدّا عَقْـــدَ مَـــا احْتَلَفَـــا لَـــهُ ... وَرَدّا عَلَيْـــهِ عَاطِفَـــاتِ الْوَسَـــائِلِ[3]

(١) تاريخ الطّبري: ٥/٥١٥.
(٢) انظر تاريخ الطَّبريّ: ٥/٥١٦.
(٣) السّيرة النّبويّة: ١٧٣.

بَيْعةُ أهلِ خُراسانَ، وشَأنُ أَوسِ بنِ ثَعْلبة:

بَعد موت يزيد بن مُعاوية وابنه مُعاوية بن يزيد دعا سَلْمُ بنُ زِياد[1] إلى البيعة على الرِّضا حتَّى يستقيمَ أمرُ النَّاس على خليفةٍ، فبايعوه ثمَّ نَكَثوا به بعد شَهْرين، وكان مُحسناً إليهم مَحبوباً فيهم، فلمَّا خُلِعَ عنهم استخلفَ عليهم المهلَّبَ بنَ أبي صُفْرة، ولَّما كان بسَرْخَس لَقِيَه قائدٌ بكريّ يُدْعى سُليمان بن مَرْثد، أحدَ بني قيس بن ثَعْلبة بنِ رَبِيْعة، فقال له: ضَاقتْ عليك نزارُ حتَّى خَلَّفتَ على خراسان رجلاً من اليمن؟ يعني المهلَّب، وكان أَزْديَّاً والأَزْد من اليمن، فولَّاه مَرْو الرُّوْذِ[2]، والفَارياب[3] والطَّالقان والجَوْزَجان، وولَّى أوسَ بنَ ثعلبة بن زفر الكلبيّ، وهو صاحب قَصْر أَوْس بالبصرة هَرَاة، فلمَّا وصل إلى نَيْسابور لقيه عبدُ الله بن خَازِم فقال: من ولَّيت خُراسان؟ فأخبره، فقال: أَما وجدتَ في مُضَر مَن تستعمله حتَّى فرَّقت خُراسانَ بين بكر ابن وائل واليمن؟ اكتبْ لي عهداً على خراسان. فكتب له وأعطاه مئة ألف درهم.

وسار ابن خازِم إلى مَرو، وبلغ خبره المهلَّبُ، فأقبل واستخلف رجلاً من بني جُشم بن سعد بن زيد مَناة بن تميم ـ وقد أعان من كان بخُراسان من تميم عبد الله بن خازم على ربيعة، وحرب أوس بن ثَعلبة[4] ـ فلمَّا وصلها ابن خازم منعه الجُشميّ، وجرت بينهما مُناوشة، فأصابت الجشميَّ رميةٌ بحَجَرٍ في جبهته، وتحاجزوا، ودخلها ابن خازم، ومات الجشميّ بعد ذلك بيومين.

ثم سار ابن خازم إلى سليمان بن مَرثد بمَرو الرّوذ، فقاتله أياماً، فقتل سُليمان، ثُمَّ سَار إلى عَمرو بنِ مَرثد وهو بالطَّالقان، فاقتتلوا طويلاً، فقُتل عَمْرو بن مَرْثَد وانهزم أصحابه، فلحقوا بهراة بأوس بن ثعلبة، ورجع ابن خازم إلى مرو، وهرب من كان بمرو الرُّوْذ من بكر بن وائل إلى هَرَاة، وانضم إليها من كان بكُور خُراسان من بكر، وكثر جمعهم، وقالوا لأوس بن ثعلبة: نُبَايعك على أن تسيرَ إلى ابن خازم وتُخْرِج مُضَر من خراسان، فأبى عليهم، فقال له بنو صهيب، وهم مَوالي بني جحدم: لا نرضى أن نكون نحن ومضر في بلد واحد وقد قتلوا سليمان وعمراً ابني مَرْثَد، فإما أن تبايعنا على هذا وإلا بايعنا غيرك. فأجابهم، فبايعوه، فسار إليهم ابن خازم فنزل على وادٍ بينه وبين هَراة، فأشار البكريون بالخروج من هَراة وعمل خندق، فقال أوسٍ:

---

(١) هو أخو عُبيد الله بن زياد.

(٢) مرو الرّوذ: من نواحي خراسان، و(المرْوان): مرو الرُّوذ ومرو الشَّاهَجان (المغرب في ترتيب المعرب: ٢/٢٦٥).

(٣) الفارياب: مدينة من أعمال جوزجان (الأعلام: ٢/١٥٤)، والأصل (باریاب)

(٤) تاريخ الطّبري: ٥/٦٣٢.

بل نلزم المدينة، فإنَّها حصينةٌ ونطاول ابن خازم نحو سنة، وقال له هلال الضَّبِّيّ: إنَّما تقاتل إخوتك وبني أبيك، فإن نلت منهم الذي تريد فما في العيش خير، فلو أعطيتهم شيئاً يرضون به وأصلحت هذا الأمر. قال: والله لو خرجنا لهم من خراسان ما رضوا. قال هلال: والله لا أقاتل معك أنا ولا رجل أو تطيعني حتى تعتذر إليهم، قال: فأنت رسولي إليهم، فأرضهم.

فأتى هلالٌ أوسَ بن ثعلبة، فناشده اللهَ والقرابةَ في نزار، وأن يحفظ ولاءها. فقال: هل لَقيت بني صُهيب؟ قال: لا. قال: فالقهم. قال: فخرج، فلقي جماعة من رؤساء أصحابه فأخبرهم ما أتى له. فقالوا له: هل لقيت بني صُهيب؟ فقال: لقد عَظُم أمرُ بني صُهيب عندكم، فأتاهم فكلَّمَهم، فقالوا: لولا أنك رسول لقتلناك. قال: فهل يرضيكم شيء؟ قالوا: واحدة من اثنتين: إمَّا أن تَخرجوا من خراسان، وإمَّا أن تُقيموا وتخرجوا لنا عن كُلِّ سلاحٍ وكُراعٍ وذَهبٍ وفِضةٍ[1].

فرجع إلى ابن خازم، فقال: ما عندك؟ فأخبره. فقال: إنَّ ربيعة لم تزل غضاباً على ربِّها منذ بُعث نبيه من مضر. وأقام ابن خازم يقاتلهم، فقال يوماً لأصحابه: قد طال مُقامنا، وناداهم: يا معشر ربيعة أرضيتم من خراسان بخندقكم! فأحفظهم ذلك، فتنادوا للقتال، فنهاهم أوس بن ثعلبة عن الخروج بجماعتهم وأن يقاتلوا كما كانوا يقاتلون، فعصوه. فقال ابن خازم لأصحابه: اجعلوه يومكم فيكون الملك لمن غلب، وإذا لقيتم الخيل فاطعنوها في مناحِرِها. فاقتتلوا سَاعةً، وانهزمت بكرُ بنُ وائل حتَّى انتهوا إلى خندقهم، وتفرقوا يميناً وشمالاً وسقط الناس في الخندق، وقتلوا قتلاً ذريعاً، وهرب أوس بن ثعلبة إلى سِجستان، فمات بها أو قريباً منها، وقتل من بكر يومئذٍ ثمانية آلاف، وغلب ابن خازم على هراة[2].

مشاركة بكر بن وائل في الحروب

اشتركَتْ بَكْرُ بن وائل مع المهلَّب بنِ أبي صُفْرة؛ عَاملِ عبد الله بن الزبير، في قتال الخوارج سنة (٦٥هـ)، وقد أمر المهلَّبُ على خُمس بكر بن وائل عُبيد الله بنِ زياد بنِ ظَبيان[3].

وحاربت بكرُ بن وائل مع مُصْعب بن الزُّبير (سنة ٦٧ هـ) ضدَّ المختار، وكان على خُمس بكر بن وائل مالكُ ابن مِسْمع[4]، وجعل على الرّجّال من الجيش مقاتِل بن مِسْمَع البَكْريّ[1]، فنزل وهو يمشي متنكّباً قوساً

(١) الكامل في التّاريخ: ٤٨٣/٣.

(٢) الكامل في التّاريخ: ٤٨٥/٣.

(٣) انظر تاريخ الطّبريّ: ٥٦٤/٥.

(٤) تاريخ الطّبري: ٩٥/٦.

له، فلمّا رأى المختار صَنيع مُصعب بعث إلى كُلِّ خُمْسٍ من أخْماس أهل البصرة رجلاً من أصحابه، فبعثَ إلى بَكْرِ بنِ وائل سَعيد بن مُنْقِذ؛ صاحبَ مَيْسَرته، وعليهم مالِك بنُ مِسْمَعٍ البَكْريّ، وبعث إلى عبد القَيْس، وعليهم مالك بن المنذر بن عبد الرّحمن بنِ شُريَح، وغيرهم من القبائل، على كُلّ قبيلة رجلٌ[٢].

وحين دخل عبد الملك الكُوفةَ (سنة ٧١ هـ)، ودعا النَّاس إلى البَيْعة، أقبل داود بن قَحْذَم بعد مقتل مُصْعب بن الزُّبير في مِئتين من بَكْرِ بنِ وائل، عليهم الأقبية الدَّاوديَّة، وبه سُمِّيت، فجلس مع عبد الملك بنِ مروان على سرير، فأقبل عليه عبد الملك، ثُمَّ نهض، ونهضوا معه، فأتبعهم عبد الملك بَصَره، فقال: "هؤلاء الفُسَّاق، والله لولا أنَّ صاحبَهم جاءني، ما أعطاني أحد منهم طاعة"[٣].

وحارب بنو يَشْكر من بكر بن وائل إلى جانب عبد الملك ضدّ مُصْعب بن الزّبير سنة (٧٠هـ)، وقد ذكر الطّبريّ أنّ أوّل رايةٍ أَتَتْ خَالد بنَ عبد الله بن خالد بن أُسيد رايةُ يَشْكُر[٤].

وحارب البَكْريُّون مع ابنِ الأَشْعَث الحجَّاجَ بنَ يُوسف سنة (٨٢هـ) وكان على خُمس بكر بن وائل مُقَاتل ابن مِسْمَع، وبلغت مقاتلة بكر بن وائل بخراسان (سنة ٩٦ هـ) سبعة آلاف مقاتل، ورئيسهم الحُضين بن المنذر[٥]. وفي هذه السّنة قُتل قُتيبة بن مُسلم الباهليّ، وقد ذمَّ بكرَ بن وائل وغيرها من القبائل لمّا لم تُجِبْهُ إلى دعواه، فقال:" لا أعزَّ اللهُ مَن نَصَرْتُم، والله لو اجْتَمَعْتم على عَنْزٍ ما كَسرتُم قَرنها، يا أهل السَّافلة – ولا أقول أهل العالية – يا أَوْباش الصَّدقة، جَمَعْتكم كما تُجْمَع إِبِلُ الصَّدقة من كل أَوْب، يا مَعْشرَ بَكر بنِ وَائل، يا أهلَ النَّفْخ والكَذِب والبُخْل، بأيِّ يَوميِّكم تفخرون؟ بيوم حَرْبكم، أم بيوم سِلْمكم! فوالله لأنا أعزُّ مِنْكم"[٦]

وفي سنة(١٠١ هـ) حاربت بَكْرُ بن وائلٍ مع عَدي بنِ أَرْطَاة الفَزاريّ؛ عامل يَزيد بنِ عبد الملك بالبَصرة، وذلك حين مضى يزيد بن المهلَّب إلى البصرة، وقد جمع عَدي بن أرطاة إليه أهلَ البصرة، وخَنْدَق عليها وبعث على كُلِّ خُمس من أخماسها رجلاً، فبعث على بَكْرِ بن وائل عِمْرانَ بنَ عَامرِ بنِ مِسْمع من بني قيس ابن ثعلبة،فقال ابن مِنْقَر: رجلٌ من قيس بن ثَعلبة، إنَّ الرَّاية لا تصلح إلَّا في بَني مالك بن مِسْمع، فدعا

(١) تاريخ الطّبري: ٦/٩٩.
(٢) تاريخ الطّبري: ٦/٩٩.
(٣) تاريخ الطّبري: ٦/١٦٤.
(٤) تاريخ الطّبري: ٦/١٥٢.
(٥) تاريخ الطّبري: ٦/٥١٢.
(٦) تاريخ الطّبري: ٦/٥٠٩.

عديٌّ نُوحَ بنَ شَيْبان بن مالك بن مِسمع، فعَقد له على بَكْرِ بنِ وائل[1]، فاقتتلوا وانتصر يزيد بن المهلَّب، وغلب على البصرة، وأخذ عاملَ يزيد فحبسه، وخلع يزيد بن عبد الملك.

وفي سنة (١٠٢هـ) قُتل المنتوف من بكر بن وائل، وقيل هو مولى لقيس بن ثعلبة، فقال الفرزدق يُحرّض بكر ابن وائل: [الطَّويل]

تُبَكِّـي عَـلَى المنتـوفِ بَكْـرُ بـنُ وَائـلٍ ... وتَنْهَـى عَـنِ ابْـنِ مِسْـمَعٍ[2] مَـنْ بَكَاهُمـا
غُلامَـيْنِ شَـبَّا في الحُـرُوْبِ وأَدْرَكَـا ... كِـرَامَ المسَـاعِي قَبْـلَ وَصْـلِ لحاهُمـا
ولَـو كَـان حَيَّـاً مَالِـكٌ وابْـنُ مَالـكٍ ... إذاً أَوْقَـدوا نَـارَيْنِ يَعْلُـو سَـنَاهُما[3]

فأجابه الجَعْدُ بن دِرهم مَوْلى من هَمْدان: [الطَّويل]

نُبَكِّـى عَـلى المنتـوفِ في نَـصْرِ قَوْمـهِ ... ولَسْـنَا نُبَكِّـي الشَّـائِدِينَ أَبَاهُمـا
أَرَادَ فِنَـاءَ الحـيِّ بَكْـرِ بـنِ وَائـلٍ ... فَعِـزٌّ تَمـيمٍ لَـو أُصِـيْبَ فِنَاهُمـا
فَـلا لَقِيَـا رَوْحـاً مـنَ اللهِ سَـاعةً ... ولا رَقَـأتْ عَيْنَـاً شَـجِيٍّ بُكَاهُمـا
أَفي الغِـشِّ نَبْكِـي إنْ بَكَيْنَـا عَلَـيْهِما ... وقَـدْ لَقِيَـا بـالغِشِّ فينـا رَدَاهُمـا[4]

وفي سنة (١٣٢هـ) أواخر الدّولة الأمويّة، قاتل مَسْعُود بن عِلاجٍ مع قَحْطَبة بنِ شَبِيب ضدّ ابن هُبيرة، وكان نزل جَلُولاء، في حين نَزَل قَحْطَبَةُ بخانِقِين، وكان مَسْعود بن عِلاج صاحب راية قَحْطبة، وعبر معه النِّيْلَ فيمن عَبروا، وقُتل في هذه السّنة من بكر ابن نَبْهان السَّدُوسيّ، وقُتِل قَحْطَبَةُ، وقد قِيل، قتله مَعْنُ بن زائدة، ضربه على حبل عاتِقه، ثُمّ أسرعَ إليه السّيف، وقد انهزم مسعود ومن معه بعد عبورهم النَّهر، وقد طُعِنَ أولُ فارسٍ لَقِيَهم من أصحاب ابنِ هُبيرة، فولُّوا منهزمين، حتّى بلغت هزيمتُهم جسر سُوَرَا، حتّى اعْترضهم سُويد؛ صاحبُ شُرطة ابن هُبيرة، فضربَ وجوهَهم ووجوه دوابِّهم، فردَّهم إلى موضعهم، حتّى انتهوا إلى مَسعود بن عِلاج ومن معه؛ فكثروهم، فأمر قَحْطبة المُخارِق بن غِفار وعبدَ الله بسّام وسَلَمةَ بن محمد، وهم في جريدة خيل أن يعبروا، فيكونوا رِدْءاً لمسعود بن علاج، فعبروا [5].

(١) تاريخ الطّبري: ٥٨٠/٦.
(٢) ابنا مِسمع: مالك وعبد الملك ابنا مِسمع، قتلهما معاوية بن يزيد بن المهلّب.
(٣) ديوانه: ٧٦٢.
(٤) تاريخ الطّبري: ٥٩١/٦.
(٥) انظر تاريخ الطّبريّ: ٤١٥/٧.

وفي هذه السَّنة خرج محمَّد بن خالد بالكُوفة، وخرج منها عاملُ ابنِ هُبيرة، وعلى الكُوفة زيادُ بن صالحٍ الحارثيّ، وعلى شُرطه عبدُ الرَّحمن بنُ بَشِيْرٍ العِجْليُّ، وسوَّد محمّد وسار إلى القصر، فارتحل زياد بن صالح، وابن بشيرٍ العِجْليّ، ومن معهم من أهل الشّام، وخلُّوا القصرَ، فدخلهُ محمَّد بن خالد .(١)

حربُ بكرٍ بن وائل وغيرها من القبائل:

١ـ عودة النِّزاع بين بكر وتغلب.

يبدو أنَّ الزَّمن وحدَه ليس كفيلاً بمحو آثار الدِّماء والضَّغائن، فهي أحقاد قد تعود إلى واجهة الصّراع، وتتصدَّر الحروب، ولا سيَّما إذا كانت الصّراعات على البقاء و الوجود.

وهذا ما حَصل مع بَكْرِ بن وائلٍ وأبناء عمومتهم التَّغلبيّين سنة (١٠٦هـ) بالبَرُوقَان من أرض بَلْخ، وقد أراد مُسلم بن سعيد أن يغزو، فقطع النّهر، وتباطأ النَّاس عنه؛ وكان ممن تباطأ عنه البَخْتريّ بن دِرهم، فلمَّا أتى النَّهر ردَّ نَصْرَ بن سيَّار، وسُلَيْم بنَ سُليمان بنِ عَبد الله بن خَازِم، وبَلْعَاءَ بنَ مُجاهد بنِ بَلْعاء العَنْبريّ، وأبا حَفْص بن وائل الحَنْظليّ، وعُقْبَةَ بنَ شِهابٍ المازنيّ، وسَالمَ بنَ ذُؤَابة إلى بلْخ، وعليهم جميعاً نصرُ بن سَيَّار، وأمرهم أن يُخرجوا النّاس إليه. فأحرق نصر باب البَخْتريّ وزيادِ بنِ طَرِيف الباهِليّ، فمنعهم عمرو بن مسلم من دخول بلخ – وكان عليها – وقطع مُسلم بن سعيد النَّهر، فنزل نصر البَرُوقان، فأتاه أهل صَغَانِيَان(٢)، وأتاه مَسْلمةُ العُقْفَانيّ من بني تميم، وحَسَّانُ بنُ خالدٍ الأسديّ؛ كلّ واحد منهما في خمسمائة، وأتاه سِنان الأعرابيّ، وزُرْعَةُ بن عَلْقمة، وسَلَمة بن أَوْس، والحجَّاج بن هَارون النُّمَيْريّ في أهل بيته، وتجمّعت بكر والأَزْد بالبَرُوقان، وكانتا متحالفتين، ورأسهم البَخْتَريّ، وعسكر بالبروقان على نصف فرسخ منهم، فأرسل نَصر إلى أهل بلْخ: قد أخذتم أُعْطياتكم فالحقوا بأميركم، فقد قطع النَّهر. فخرجت مُضر إلى نصر، وخرجت ربيعة والأزد إلى عمرو بن مسلم، وقال قوم من ربيعة: إنَّ مُسْلم بن سعيد يريد أن يخلع؛ فهو يُكْرِهنا على الخروج. فأرسلت تَغْلبُ إلى عمرو بن مسلم: إنَّك منا، وأنشدوه شعراً قاله رجل عزا باهلة إلى تغلب – وكان بنو قتيبة من باهلة – فقالوا: إنّا من تغلب، فكرهت بكر أن يكونوا في تغلب فتكثر تغلب، فقال رجل منهم: [الكامل]

زَعَمَتْ قُتَيْبَةُ أَنَّهَا مِنْ وَائِلٍ ... نَسَبٌ بَعِيْدٌ يا قُتَيْبَةُ فَاصْعَدِي(٣)

(١) تاريخ الطّبريّ: ٤١٧/٧.

(٢) صغانيان: كورة عظيمةٌ بما وراء النّهر، والنّسبة إليها (الصّغانيّ)، وإليها يُنسب جمع كبير من العلماء.

(٣) تاريخ الطّبري: ٣٠/٧.

وكان عَمرو بن مسلم يقف على مجالس بني مَعْن، فيقول: لَئِن لم نكن منكم ما نحن بعرب؛ وقال عمرو بن مُسلم حين عزاه التَّغلبيّ إلى بني تَغْلب: أمَّا القَرابة فلا أعرفها، وأما المَنْعُ فإنِّي سَأَمْنَعُكم،. فحمل أصحاب عمرو بن مسلم والبَخْتريّ على نصر، ونادَوا: يا لَ بكر! وجالوا، وكرَّ نَصْر عليهم؛ فكان أوّلَ قتيلٍ رجلٌ من بَاهِلة، ومع عَمرو بن مُسْلم البَحْتريّ وزياد بن طَريف الباهليّ، فقُتل من أَصحاب عَمرو بن مُسلم في المعركة ثمانيةَ عَشر رجلاً، وقتل كَرْدان أخو الفُرَافِصَة ومَسْعَدة ورجلٌ من بكر بن وائل يقال له إسحاق، سوى من قتل في السَّكك، وانهزم عمرو بن مُسلم إلى القصر وأرسل إلى نصر: ابعث إلى بَلْعَاء بنِ مُجاهد، فأتاه بَلْعَاءُ، فقال: خذْ لي أماناً منه، فآمنه نصر، وقال: لولا أنِّي أُشْمِت بك بكرَ بن وائل لَقتلتك.

وقد قُتل من بكر بن وائل واليمن ثلاثون، فقالت بكر: عَلام نُقاتل إخْوَاننا وأَمِيْرَنا، وقد تقرّبنا إلى هذا الرَّجل فأنكرَ قرَابتنا؟! فاعتزلوا. وقاتلت الأَزْدُ، ثُمَّ انهزموا ودخلوا حِصناً، فحصرهم نَصْر، ثُمَّ أخذ عمرو ابن مُسْلم والبختريَّ أحد بَني عَبَّاد وزياد بن طريف الباهليَّ، فضربهم نصر مئة مئة، وحَلق رُؤوسهم ولِحاهم، وألبسهم المُسوح. وقيل: أخذ البختريّ في غَيْضة كان دخلها، فقال نَصْر في يوم البَرُوقان: [الطَّويل]

أَرَى العَـيْنَ لجَّـتْ في ابْتِـدَارٍ ومَـا الَّـذي ... يَـــرُدُّ عَلَيْهَـــا بالـــدُّمُوْعِ ابْتِـــدَارُها!
فَـما أَنَـا بـالوَانِي إذا الحـرْبُ شَـمَّرَتْ ... تَحَـــرَّقُ في شَـــطْرِ الخَمِيْسَـــيْنِ نَارُهـــا
ولَكنَّنِـــي أَدْعُـــو لهـــا خِنْـــدِفَ الَّتـــي ... تَطَلَّـــعُ بالعِـــبْء الثَّقِيْـــلِ فِقَارُهـــا
ومَـا حَفظـتْ بَكْـرٌ هُنالِـكَ حِلْفَهـا ... فَصَـارَ عَلَيْهَـا عَـارُ قَـيْسٍ وعَارُهـا
فَـإنْ تَـكُ بَكْـرٌ بـالعِرَاقِ تَنَـزَّرَتْ ... فَفِـي أَرْضِ مَـرْوٍ عَلُّهَـا وازْوِرَارُهـا
وقَـدْ جَرَّبَـتْ يَـوْمَ البَرُوقَـانِ وَقْعَـةً ... لِخِنْـــدِفَ إذْ حَانَـــتْ وآنَ بَوارُهـــا
أَتَتْنِـــي لِقَـــيْسٍ في بَجِيْلَـــةَ وَقْعَـــةٌ ... وقَـدْ كَـانَ قَبْـلَ اليَـوْمِ طـال انْتِظَارُهـا[1]

(١) تاريخ الطّبري: ٣١، ٣٢.

الباب الثَّاني
مصادر أشعار بكر بن وائل وموضوعاتها، وتوثيقها

الفصل الأوَّل: مصادر شعر بكر بن وائل وتوثيقها:

القسم الأوّل: رواية أشعارهم وتدوينها.

القسم الثّاني: مصادر شعرهم المفرد والمجموع.

القسم الثَّالث: توثيق شعرهم:

١ـ الضَّياع .

٢ـ الاضطراب في نسبة شعرهم، واختلاطه باختلاط النَّسب بين القبائل.

٣ـ النَّحل في أشعارهم.

الفصل الأوَّل
مصادر شعر بكر بن وائل وتوثيقها

القسم الأوّل: رواية أشعارهم وتدوينها

لا شكَّ أنَّ دواوين الشِّعر الَّتي وصلتنا، من الجاهليَّة والإسلام، هي من صُنع علماء الشِّعر الإسلاميين، أي ابتداءً من العصر الأمويّ، وهو عصر التَّدوين، وقد بلغت عمليّةُ جمع الدَّواوين وصنعها الذَّروة في القرن الثَّاني الهجريّ، و لقيت هذه العمليّة أهميّة كبرى عند هؤلاء العلماء الأجلَّاء، فكانوا حريصين على دقَّة الرِّواية، والإلمام بالشِّعر قدر ما يَسْتطيعون، ذلك أنَّه سِجلُّ تاريخهم ومآثرهم، ومُحتوى أدبهم، وحياتهم كلِّها، حيث نُسب إلى ابن عبَّاس قوله:" إذا أَشْكَل عَلَيْكُم الشَّيءُ مِن كِتابِ اللهِ ،فالتَمِسُوه في الشِّعر ، فإنَّ الشِّعرَ ديوانُ العَرَب "[1].

وقال عمر بن الخطَّاب ﷺ:" كان الشِّعرُ علمَ قومٍ لم يكن لهم علمٌ أصحُّ منه"[2].

وقال ابن سلَّام:" وكان الشِّعرُ في الجاهليَّة دِيوانَ عِلْمِهم، ومُنْتَهى حُكْمِهم، به يَأْخُذون، وإليه يَصِيْرُون"[3].

وحرصاً على هذا الكنز ذهب العلماء في القرنين الثّاني والثَّالث الهجريين إلى جمع أشعار الشُّعراء، فيما يُعرف بدفاتر أشعار العرب،ولا سيَّما الفحول منهم، وجمع أشعار القبائل من أفواه الرُّواة وأبناء القبائل في البوادي، واتَّخذ جمع الشِّعر مناحي شتَّى، فمِن العلماء مَنْ عكف على شعر شاعر بعينه يتتبَّعُ مخارج روايته، ويتحرَّى الصِّدق في رُواته، ومنهم من انصرفتْ همَّته إلى جمع شعر قبيلةٍ أو بطنٍ منها، وهيَّأ الله لهذا العمل الجليل أعلاماً أفذاذاً، منهم المُفضَّل الضَّبِّيّ(ت ١٦٨هـ)، وأبو عمرو الشَّيبانيّ(ت ٢٠٦هـ)، وأبو عُبيدة مَعمر بن المثنّى(ت ٢١١هـ)، وابن الأعرابيّ(ت ٢٣١هـ)، وابن السّكيّت(ت ٢٤٤هـ)، ومحمَّد بن حبيب(ت ٢٤٥هـ)، والسّكريّ(ت ٢٧٥هـ).

وذهب الدُّكتور ناصر الدّين الأسد إلى أنَّ " العُلماءَ الرُّواةَ في القرن الثَّاني قد كانت بين أيديهم دواوين

(١) النُّكت والعيون: ١/٣٨.

(٢) طبقات فحول الشُّعراء: ١/٢٤.

(٣) طبقات فحول الشّعراء: ١/٢٤.

القبائل مكتوبةً مُدونةً، وأنَّهم اعتمدوا هذه المدونات مصدرًا من مصادر تدوينهم نسخَهم الخاصة من كتب القبائل التي نُسبت بعد روايتها إليهم. ويقول: "نحسب أنَّنا كذلك غيرُ مُغالين إذا رجَّحنا -مجرَّد ترجيح ولكنَّه ترجيحٌ قويٌّ تَدعمه الأخبارُ والنُّصوص الَّتي قدَّمناها- أنَّ هذه المدوَّنات الَّتي وصلت إلى علماء القرن الثَّاني قد كُتب بعضها منذ مطلع القرن الأول، ولعلَّ بعضها الآخر قد كُتب منذ الجاهلية نفسها"[(١)].

في حين يرى د. جواد عليّ أنَّ مثل تلك المدوَّنات لم تكن بذات أهميّة، ولم ينظر إليها العلماء نظرة تجلَّةٍ واحترام، لأنَّهم في نظرهم قُرَّاء صُحفٍ لا غير[(٢)]، ولأنَّ قوام الشّعر وصحّته على الحفظ والسّماع، وهو ما أشار إليه ابن قُتيبة، فقال:" وكُلُّ عِلْمٍ محتاجٌ إلى السَّماع. وأحوجُه إلى ذلك عِلمُ الدِّين، ثُمَّ الشِّعر، لما فيه من الألفاظ الغريبةِ، واللُّغات المختلفة، والكَلام الوحشيِّ، وأسماء الشَّجر والنَّبات والمواضع والمياه. فإنَّك لا تَفْصِل في شعر الهذليِّين إذا أنت لم تَسْمعه بين (شَابَةَ) و(سَايَةَ) وهما موضعان[(٣)]. وفي تعليقه على الألفاظ المصحَّفة بسبب التّدوين لا الحفظ، قال:" يرويه المُصحِّفون، والآخذون عن الدَّفاتر...."[(٤)]. ولكن الحفاظ على أشعار القبائل، وإن صدق ما جاء به ابن قتيبة وغيره من العلماء، هو ما دفع بعضهم فيما بعد إلى جمع تلك الأشعار، وتدوينها، وإصدار التَّصانيف والكتب الّتي تخدم ذاك الشِّعر، وتشرحُ ألفاظه، وتجلو غريبَه .

وليس أدلّ على ذلك من الكتب المؤلّفة في أخبار القبائل، الّتي ساعدت على جمع الشّعر، وقد دُفنت أغلب تلك المؤلّفات في غياهب الدَّهر، إلاّ بعض تلك النُّقول الّتي نجدها هنا وهناك، والّتي تحظى بالاهتمام على قلَّتها.

ويذكر العلماء أنَّ أبا عمرو الشَّيْبانيّ[(٥)] صنع دواوين نيِّف وثمانين قبيلةً عاد أبو الفرج الأصفهانيّ إليها

(١) مصادر الشِّعر الجاهليّ: ٥٦١.

(٢) المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٣٥٣.

(٣) الشّعر والشُّعراء: ٨٢.

(٤) الشّعر والشّعراء: ٨٤.

(٥) لم تذكر المصادر من أيِّ شيبان هو؟ إذ ثمّة عدد من الشّيبانيّين ينتسبون إلى ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن بكر بن وائل، وهم المشهورون المعروفون بذلك، ومنهم ينتسبون إلى علقمة بن زُرارة، ومنهم إلى محارب بن فِهْر، وآخرون إلى مَعن بن مالك، ولكنَّ المشهور في كتب الأنساب والطّبقات تنصّ بالشّيبانيّة على بكر بن وائل، أو على الأقلّ تسكت عن الآخرين المنتسبين إلى شيبان. وإلى ذلك يمكن أن ننسب أبي عمرو الشّيبانيّ إلى بكر بن وائل (انظر مقدّمة الجيم: ٦، ٧). وفي مقدّمة تهذيب اللّغة للأزهريّ: ص٢٢" جاورَ بني شيبان، فنُسِبَ إليهم، ثُمّ قَدِم بغداد". أي هو شيبانيّ بالجوار على ما نصّ عليه أبو منصور الأزهريّ.

في (أشعار بني جعدة)[١] وقيل إنَّ أبا عمرو جمع أشعار القبائل كلِّها، وعنه أخذ جُلُّ العلماء والرّواة دواوين أشعار القبائل، وقد روى أبو عمرو الشَّيبانيّ شيئاً من شعر قومه بني بكر بن وائل فيما وصلنا، فقد أنشد للأغلب العِجْليّ في كتابه الجيم[٢].

ورجع الآمديّ إلى خمسين مجموعةً من أشعار القبائل في كتابه المؤتلف والمختلف، وعمل أبو سعيدٍ السُّكري شعرَ أكثر من عِشْرين قبيلة رجع البغداديّ إلى أشعار تغلب منها[٣]، وجمع أبو تمّام مثل ذلك في مختار شعراء القبائل[٤]، ويذكر صاحب الفهرست أنَّ أبا عُبيدة (٢١٠هـ)، (٢١١هـ)، (٢٠٨هـ) كان في بيته ديوانُ العرب، وأنَّ عند أصحابه؛ مثلِ الأصمعيّ وأبي زيد نُتفاً ممَّا كان عنده [٥]. ومن أسفٍ أنَّ جُلَّ ما صُنع من دواوين طواه الزَّمن فيما طوى، وعدت عليه العوادي، ولم يصل إلينا منها إلَّا شعر هُذيل.

وما يهمّنا هو شعر بني بكر بن وائل، فقد ذكر الآمديّ أسماء عددٍ من دواوين القبائل، من بينها تسعة دواوين لبكر بن وائل، وهي:

١ـ كتاب بني رَبيعة بن ذُهل.

٢ـ كتاب بني شَيْبان.

٣ـ كتاب بني عَوْف بن هَمَّام.

٤ـ كتاب بني ذُهْل بن ثعلبة.

٥ـ كتاب بني عِجْل.

٦ـ كتاب بني ضُبَيْعة.

٧ـ كتاب بني يَشْكر.

٨ـ كتاب بني حَنِيْفة.

٩ـ كتاب بني قَيْس بنِ ثَعْلبة.

ولم يذكر الآمديّ اسم جامع هذه الدَّواوين أو صانعها، ذلك أنَّه ذكرها في أماكن متفرِّقة، عندما

(١) الأغاني: ٢٢/٧٦.

(٢) الجيم: ٢/٢٤٤.

(٣) الفهرست: ١٨٠ (تح: رضا ـ تجدّد).

(٤) الخزانة: ١/ ٢٢. ويُعرف أيضاً بأشعار القبائل.

(٥) الفهرست: ٥٩.

يترجم للشّاعر، فمثلاً نستدلّ على أنَّ لبني يَشْكُر ديواناً من ترجمته للأغَرِّ بن مَأنوس أحدِ بني يَشْكُر حين يقول:" ومنهم الأغَرُّ بن مأنوس؛ أحدُ بني يَشكر بن بكر أيضاً، شاعرٌ، له في شعر بني يَشْكر قصيدةٌ طويلةٌ أوَّلها: [الكامل]

طَرَقَتْ قُطَيْمَةُ أَرْحُلَ السَّفَرِ ... بالطَّرْمِ بَاتَ خَيَالُهَا يَسْرِي[1]

ويذكر الآمديُّ أنَّ لبني يَشْكُر كتاباً مرّة أخرى حين يُترجم لعُبَيْدَةَ بنِ هِلالٍ اليَشْكُريّ، فيقول:" وأمَّا عُبيدةُ فهو عُبيدة بنُ هِلالٍ اليَشْكُريّ، وجدت له في كتاب بني يَشْكُر بنِ بَكْرِ بنِ وائل:

إلى الله نَشْكُو مَا نَرَى مِنْ جِيَادِنَا ... تَسَاوَكُ هَزْلى مُخُّهُنَّ قَلِيْلُ

وقَدْ كُنَّ ممَّا قَدْ يُرَيْنَ بِغِبْطَةٍ ... هُنَّ بأَبْوَابِ القِبَابِ صَهِيْلُ

فَإِنْ يَكُ أَفْنَاهَا الحِضَارُ فَرُبَّما ... تَشَحَّطَ فِيْما بَيْنَهُنَّ قَتِيْلُ[2]

ويذكرُ أنَّ لبني حَنِيْفَةَ ديواناً في مناسبتين، الأولى في ترجمته لأبي نُخَيْلة العُكْليّ، فيمن عُرف بهذه الكنية،يقول: " ومنهم أبو نُخَيْلة العُكليّ، وجدت له في كتاب بني حنيفة:.....[3].

والثَّانية في ترجمته لأَعْشَى بني ضَوْرَة العَنزيّين، فبعد أن يذكر له شيئاً من شعره يقول: "وهذه القصيدةُ عندي في أشعاره، والَّذي وجدتُ في كتاب بَني حَنِيْفة"[4].

وفي ترجمته لأَعْشَى بني رَبِيْعة من ذُهْلِ بن شَيْبان، يذكر أنّ لبني شَيْبان كتاباً في الأنساب، حين يقول:" ووَجَدتُ في كتاب أنسابٍ لِبَني شَيْبان مجرَّد أنَّه حَبِيْبُ بن عمرو بنِ قَيس بن عمرو المزدَلِفِ الشَّاعرُ"[5].

ويأتي على ذكر ذلك الكتاب حين يترجم للشُّوَيْعِر الحَنَفِيّ الشَّيْبانيّ، فيقول:" ومِنْهُم الشُّوَيْعِرُ الحَنَفِيُّ، وهو هَانئ بنُ تَوْبَةَ بنِ سُحَيْم بنِ مُرَّة. كَذا نَسَبه ثَعْلب، وذكره مُؤرّجٌ الشُّويعرَ في كتاب أَنْسَابِ شَيْبان"[6].

ويُشير الآمديُّ إلى كتاب بَني شَيبان، من غير أن يُحدِّد موضوعه، أهو في الأنساب كسابقه أم يضمّ بين دفّتيه شِعرَ القبيلة فحسب، حين يأتي على ذكر لَبِيْد بن عُطَارد بن حَاجب بن زُرَارةَ، فيقول:" ومِنْهم لَبِيد بنُ

(١) المؤتلف والمختلف: ٥٢.

(٢) المؤتلف والمختلف: ٢٢٩.

(٣) المؤتلف والمختلف: ١٠.

(٤) المؤتلف والمختلف: ١٣.

(٥) المؤتلف والمختلف: ١٠.

(٦) المؤتلف والمختلف: ٢١٠.

عطارد بنِ حَاجِب بنِ زُرَارة بنِ عُدَس. قال في أسر الحارثِ بنِ نُقَير بنِ عبدِ الحارث بن مُعاذ بنِ مُرَّة بن عبد الله بن أبي ربيعة بنِ ذُهْل بنِ شَيْبان .....وكان الحارث بن نُقير يكنى أبا حَزْرَة، والقصَّة مَذكورةٌ في كتاب بني شَيبان"[1].

ونعلم أنَّ لبني عِجْل كتاباً ذُكرَ في المؤتلف والمختلف مرّتين، الأولى حين ينتهي الآمديّ من ذكر أبياتٍ لجرير بن الخرقاء العِجْليّ يردّ بها على الفرزدق هِجاءه بني بكر، فيقول الآمديّ:" وله أشعارٌ في كتاب بني عِجْل، ومناقضةٌ مع الأخطل"[2].

والثّانية عندما يذكر المتوكِّلَ العِجْليَّ، فيقول:" ومِنْهُم المتوَكِّلُ العِجْلِيُّ لم يُرْفَع في كِتاب بَني عِجْلٍ نَسَبُه، شاعرٌ"[3].

ويشير الآمديُّ في ترجمته للحُضين بن المنذر إلى كتاب بني ذُهل بنِ ثعلبة، فيقول:" وله في كتاب بني ذُهل بن ثَعلبة مُقطَّعاتٌ حِسانٌ"[4].

في حين أنَّ النَّديم (٣٨٥هـ) يذكر ستَّة وعشرين ديواناً للقبائل، منها ستَّة دواوين لبني بكر بن وائل وحدهم[5]، وهي:

١ـ أشعار بني ذُهْل.

٢ـ أشعار بني شَيْبَان.

٣ـ أشعار بني ربيعة.

٤ـ أشعار بني يَشْكُر.

٥ـ أشعار بني حَنِيْفة.

٦ـ أشعار الفِنْد.

ومن العلماء من صنع كتباً في القبائل، لا في أشعارها فحسب، ونظنُّ أنَّ هذه الكتب تحوي طائفة من

(١) المؤتلف والمختلف: ٢٦٤.

(٢) المؤتلف والمختلف: ٩٥.

(٣) المؤتلف والمختلف: ٢٧٣.

(٤) المؤتلف والمختلف: ١٢١.

(٥) الفهرست: ١٨٠.

شعر تلك القبائل، فنحن نقرأ في الفهرست أنَّ أبا عُبيدة ألَّف كتاب (الأوس والخزرج)[١] وغيرها من الكتب الّتي أخذ منها الآمديّ، وله كتب في قبيلة بكر بن وائل، منها: (كتاب ابني وائل)[٢]، وابنا وائل هما بكر بن وائل، وتغلب بن وائل، وكتاب (أيَّام بني يَشْكر وأخبارهم)[٣]، وكتاب (خوارج البحرين واليمامة)، وقد يحوي هذا بين دفّتيه شعر بكر بن وائل، ولا سيَّما شعر بني حَنِيْفة أصحابِ اليمامة، ذلك أنَّ الآمديّ كثيراً ما يُشير في الأشعار الّتي يوردها في المؤتلف والمختلف إلى تلك الكتب، وقد ذكر الآمديُّ أنَّ مُؤرِّجاً السَّدوسيّ ذكر شعراً للشُّويعر الحَنَفيّ في كتاب هو (أنساب شيبان)[٤].

وعلى صعيد الدَّواوين المفردة يذكر الآمديُّ بعضاً من الشّعراء المكثرين، الّذين صنع لهم العلماء دواوينَ، فيذكر مثلاً بعد أن ينتهي من ترجمة أعشى بني ربيعة بن ذُهل بن شَيبان اسم الكتاب الجامع لشعره، يقول:" وله أشعارٌ كثيرةٌ في كتاب بني ربيعة بن ذُهل، فأمَّا الأعشى وهو ابن ابنه فله ديوان مفرد"[٥].

وفي عمران بن حطّان السَّدوسيّ يقول:" وأخباره في كتاب بني ذهل بن ثعلبة"[٦].

وفي نهار بن توسعة بعد أن يُنشد له بيتين قالهما في يزيد بن المهلَّب، يقول:" وله ديوانٌ مفردٌ، وهو كثير الجيِّد"[٧]. وهذا الدّيوان كان من مصادر العينيّ في المقاصد النّحويّة.

وذكر النَّديم أنَّ أبا عمرو الشَّيبانيّ روى شعر أبي النَّجم العِجْليّ، وأمّا الدّيوان فقد صنعه أبو سعيدٍ السُّكَّريّ[٨].

وقد ضاع الكثير من تلك الدَّواوين، فيذكر الطَّيالسيّ؛ صاحبُ المُكاثرة عند المُذاكرة، أنَّ ديوان النَّابغة الشَّيبانيّ لم يصل إليه، فيقول:" مشهورٌ، لم يقع إلينا ديوانه"[٩].

---

(١) الفهرست: ٦٠.

(٢) الفهرست: ٥٩.

(٣) الفهرست: ٦٠.

(٤) المؤتلف والمختلف: ٢١٠.

(٥) المؤتلف والمختلف: ١٠.

(٦) المؤتلف والمختلف: ١٢٦.

(٧) المؤتلف والمختلف: ٢٦٩.

(٨) الفهرست: ١٧٩.

(٩) المكاثرة عند المذاكرة: ٣١.

وأشار ابن ميمون إشارة خفية إلى بعض دواوين الشّعراء المرويّة في مقدِّمته الّتي يقول فيها: " ولم أُخلَّ بذكر أحدٍ من شعراء الجاهليّة والإسلاميين الّذين يُسْتَشهد بشعرهم إلّا من لم أقف على مجموع شعره، ولم أره في خزانة وقفٍ ولا غيرِها"[1]، وقد أنشد ابن ميمون في كتابه (مُنتهى الطَّلب من أشعار العرب) قصيدةً لأبي الأخيل العِجْليّ في ثلاثةٍ وعشرين بيتاً، وهذا يعني ممّا أشار إليه سابقاً أنَّ شعر أبي الأخيل مجموعٌ في ديوان. وكذلك أنشد ابن ميمون قصيدةً للعُدَيْل بن فَرْخٍ العِجْليّ من تسعة عشر بيتاً، أوّلها: [الكامل]

مَـــا بَـــالُ عَيْنِـــكَ أَسْـــبَلَتْ إِسْـــبَالا مـــنْ أنْ عَرَفْـــتَ لمنـــزلٍ أَطْـــلالا[2]

وهذا يدلّ ضمناً أنَّ ابن ميمونٍ وقف على ديوان أبي الأخيل العِجْليّ، والعُدّيْل بن فَرْخٍ العِجْليّ.

القسم الثّاني: مصادر شعرهم المفرد والمجموع.

إنَّ عمليَّة إحياء تراثٍ أدبيٍّ، أو جمع شعر شاعر، أو قبيلة من القبائل تتطلَّب من الباحث العودةَ إلى مصادر متنوِّعةٍ، و مختلفةٍ في موادّها وموضوعاتها، يستقي منها المؤلّف و الباحث كلَّ ما يطلبه بحثه من أخبار وأنساب وأشعار تتعلّق بالشّاعر المُراد جمع شعره، أو بالقبيلة الّتي يروم جمع شعر أفرادها وبطونها.

وفي شعر بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأمويّ تنوَّعت مصادر البحث، فكانت أشعار تلك القبيلة في هذين العصرين من عصور الإسلام مُوزَّعةً في مصادر تحمل موضوعات مختلفة، من كُتب التَّراجم والطّبقات، وكتب الأنساب المتنوِّعة، والاختيارات الشِّعريَّة، ومنها الحماسات، وكتب الجغرافية، والتّاريخ، واللُّغة، وكتب الأدب والنَّحو، وكتب الشُّروح، وبعض كتب التَّفاسير.

ولا شكَّ أنَّ بعض تلك الكتب من الأهميّة الّتي ليست في الأخرى، ما يجعلنا نقف على بعضٍ منها، للإشارة إلى مواطن أهميّتها من حيث عدد الشُّعراء، وعدد الأبيات، ومَن تفرَّد بذكرها دون غيرها من المصادر، وهذه المصادر بدورها متنوّعة، غنيّة، منها المصادر النّادرة، و المصادر الأصيلة، ومنها غير الأصيلة، وهي الّتي يغلب عليها أسلوب القَصص الشّعبيّ، وفيها أشعار تخدم تلك القصص المزعومة في الغالب.

وأمَّا أوَّل تلك المصادر أهميّة في شعر بكر بن وائل من كتب التَّراجم فهي: كتاب المؤتلف والمختلف للآمديّ (٣٧٠هـ)، فقد بلغ عدد الشُّعراء البكريين في صدر الإسلام والعصر الأمويّ دون الشّعر الجاهليّ (٣٠) شاعراً، وقد ترجم لمعظمهم كعمران بن حِطّان، ونهار بن توسعة، والبَعِيْث الحَنَفيّ.

(١) منتهى الطّلب من أشعار العرب: ٧٠.

(٢) منتهى الطّلب: ٧٩/٧.

ثُمَّ كان معجم الشُّعراء للمرزبانيّ (٣٨٤هـ) ـ وهو كتابٌ لم يصل إلينا كاملاً – المصدر الأصيل الثّاني بعد المؤتلف، وقد جمع المرزباني فيما وصلنا من كتابه (٢٠) شاعراً بكريّاً، وكانت ترجماته أقلَّ من ترجمات الآمديّ، فهو قد ترجم من شعراء بكر للهَزْهَاز البَكْريُّ، لما كان بينه وبين الفرزدق من مهاجاة[١]. وموسى ابن جابرٍ الحَنَفيّ، وقد قال عنه: " وهو شاعرٌ كثير الشِّعر"[٢].

وحوى كتاب الأغاني عدداً من شعراء بكر بن وائل، ولا سيّما الإسلاميين منهم، ولكن ما يُحسب لهذا المصدر الغنيّ هو سَعة التَّرجمة حين يقصد شاعراً بعينه، فنجد أنَّ الأصفهانيّ (٣٥٦هـ) يترجم لمحارب بن دِثار الذُّهْليّ، ويضمّ إلى كتابه شِعر حمزة بن بِيْضٍ الحَنَفيّ وأخباره، لكأنّه يُمكننا أن نكتفي بالأغاني مصدراً مُستقلاً لجمع شعر ابن بِيْض، وقال الذَّهبي في سير أعلام النُّبلاء حين ترجم لابن بيض:" أَخْبَارُه مُسْتَقصَاةٌ فِي كِتَابِ (الأَغَانِي)، فَإِنَّ شِئْتَ، فَطَالِعْهَا"[٣]. وذكر الأصفهانيُّ إلى جانب ذلك شُعراءَ من بكر بن وائل في مناسبات مختلفةٍ من غير أن يترجم لهم، فهو يذكر مَصْقَلَة بن هُبَيْرة الشَّيْبَانيّ في ترجمته لعليِّ بن الجَهْم، والمُغِيْرة بن شُعبة[٤].

وأمَّا كتب الاختيارات الشّعريّة، ولا سيَّما الحماسات، فقد كانت المعين الثَّرّ الّذي استقيت منه شعر بكر بن وائل، وأخصّ منها الحماسة لأبي تمّام (٢٢٨هـ) بشرح المرزوقيّ (٤٢١هـ)، وشرح التَّبريزيّ (٥٠٢هـ). فأمّا المرزوقيّ فقد روى لـ(١٦) شاعراً بكريّاً مع شرحٍ وافٍ مفصّلٍ، على صعيد مناسبةِ الشّعر، وشرحِ غَريب ألفاظه، والاستشهادِ على لفظه بأبياتٍ قد تكون ممّا حواه شعر بكر بن وائل.وضمّ شرح التّبريزي من شعر بكر بن وائل أبياتاً استشهد بها لم ترد عند المرزوقيّ، وكان عدد الأبيات قريباً من ستّة.

ولم تخل الحماسة البصريّة من شعر بكر الإسلاميّ، فقد أورد البصريّ (٦٥٩هـ) أحد عشر شاعراً في حماسته، وكان بعض شعرائه بلا نسبة، فيقول: قال آخر، أو يذكر نِسْبة الشّعر إلى أصحابه إن تعدَّدوا، كشعر حُنَيْف ابن عُمير اليَشْكُريّ، وفي ذلك يقول البصريّ:" قال حُنَيْف بن عُمير اليَشْكُريّ، وتُروى لنهار ابنة أخت مُسَيْلمة الكذّاب" [٥]. وهو كثيراً ما يُشير إلى زمن الشّاعر، فيقول مثلاً: أمويّ الشّعر.

(١) معجم الشّعراء: ٤٩٢.

(٢) معجم الشّعراء: ٣٣٦.

(٣) سير أعلام النُّبلاء: ٣٢٠/٩.

(٤) الأغاني: ٩٢/١٦.

(٥) الحماسة البصريّة: ٩٥١/٢.

وأمّا كتب الحماسات الأخرى؛ كالحماسة الشَّجريّة، والمغربيّة، فكانت أقلّ من نظيراتها، فقد ذكر ابن الشَّجري (٥٤٢هـ) أربعةَ مواضع من شعر بكر بن وائل، منها قطعة من خمسة أبياتٍ للهُذيل بن مجاشع اليَشْكُريّ، وأخرى لعُمَير بن جابرٍ الحَنَفيّ، وثلاثة أبيات لجرير بن خَرْقاء العِجْليّ، وبيتان لموسى بن جابرٍ الحنفيّ، وذكر أبو العبّاس الجراويّ (٦٠٩هـ) شاعراً واحداً في الحماسة المغربيّة، هو عَمْرو بن ضُبَيْعة الرَّقاشيّ[1].

وحَظيتْ كُتبُ شُروح الشّواهد بأهميّة لا بأس بها في جمع شعر بكر بن وائل، ولا سيَّما فيما يتعلّق بالاستدراك على صُنَّاع الدَّواوين، ككتاب الشِّعر لأبي عليٍّ الفارسيّ (٣٧٧هـ)، وشرح شواهد الإيضاح لابن برّي (٥٨٢هـ)، والفصوص لصاعد الرّبعيّ (٤١٠هـ)، (٤١٧هـ) . والخزانة لعبد القادر البغداديّ (١٠٩٣هـ) الّذي حوى (١٢) شاهداً شعريّاً على مسائل نحويّة ولغويّة من شعر بكر بن وائل.

وجاء كتاب أنساب الأشراف للبلاذري (بعد ٢٧٠هـ) أوّلاً في احتوائه على شعر بكر بن وائل، فقد أحصيت (٢٢) شاعراً من أصل ما طُبع من الكتاب، وهو مصدر أصيل من مصادر الاستدراك على الدَّواوين.

إلى جانب كتب اللغة كالبغداديّات، وفيه شعرٌ مستدرك من أشعار عِمران بن حطّان، والبصريّات للفارسيّ، والزّاهر في معاني كلمات النّاس لأبي بكرٍ الأنباريّ (٣٢٨هـ) الّذي ضمّ ششعراً وفيراً لبكر بن وائل، ولا سيّما ما يُستدرك من شعر عِمران بن حطّان، وقد أحصيت أربعة مواضع من شعره .

وأمّا المعجمات من كتب اللغة، فأهمّها لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ)، وتاج العروس للمُرتضى الزَّبيديّ (١٢٠٥هـ)، وهما مُعجمان يضمّان لسان العربيّة، وقد اجتمع لي عدد كبير من شعر بكر في هذين المعجمين وغيرهما من معاجم العربيّة، وهذه المواضع مكرورة في كتب العربيّة معروفة، ذلك أنَّ معاجم اللغة إنّما تورد الشواهد على لفظ بعينه، أو معنى ما. وفي حالات قليلة قد ينفردان بالشّعر دون غيرهما، على نحو قطعة عبد الله بن ثعلبة الحَنَفيّ الدّاليّة.

وأمّا كتب التّاريخ فـ(تاريخ الطّبري) لأبي جعفرٍ الطّبريّ (٣١٠هـ) هو أوّلها وأهمّها، وقد حوى طائفةً من أخبار بكر بن وائل، وأيّامهم، وجمعاً جيّداً من شِعْرهم، إلى جانب الرِّدَّة للواقديّ (٢٠٧هـ)، ومِنَح المدح لابن سيِّد النَّاس (٧٣٢هـ)، وضمَّ الأخير أشعاراً لبكر بن وائل، وهي (١١) موضعاً، وغالباً ما ينسب ابن

(١) الحماسة المغربيّة: ٩١٧/٢.

سيّد النّاس الشّعر إلى أكثر من شاعر، أو يخلط في نسبة الأبيات، على نحو ما فعل حين نسب أبياتاً لعُمير بن ضابئٍ اليَشكريّ مرّةً، وأخرى لحُنيفٍ اليَشْكُريّ.

وأمَّا أهمّ المؤلّفين الّذين ساقوا شعراً لبكر بن وائل من حيث العصور، فهم على النَّحو الآتي:

ـ القرن الهجريّ الثّاني: المفضّل الضّبّيّ، وسيبويه، وابن الكلبيّ، وابن مزاحم.

ـ القرن الهجريّ الثّالث: أبو عُبيد القاسم بن سلّام، وأبو تمّام، وابن سلّام الجُمحيّ، ، والجاحظ، والزّبير بن بكّار، وابن قتيبة، والبلاذريّ، والبحتريّ، والمبرِّد، وأبو جعفر الطّبريّ.

ـ القرن الرَّابع الهجريّ: ابن دريد، وابن عبد ربّه، والقاليّ، والآمديّ، والخالديّان، والمرزبانيّ.

ـ القرن الخامس الهجريّ: المرزوقيّ، والأسود الغُنْدجانيّ، وابن عبد البرّ، والرّاغب الأصفهانيّ.

ـ القرن السّادس الهجريّ: الزَّمخشريّ، وابن الشَّجريّ، وابن عساكر، والجُرّاويّ.

ـ القرن السّابع الهجريّ: ياقوت الحمويّ، وابن الأثير، وصدر الدِّين البصريّ، وابن منظور.

ـ القرن الثّامن الهجريّ: النُّويريّ، والصَّفديّ.

ـ القرن التّاسع الهجريّ: ابن حَجر العَسْقلانيّ، والسّيوطيّ.

ـ القرن العاشر الهجريّ: الحَسن اليوسيّ.

ـ القرن الحادي عشر الهجريّ: البغداديّ صاحب الخزانة.

ـ القرن الثّاني عشر: الزَّبيديّ.

القسم الثَّالث: توثيق شعرهم:

١ـ الضَّياع .

٢ـ : الاضطراب في نسبة شعرهم، واختلاطه باختلاط النَّسب بين القبائل.

٣ـ النَّحل في أشعارهم.

١ـ ضَيَاع شِعْرهم:

إنَّ الحديث عن ضياع شعر بكر بن وائل، وغيرهم من القبائل يستدعي العودة إلى شِعر القبيلة الجاهليّ، لأنّه الأصل، والأكثر عدداً من الشِّعر الإسلاميّ، ولكن لا بأس من العودة إلى ما يؤصِّل لهذه القضيّة، ويلامسُ شيئاً من آثار ضياع شعر بكر، الّذي كان حلقةً من مسلسل ضياع أشعار القبائل العربيّة، الّتي لم يصل إلينا منها إلّا القليل، باستثناء شعر هُذيل، فأُغرق بحثاً، وقتل شرحاً وتفسيراً.

وأمّا الحديث عن ضياع الكثير من الشّعر العربيّ الجاهليّ، وشعر صدر الإسلام والعصر الأمويّ فليس بالحديث الجديد، فقد نُقل عن ابن سلّام في طبقاته ما يؤطّر لهذه القضية، حين قال:" قال يونس بن حَبيب، قال أبو عمرو بن العلاء: ما انْتَهى إليكم ممَّا قالتِ العَربُ إلَّا أَقَلُّه، ولو جاءكم وافراً لجَاءَكُمْ عِلمٌ وشِعرٌ كثير "[1].

ويقول:" وممَّا يدُلُّ على ذَهاب الشِّعر وسُقوطِه قِلَّةُ ما بقيَ بأيدي الرُّواة المصحِّحين لطَرَفةَ وعَبِيْد، اللَّذين صَحَّ لهما قَصَائدُ بقَدْرِ عَشْرٍ "[2].

وكثرة الشِّعر الصّادر من أفواه العرب كان سبباً من أسباب ضياع قسم كبير منه، ذلك أنَّه يحتاج إلى من يُلمّ به جميعاً، والعرب أمَّة مشافهة ورواية، وهما أمران على جلالتهما لا يمكن لهما أن يُلمّا بشعرٍ وافر، ينسابُ كنهر فيّاض. وقد أشار ابن قُتيبة إلى هذه القضيّة حين قال:" ولعلَّكَ تَظنُّ ـ رحمك الله ـ أنَّه يجب على من ألَّف مثلَ كِتابنا هذا ألَّا يدعَ شاعراً قديماً ولا حديثاً إلا ذكره ودلَّك عليه، وتقدِّر أن يكون الشُّعراء بمنزلة رُواة الحديث والأخبار، والملوك والأشراف، الذين يبلغهم الإحصاء، ويجمعهم العدد.

(١) طبقات فحول الشّعراء: ١/٢٥.

(٢) طبقات فحول الشّعراء: ٢٦.

والشُّعراء المعروفون بالشِّعر عِند عَشائرهم وقبائلهم في الجاهليَّة والإسلام، أكثرُ من أن يحيطَ بهم محيطٌ أو يقفَ من وراءِ عددهم واقفٌ، ولو أنفد عُمُره في التَّنقير عنهم، واستفرغَ مجهوده في البحث والسؤال. ولا أَحْسِبُ أحداً من علمائنا استغرق شِعْر قبيلةٍ حتَّى لم يفُتْه من تلك القبيلة شاعرٌ إلا عرفه، ولا قصيدةٌ إلا رواها"[1].

وليس ديوان قبيلة بكر بن وائل بفروعها وبطونها ممّا أغفل الدَّهر منه شيئاً، أو غضّ الطَّرف عن قسمٍ منه، فقد ضاع مع غيره من الدّواوين، ولم يبقَ لنا إلّا بعضُ نقول ممّا أُلِّف في القديم، من مثل المؤتلف والمختلف للآمديّ، والفهرست للنديم. أو ما جاء عن الأصمعيّ في شعر شيبان، وهو بطن من بكر، فقد أشار إلى أنّه "ليس في الدّنيا قبيلةٌ على كَثْرتها أقلَّ شعراً من بني شيبان وكَلْب"[2] وقد نُقل عنه قوله:" لم أرَ أقلَّ من شِعْر كَلْبٍ وشيبان "[3].

وفي الدِّيباج: " وجاءَ الإسلامُ، وأربعةُ أحياءٍ قد غَلبوا النَّاس كَثْرةً: شَيْبان بن ثعلبة، وجُشم بن بكر، يعني: بكرَ بن تغلب، وعامرُ بن صَعْصَعة، وحَنْظلةُ بن مالك، فلمَّا جاء الإسلامُ خَمَد حيَّانِ وطَما حَيَّان، بنو شيبان، وعامر بن صعصعة، وخمد جُشم وحَنْظلة"[4].

وذكر الجاحظ في الحيوان أثناء حديثه عن كثرة الشِّعر، وقلَّته في بعض قبائل العرب أنَّ شعر بني حَنِيْفة قليلٌ، على شُهرة القبيلة، وكثرة عدد أفرادها، فقال:" وبنو حَنِيفة مع كَثرة عَدَدهم، وشِدّةِ بأسِهم، وكَثرة وقائعهم، وَحَسَدِ العربِ لهم على دارهم وتخُومهم وَسْطَ أعدائِهم، حتَّى كأنهم وَحْدَهُمْ يعدِلون بَكْراً كلَّها، ومع ذلك لم نَرَ قبيلةً قَطُّ أقَلَّ شِعراً منهم، وفي إخوتهم عِجْلٌ قَصِيدٌ وَرَجَزٌ، وَشُعَرَاء ورَجَّازُون، وليس ذلك لمكانِ الخِصْب، وأنّهم أهلُ مَدَر، وأكّالو تمرٍ؛ لأنَّ الأوْسَ والخزرج كذلك، وهم في الشعر كما قد علمت"[5].

وفي ذين القولين دلالةٌ واضِحةٌ على قلّة شعر بكر بن وائل، قياساً إلى شعر القبائل الأخرى، ذلك أنّ حنيفةَ وشيبان أكبرُ قبيلتين في بكر، وأكثرهما قوّةً وبأساً، وأشدّهما فروسيّة، ومع ذلك فشعر هاتين القبيلتين من

(١) الشِّعر والشُّعراء: ١/٦٠.

(٢) فحولة الشّعراء: ٢٧. كلب: هم كلب بن وبرة، وقد قام الأستاذ الجليل المحقّق الدّكتور محمّد شفيق البيطار، بعمل الدّيوان والدّراسة، باسم (شعراء بني كلب بن وَبرة) أخبارهم وأشعارهم في الجاهليّة والإسلام، ونشرته دار صادر.

(٣) الموشّح: ٨١.

(٤) الدِّيباج: ١١٤.

(٥) الحيوان: ٤/٣٨٠.

أقلّ أشعار العرب. وأرجع الجاحظ سبب قلّة الشّعر في بعض القبائل، مع تمتّعها بوفرة الطّعام وأجوده، وانسياحها على أكثر الأماكن خصباً وغنًى إلى الطَّبع، فقال:" فإنَّ ذلك القليل يدلُّ على طبعٍ في الشِّعر عجيب، ..... وليس ذلك مِنْ قِبَلِ رداءة الغِذاء، ولا من قِلَّة الخِصب الشَّاغل والغِنَى عن النَّاس؛ وإنَّمَا ذلك عن قَدْر ما قَسَمَ اللهّ لهم من الحظوظ والغرائزِ، والبلاد والأعراقِ مكانها"[1].

على أنَّ الشِّعر في الجاهليّة كان في ربيعة من بكرٍ وتغلب، كما جاء في العُمدة وصُبح الأعشى، فقد جاء في صبح الأعشى: "أن الشِّعر كان في الجاهلية في ربيعةَ، فكان منهم مُهَلهل بن ربيعة؛ وهو خال امرئ القَيس ابن حُجْر، ويقال: إنَّه أوَّلُ مَن قصَّد القصائد، والمرقِّشان الأكبرُ والأصغرُ، وطَرَفةُ بن العَبْد، وعَمْرو بنُ قَمِيْئة، والحَارثُ بن حلِّزة والمتلمِّس، والأعْشى، والمسيَّبُ بن عَلَس وغيرهم"[2]، وجُلّهم من بكر بن وائل. ولا شكَّ أنَّ أحداث الرِّدّة كانت من أقوى أسباب ضَياع شِعر بَني بَكر بن وائل، ولا سيّما رِدّة بَني حَنيفة، وما نتج عنها في مَعركة اليمامة، وقد وقع فيهم قَتلٌ كثير، ورِدّة البحرين.

فالكتب الّتي وثّقت أحداث الرِّدّة كثيرةٌ، منها: الرّدّة لمحمّد بن إسحاق (١٥٠هـ)، وسيف بن عمر (١٩٣هـ)، ووثيمة بن موسى (٢٣٧هـ)، وغيرها، لم يَصل إلينا منها إلّا كتاب الرِّدّة للواقديّ (٢٠٧هـ)، وفي هذا الكتاب شِعرٌ كثير ، نقلت عنه المصادر العربيّة شعراً وافراً، فإن اجتمع ما بين دفّتيه مع ما ضاع من الشّعر في كتب الرّدّة الضّائعة كان عدداً هائلاً، وشعراً وافراً، وقد ضاع جلّ هذا الشّعر الفروسيّ الحماسيّ في غَمرة الحروب والطِّعان، وهو أمرٌ طبيعيّ لما تحمله ظروف الحروب والمعارك.

كما أنَّ أغلب هذا الشِّعر صادرٌ من أفواه المغمورين بالشِّعر، ومَن لم يُعرفوا فيه، وبعضه مضطرب الوزن، خالٍ من الصَّنعة، فلم يَحفل الرُّواة بالكثير منه، ولم يبقَ منه إلّا ما حَفظته الذّاكرة وبعض بطون الكتب.

وقد صرّح الواقديّ نفسه في أكثر من موضع باختصاره بعض الشّعر، واكتفائه ببعضه، بسبب اهتمامه بالحادثة التّاريخيّة، واكتفائه بالشّاهد منها، فقد أورد الواقديّ في الصّفحة (٢٠٥) من كتاب الرّدّة شعراً للأشعث، ثمّ الخُنيفس بن عمرو، ثُمّ لعبد الرَّحمن بن محرز الحطميّ، وذكر أنّه اختصر بعضه، أو اكتفى بشيءٍ منه، يقول:" فلمّا أصبح الأشعثُ أمر بباب الحصن، ففُتِح وخرج في أوائل القوم، وهو يرتجز:.....ثمّ خرج خلفه الخُنيفس بن عمرو، وظفيرته معقودة على رأس رمحه، وأنشد أبياتاً، اختصرنا عن ذكرها، ثمّ خرج من

(١) الحيوان: ٣٨١/٤.

(٢) صُبح الأعشى في صناعة الإنشا: ٢٩٣/١ (ط دار الكتب).

بعده عبد الرّحمن بن محرز الحطميّ ، ...وأنشد أبياتاً تركنا ذكرها، ثمّ خرج من بعده مسيلمة بن يزيد القشيريّ، وأنشد أبياتاً تركنا ذكرها"[١].

ولعلّ الشِّعر الفاحش الّذي قِيل في المسلمين خلال الرِّدّة كان سبباً في ضياع قسمٍ منه، ذلك أنّ بعض الرُّواة كانوا يُحجمون عن رواية مثل تلك الأشعار الّتي تنال من المسلمين، كما أنّ بعض المرتدّين تبرؤوا من شِعرهم الّذي قالوه بعد أن عادوا إلى حضن الإسلام.

وقد اجتمع لديّ من شعر بني بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأموي (١٣٢٠) بيتاً، على النّحو الآتي :

١ـ أشعار شعراء صدر الإسلام مع مجهوليهم: (٣١٨) ثمانية عشر بيتاً وثلاث مئة.

٢ـ أشعار شعراء العصر الأمويّ مع مجهوليهم: (٦٥٥) خمس وخمسون بيتاً وستّ مئة.

٣ـ أشعار المستدرك على صُنّاع الدّواوين: (١١١) أحد عشر بيتاً ومئة (وهم ممّا لم أجمع شعرهم، بل استدركت على شعرهم المجموع).

٤ـ أشعار المجاهيل: (٢٣٦) ستة وثلاثون بيتاً ومئتان .

وهذا العدد لا يشمل شعراء الدّواوين، ولولا ذلك لكان العدد أكبر بكثير.

وبمقارنة ما جُمع مع أمثال ما جمعه عددٌ من الباحثين المعاصرين يدلّ على ضياع شعرٍ ليس بالقليل من أشعار بكر بن وائل، فقد جمع د. محمّد شفيق البيطار من شعر كَلْبِ بن وبرة (١٢٨٨) بيتاً[٢]، منهم (١٥١) لم تُعرف عُصور أصحابها، وجمع د. عبد العزيز الفيصل من شعر بني عُقَيْل منذ الجاهليّة إلى آخر عصر بني أميّة (١٦٦٧) بيتاً[٣]، وجمع د. عليّ أبو زيد من شعر أبناء عمومة بكر بن وائل، وهم تغلب بن وائل في الجاهليّة (١٢٥٥) بيتاً[٤]، هذا وغيره من مجاميع شعر القبائل إذا ما قُورن بما وصل من شعر هذيل برواية السّكري[٥]، وقد بلغ (٣٠٠٠) بيت، فإنّه لا يدع أيّ مجالٍ للشّك في أنَّ كثيراً من أشعار القبائل قد ضاع، وقد يبلغ هذا الضّائع نصف ما وصل إلينا أو أكثر.

---

(١) الرّدّة: ٢٠٥.

(٢) شعراء بني كلب بن وبرة: ٢٥٥/ قسم الدّراسة.

(٣) شعراء بني عقيل وشعرهم في الجاهليّة والإسلام: ١٣١. ولا يدخل في هذا العدد شعر بشّار في العصر الأمويّ.

(٤) شعراء تغلب في الجاهليّة: ٤/١.

(٥) مصادر الشّعر الجاهليّ: ٥٦٢.

وهناك بعض الأدلّة على ضياع شعر بكر بن وائل، فمن ذلك أنَّ بعض شعراء بكر قد نصَّ العلماء على شاعريّتهم، أو أنَّ لهم شعراً، ثُمَّ لا نعثر على شيءٍ منه، أو نحظى بالبيت والبيتين من ذاك المنظوم، فقد قال الآمديّ في ترجمة نهارٍ العِجْليّ:" ولا أعرف اسْمهُ ولا نَسَبه إلى عِجْل. شَاعرٌ، فارسٌ. وهو القائل يردُّ على الَّتي قالت: " أَقْدِمْ نهارُ فَارِسَ الأَدْهَمِ " وهو كلام ليس بشعر"[1]. فهو أقرّ أنّه شاعرٌ، فارسٌ، فأين شعره، شعره، حتّى نصفه بالشّاعر، لا شكَّ أنَّ شعره درَسَ فيما درس من شعر غيره، حتّى عدَّه ضمن الشّعراء المجهولين.

ومن ذلك ما ذكره الآمديُّ في البعيث الحَنَفيّ، فقد قال في ترجمته[2]:" شاعرٌ محسنٌ"، وذكر شيئاً من شعره، شعره، ثمّ قال:" وهي أبياتٌ جيادٌ مختارة"، ومع ذلك فلم أعثر إلّا على قطعتين من أربعة عشر بيتاً، ومنها قوله:

خَيَـــالٌ لأُمِّ السَّلْسَـــبِيْلِ ودُوْنَهـــا مَسِـــيْرَةُ شَـــهْرٍ للبَرِيْـــدِ المُذَبْـــذَبِ[3]

ومن ذلك ما ساقه ابن الأثير في أُسد الغابة في ترجمة مُحرز بن قتادة الحَنَفيّ، فقال:" مُحْرِزُ بنُ قَتَادَةَ بنِ مَسْلَمَةَ كَانَ يُوْصِي قومهُ بَني حَنِيْفَة بالتَّمَسُّكِ بالإسْلام، ويَنْهَاهُمْ عَن الرِّدَّة، واتِّبَاعِ مُسَيْلِمَة. ولَهُ في ذلكَ كَلامٌ مَتِيْنٌ وشِعْرٌ حَسَن[4]. ولم يصل إلينا من شعره الحسن ذاك إلّا بيتان، هما:

إنَّ في الـــدِّيْنِ أَنْ يُقَـــامَ وفي الحَـــقِّ قِتَـــالٌ عَـــلَى عِقَـــالِ الفَصِـــيْلِ
لا إلَـــهَ إلَّا الَّـــذِي خَلَـــقَ الخَلْـــقَ ولا دِيْـــنَ غَـــيْرُ دِيْـــنِ الرَّسُـــوْلِ

ومن الأدلّة على ضياع قسمٍ من شعر بكر بن وائل إشارات لبعض العلماء إلى قصائد قيلت في هذا أو ذاك، ولكنّنا لم نعثر عليها، فمن ذلك ما نصّ عليه الآمديّ في ترجمته للشُّوَيْعر الحَنَفيّ، فقد ذكر له بيتاً من قصيدة قالها في الضَّحَّاك بن قيس، وأوّلها:

إذا شَـــمَّرَ الضَّـــحَّاكُ لِلحَـــرْبِ شَـــبَّهَا غُـــلامٌ غَذَتْـــهُ لِلْحُـــرُوبِ رَبَائِبُـــهْ[5]

(١) المؤتلف والمختلف: ٢٩٦.
(٢) المؤتلف والمختلف: ٧٢.
(٣) المؤتلف والمختلف: ٧٢.
(٤) انظر أسد الغابة: ٦٧/٥.
(٥) المؤتلف والمختلف: ٢١٠.

ولم يصل إلينا غير هذا البيت. وقد ذكر الآمديّ أنَّ مؤرِّجاً السَّدوسيّ ذكر شعراً للشُّويعر الحَنَفيّ في كتاب هو (أنساب شَيبان)[1]. وقد دَرَس هذا الكتاب، ولم يصل إلينا.

ومن الإشارات على ضياع الشّعر أنَّ ابن طيفور (٢٨٠هـ) في بلاغات النِّساء أشار إلى أنَّ قَتَادة بنَ مُغْرب اليَشْكُريّ مدح يزيدَ بن المهلَّب، فأعطاه وملأ يديه[2]،وليس فيما وصل إلينا من شعره القليل مدحٌ ليزيد.

والأمثلة أكثر من ذلك، وإلى جانب ضياع قسمٍ من شعر بكر، تُحيلنا المصادر إلى قضيتين أخريين من قضايا توثيق الشِّعر تسهمان بشكلٍ أو بآخر في تشتّت الشّعر وضياعه، وهما قضيّة الاضطراب في نسبة هذا الشِّعر، ثُمّ قضيّة النَّحل.

٢ـ الاضطراب في نسبة شعرهم:

تُعدّ مشكلة الاضطراب في نسبة الشِّعر إلى هذا الشَّاعر أو ذاك من أعقد قضايا الشِّعر وأخطرها، وأكثرها إشكالاً لمن يتصدّى لعمل الشِّعر، وجمعه وتحقيقه. ذلك أنّها مشكلة متفرّعة الجوانب، ذات اتّجاهات عدّة، فهي تتمثّل في [3]:

١ـ الاضطراب في أسماء الشُّعراء وأنسابهم من تصحيفٍ وتحريفٍ.

٢ـ الاضطراب في رواية متن الشّعر نفسه.

٣ـ الاختلاف في نسبة الشِّعر إلى هذا أو ذاك.

ويمكن أن نناقش قضيّة الاضطراب في نسبة شعر بكر بن وائل من خلال الجانب الثّالث، ذلك أنِّي عالجت الجانبين الأوّلين في الدّيوان في تراجم الشّعراء، والتّعليق على أشعارهم. ويتوزّع الاضطراب في نسبة الشّعر إلى الشّعراء على جانبين:

أ ـ الشِّعر المضطرب بين شعراء بكر بن وائل أنفسهم.

ب ـ الشِّعر المضطرب بينهم وبين شعراء القبائل.

(١) المؤتلف والمختلف: ٢١٠.

(٢) بلاغات النِّساء: ١١٣.

(٣) انظر حديث أستاذنا د. محمّد شفيق البيطار في (شعراء بني كلب بن وبرة: ٢٣٢/ قسم الدّراسة).

أ_ الشِّعر المضطرب بين شعراء بكر بن وائل أنفسهم.

من ذلك أنَّ قطعة من بيتين نُسبت في أغلب المصادر إلى رجلٍ من حنيفة في رثاء مُسيلمة الكذّاب، ومنها الحيوان للجاحظ، والمعارف لابن قُتيبة، والرّوض الأنف للسُّهيليّ، بينما نسبها الآمديُّ إلى رجلٍ آخر هو الأخطل الضُّبعيّ، والبيتان هما:

لَهَفِي عَلَيْكَ أَبَا ثُمَامَهْ ... لَهَفِي عَلى رُكْنَيْ شَمَامَهْ

كَمْ آيَةٍ لَكَ فِيهِمُ ... كالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمَامَهْ

ويمكننا أن نحكم بشيء من اليقين أنَّ البيتين لرجل من بني حَنِيْفة، ذلك أنّ لمسيلمة حلفاءَ وأنصاراً، ومنهم من رثاه بعد موته، في حين أنَّ الأخطل الضُّبَعيّ كان قد ادَّعى النُّبوّة كما جاء عن الآمديّ[1]، ومُسيلمة الحَنَفيّ ادّعى كذلك النّبوّة، ولا يمكن لواحدٍ أن يرثي الآخر، وعادةً ما يكون بين من يدّعي أمراً ويشاركه غيره فيه شيء من التّنافس والتّحاسد، فكيف بأمر سماويّ؟

ومنه قطعة من عشرة أبيات نُسبت إلى شاعرين من بكر، نسبها ابن حَجَر العسقلاني مرّتين في كتابه إلى شاعرين، الأوّل هو حُنَيْف بن عُمير اليَشْكُريّ، والثّاني هو عُمَيْر بن ضابئ اليَشْكُريّ، وجاراه في ذلك ابن سيِّد النَّاس في منح المدح، وأوّل الأبيات:

يَا سُعَادَ الفُؤَادِ بِنْتَ أُثَالِ ... طَالَ لَيْلِي بِفِتْنَةِ الرَّحَّالِ

ومن ذلك أنَّ قصيدة من ثلاثةٍ وعشرين بيتاً نُسبت إلى أبي الأخيل العِجْليّ ،ونُسبت القصيدةُ نفسها إلى العُديل بن الفَرخ العِجْلي، وهي في شعره المجموع في (شعراء أمويون)[2]. وشرح الحماسة للأعلم الشّنتمريّ[3]. ومعجم البلدان[4].

في حين نسبها أبو تمّام في حماسته للعُديل إلاّ أنَّ التّبريزي في شرحه الحماسة عزا القصيدة إلى أبي الأخيل العِجليّ، فقال: " قال أبو رياش: ليست هذه الأبيات للعُديل، وهي قصيدةٌ طُويلة لأبي الأخيل

(١) المؤتلف والمختلف: ٢٢.

(٢) شعراء أمويّون: ٢٩٥.

(٣) شرح الحماسة للأعلم: ١/١٨٨.

(٤) معجم البلدان: ٥/٤٣٥.

العِجْليّ، قالها في آخر أيّام بني أميّة"[1].

ومن ذلك ثلاثة أبياتٍ نُسبت إلى شاعرين من حَنيفة، وأوّلها:

وَجَـــدْنَا أَبَانَـــا كَـــانَ حَـــلَّ ببَلْـــدةٍ سِـوَى بـين قَـيْسٍ قَـيْسِ عَـيْلاَنَ والفِـزْرِ

فقد نسبها أبو الفرج في الأغاني إلى موسى بن جابرٍ الحَنَفيّ، وهو أمويّ الشّعر على أقلّ تقدير، وكذلك فعل أسامة بن منقذ في المنازل والدّيار، في حين أنّ التّبريزي في الحماسة نسبها إلى يحيى بن منصورٍ الحَنَفيّ، وهو شاعرٌ عبّاسيّ.

ومنها أيضاً أبيات وعددها أربعة لموسى بن جابر الحَنَفيّ نُسبت إلى غير شاعرٍ، ومطلع الأبيات:

أَبْلِـــغْ أبـــا مِسْـــمَعٍ عنِّـــي مُغَلْغَلَـــةً وفي العِتـــابِ حَيـــاةٌ بـــينَ أقـــوامِ

والأبيات لموسى الحَنَفي في الحماسة للمرزوقي، بينما نسبها المرزباني في معجم الشّعراء إلى عِصام بن عُبيد الزِّمَّانيّ، والزّبيدي في تاج العروس، وهي لهمّام الرَّقاشيّ في البيان والتّبيين للجاحظ، والعقد الفريد، وبهجة المجالس، وقد نسبها ابن قُتيبة في عيون الأخبار إلى أبي القَمْقام الأسديّ. والملاحظ أنّ مَن نُسِب إليهم الشّعرُ كُلّهم من بكر بن وائل، باستثناء الأخير؛ وهو أبو القمقام الأسديّ، فالشّعر يدور في فلك قبيلة بكر بن وائل، وهذا من شأنه أن يحافظ على كميّة الشّعر، ونسبته،وإن اختُلِف في نسبته إلى شعراء بكر، ولكنّ المشكلة في تفاوت النّسبة، وتنوّعها بين شعراء مختلفين باختلاف قبائلهم، عندها يكون مدار الأمر على تشتّت ذاك الشّعر وضياعه، باختلاف نسبته إلى هذا أو ذاك، حتّى تدَّعي كلُّ قبيلة أنَّ الشّعر لفردٍ من أفرادها.

ب ـ الشِّعر المضطرب بينهم وبين شعراء القبائل.

نتناول فيه الشِّعر المُضطرب بين شعراء بكر بن وائل وغيرهم من شعراء القبائل العربيّة في صدر الإسلام والعصر الأمويّ، والمخضرمين، والمجاهيل.

فأمّا شعراء صدر الإسلام على كثرتهم، فنجد قطعة من بيتين لفُرَات بنِ حيَّان العِجْليّ، وهما:

أَبُـــوْكَ أَبُـــو سَـــوْءٍ وخَالُـــكَ مِثْلُـــهُ ولَسْـــتَ بِخَـــيْرٍ مِـــنْ أَبِيْـــكَ وخَالِكـــا

يُصِـيْبُ ومَـا يَـدْرِي ويُخْطِـي ومَـا دَرَى وكَيْـــفَ يَكُـــوْنُ النَّـــوْكُ إلا كَـــذَالِكا

فقد أنشد البيتين المرزبانيُّ في معجمه لفرات بن حيَّان، ونسبهما ابن سلّام في طبقاته إلى أبي سفيان بن الحارث

(١) الحماسة للتبريزي:١٢٦ـ ١٣٠، (ط عالم الكتب). انظر شعره في (الدّيوان)، وفيه أنّ القصيدة صحّت للعُديل.

في حسّان بن ثابت، وهما في ديوان حسّان. وإنّما ذهب المرزباني إلى أنَّ الشِّعر لفُرات بن حيّان العِجْليّ حين بلغه قول حسّان:

فَـــإنْ نَلْـــقَ في تَطْوَافِنَـــا والتِمَاسِـــنا فُـــرَاتَ بـــنَ حَيَّـــانٍ يَكُـــنْ رَهْـــنَ هَالِـــكِ[1]

وقال ابن سلّام :" فأخْبَرَني أهلُ العِلم من أهل المدينة أنَّ قُدَامةَ بن مُوسى بنِ عُمر بنِ قُدَامة بنِ مَظْعُون الجُمحيّ قالها، ونحلها أبا سفيان. وقُريشٌ تَرْوية في أَشعارها، تريد بذلك الأنصارَ، والرَّدَّ على حسَّان"[2].

واضطراب نسبة البيتين إلى أبي سفيان بن الحارث، وفُرات بين حيّان، وحسّان بن ثابت واضح بين هؤلاء الثّلاثة، بيد أنّ عزوهما إلى حسّان مُسْتَبعدٌ بعض الشّيء، ذلك أنّ المرزباني نصّ على أنّ فراتاً قالها في الرّدّ على حسّان، وذكر ابن سلّام أنّها لأبي سفيان بن الحارث في حسّان بن ثابت، فإذن اشترك حسّان في أنّ الشّعر في الرّدّ عليه، ولكنّنا قد نلمح إشارة خفيّة تعزو البيتين إلى فُرات بن حيّان العِجْليّ، فقد ذكر ابن الكلبيّ في (نسب معد واليمن الكبير) في ترجمة فُرات:" فُراتُ بن حَيَّان بت ثَعلبَةَ بن عبْد العُزَّى بن حَبيب بن ربيَعَة، كان شَرِيفاً، ....، والذي يقُولُ لهُ حَسَّانُ بن ثَابتٍ الأنصاريّ:

وإنْ نَلْـــقُ في تَطْوافنَـــا والتماسِـــنَا فُـــراتَ بـــن حَيَّـــانٍ يكُـــن رَهْـــنَ هالِـــكِ

وهذا البيت ساقه المرزبانيّ حين ذكر أنّ فُرات بن حيّان ردّ على حسّان قوله.

ومن الاضطراب في نسبة الشّعر أنّ قطعة من ثمانية أبياتٍ نُسبت إلى النُّسَيْر بن ثورٍ العِجْليّ قالها يوم القادسيّة، وإلى ثَوْب بن رَبيعة الوالبيّ من بني أسد، فقد نسبها الآمديّ في المؤتلف والمختلف إلى نُسير ابن ثور، والأوّل في الإصابة، والسّابع في حماسة البحتريّ، بينما نسب ابن عساكر الأبيات جميعاً في تاريخ مدينة دمشق إلى ثَوْب بن ربيعة، ومطلع الأبيات:

لَقَـــدْ عَلِمَـــتْ بالقَادِسِـــيَّةِ أَنَّنِـــي صَـــبُوْرٌ عَـــلى الـــلَّأْوَاءِ عَـــفُّ المكَاسِـــبِ

ولعلّ ثوباً الّذي نسب ابن عساكر إليه الأبيات هو الّذي ذكره الآمديّ، فقال:" ثوب بن تُلْدة الوالبيّ، أحد بني والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أسد، قال أبو سعيدٍ السُّكّري: تُلْدَة أمّه، وأبوه ربيعة"[3].

وهو من المخضرمين، وقد وفد على معاوية بن أبي سفيان. ولم أجد ما يؤيّد مشاركته في المعارك أو

(١) ديوانه: ٨٥.

(٢) طبقات فحول الشّعراء: ١/٢٥٠.

(٣) المؤتلف والمختلف: ٩٢.

فتوح المسلمين، على عكس النُّسير وقد نُسبت إليه الأبيات في القادسيّة، وكان من الصّحابة الّذين أدركوا الفتوح ولا سيّما في عهد عمر بن الخطّاب ﷺ.

ومن ذلك الاضطراب أنّ قطعة من ثلاثة أبيات نُسبت إلى غير شاعر، وهي:

اصْبِرِ النَّفْسَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ ... إنَّ في الصَّبْرِ حِيلَةَ المُحْتالِ

لا تَضِيقَنَّ بالأُمُورِ فقدْ تُكْـ ... ـشَفُ غَمّاؤُها بِغَيْرِ احْتِيالِ

رُبَّما تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِنَ الأمْـ ... ـرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقالِ

فالأبيات في الحماسة البصريّة لحنيف بن عُمير، وقد نسبها البصريّ أيضاً إلى نهار ابن أخت مُسيلمة الكذّاب، ووجدتُ الأبيات في ديوان عَبيد بن الأبرص، ونُسبت الأبيات إلى أميّة بن أبي الصَّلت في ديوانه، والحيوان، وغيرهما، والأبيات لمُنْشدٍ زمن الحجّاج في شُعب الإيمان للبيهقيّ نقلاً عن أبي عمرو بن العلاء. هذا الاضطراب في نسبة الأبيات يقود إلى تشتّت الشِّعر بين القبائل، وضياع قسمٍ كبيرٍ منه، وإن كان د. السّطليّ أقرّ بأنّ الأبيات لأميّة بن أبي الصَّلت.

ومن الاضطراب في الشّعر في عصر بني أميّة، شعر عمرو بن جابرٍ الحَنَفيّ، فقد ورد بيتان هما:

وكَائِنْ مِنْ عَدُوٍّ ظِلْتُ أُبْدِي ... لَهُ ودّاً يُغَرُّ بِهِ القَنِيصُ

أُكَاشِرُهُ وَأَعْلَمُ أَنْ كِلانَا ... عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبَهُ حَرِيصُ

ونسبهما البحتريّ في حماسته إلى عمرو بن جابرٍ الحَنَفيّ، وابن حمدون في تذكرته، وغيرهما، والبيتان مُتنازعٌ عليهما بين عمرو بن جابرٍ الحَنفيّ وعَدي بن زيدٍ في أمالي ابن الشَّجريّ. ولم ينسبهما الأخفش في معاني القرآن، وأبو حيّان في الصّداقة والصّديق، وعلى ذلك فالبيتان لعمرو بن جابرٍ الحنفيّ، ذلك أنَّ أقدم المصادر؛ وهو حماسة البحتري نسبَها إليه، ووافقه ابن حمدون وغيره، وانفرد ابن الشَّجريّ بنسبتهما إلى عَديّ بن زيد).

ومن اضطراب نسبة الشّعر إلى عددٍ من الشّعراء قطعة من عشرة أبيات، أوّلها:

مُنِيْتُ بِزَنْمِرْدَةٍ كَالعَصَا ... أَلَصَّ وأَخْبَثَ مِنْ كُنْدُشِ

فهي لأبي الغَطَمَّش الحَنَفيّ من بكر بن وائل في شرح الحماسة للمرزوقيّ، والأبيات (١، ٥، ٧) في الحماسة البصريّة، بينما نسب ابن قتيبة الأبيات (١، ٣، ٩) لدعبلٍ الخُزَاعيّ في هجاء امرأته، ونسب ثعلب في مجالسه ستّة أبيات من ذلك الشّعر لأبي المنهال، ونسب الأصفهاني في الأغاني الأبيات جميعها لإسماعيل بن عمّار. وكذلك فعل النَّمَري في (إصلاح ما غلط فيه النَّمريّ)، قال:" وهذه قطعة مَليحةٌ

من نوادر الشِّعر، وقعت في الحماسة مختلّة النِّظام، ... وهي لإسماعيل بن عمَّار الأسديّ في جاريةٍ له كانت تُبغضه"[1]. وجعل الرّاغب الأصفهانيّ في محاضرات الأدباء البيت الرّابع لابن مغلِّس الحنفيّ، محرّفاً عن (الغطمّش)، فتفاوت نسبة الشّعر إلى عددٍ من الشّعراء بتفاوت الأبيات قد يجعل ذاك الشّعر عُرضة للشّكّ في أصله.

وإنّ عدم نسبة الشّعر في مصدر من مصادر العربيّة مردّه إلى أحد أمرين: إمّا أن يكون مصدراً مهتمّاً بعرض قضيّته، ثمّ الاستشهاد عليها من شِعر العرب، ومن ثَمَّ يكون مدار همّه أن يعالج ما هو بصدد عرضه، ككتب النّحو واللّغة.

وإمّا أنّ المؤلّف لم يقف على صاحب الشِّعر، وهو ما يجعل ذاك الشّعر مُعرّضاً للاضطراب، واختلاف النّسبة، ككتب الحماسات، والاختيارات الشّعريّة عموماً، وكتب الشّعر والأدب. فحين نعلم مثلاً أنّ أبا حيّان التّوحيدي لم ينسب الشّعر في كتابه الصّداقة والصّديق، نتيقّن أنّه غالباً لم يقف على صاحبه.

٣ـ النَّحل في أشعارهِم:

تعرّض العلماء القدماء لقضيّة نحل الشِّعر، فكانت لهم آراء أقرب إلى الدِّقّة والصّواب في أسباب مَن يُقْدِمون على نحل قصيدةٍ، أو أبياتٍ بعينها، وبيّنوا أنَّ لهم في ذلك أهدافاً وأسباباً تتباين بين قبيلة وأخرى، وبين شاعرٍ وآخر.

وكان مِن أقدم مَن تحدّث عن قضيّة النَّحْل في الشِّعر ابنُ سلّامٍ الجُمَحيّ في طبقات فحول الشّعراء، وابنُ قُتيبة في الشِّعر والشّعراء، فبيّن ابن سلّام أنَّ قلّة أشعار بعض القبائل كانت من أهمّ أسباب نحل الشّعر، فقال:" فلمَّا رَاجَعت العربُ روايةَ الشِّعر، وذِكرَ أيَّامها ومآثرها استقلَّ بعضُ العَشائر شعرَ شُعرائهم وما ذهب من ذكر وقائِعهم، وكان قومٌ قلَّت وقائِعُهم وأشعارُهم، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائعُ والأشعارُ، فقالوا على ألسنةِ شُعرائِهم، ثُمَّ كانت الرُّواةُ بعدُ، فزادوا في الأشعارِ الَّتي قِيلت، وليس يُشْكِل على أهل العلم زيادة الرُّواة، ولا ما وَضعوا، ولا ما وضع المولَّدون، وإنَّما عَضَّلَ بهم أن يقول الرَّجلُ مِن أهل البادية مِن وَلَدِ الشُّعراء، أو الرَّجلُ ليس من ولدهم، فيُشْكِل ذلك بعضَ الإشْكَال"[2].

(١) إصلاح ما غلط فيه النَّمريّ: ١٦٩.

(٢) طبقات فحول الشّعراء: ٤٦/١.

وأمّا ابن قتيبة فقد أشار إلى قضيّة النَّحل في أربعة مواضع[١] حين عرض لشعر الأعشى[٢]، وشعر لبيد بن ربيعة العَامريّ[٣]، وشعر المجنون مرّتين، وذكر أنّ شعر المجنون تعرّض للنَّحل كثيراً، فقال:" وهو من أشعر النَّاس، على أنَّهم قد نحلوه شعراً كثيراً رقيقاً يُشبه شِعرَه"[٤].

وقد لخّص د. ناصر الدِّين الأسد أسباب نحل الشّعر فيما اجتمع له من أسباب، وهي[٥]:

١- تكثر القبائل لتعوّض ما فقدته بعد أن راجعت الرِّواية، وخاصة القبائل التي قلَّت وقائِعُها وأشعارُها، وكانت أولاها قبيلة قريش، فقد وضعت على حسان أشعارًا كثيرة.

٢- شعر الشواهد[٦] :وهو النَّوع الذي يدخل فيه أكثر الموضوع، لحاجة العلماء إلى الشَّواهد في تفسير الغريب ومسائل النَّحو.وشعر الشَّواهد في اصطلاح الرُّواة على ضربين: شواهد القرآن، وشواهد النحو. والكوفيُّون أكثر الناس وضعاً للأشعار التي يُستشهد بها؛ لضعف مذاهبهم وتعلُّقهم على الشَّواذ واعتبارهم منها أصولًا يقاس عليها.

٣- الشَّواهد التي كان بعض المعتزلة والمتكلِّمين يولِّدونها للاستشهاد بها على مذاهبهم.

٤- الشَّواهد على الأخبار:فلمَّا كَثُر القصَّاصون وأهل الأخبار اضطُرُّوا من أجل ذلك أن يصنعوا الشِّعر لما يلفِّقُونه من الأساطير، حتَّى يلائموا بين رُقعتي الكلام، وليَحْدُرُوا تلك الأساطير من أقرب الطُّرق إلى أفئدة العوام، فوضعوا من الشِّعر على آدم، فمن دونه من الأنبياء وأولادهم وأقوامهم، وأوَّل من أفرط في ذلك محمد بن إسحاق، ثُمَّ ذكر أنَّ مما يدخل في هذا الباب شعر الجن وأخبارها.

٥- الاتِّساع في الرِّواية:وهو سبب من أسباب الوضع، يَقْصد به فحول الرواة أن يتَّسعوا في روايتهم، فيستأثروا بما لا يحسن غيرهم من أبوابها؛ ولذا يضعون على فحول الشُّعراء قصائد لم يقولوها، ويَزيدون في قصائِدهم الَّتي تُعرف لهم، ويُدخلون من شعر الرَّجل في شِعر غيره.

---

(١) ذكر د. ناصر الدّين الأسد أنّ ابن قتيبة ذكر النّحل في كتابه الشّعر والشّعراء في موطنين، لكنّه أغفل موطنين في حديث ابن قتيبة عن شعر المجنون.

(٢) انظر تعليق ابن قتيبة على شعره في الشّعر والشّعراء: ٦٩/١.

(٣) انظر تعليق ابن قتيبة في الشّعر والشّعراء: ٢٧٩/١، ٢٨٠.

(٤) الشّعر والشّعراء: ٥٣٦/٢.

(٥) مصادر الشّعر الجاهليّ: ٣٧٨، ٣٧٩.

(٦) للاستزادة يمكن العودة إلى بحث للدكتور محمّد موعد باسم (الاحتجاج بالشّاهد المصنوع)، مجلّة جامعة دمشق، المجلّد ٢٠، العدد (٣، ٤)، ٢٠٠٤م.

وأمَّا ما نُحِل من شعر بكر بن وائل، أو زيد عليه من أشعار غيرهم فلا نجد له نصّاً صريحاً، واضحاً يقطع الشّكّ بأنّه منحول، إلّا ما أورده ابن سلّام في تعليقه على الشِّعر المنسوب إلى فُرَات بن حيَّان العِجْليّ:

أَبُــوْكَ أَبُــو سَــوْءٍ وخَالُــكَ مِثْلُــهُ ولَسْــتَ بِخَــيْرٍ مِــنْ أَبِيْــكَ وخَالِكــا
يُصِــيْبُ ومَــا يَــدْرِي ويُخْطِــي ومَــا دَرَى وكَيْــفَ يَكُــوْنُ النَّــوْكُ إلا كَــذَالِكا

قال ابن سلّام :" فأخْبَرَنى أهلُ العِلم من أهل المدينة: أنَّ قُدَامةَ بن مُوسى بنِ عُمر بنِ قُدَامة بنِ مَظْعُون الجُمحيّ قالها، ونحلها أبا سفيان. وقُريشٌ تَرْوية في أَشعارها، تريد بذلك الأنصارَ، والرَّدَّ على حسَّان"[1]. فهذا القول كلامٌ واضح في نحل الشّعر، وقد ذكر السّبب الّذي أكّده ابن سلّام سابقاً، وهو تزيّد قريش في الشّعر، ونسبة ذاك الشّعر إليها أحياناً، وأنشد الواقدي في المغازي بيتاً إضافيّاً، وأسقط البيت الثّاني، ما يُدعّم الشّكّ في نحل الأبيات، وقال في نسبة الأبيات إلى أبي سفيان:" حَدّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قَمَادِينَ عَنْ عَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ. وَغَيْرِهِ قَالَ: كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ أَخَا رَسُولِ اللهّ ﷺ مِنْ الرّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةُ أَيّامًا، وَكَانَ يَأْلَفُ رَسُولَ اللهّ ﷺ. وَكَانَ لَهُ تِرْبًا، فَلَمّا بُعِثَ رَسُولُ اللهّ ﷺ عَادَاهُ عَدَاوَةً لَمْ يُعَادِ أَحَدٌ قَطّ، وَلَمْ يَكُنْ دَخَلَ الشّعْبَ، وَهَجَا رَسُولَ الله، وَهَجَا أَصْحَابَهُ، وَهَجَا حَسّانَ[2]، فَقَالَ:

أَلَا مُبْلِــغٌ حَسّــانَ عَنّــي رِسَــالَةً فَخِلْتُــكَ مِــنْ شَرّ الرّجَــالِ الصّــعَالِكِ
أَبُــوك أَبُــو سُــوءٍ وَخَالُــك مِثْلُــهُ فَلَسْــت بِخَــيْرٍ مِــنْ أَبِيــك وَخَالِــك

وأمّا غير ذلك فلا نصّ صريحاً على نحل شعرٍ ما، ولا يسعنا إلّا أن نشكّ شكّاً في نحل الشِّعر إلى هذا الشّاعر أو ذاك، فمن ذلك شعرٌ كثيرٌ أورده الواقديّ في كتبه، ككتاب فتوح الشّام (أو المنسوب إليه)، والرِّدّة، وقد انفرد برواية الأبيات، ومعلوم أنَّ الواقديّ احتاط بعض العلماء من الأخذ منه في الشّعر، واتّهموه بأخذ الشِّعر كيفما اتّفق، من غير مراجعة أو ضبطٍ لأصوله، ومنها أشعارٌ نسبها إلى ضرار بن الأزور، وأخته خولة، أو إلى خالد بن الوليد، وغيرهم ممّن لم تُحط المصادر بشعرهم خُبراً. ولا أقول في علمه بالأخبار والأنساب والمغازي، فهذا شأنٌ آخر برز فيه الواقديّ[3].

(١) طبقات فحول الشّعراء: ١/٢٥٠.

(٢) المغازي للواقدي: ٢/٨٠٦ (تح: مارسدن جونس).

(٣) انظر (الواقديّ وكتابه المغازي)، د. عبد العزيز السّلّوميّ: ١/٧٦، ٧٧.

ومن المواضع الّتي تجعل الشّكّ واقعاً في نحل شعر بكر بن وائل ما أورده الواقديّ في كتابه الرِّدَّة على لسان ثُمامة بن أُثالٍ الحَنَفيّ في العلاء بن الحَضْرميّ، وهو قطعة من ثمانية أبيات، أوّلها:

لَعَمْـــرُ أَبِيْـــكَ والأَنْبَـــاءُ تَنْمِـــي ... لَـــنِعْمَ الأَمْـــرُ صَـــارَ لَـــهُ العَـــلاءُ
ونِعْـــمَ الأَمْـــرُ يَـــدْعُونا إِلَيْـــهِ ... ودَاعِـــي اللهِ لَـــيْسَ لَـــهُ خَفَـــاءُ
دَعَـــا لِقِتَـــالِ مَـــنْ لا شَـــكَّ فِيْـــهِ ... وذَرْي الـــذَّيْنِ والـــدُّنْيَا بَقَـــاءُ
فَلَـــنْ أُثْنِـــي الأَعِنَّـــةَ عَـــنْ دُعَـــاهُ ... وعِنْـــدَ اللهِ في ذَاكَ الجَـــزَاءُ
وقَـــدْ قَالَـــتْ حَنِيْفَـــةُ إِذْ رَأَوْنِي ... نَهَضْـــتُ بِهَـــا: لَقَـــدْ كُشِـــفَ الغِطَـــاءُ
وقَـــالُوا يَـــا ثُمَامَـــةُ لا تَـــزِدْهُمْ ... فَـــإِنَّ الأَمْـــرَ أَثْقَلَـــهُ الـــدِّماءُ
وإِنَّهُـــمُ الوَضِـــيْعَةُ فالْـــهُ عَـــنْهُمْ ... فَقُلْـــتُ: اللهُ يَفْعَـــلُ مَـــا يَشَـــاءُ
فَشَـــمَّرتُ الإزارَ وطَـــالَ رُمْحِـــي ... إلى قَـــومٍ دِمَـــاؤهُمُ الشِّـــفَاءُ

وقد انفرد الواقديّ برواية الشِّعر دون غيره، مع العلم أنّ ثُمامة قال شعره في ردّة البحرين، ولا يكاد يخلو مصدر تاريخيّ من ذكر الواقعة، وما قيل فيها من شعر، إلى جانب الضّعف العام على الأبيات حتّى كأنّها نظمٌ لما كان من خبر ذلك اليوم، وقد عُرف عن ثُمامة أنّه سيِّد قومه، وكان خطيباً.

ومن المواضع الّتي تدعو إلى الشّكّ قطعة نسبها ابن مزاحم المنقريّ في وقعة صفّين إلى ابن الكوّاء؛ عبد الله ابن الكَوَّاء اليَشْكُريّ، وهو من أوائل الّذين خرجوا على الإمام عليّ ﷺ، فقال:

أَلا مَـــنْ مُبْلِـــغٌ كَلْبـــاً ولَخْـــماً ... نَصِـــيْحَةَ نَاصِـــحٍ فَـــوْقَ الشَّـــقِيْقِ
فَـــإِنَّكُمْ وإِخْـــوَتَكُمْ جَمِيْعـــا ... كَبَـــازِ حَـــادَ عَـــنْ وَضَـــحَ الطَّرِيْـــقِ
وبِعْـــتُمْ دِيْـــنَكُمْ بِرِضَـــاءِ عُبْـــدٍ ... أَضَـــلَّ بِهَـــا مُصَـــافَحَةُ الرَّقِيْـــقِ
وقُمْـــتُمْ دُوْنَنَـــا بـــالبَيْضِ صَـــلْتاً ... بِكُـــلِّ مُصَـــانِعٍ مِثْـــلِ الفَنِيْـــقِ
وسَـــارُوا بالكَتَائِـــبِ حَـــوْلَ بَـــدْرٍ ... يُضِـــيءُ لَـــدَى الغُبَـــارِ مِـــنَ البَرِيْـــقِ

ولم أجد مَن عرض لهذا الشِّعر غيرَ ابن مزاحم، مع العلم أنّ الرّواة والعلماء اهتمّوا بالخوارج وأشعارهم، وقد جمع د. إحسان عبّاس أشعارهم في كتابه (شعر الخوارج) ولم يأت على ذكر ابن الكوّاء، كما أنّي لم أجد سوى هذه القطعة له، وقد عُرف كثير من الخوارج، إن لم نقل كلّهم، بأنّ لهم القطعة والثّنتين والثّلاثة.

إذاً، لم يثبت وقوع النَّحل في شعر بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأمويّ بالنّصَ الصَّريح والدّليل

القاطع، إلّا في الموضع الّذي أشار إليه ابن سلّام من شِعر فُرات بنِ حيّان العِجْليّ. وما غير ذلك فهو لا يعدو الشّكّ في الأشعار، ولا يمكن القطع بأنّها منحولة، ولا سيّما إذا علمنا أنّ " النّاس استسهلت قول الشّعر، فكثُر عدد الشُّعراء كثرة مُفرطةً حتّى بلغ ثلاث مئة شاعر من الصّحابة وحدهم"[1].

(١) بنية القصيدة العربيّة حتّى نهاية العصر الأموي (د. وهب روميّة): ١٩٩.

الفصل الثَّاني

موضوعات شعر بني بكر بن وائل:

القسم الأوّل: الفخر والحماسة.

القسم الثّاني: المدح.

القسم الثَّالث: الهجاء.

القسم الرَّابع: الرِّثاء.

القسم الخامس:الغزل.

القسم السَّادس: الشَّكوى.

القسم السّابع: الحِكمة.

القسم الأوّل: الفخر والحماسة:

لا يمكن الفصل دائماً بين الفخر والحماسة إلّا حين يتعدّى الفخرُ فخرَ الجماعة بحروبها وأيّامها، إلى الفخر السّياسيّ، أوالحزبيّ، وغيرهما، وأمّا غير ذلك فإنَّ الفخر والحماسة نتاج العاطفة والانفعال والهيجان، يحفلان بالمبالغَة والغُلو في التَّعبير عن خَلَجات النَّفس وانفعالاتها، وينطلق فيهما الخيال مُضخّماً مَهولاً، وقد يحملان معهما كثيراً من الحقائق التّاريخيّة، ويسجِّلان عدداً من الأحداث على مرّ العصور، لكنّها تأتي مصحوبةً بقَعْقعة السّيوف، وصَهيل الخيول، وجَلَبات العاطفة والخيال. ولذلك فإنَّنا نجد أنَّ أبا تمّام في حماسته لم يفصل الفخر عن الحماسة؛ لأنَّ الفخر كثيراً ما يحمل معانيَ الحماسة.

١ـ الفخر:

يُعدُّ الفخرُ من فنون الشِّعر الغنائيّ، فيه يتغنَّى الشَّاعر بنفسه، وببطولاته، ومقارعته الفرسان الأفذاذ، فيُسمَّى الفخر الفرديّ، أو يتغنَّى فيه بقبيلته وعشيرته، أو جماعته؛ كشعر الخوارج، مُبيّناً موقعها بين القبائل، وإسهاماتها في الحروب المختلفة، إمّا لردّ غزو ظالمٍ، أو لرفع كلمة الحقّ والدّين، أوغير ذلك، فيُسمّى الفخر الجماعيّ أو القَبَليّ.

وقد لا يكون الفخر هدفاً بذاته، لكنّه نزعةٌ إنسانيّة فطريّة طبيعيّة، لا بُدّ منها، فهو أدلّ فنون الأدب على فِطرة الإنسان، ذلك أنَّ العربيّ بطبيعته ذو أَنَفةٍ، مُحبٌّ لمعالم البطولة والفُروسيّة، وقد ساعدته على ذلك طبيعة بلاد العرب، وما شهدته من صراعاتٍ ومُتناقضاتٍ ومُناقضاتٍ وحروب، ووبطولاتٍ وقيم، ثُمّ ما شهدته الجزيرة العربيّة من فتوحات وانتشارٍ للدّين الإسلاميّ، من حدود الصّين إلى بحر الظُّلمات إلى قلب أوروبة، ما عزّز قيمة الفخر بشقّيها، من غير أن يُصيبها كثيرٌ من الغُلو والمبالغة، ولا سيّما في مرحلة صدر الإسلام حين ذابت، إلى حدٍّ بعيدٍ، الذّاتُ الإنسانيّة المفردة مع ذات الجماعة، وانصهرت في بوتقة واحدة تحت شعار واحد، وكان الإسلام قد"، نظَّم شؤونهم الاجتماعيَّة، وتناول أصولهم الأخلاقيّة، وهذَّبها ونمَّاها ووجَّهَها في طريق الاستقامة والفضيلة والخير"[1].

وأمّا في العصر الأمويّ فقد عاد الفخر إلى سابق عهده في دولةٍ تعجُّ بالمتناقضات، والصِّراعات السّياسيّة والحزبيّة، وتناحر هذه الأحزاب بعضها مع بعضها الآخر، وقد ساهم الخلفاء والأمراء في إذكاء

(١) الفخر والحماسة، حنّا الفاخوريّ: ١١.

هذه القيمة، وإشعال نار العَصبيّة، فكان طبيعيّاً أن يستفيقَ الهجاء من رقاده البسيط، فيحذو حذو الفخر شبراً بشبر، وذراعاً بذراع.

وأمّا ما يُمكن أن يُقال عن الفخر في شعر بكر بن وائل فهو كغيره من شعر الفخر الّذي عرفه شعراء القبائل، لكن من غير أن نلمح ذاك الأثرَ الإسلاميَّ الرَّفيع، أو تلك المعاني الدّينيّةَ السّاميةَ، فهو أقرب إلى الفخر الجاهليّ، القائم على الفخر بالبطولة الفرديّة، والاعتداد بالأحساب والأنساب، وقد كان لموقع البكريين في العراق، ولا سيّما في عصر بني أميّة، أكبر الأثر في الحفاظ على نهجٍ قريبٍ من الجاهليّة، وقد روى أبو موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ في الحديث : " أَرْبعٌ في أُمَّتي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيّةِ لا يَتْرُكُونَهُنّ: الفَخْرُ في الأحْسَابِ، والطَّعْنُ في الأنْسابِ، والاسْتِسقاءُ بالنُّجُومِ، وقال: النَّائحةُ إذا لم تَتُبْ قَبْلَ مَوْتها، تُقُام يوم القيامة وعليها سِربالٌ من قَطران، ودِرعٌ من جَرَب" (١).

وفخرهم إنّما هو شعرٌ حماسيّ، يخوض في الحرب والقتال؛ سواء أكان فخراً فرديّاً أم جماعيّاً، فلا نلمس عندهم مثلاً الفخر بالخصال الحياتيّة الاجتماعيّة، وإن كانت فيهم ومآلاً إليهم، كالكرم، ومرادفاته من الجود، والعطاء، وإن جاءت تلك الخصال في أثناء الأبيات، وليس ذلك عجباً، فهم يرون أنّ ذلك ممّا عُهد عندهم، وإنّما شأنهم شأن الفرسان في سوح المعارك والقتال.

أ_ الفخر الفرديّ:

ليس من الجديد القول إنَّ فخر المرء بنفسه يذكّيه ما يعيشه من أسباب تَبعث عليه، ومِن أقوى تلك الأسباب مشاركته في الحروب، وقد كانت الحروب جزءاً لا يتجزَّأ من حياة الفرد،و بكر بن وائل في طليعة القبائل المحاربة منذ الجاهليّة، فيكفيها فخراً وشرفاً أنّها انتصرت على الفرس في ذي قار، ما جعل فرسان القبيلة يتغنَّون بهذا الانتصار حتّى الإسلام.

وأمَّا فخرهم الفرديّ في صدر الإسلام فإنّه يتفاوت بتفاوت المناسبات والأحداث، ففخر البَعِيْث الحَنَفي متّزنٌ، عاقلٌ، أقرب إلى شخصيّته الإسلاميّة، الدَّاعية إلى الوحدة مع الجماعة، فيقول:

وإنَّ مَسِـــيْرِي في الـــبِلادِ ومَنْـــزِلِي ... لَبِـــالمنزِلِ الأقْصَـــى إذا لم أُقَـــرَّبِ
ولَسْـــتُ وإنْ قُرِّبْـــتُ يَوْمـــاً بِبَـــائِعٍ ... خَلَاقِـــي ولا قَـــوْمِي ابْتِغَـــاءَ التَّحَبُّـــبِ

(١) صحيح مسلم، ر ٩٣٤، ٦٤٤/٢، باب "التشديد في النّياحة"، وفي سنن البيهقي، ر ٦٩٠٢، باب "التّغليظ في النياحة والاستماع لها ".

ويَعْتَـــدُّهُ قَـــوْمٌ كَثِـــيْرٌ تِجَـــارةً ... ويَمْنَعُنِـــي مِـــنْ ذَاكَ دِيْنِـــي ومَنْصِـــبِي
وقَـــدْ عَلِـــمَا أَنَّ العَشِـــيْرَةَ كُلَّهَـــا ... سِـــوَى مَحْضَـــرِي مِـــنْ خَـــاذِلِيْنَ وغُيَّـــبِ
فَكُنْـــتُ أَنَـــا الحَـــامِيَ حَقِيْقَـــةَ وَائِـــلٍ ... كَـــمَا كَـــانَ يَحْمِـــي عَـــنْ حَقَائِقِهَـــا أَبِي[1]

بينما يفخر ثُمامة بن أُثال الحَنَفيّ بأنَّ قومه بني حنيفة يطلبون النَّجدة منه، فهم لا يستغنون عنه، وما إن طلبوا النّجدة حتّى شمَّر عن إزاره، وامتشق رمحه مُلبِّياً النِّداء، وذلك في خدمة الدّين، وطلباً للأجر والجزاء من الله ﷻ، بعد أن ارتدّ القوم، يقول:

فَلَـــنْ أُثْنِـــي الأَعِنَّـــةَ عَـــنْ دُعَـــاهُ ... وعِنْـــــــدَ اللهِ في ذَاكَ الجَـــــــزَاءُ
وقَـــــدْ قَالَـــــتْ حَنِيْفَـــــةُ إِذْ رَأَوْنِي ... نَهَضْـــتُ بِهَـــا: لَقَـــدْ كُشِـــفَ الغِطَـــاءُ
وقَـــالُوا يَـــا ثُمَامَـــةُ لا تَـــزِدْهُمْ ... فَـــإِنَّ الأَمْـــرَ أَثْقَلَـــهُ الـــدِّماءُ
وإِنَّهُـــمُ الوَضِـــيْعَةُ فالْـــهُ عَـــنْهُمْ ... فَقُلْـــتُ: اللهُ يَفْعَـــلُ مَـــا يَشَـــاءُ
فَشَـــمَّرتُ الإزارَ وطَـــالَ رُمْحِـــي ... إلى قَـــومٍ دِمَـــاؤهُمُ الشِّـــفَاءُ[2]

فإن كنّا وجدنا ملمحاً بسيطاً من ملامح الإسلام في قول البعيث وثُمامة، وهو القتال في سبيل الجماعة المسلمة في وجه الجماعة الكافرة، وخروجُ هذا القتال مخرجَ الفخر الفرديّ، فهو غاية ما قد نجده من معاني الإسلام في شعر بكر بن وائل، إذ سرعان ما نكتشف معاني الفخر الجاهليّ في شعرهم على كثرتها، وقد نجد عذراً لهم في ذلك، فكثيرٌ منهم ظلَّ على معتقده ودينه، وقسمٌ لا بأس منهم ارتدّ مع مَن ارتدّ، ولا سيّما بنو حنيفة منهم، فهذا مُجَّاعة الحَنَفيّ كاد يَنقض صلح قومه مع خالد بن الوليد، ثُمّ فخر بنفسه وبقومه من طريق غير مُباشرة، فمن جهةٍ هو يَفخر بنفسه، وقد شبَّهَا بالبازيّ الّذي ينهض بقومه، ويعمل ما في وسعه لنجاتهم، ومن جهةٍ أخرى هو يفخر بوحدةِ قومه، فيقول:

يَلُـــوْمُ عَـــلَى بَنِـــي حَنِيْفَـــةَ ضَـــلَّةً ... ولَمْ يَبْـــقَ مِـــنْهُمْ لِلْعُـــلى غَـــيْرُ وَاحِـــدِ
وهَـــلْ يَـــنْهَضُ البَـــازِيُّ إِلَّا بِرِيْشِـــهِ ... وهَـــلْ يَحْمِـــلُ الأَعْضَـــادَ غَـــيْرُ السَّـــوَاعِدِ
ولَو قِـــيْلَ أَفْـــدِي مَـــن مَضَـــى لَفَدَيْـــتُه ... بِنَفْـــسِي ومَالِـــي مِنْ طَرِيْـــفٍ وتالد[3]

(١) الدِّيوان: ق٨.
(٢) الدِّيوان: ق١٤.
(٣) الدِّيوان: ق٢٧.

وساق مُحكَّم بن الطُّفيل مساق الجاهليّة في فخره الذّاتي حين عرج إلى إنصاف خصمه، فوصفه بالشَّجاعة، وقوّة الضّربة، وهو مدجّج بالسِّلاح، إلّا أنَّ ذلك لم يكن ليثني مُحكَّم عن التَّصدِّي له وقتله، من غير أن يرفّ له جفنٌ، منتظراً فارساً أقوى لينازله، يقول:

رُبَّ رَخْـوِ النِّجَـادِ مُصْـطَلَمِ الكَشْـ ـحَيْنِ بَـدْرٍ يَلُـوْحُ كـالمِخْرَاقِ
أَتْلَفَتْـهُ السُّـيوفَ لَمَّـا التَقَيْنَـا كَـانَ في أَهْلِـهِ عَزِيْـزَ الفِـراقِ
مَـنْ يَـرَ المـوتَ غُـنْماً عَظِـيْماً عِنْـدَ وقْـتِ الهِيَـاجِ و المِصْـدَاقِ
سَـاقَهُمْ حَـتْفُهم لميْقَـاتِ يَـوْمٍ فِيْـهِ فَـرْيُ السُّـيُوْف للأعْنَـاقِ
فَأنـا مُحَكَّـمٌ فَهَـلْ مِـنْ شُـجَاعٍ يَـبْرُزُ اليَـوْمَ للسُّـيُوفِ الرِّقَـاق[1]

وهو ما ساقه حجَّار بن أبجَرَ العِجْليّ أيضاً حين وثب على أبي النَّشْنَاش وثبةَ فارسٍ حرّ، يطلب ذَحْله من رقاب المعتدين، لا يهمّه إن غالى في طلبه، أو كان مُعتدياً، طالما أنَّ ذلك قد يحقّق له رضا نفسه، وحوله العَشيرة والإخوة والخُلّان، يدحضون عنه زلّاته، وينافحون عنه وقت المنافحة والهِيَاج، فيقول:

غَـدوتُ عـلى النَّشْـنَاش بالسَّـيْفِ غُـدْوَةً وحَـوْلِي رِجَـالٌ مِـنْ صَـدِيقٍ وحُسَّـدِ
فَقَـالَ لِيَ النَّشْـنَاشُ إنَّـكَ مُعْتَـدٍ ومَـنْ يَـكُ ذا رَهْـطٍ كَرَهْطِـيَ يَعْتَـدِ
وإنِّي لَخَـرَّاجٌ مِـنَ الأمْـرِ بَعْـدَما يَقُوْلُـوْنَ قَـدْ أَوْدَى وطـلّاعُ أُنجُـدِ
طَلـوبٌ بأَوْتَـارٍ بِهِـنّ مُطَلَّـبٌ سَـبُوقٌ صَـدُوقٌ مَوْعِـدِي وتَوَعُّـدِي
إذا جَنَـتِ الأيَّـامُ أَحْـدَاثَ نَكْبَـةٍ فـأمْني بسَـيْفِي مَـا اسْـتَقَلَّتْ بِـهِ يَـدِي[2]

فهذا السَّيف هو الأمان ليس لمحكَّم فحسب بل هو أمان للنُسَيْر بن ثورٍ العِجْليّ، فكيف إذا كان مَن امتشق السَّيف فارسٌ مُعْلمٌ، مشهورٌ، مُدجَّجٌ بمختلف أنواع الأسلحة، ماهرٌ في استعمالها، تتسابق البنان إلى الإشارة إليه؟إنّه يعالج خَلجَات الحرب غيرَ هيّابٍ الموت، وإلى جانب هذه الخصال، فهو عفٌّ، أصيل، كريمٌ، يعرف الحقوق، فيؤدِّيها،ويعرف الواجبات، فيقوم بها، يقول:

لَقَـدْ عَلِمَـتْ بالقَادِسِـيَّةِ أَنَّنِـي صَـبُوْرٌ عَـلى الـلَّأْوَاءِ عَـفُّ المكَاسِـبِ
أَخُـوْضُ بِسَـيْفِي غَمْـرَةَ المـوْتِ مُعْلِـماً وأُقْـدِمُ إِقْـدَامَ امْـرِئٍ غَـيْرِ هَائِـبِ

(١) الدِّيوان: ق٣٢.

(٢) الدِّيوان: ق٤٨.

عَـــلَيَّ دِلاصٌ ذَاتُ شَـــكٍّ حَصِـــيْنَةٌ كَـــأَنَّ قَتِيْرَيْهَـــا عُيُـــوْنُ الجَنَـــادِبِ
فإمَّـــا تَرَيْنِـــي قَـــلَّ مَـــالِي فَقُلُّـــهُ لِـــدَفْعِ خُصُـــوْمٍ جَمَّـــةٍ ونَوَائِـــبِ
وإعْطَـائِيَ المـوْلَى عَـلَى حِـيْنِ فَقْـرِهِ إذا رَدَّ بَعْـضُ القَـوْمِ مَـا في الحَقَائِـبِ[1]

ولكن هل يكفي السَّيف وحده حتّى يُعرف المرء، وهل تنفعه الدّروع الحصينة حتّى ينماز عن غيره من الفرسان، وتُعرفَ في وجهه قَسَمات الغَضب، مُشْهرةً معالم الفروسيّة والبطولة؟ إنّ تلك التّحصينات وحدها لا تكفي بالنِّسبة للمُمَكَّأ الشَّيبانيّ حتّى يغضب لقومه بني شَيْبَان، فلا بُدَّ من مَذْقة خمر، أو شُربةٍ كافيةٍ، تجعله ينتصر لهم، فالخمر مدعاة للفخر عنده، ولا يقوى من غيرها، يقول:

إِني آمْـرِؤٌ مِـنْ بَنـي شَـيْبانَ قَـدْ عَلمَـتْ هَاتَـــا القَبَائِـــلُ أُمَّـــي مِـــنْهُمُ وأَبي
إِنَّي إِذَا مـــا شَرِبـــتُ الخَمْـــرَ يَـــذْكُرُني قَـــوْمِي وتُعْـــرَفُ مِنَّـــي آيَـــةُ الغَضَـــبِ[2]

ولا يختلف فخر شعراء بكر بن وائل في صدر الإسلام عن فخرهم في عصر بني أميَّة، فهم من حيث اعتناقهم الدّين كانوا من المتأخِّرين، فلم تبدُ على أشعارهم آثار الإسلام، ولم يظهر في شعر الفخر عندهم اتّحاد الجماعة في سبيل هدفٍ دينيّ إلّا ما ندر، وإنّما فخرهم وحماساتهم أقرب إلى حماسات الجاهليّة، القائمة على الفخر بقتل الخصم، وترك الأهل والأقارب يمجّون نجيع الدّم، ويقتلون أنفسهم حزناً وحرضاً على قتيلهم، على نحو ما نجد في شعر عُبيد الله بن زياد بن ظَبيان، حين همَّ بقتل عبد الملك بن مروان حين سجد شكراً لله، وقد أُتيَ برأس مُصعب بن الزّبير، فقال:

هَمَمْـــتُ ولمْ أَفْعَـــلْ وكِـــدْتُ ولَيْتَنِـــي فَعَلْـــتُ فَأَدْمَنْـــتُ البُكَـــا لأَقَارِبِـــهْ
فَأَوْرَدْتُهَـــا في النَّـــارِ بَكْـــرَ بـــنَ وَائِـــلٍ وأَلْحَقْـتُ مَـنْ قَـدْ خَـرَّ شُـكْراً بِصَـاحِبِهْ[3]

وقد ساق الشّاعر فخره في اتّجاهين؛ الأوّل محاولته قتل عبد الملك بن مروان،وقد همّ بذلك، والثّاني جعْلُه بكاءَ أقاربه عليه طوال العُمر.

وقد فخر موسى بن جابرٍ الحَنَفي بنفسه كثيراً، في غير موضعٍ من شعره، حتّى كان رجلاً قريباً من الكمال، فهو ذائع الصّيت، وذِكره ذاهبٌ في النّاس، ولسانه مِبردٌ لا يفلّ ولا يلين، وعَباقرة الشّعر يمدّونه

(١) الدِّيوان: ق٥٤.
(٢) الدِّيوان: ق٤٦.
(٣) الدِّيوان: ق٧٣.

بالشِّعر ولا يهجرونه، لذلك فإنّه لا يبالي بصنيع قومه، وقد خذلوه وتركوه، يقول:

ذَهَبْتُمْ فعُذْتمُ بالأمير وقُلْتُمُ ... تَرَكْنَا أَحَادِيْثاً ولَحْماً مُوَضَّعاً
فَما زَادَني إلاَّ سَنَاءً ورِفْعَةً ... ولا زَادَكُمْ في القَوْمِ إلاّ تَخَشُّعاً
فَما نَفَرَتْ جِنِّي ولا فُلَّ مِبردِي ... ومَا أَصْبَحَتْ طَيْرِي مِنَ الخَوْفِ وُقَّعَا[1]

بل ذهب في فخره بنفسه كلّ مذهب، في قوله:

مَا أُبَالي أَلَئِيْمٌ سَبَّنِي ... أَوْ عَوَى ذِئْبٌ بِقَارَاتِ الجَبَلْ[2]

وهو وإن لم يبال بما جاءه من ذلك اللّئيم فليس لضعفٍ فيه، أو عدم اكتراث منه، بل لبلوغ نفسه عنده مكانةً عاليةً لا يمكن الاقتراب منها، أو المساس بها، أو الانتقاص من قيمتها، فهو ليس كهذا الرّجل من بَني سَلول، الّذي غضّ طرفه عن ذلك اللئيم الّذي سبّه، وتجاهل السُّباب وإن كان حلماً منه، وترفُّعاً:

ولَقَدْ أَمُرُّ عَلى اللَّئِيْمِ يَسُبُّني ... فمَضَيْتُ ثُمَّتَ قُلْتُ لا يَعْنِيْنِي[3]

وفخر موسى الحَنَفي فَخر الواثق بما عِنده، فهو إن تجاهل سُباب اللّئيم، أو مذمّةَ النّاقص فلأنّه يعلم عِظمَ نفسه، ومكانَتها عنده، وليس ذلك فحسب، بل هو بصيرٌ بالأمور، مُحنّك، تربأ به نفسه عن الزّلل والخطأ، وليس ذلك لشيء، بل لأنّه أعظمُ قومه حبلَ صدقٍ، وأمتنهم عِشرة، يقول:

وإذا الرِّجَالُ مَشَتْ بِهِمْ أَنْعَالُهُم ... لِخِزَايَةٍ لمْ تَمْشِ بي نَعْلي
مَدُّوا الحِبَالَ فَكَانَ أَطْوَلَهَا ... طُوْلاً وأَمْتَنَهَا قُوَى حَبْلي[4]

وفي ذات الوقت يعلم موسى الحَنَفيّ أنّ مَن يطلب العزَّ، والجاه، وعلوّ المرتبة، والصّيت الحَسَن، والذّكر الذّاهب بين النّاس، لا بُدّ له أن يُهيّأ الأساس المتين لتلك الخلال، ومِن ثَمَّ فإن حَصَّلَ ما يريد فلا بدّ له من أن يُدافع عمّا كَسبه، وإن كانت نفسُه الفداء لذلك، وإن كانت تلك النّفْس لا يُجاد بمثلها، ولا تُماثلها الأنْفُس العاديّة من بني البَشر، فأيّ نفسٍ تلك الّتي تموت في سبيل حقيقة ما؟ وما تلك الحقيقة، والمثل العليا

(١) الدِّيوان: ق٨٨.
(٢) الدِّيوان: ق٩٣.
(٣) لسان العرب: [ث م م]، ٧٩/١٢.
(٤) الدِّيوان: ق٩٢.

الّتي تجعل من نفس موسى بن جابر رخيصة في سبيلها، فيهرقها، وماله ؟ يقول:

أَلَمْ تَرَيـــــا أنِّي حَمَيْـــــتُ حَقِيْقَتِـــــي وبـاشَرْتُ حَـدَّ المـوتِ، والمـوْتُ دُوْنُهَـا
وجُـــدْتُ بِـــنَفْسٍ لا يُجَـــادُ بِمِثْلِهَـــا وقُلْـتُ اطْمَئِنِّـي حِـيْنَ سَـاءَتْ ظُنُوْنُهَـا
ومَـا خَـيْرُ مَـالٍ لا يَقِـي الـذَّمَّ رَبَّـهُ ونَفْـسِ امْـرِئٍ في حَقِّهَـا لا يُهِيْنُهَـا[1]

ب_ الفخر الجماعيّ (القَبَلي).

إنَّ ارتباط الفرد بالقبيلة في الجاهليّة يمثِّل أوثق عُرى التّضامن والتَّكافل الوجوديّ والأخلاقيّ، وهذا التّضامن والتّكافل " أحكم عُراه حرصهم على الشَّرف، وقد تكوَّنت حوله مجموعةٌ من الخلال الكريمة"[2].

إلّا أنَّ هذا التَّكافل القويّ، إلى حدٍّ ما، قد جرّ على الفرد وعلى القبيلة في أحايين كثيرة الكثيرَ من الآثام و النَقمات، نتيجة انجرار الفرد الأعمى وراء القبيلة، حتّى جاء الإسلام، فأكَّد قيمة التَّضامن والتَّكافل، وحفَّز الوحدة الجماعيّة، لكن في خدمة هدفٍ سام، وعملٍ نبيل، فأخرج فخر القبيلة بالغزو، والقتل بغير حقٍّ، والسّلب، وغير ذلك من قائمة المكرمات. ثمَّ أراد الإسلام من الجماعة أن تنصهرَ الأحساب والأنساب في خدمة الأمّة الواحدة، من غير تشتُّتٍ أو ضياع، وأن يظهر ضمير الجماعة (نحن) بدل الفرد (الأنا)، حتّى يخفت صوت الفرد مقابل صوت الجماعة، من مثل قول الحُضين بن المنذر الرَّقَاشيّ:

ونَحْـــنُ أُنَـــاسٌ خَصَّـــنَا اللهُ بـــالَّتي رَآنـــا لهـــا أَهْـــلاً وأَنْـــتُمْ لهـــا أَهْـــلُ
فَـــأَبْلُوا بَلانَـــا أو أَقِـــرُّوا بِفَضْـــلِنا ولَـنْ تَلْحَقُوْنَـا الـدَّهْرَ مَـا حَنَّـتِ الإبْـلُ[3]

إلّا أنَّنا قلَّما نجد ذلك في شعر بكر بن وائل، وفي فخرهم بالتّحديد، فالفخر الجماعيّ عندهم أقربُ إلى الفخر القَبَليّ، الّذي أساسه القبيلة بمعناها الضّيّق، ومعناها الجاهليّ القديم، باستثناء بعض الصّور الّتي نحت نحو المفهوم الإسلاميّ العام، فبكر بن وائل لم تستطع التَّخلُّص من ماضيها القديم مع عددٍ من القبائل،

(١) الدِّيوان: ق٩٤.
(٢) العصر الجاهليّ، د. شوقي ضيف: ٦٧.
(٣) الدِّيوان: ق١١٢.

وغزواتهم الكثيرة على الأرض والسِّيادة، وفي الإسلام أيضاً دخلوا في مناحرات كأغلب الأقوام، ولا سيّما فيما يتعلّق بالفتن الكثيرة، وحركة الخوارج، وغيرها.

فنجد في شعرهم مَن يفخر بحنيفة، ومَن يفخر بشيبان، ومن يفخر بعِجْل، و.....، فضاعت القبيلة بتشتت البطون، إلّا أنَّ اسم قبيلة بكر بن وائل هو الأعلى والأوحد إذا ادلهمَّ الخطب، وغاصت الرُّكب في مستنقع الأعداء.

وأمّا المُمكّأ الشّيبانيّ فقد فَخِر بقومه بني شَيْبان، وأنّه واحدٌ منهم، وكأنّه يُلمح إلى عزّ شيبان التّليد يوم ذي قار، وكأنّي به يُشير من بعيد إلى قائد فتوح العراق، المُثنّى بن حارثة الشَّيبانيّ من غير أن يُعْرِب، وإلى ما الّذي دعاه إلى أن يقول بصوت مرتفع، ليسمع القاصي والدّاني، ويُفهِمَ القبائل:

إني امْـرِؤٌ مِـنْ بَنـي شَـيْبانَ قَـدْ عَلمَـتْ ... هَاتَـا القَبَائِـلُ أُمِّـي مِـنْهُمُ وأَبي[1]

وقد أقرّ بانخراطه في أُتون الجماعة القبليّة، فهو واحدٌ من جمع كثير، امرؤ من بني شيبان، إلى جانب اعتزازه بصراحة نسبه وخلوصه من الشَّوائب.

وإن كان الممكّأ قد فخر بشيبانيَّته وبنسبه الخالص الصّريح إلى شيبان، فإنَّ رجلاً آخر من شيبان راح يُعدِّد رجالهم، وفيهم القوّة والعدد، ومنهم رجال الفتوح، والسّادة والسّاسة، وقد حصل أنْ نَافَرَ ذلك الشَّيبانيُّ رجلاً من بني عامر بن صَعْصَعة على باب مُعاوية بن أبي سفيان، فقال العامريّ: أنا أعدّ عليك عشرة من بني عامر بن صَعْصَعة، فعُدَّ عليّ عشرة من بني شيبان، فعدَّ عليه رؤوساً وسادةً وقادة، فجعل مُعاوية بينهما حكماً، فحكم للشّيبانيّ قائلاً: شيبان أكرم الحيَّيْن[2]، وقد قال الشّيبانيّ مفتخراً:

أَعُـدُّ إذا عَـدَدْتُ أَبَـا خُفَـافٍ ... وعِمْـرَانَ بـنَ مُـرَّةَ والأَصَـمَّا
وهَانِئـاً الَّـذِي حُـدِّثْتَ عَنْـهُ ... وكَـانَ قَبِيْصَـةُ الأَنْـفَ الأَشَـمَّا
ومَفْرُوْقـاً وذا النَّجَـدَاتِ عَوْفـاً ... وبِسْـطَاماً ووالِـدَهُ الخِضَـمَّا
وأَسْـوَدَ كَـانَ خَـيْرَ بَنِـي شَرِيْـكٍ ... ولم يَـكُ قَرْنُـهُ كَبْشـاً أَجَمَّـا
أُولَئِـكَ مِـنْ عُكَابَـةَ خَـيْرِ بَكْـرٍ ... وأَكْـرَمَ مَـنْ يَلِيْـكَ أَبـاً وأُمَّـا
وأَفْضَـلَ مَـنْ يَـنُصُّ إلى المعَـالي ... إذا مَـا حَصَّـلُوا خَـالاً وعَـمَّا

(١) الدِّيوان: ق٤٦.

(٢) انظر الخبر في العمدة: ٢/٩٣٦ ـ ٩٤٠.

وأَكْثَـــرَ قَـــوْمِهِمْ بالشَّـــرِّ طَوْفـــاً وأَبْعَـــدَ قَـــوْمِهِمْ في الخَـــيْرِ هَمَّـــا[1]

وأمَّا بنو حَنِيْفة فهم ليسوا بأقلّ شأناً من إخوانهم البكريين، وفيهم تبدأ الحماسات، وتكثر في شعرهم قَعقعات السّيوف، فهم سكّان اليمامة، وهم الأشهر إلى جانب شيبان في بكر بن وائل، وهم من صدَّقوا نبوءة مُسيلمة، وإنْ لأسبابٍ كثيرة، وهم من أعملوا القتل الكثير بجيش المسلمين أيّام أبي بكر ﷺ، ولا سيّما يوم دُوران، وعلى رأس الجيشين رجلان من حَنِيْفة تأكيداً لسطوة هذه القبيلة، الأوّل مُسلم هو ثُمامة بن أُثالٍ الحَنَفيّ، والثّانيّ مشرك، كافرٌ، متنبّئ، هو مُسيلمة الحَنَفيّ الكذّاب، وقد كان النَّصر في ذلك اليوم من حليف مُسيلمة ومَن حالفه، فقال رجلٌ منهم مُفتخراً بنصره على أبي فَصيل؛ ويقصد الخليفة أبا بكر ﷺ:

أَلَمْ ترَنَـــا عَـــلى عَهْـــدٍ أَتَانَـــا بمَلْهَـــمَ، والخُطُـــوبُ لَهَـــا انْتِهـــاءُ
فَشَـــلَّ الجَمْـــعَ جَمْـــعَ أَبِي فَصِـــيْل بِـــذِي دُوْرَانَ إذ كُـــرِهَ اللِّقَـــاءُ[2]

ولم يكن ذلك اليوم آخر أيّام بني حَنيفة، فيوم أُباض من أيّامهم على جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد، فقال رجلٌ منهم مفتخراً:

فَلِلَّـــهِ عَيْنَـــا مَـــنْ رَأَى مِثْـــلَ مَعْـــشَرٍ أَحَاطَـــتْ بِهِـــمْ آجَـــالُهُمْ والبَوَائِـــقُ
فَلَـــمْ أَرَ مِثْـــلَ الجَـــيْشِ جَـــيْشِ مُحَمَّـــدٍ ولا مِثْلَنَـــا يَـــوْمَ احْتَوَتْنَـــا الحَـــدَائِقُ
أَكَـــرَّ و أَحْمَـــى مِـــنْ فَـــرِيْقَيْنِ جَمَّعُـــوا وضَـــاقَتْ عَلَـــيْهِمْ في أُبَـــاضَ البَـــوَارِقُ[3]

إلّا أنَّ دوام الحال من المحال، وخروجهم مع المرتدّين أضعف همم رجالها، وأصابهم بنكسةٍ مؤلمة بعد أن كانوا أسنّةً لا تُكسر ولا تلين، ولا تكبو ولا تضعف، فيقول موسى بن جابرٍ الحَنَفيّ:

كَانَـــتْ حَنِيْفَـــةُ لا أَبَالَـــكَ مَـــرَّةً عِنْـــدَ اللِّقَـــاءِ أَسِـــنَّةً لا تَنْكَـــلُ
فَـــرَأَتْ حَنِيْفَـــةُ مَـــا رَأَتْ أَشْـــيَاعُهَا والـــرِّيْحُ أَحْيَانـــاً كَـــذَاكَ تَحَـــوَّلُ[4]

وفخرهم إنّما هو شعرٌ حماسيّ، يخوض في الحرب والقتال؛ سواء أكان فخراً فرديّاً أم جماعيّاً، فقضايا الكرم والعطاء لا نلمسها في شِعرهم كثيراً؛ لأنّهم يرون أنّ ذلك ممّا عُهد عندهم، وإنّما شأنهم شأن الفرسان في سوح المعارك والقتال، فكان جُلُّ شعرهم في الفخر والحماسة افتخاراً بالشَّجاعة والبطولة، وقد عَهِدنا

(١) الدِّيوان: ق٢٠٠.
(٢) الدِّيوان: ق٦٢.
(٣) الدِّيوان: ق٦٤.
(٤) الدِّيوان: ق٨٩.

عند العرب أنّ من عُرف بالبطولة والفروسيّة لا بُدَّ أن يحمل أخلاق الشّجعان، الكرماء، أصحاب العفّة والغِنى، وقد كان البطلُ عندهم مُقدَّساً، بل " لقد كانوا يظنُّونه أحياناً من سلالة الآلهة، وكأنَّه هبةٌ تهبها لهم، حتّى لا يقعوا فريسةً لمن سواهم، ..."(١)، وقد امتاز شعر البطولة عندهم بحفظ الشَّرف، والوفاء بالعهود، وحفظ الجار، وغيرها.

وقد تتّخذ تلك البطولة أشكالاً إلى جانب البطولة الحربيّة، منها بطولة الأخلاق ، والاتّحاد في جماعة ليس ضدّ عدوٍ خارجيّ بل ضدّ الملمّات والنّوازل والدّواهي، وهذا الاتّحاد يفرض على القبيلة رصَّ الصّفوف، والابتعادَ عن التّناحر، والاعتصامَ حتّى يكونوا كالوعل يعتصم بأعلى الجبل، تقول حُبَيبة بنت عَتيق:

إذا الحَـرْبُ شُـبَّتْ بَـيْنَ حَيَّـيْنِ نَارُهـا ... وطَـارَتْ لِقَاحـا بَعْـدَ طُـوْلِ حِيَالهـا

فإنَّـا حِجَـارٌ في المُلـمَّاتِ مَعْقِـلٌ ... كَـما يَعْقِـلُ الأرْوَى رُؤُوسُ جِبالهـا(٢)

ولكن موقف حُبيبة يخالفه موقف مُحَكَّم بن الطُّفيل الّذي لا يرى لهم عزّاً إلّا بالسّيف والحرب، ولا يقوم له كيان ووجود إلّا بالموت في ساحات القتال، وإن كانت الحرب مكروهةً، يقول:

أَرَى الرُّكْبَـانَ تُخْـبِرُ مَـا كَرِهْنَـا ... أَكُـلُّ الرَّكْـبِ يَكْـذِبُ مَـا يَقُـوْلُ

و مَـا في الحَـرْبِ أَعْظَـمُ مِـنْ جَـرِيْحٍ ... و عَـانٍ خَـرَّ بَيْـنَهُما قَتِيْـلُ(٣)

وهو يرى أنَّ المَنعة والحصانة لا يكونان إلّا بسواعد الرِّجال، وهي تقبض على السّيوف، عندها تتحقّق معالم الفروسيّة والبطولة، ومعها استعادة عزٍّ قديم:

سَـتَلْقَى اليَمَامَـةَ مَمْنُوْعَـةً ... بِصُـمٍّ القَنَـا عِزُّهَـا تَالِـدُ

وبِـيْضِ السُّـيُوْفِ بِأَيْـدِ الرِّجَـالِ ... يَحِـنُّ لهـا الكَـفُّ والسَّـاعِدُ(٤)

وفي سبيل هذه المعالم السّامية قد لا يتوانى بعضهم في قتل من يرون أنّه يحول دون هدفهم، ولو كان القتلُ ظلماً أو بغياً، أو لهدفٍ سياسيّ، أو حزبيّ، فهذا البعيث اليَشْكُريّ يفخر بأنّ قومه قتلوا مُصعبَ بن الزّبير، وإبراهيمَ بن الأشتر سيِّدَ نخع وفارسها، فيقول:

---

(١) البطولة في الشّعر العربيّ، د. شوقي ضيف: ٩.

(٢) الدِّيوان: ق٤.

(٤) الدِّيوان: ق٣٣.

(٤) الدِّيوان: ق٣١.

ونَحْـــنُ قَتَلْنَـــا ابـــنَ الحَـــوَرِايِّ مُصْـــعَباً أَخَـــا أَسَـــدٍ والمَـــذْحِجِيَّ اليَمَانِيـــا[1]

هذا باختصار ما أراده شعراء بكر بن وائل أن يوصلوه إلينا، شعرٌ انفعاليّ، جيّاشٌ بالمشاعر الحماسيّة، والعواطف القتاليّة، فلا حياة لهم بلا قتال، ولا عزّ، ولا كينونة لهم من غير أن يحملوا السّيف، يقول رجلٌ منهم:

نَسِـــيْرُ إلى البَحْـــرَيْنِ نَأْكُـــلُ تَمْرَهَـــا ونَرْعَـــى جِمَاهَـــا بالقَنَـــا والقَنَابِـــلِ
ونَعْرُكُهَـــا عَـــرْكَ الأَدِيْـــمِ بِفِتْيَـــةٍ عَـــرَانِيْنَ مِـــنْ أَفْنَـــاءِ بَكْـــرِ بـــنِ وَائِـــلِ
فَتُصْـــبِحُ عَبْـــدُ القَـــيْسِ فِيْهَـــا أَذِلَّـــةً كَفَقْعَـــةِ قَـــاعٍ أو كَشَـــحْمَةِ آكِـــلِ
ونَجْعَـــلُ هَـــذا المُلْـــكَ في آلِ مُنْـــذِرٍ كَـــما كَـــانَ فِـــيْهِمْ في الـــدُّهُوْرِ الأوَائِـــلِ[2]

وإن ظهر صوتٌ غير صوت الحرب فهو صوتٌ نشازٌ، مُنكرٌ، لا ينبغي للآذان أن تصيخ السّمع إليه، يقول:

وقَـــالَ رِجَـــالٌ خَـــاذِلُوْنَ لِقَـــوْمِهِمْ ذَرُوا البَحْـــرَ لا تَغْـــزُوْهُمُ دُوْنَ قَابِـــلِ
سَـــيَكْفُرُ قَـــوْمٌ في الحُـــرُوْبِ إذا التَقَـــوا صُـــدُوْرَ المَـــذَاكِي والوَشِـــيْجِ الـــذَّوَابِلِ[3]

ويَفخر مُعْنِقٌ السَّدوسيّ بفرسان قَومه، حين يَتمنّى أن تُشاهد حرائرُ العراق طِعانهم، وفُروسيّتهم، وضَربهم جماحم الأبطال، يقول في حرب الخوارج:

لَيْـــتَ الحَرَائِـــرَ بـــالعِرَاقِ شَـــهِدْنَنَا ورَأَيْنَنَـــا بالسَّـــفْحِ ذِي الأَجْبَـــالِ
فَـــنَكَحْنَ أَهْـــلَ الجَـــزْءِ مِـــنْ فُرْسَـــانِنَا والضَّـــارِبِيْنَ جَمَـــاجِمَ الأَبْطَـــالِ[4]

وعلى هذا النّحو سار شعرُ الفخر والحماسة عند شعراء بني بكر بن وائل، شعرٌ يمتلئ بالضّجيج والانفعال والزّهو، ويتخلّله صياح لا ينقطع بالبسالة والشّجاعة والفروسيّة، وهم ينزلون بأعدائهم الموت، ويسقونهم من كأسه المريرة، وفي المقابل هم قومٌ يعرفون حقوقهم، ويؤدّون واجباتهم، وما يتطّلبه الشّرف والمجد منهم.

(١) الدِّيوان: ق١٨٩.
(٢) الدِّيوان: ق٦٩.
(٣) الدِّيوان: ق٦٩.
(٤) الدِّيوان: ق١٣٥.

القسم الثّاني: المدح

لا شكَّ أنَّ المديح فنٌّ من فنون القول والثَّناء، وعملٌ من أعمال الاحترام والإجلال والإكبار، وغرضٌ من أغراض التكسُّب والتَّقرُّب إلى الممدوح، وأوَّل ما برز شعر التّكسُّب أواخر العصر الجاهليّ كما نصّ د. شوقي ضيف حين قال:" ولا نصل إلى أواخر العصر الجاهليّ حتَّى يتَّخذَ الشُّعراءُ المديحَ وسيلة إلى الكَسْب، فهم يَقْدُمون به على السَّادة المبرزين، وملوك المناذرة والغَسَاسنة، يمدحونهم، وينالون جوائزهم وعطاياهم الجزيلة"[1]. وقد برز من شعراء بكر بن وائل في التّكسّب بشعره خلف بن خليفة الأقطع، الّذي قارب الحطيئة في طمعه، وإغداقه صفات الجلال والعظمة على ممدوحيه، ولا سيّما الأمراء، حتّى كأنَّهم آلهةٌ أو أنبياء مرسلون، وقد تأثَر بعض العرب بمَن جاورهم من الفُرس والرّوم بعض التّأثير، قال سامي الدّهّان" ولعلّ العربيَّ تأثَّر أوّل الأمر بنظرة الفرس والرُّوم إلى ملوكهم، فقد كانت الأمَّتان تضعان الحواجز والسُّدود والحرَّاس والجنودَ دون البلوغ إلى قصور الملوك والأمراء، وكان اللّخميُّون في العراق والغساسنة في الشَّام يتأثّرون ما وسعهم بهاتين الأمَّتين بالمظاهر والمفاخر، ويقلِّدون مراسمَهم وأعيادَهم تقليداً يثير إعجاب القادم من الصَّحراء، ويسيل لعابه، ويضطَّرُّه إلى الحديث والفخر والمدح"[2].

وقد يَصدق هذا الكلام بعض الصِدق على العرب المجاورين للفرس والرّوم، ومَن ساق مساقهمو وجرى في رِحابهم، وأمّا عرب الصّحراء فظروف جزيرتهم، وأحوال مَعيشتهم، تجعل ما يَفخرون به، ويمتدحونه مُباينا في كثيرٍ منه لما اعتقده غيرهم، وجعلوه عدهم مُقدّساً.

وقد يمدح الشّاعر قومه وقبيلته وعشيرته من باب الفخر، وهنا يخرج المدح من باب التّكسّب والطَّمع إلى باب الواجب، الّذي تحتّمه عليه الشَّهامة والمروءة والوفاء.

وقد حدَّد قُدامة بن جعفر معياراً للشّاعر إذا التزمه في مِدحته كان مُصيباً، وعُدَّ آنذاك شعره في المدح الواقعي المقبول، فقال:" إنَّه لَمَّا كانت فَضائلُ النَّاس من حيثُ إنَّهم ناسٌ، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان، على ما عليه أهل الألباب من الاتِّفاق في ذلك، إنَّما هي: العقلُ، والشَّجاعةُ، والعَدلُ والعفَّة، كان القاصدُ لمدح الرِّجال بهذه الأربع الخصال مُصيباً، والمادح بغيرها مخطئاً؛ و قد يجوز في ذلك أن

(١) العصر الجاهليّ، د. شوقي ضيف: ٢١١.

(٢) المديح، سامي الدَّهّان: ١٤.

يقصد الشاعر للمدح منها بالبُغض والإغراق فيه دون البعض، مثل أن يصف الشَّاعر إنساناً بالجود، الَّذي هو أحد أقسام العدل وحده، فيغرق فيه ويفتن في معانيه، أو بالنجدة فقط، فيعمل فيها مثل ذلك، أو بهما، ويقتصر عليهما دون غيرهما، فلا يسمى مخطئاً لإصابته في مدح الإنسان ببعض فضائله، لكن يسمَّى مقصِّراً عن استكمال جميع المدح"[(١)].

ولا يخرج شعر مديح شعراء بكر بن وائل كثيراً عن تلك المعاني، ولو أنَّهم ولجوا في دين الإسلام، وكانت لبعضهم إسهامات في خدمة الدّين، وتأثُّرٌ بمعانيه وقيمه، ونحن نعلم أنَّ الإسلام قد حضّ الشّاعر المدَّاح على الالتزام بالصّدق والحكمة وعدم الغلوّ في القول، ولهذا كان عمر بن الخطّاب ﷺ معجباً بزهير بن أبي سُلمى؛ لأنّه لم يكن يمدح الرَّجل إلّا بما يكون للرِّجال[(٢)]، وقد دخلت إلى الشّعر الإسلامي مواضيع جديدة دفعت الشّعراء إلى إبرازها في شعرهم، والتَّغنّي بها؛ كالحديث عن عدل الإسلام، وفرائضه، ومدح الرّسول ﷺ، وغير ذلك. وهو أمرٌ لا نجد صداه قويّاً عند شعراء بكر بن وائل، نتيجة تأخّرهم في اللحاق بركب المسلمين الأوائل، الملازمين رسول الله ﷺ، ودعوته من السِّرّ إلى العلن، وما واكب هذه الفترة من مِحَنٍ وخطوبٍ فرّقت صفوف بعض المسلمين، وميّزت بين الشّعراء.

وقد نجد بعضاً من تلك المعاني الجليلة في شعر بعض شعراء بكر بن وائل، فهذا ثُمامة بن أُثالٍ الحَنَفيُّ يرى أنَّ دعوة العلاء بن الحَضرميّ لقومه بني حَنِيفة إلى الالتحاقَ بركب الإسلام، والذَّودَ عن المسلمين في وجه المرتدّين، يستحقُّ النّهوض إليه، والإشادة به، فهو في الأصل نداءٌ من الله ﷻ، ومن ناداه الله فليس بخاسرٍ، بل له الأجر الكبير، والجزاء العميم، يقول:

لَعَمْرُ أَبِيْكَ والأَنْبَاءُ تَنْمِي ... لَنِعْمَ الأَمْرُ صَارَ لَهُ العَلاءُ
ونِعْمَ الأَمْرُ يَدْعُونا إِلَيْهِ ... ودَاعِي اللهِ لَيْسَ لَهُ خَفَاءُ
دَعَا لِقِتَالِ مَنْ لا شَكَّ فِيْهِ ... وذَرْي الدِّيْنِ والدُّنْيَا بَقَاءُ
فَلَنْ أُثْنِي الأَعِنَّةَ عَنْ دُعَاهُ ... وعِنْدَ اللهِ في ذَاكَ الجَزَاءُ[(٣)]

وقد ترتبط معاني المدح الإسلاميّ عند الشّعراء بقيمة الممدوح الدِّينيّة، أو بما يدعو ذاك الممدوح إليه، فالعلاء بن الحَضرميّ من قوّاد المسلمين البارزين، دعاهم إلى الالتزام بكتاب الله، وهدي رسوله الكريم،

(١) نقد الشّعر: ٩٦.
(٢) نقد الشّعر: ٩٥.
(٣) الدِّيوان: ق١٤.

فجاء مَن مدحَه في شعره بمثل تلك القيم والأهداف، وإن لم يدخل في تفصيل تلك المعاني، على نحو ما كان في عهد الرّسول ﷺ، وهذا خالد بن الوليد مدحه رجلٌ من حَنيفة حين تزوَّج ابنة مُجَّاعة الحَنَفيّ، فلم يأتِ إلّا على ذكر أنّه سيفُ الله، وهو عزٌّ لقومه؛ أي للمسلمين، وهو بعيدٌ عمّا قد يلحق به من الأذى والعار، فقال:

عَـــلَى أَنَّ سَـــيْفَ اللهِ عِـــزَّةُ قَوْمِـــهِ بَـــرِيءٌ مِـــنَ الأَمْـــرِ المُقَـــرَّبِ لِلتَّلَـــفْ[1]

لكنْ ذاك الحَنَفيّ حين مَدَح مُجَّاعة الحَنَفيّ وكان بادئ أمره في جماعة مسيلمة، وصفه بمعانٍ جاهليّة، فهو حامي الدِّيار من العدوان الخارجيّ، وهو سيّدٌ كريمٌ، خِضَمٌّ، يقول:

فَلَسْـنَا نَـرَى صِـهْرَ المُغِـيْرِيِّ خَالِـدٍ لُمُجَّاعَـةَ الحَـامِي الـدِّيَارِ مِـنَ السَّـرَفْ

ولَكِـنَّ مُجَّـاعَ اليَمَامَـةِ سَـيِّدٌ خِضَـمٌ فَـما شَـا أَنْكَـرَ اليَـوْمَ أَو عَـرَفْ[2]

ومثل تلك المعاني رآها الضَّحّاك بن هَنّام الرَّقَاشيّ في الحُضين بن المُنذر، حامل لواء بكر يوم صفّين، على ما كان بين الرَّجلين، وقد قرَّعه أوّلاً قبل أن يَفيه حقّه، فمدحه بصفاء النَّسَب من جهة الأمّ، فهو ابن حُرَّة، ثُمّ هو هو الحصن المنيع في وجه الخصوم، يقول:

وأَنْـتَ عَـلى مَـا كَـانَ فِيْـكَ ابـنُ حُـرّةٍ أَبِيٌّ لمـا يَـرْضَى بِـهِ الخَصْـمُ مَـانِعُ[3]

إنّ معاني الإسلام تأتي في شعرهم على استحياء، وتمرّ في أشعارهم مرور الكرام، فهذا أعشى شيبان رأى في بِشْر بن مروان أنّه أفضل النّاس من العرب والعجم، بل هو أفضل النَّاس ديناً وحَسباً، فقال:

يَـا سَـيِّدَ النَّـاسِ مِـنْ عُجْـمٍ ومِـنْ عَـرَبِ وأَفْضَـلَ النَّـاسِ في دِيْـنٍ وفي حَسَـبِ[4]

وإذا ما مُدح الممدوح بالكرم فهو كما كانت صفات الجاهليين من الجود، والعطاء الزّاخر، وأنّه كالبدر في اعتلاء الشَّأن، وانتفاع النّاس بنوره، على نحو ما وصف موسى بن جابرٍ الحَنَفيّ ممدُوْحَيْه من بني أنف النّاقة، وهما ابنا العَنْبريّة، وحين وصفهما بتحمّل الأعباء والأثقال في سبيل قومهم، لم يجد إلّا الصّحراء ليستعير منها، فجعل تحمُّلهما الأعباء، وثقل النّهوض بها ما لا تستطيعه الجمال، ولا تقوى عليه، وقد خُلقت لمثل ذلك الحمل، وبه اشتُهرت، فكان صبرُ هذين الرّجلين أجمل من صبر البُعران، يقول:

(١) الدِّيوان: ق٦٣.

(٢) الدِّيوان: ق٦٣.

(٣) الدِّيوان: ق٤٥.

(٤) الدِّيوان: ق٢٧٨.

هِـــلالانِ حَمَّـــالانِ في كُـــلِّ شَـــتْوةٍ مِـــنَ الثِّقْـــلِ مـــا لا تَسْـــتَطيعُ الأبـــاعِرُ[1]

وحين مدح خلف بن خليفة بني شيبان، لم يزد في صفات الجاهليين على أن وصفهم بأنَّهم عند القمّة في الشّرف والكرم، وعلوِّ الرُّتبة، وأنّهم النَّفر البِيْض؛ كالسُّيوف المصقولة يوم الطّعن والحرب، وهم مَعْدِن العزّ، ومنبع الكرم والخلق الحسن، وأمَّا شيوخهم فترى على وجوههم علامات الوقار، وتلمح في مُحيَّاهم قَسمات الحِلم والجاه، وأمّا إذا ما أُغضبوا واستُثيروا، فهم أجهل ممّن جهلوا عليهم، وكأنّه يستذكر قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يَجْهَلَـــنْ أَحَـــدٌ عَلَيْنَـــا فَنَجْهَـــلَ فَـــوْقَ جَهْـــلِ الجَاهِلِيْنَـــا[2]

وفي ذلك يقول خلفٌ:

عَـــدَلْتُ إلى فَخـــرِ العَشـــيرَةِ والهْـــوَى إلـــيْهِمْ وَفي تَعْـــدَادِ مَجْـــدِهِمُ شُـــغْلُ
إلى هَضْـــبَةٍ مِـــنْ آلِ شَـــيْبَانَ أشْرَفَـــتْ لَهَـــا الـــذِّرْوَةُ الْعليَـــاءُ والكاهِـــلُ العَبْـــلُ
إلى النَّفَـــرِ البِـــيْضِ الأُلاَءِ كـــأنَّهمْ صَـــفائحُ يَـــومَ الـــرَّوْعِ أخْلَصَـــها الصَّـــقلُ
إلى مَعـــدِنِ العِـــزِّ المُؤيَّـــدِ والنَّـــدَى هُنـــاكَ هُنـــاكَ الفَضْـــلُ والخُلُـــقُ الجَـــزْلُ
أُحِـــبُّ بَقـــاءَ الْقـــومِ بالمِصْـــرِ أنَّهـــمْ مَتـى يَظْعَنُـوا مـن مِـصْرِهِمْ سَـاعةً يَحْلُـو
عِـــذَابٌ عـــلى الأفْـــواهِ مَـــا لَمْ يَـــذُقْهُمُ عَـــدُوٌّ وبـــالأَفْوَاهِ أسْـــماؤُهُمْ تَحلُـــو
عَلـــيْهِمْ وَقـــارُ الحِلـــمِ حتّـــى كـــأنَّما وليـــدُهُمُ مِـــنْ أَجْـــلِ هَيْبَتِـــهِ كَهْـــلُ
إذَا اسْـــتُجْهِلُوا لَمْ يَعْـــزُبِ الحِلْـــمُ عَـــنْهُمُ وإنْ آثـــرُوا أن يَجْهلُـــوا عَظُـــمَ الجَهـــلُ
هُـــمُ الجَبَـــلُ الأَعْـــلى إذَا مَـــا تَنَـــاكَرَتْ مُلُـــوْكُ الرِّجَـــالِ أوْ تَخَـــاطَرتِ البُـــزْلُ[3]

وإذا انتقلنا إلى مدح الخلفاء والأمراء فإنّنا نجد قسماً لا بأس به من شعر التَّكسُّب والعطاء، وقد برز فيه خلف بن خليفة الأقطع، إذ مال شعره إلى شعر الحُطيئة في التّوسّل إلى الممدوح، وإهراق ماء وجهه في سبيل بعض الدّراهم، أو امتلاكِ جاريةٍ حَسناءَ وُعِد بها، فإذا الممدوح في شعره يَسمو على جميع البشر، وهو من الكمال ما لا يطيقه الإنسان، وهو غيث من لا غياث له، قال ساميّ الدّهّان في كتابه المديح:" فإذا رأيتَ

(١) الدِّيوان: ق٨٤.
(٢) ديوان عمرو بن كلثوم، تح: د. إميل بديع يعقوب: ٧٨.
(٣) الدِّيوان: ق١٧٠.

مديحاً، فاعرف أنَّ وراءه يداً أسداها الخليفة إلى الشَّاعر، أنقذه من بؤسه، أو خلَّصه من حبسه، أو أقطعه إقطاعاً، فحبَّب إليه الدُّنيا، وحرَّك لسانه بالثَّناء والشُّكْر"[1].

فهذا خلف بن خَليفة دخل خلفٌ على سُليمان بنِ حبيب بن المهلَّب، وعنده جاريةٌ كأنَّها البدر في غسق اللّيل، فأُعجب بها أشدَّ الإعجاب، فقدَّمها له سُليمان، وكان متعلِّقاً بها أشدَّ التَّعلُّق، ليُعْلمَ أنَّ سليمان بن حبيب لهواه غالبٌ، وأنَّه غايةُ الكرم ومُنتهاه، فقال خلف مادحاً سُليمان، قاطعاً على نفسه عهداً ألّا ينسى كرمه ما دام على قيد الحياة:

لَقَـدْ حَبَـانِي وأَعْطَـانِي وفَضَّـلَنِي ... عَـنْ غَـيْرِ مَسْـأَلةٍ مِنِّـي سُـلَيْمَانُ
أَعْطَـانِيَ البَـدْرَ تَمْشِـي في مَجَاسِـدِهَا ... والبَـدْرُ لمْ يُعْطَـهُ إِنْـسٌ ولا جَـانُ
غَـيْرِي فَلَسْـتُ بِنَـاسٍ فَضْـلَهُ أَبَـداً ... حَتَّـى يُغَيِّبَنِـي لَحْـدٌ وأَكْفَـانُ[2]

ولا يخرج خلفٌ الأقطع عن سبيل شعراء المدح والتّكسّب، ومنهجهم كثيراً، فهو لا يفتأ يذكّر ممدوحه الغنيّ، أو الأميرَ ذا السّلطة والجاه، بأنَّه أحقُّ من غيره بالكرم؛ لأنَّه المقرّبُ إليهم، والمخلصُ لهم، فإذا كان البعيدُ يناله كرمُ الأمير، ويغدق عليه من فضله، فمن بابٍ أولى أن يَنال عطاء الملوك والأمراء خلفاً، ، يقول:

يَنَـالُ نَـدَاكَ المُعْتَفِـي عَـنْ جَنَابَـةٍ ... ولِلْجَـارِ حَـظٌّ مِـنْ جَـدَاكَ سَـمِيْنُ[3]

كما أنَّه سار على عادة الشعراء المدّاحين بلسانهم لا بعواطفهم، حين يرون أنَّ الجود والكرم والعطاء خصالٌ تموت بموت الخليفة والأمير والقائد، فغمز خلفٌ من طرف الشّاعر نهار بن توسَعة فنعته بقصر النَّظر، حين رأى أنَّ الجود مات بموت المُهلَّب بن أبي صُفْرة، فاستغلّ خلفٌ تولية نصر بن سيَّار، فجعل ولاية نصر حلقةً في سلسلة الكرم والعطاء، ورأى أنّ نصراً أحيا الجود من جديد، إلّا أنّ خلفاً قصّر عن زملاء المدح حين جعل الرّجلين في منزلة واحدة في الكرم والجود، فلم يأتِ بأكثر من أن جعل الجود في نصر بن سيّار استئنافاً لما عهدَه عند المهلّب، وكأنّه حَذِرٌ، مترقّب من عطاء الأمير الجديد؟ يقول:

نَهَـارٌ أَمَـاتَ الجُـوْدَ حِيْنـاً ولمْ يَكُـنْ ... لِصَـاحِبِنَا عِلْـمٌ بِـما في المغَيَّـبِ
لَقَـدْ رَجَـعْ الغَـازُوْنَ واسْـتُؤْنِفَ الغِنَـى ... بِنَصْـرٍ وعَـاشَ الجُـوْدُ بَعْـدَ المُهَلَّـبِ[4]

(١) المديح: ٢٢.
(٢) الدِّيوان: ق١٨١.
(٣) الدِّيوان: ق١٨٠.
(٤) الدِّيوان: ق١٥٥.

وقد لا يتوانى خلفٌ عن الإلحاحِ في الطَّلب، وفِعلِ كلّ ما يضمن له العَطاء، بعد أن تعلوه مظاهر الهيبة والتّواضع والعفّة، والرِّضا بالقليل، كقوله:

فَسُـــبْحَانَ مَـــنْ رِزْقُـــهُ وَاسِـــعٌ ... يَعُـــمُّ بِـــهِ القِـــرْدَ والقِـــرْدَه[1]

لكنَّه إذا ما نُسي، أو أنكره النّاس، يلحّ في الطّلب، ويُكثر من المدح والتّذلّل حتّى يُصيب طلبه، فإن لم يُصبه فهو يستجدي الهديّة بلسانه، مُنكراً على ممدوحه فعلته إن نَسيه بالعطاء، مُسلِّطاً لسانه الفاحشَ عليه، وإن كان كثيرَ المعروف، فلأصل أن يُحبا خلفٌ على الخلق، على نحو قوله:

فَجَـــاءَ بِمَعْـــرُوْفٍ كَثِـــيْرٍ فَدَسَّـــهُ ... كَـما دَسَّ رَاعِـي السُّـوْءِ في حِضْـنِهِ الوَطْبَـا
فَقُلْـــتُ لَـــهُ: هَـــلْ جِئْتَنِـــي بِهَدِيَّـــةٍ ... فَقَـالَ: بِنَفْـسي قُلْـتُ: آثِـرْ بِهَـا الكَلْبَـا
هِـيَ الـنَّفْسُ لا آسَـى عَلَيْهَـا وإنْ نَـأَتْ ... ولا أَتَمَنَّـى الـدَّهْرَ يَوْمـاً لهـا قُرْبَـا[2]

فما يفعل خلفٌ بنفس الرّجل الكريم من غير عطاء مادّيّ؟ فهمّه العطاء والهدايا والجواري الحسان، وأمّا غير ذلك فهو لا يصلح إلّا طعاماً للكلاب!.وخلفٌ هو نفسه الّذي يكشف عن ذاته الخبيثة، الطمّاعة، الرّاغبة في الاستحواذ على كلِّ شيء، حين يقول وقد شخصت له جُرَب الذّهب والفضّة:

زُيِّـــنَ الجَـــامُ فَلَـــمَّا نِلْتُـــهُ ... زَيَّـــنَ الشَّـــيْطَانُ لِي مَـــا في الجُـــرُبْ
إنَّ شَـــيْطَانِي مَرِيْـــدٌ فَاتِـــكٌ ... لَـــو أُمَالِيْـــهِ عَلَيْهَـــا لَوَثَـــبْ[3]

وقد دخل مرّةً على يزيد بن عمر بن هُبيرة، وقد أُهديت له الهدايا، وهو أمير العراق، فولج بين الحضور من غير مسألةٍ ولا تقدير للحضور، فقال:

عَلَـــوْتُ بِـــرَأْسِي فَـــوْقَ الـــرُّؤُوْسِ ... فَأَشْخَصْـــتُهُ فَـــوْقَ هَامَاتِهَـــا
لأُكْسِـــبَ صَـــاحِبَتِي صَـــحْفَةً ... تَغِـــيْظُ بِهَـــا بَعْـــضَ جَارَاتِهَـــا[4]

فأمر له بجَامٍ من ذهب. ثمَّ إنّه إذا ما أشبع نهمَه وطمعه، جعل من نفسه فداءً لممدوحه، وحمًى يلوذ بها الخائف، ومهما كان الموقف الّذي بين يديه، من حربٍ أو صراع، أو موت، فإنَّه لا يستطيع إلّا أن يذكّر

(١) الدِّيوان: ق١٦٠.
(٢) الدِّيوان: ق١٥٤.
(٣) الدِّيوان: ق١٥٦.
(٤) الدِّيوان: ق١٥٨.

النَّاس والممدوح بكرمه، وبمعروفِه الكبير، ويشير إلى أنَّه لا يندم على معروفٍ قدّمه، حتّى يُخرج خلف شعره مخرج الطّامع بكرم ممدوحه فقط لا غير، على نحو قوله في داود بن حاتم:

نَـــفْسِي لِـــدَاوُدَ الفِـــدَا والحِمَـــى ... إذْ أَسْـــلَمَ الجَـــيْشُ أَبَـــا حَـــاتِمِ

مُهَلَّبِـــيٌّ مُـــشْرِقٌ وَجْهُـــهُ ... لَـــيْسَ عَـــلَى المَعْـــرُوْفِ بالنَّـــادِمِ[1]

وما ذهب إليه خلف بن خليفة الأقطع في تكسّبه بشعره بُعدٌ عن قول شاعرٍ بكريٍّ ؛ هو عِمران بن حطّان، الّذي عاب على شعراء عصره التَّملّق والإسراف في إهانة النَّفس، حتّى أعلنها ثورةً عارمةً، ضدّ من يمدح لينال العطاء، فقال:

أَيُّهَـــا المـــادِحُ العِبَـــادَ لِيُعْطَـــى ... إنَّ لله مَـــا بأَيْـــدِي العِبَـــادِ

فاسْـــأَلِ اللهَ مَـــا طَلَبْـــتَ إلَـــيْهِمْ ... وارْجُ فَضْـــلَ المقَسِّـــمِ العَـــوَّادِ

لا تَقُـــلْ في الجَـــوَادِ مَـــا لَـــيْسَ فِيْـــهِ ... وتُسَـــمِّي البَخِيْـــلَ باسْـــمِ الجَـــوَادِ[2]

ويمكن أن نخلص إلى أنَّ شعر المدح عند شعراء بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأمويّ لا يخرج عن شعر المدح الشّائع المعروف، فهو أقرب إلى المدح الجاهليّ القائم على الفخر بالأحساب و الأنساب، وامتداح البطون ضمن القبيلة الواحدة، على أنّنا لا نلمح في شعرهم الإسلاميّ كثيراً من معاني المدح الإسلاميَّة، والفخر بقيم الإسلام وتعاليمه لأسبابٍ سبق ذكرها.

(١) الدِّيوان: ق١٧٧.

(٢) شعر الخوارج: ٢٦.

القسم الثّالث: الهجاء

يقع الهجاء على النّقيض من المدح، فإذا كان المديح إعلاءً لقيمة الشّخص أو الجماعة، ورفعةً لهما، فإنَّ الهجاء هو الحطُّ من تلك القيمة، والإسفافُ إلى درجة الانحطاط في كثيرٍ من ذاك الشِّعر، فإذا الكرم يتحوّل إلى بخل، والشَّهامة إلى خَساسة ودناءة، والوفاء يصبح غدراً، وقد قال قُدامة بن جعفر:" فكلَّما كثرت أضداد المديح في الشِّعر كان أهجى لها، ثمَّ تنزل الطَّبقات على مقدار قلَّة الأهاجي فيها وكثرتها"(١).

وليس كُلُّ مَن يحسن المديح يُحسن الهجاء على أنّهما فنّان متناقضان، وقد قِيل للعَجَّاج: إنَّك لا تُحسن الهجاء؟ فقال: إنَّ لنا أحلاماً تمنعنا من أن نَظْلم، وأَحْساباً تمنعنا من أن نُظلم، وهل رأيت بانياً لا يُحسن أن يَهْدِم(٢).

وعلَّق ابن سلّام على ذلك، فقال:" وليس هذا كما ذكر العَجَّاج، ولا المثل الذي ضربه للهجاء والمديح بشكل، لأن المديح بناءٌ والهجاء بناءٌ، وليس كل بانٍ بضربٍ بانياً بغيره"(٣).

على أنَّنا يمكن أن نستشفّ من قول ابن سلّام أنَّ الهجاء أصعب من المديح، وإن كان قوامه السُّباب والشّتم، والقدح، فمن الشّعراء من يميت عدوّه غيظاً وحَنَقاً ببيتٍ واحد، على أنَّه قد يرفعه إلى أعلى درجات السُّمو والرِّفعة ببيتٍ واحدٍ أيضاً، لكن هل الّذي أصاب الممدوح من الزُّهو هو ما أصاب المهجوّ من الغيظ والاختناق؟.

وقد يتدرّج الهجاء ويتنوّع باختلاف قدرات الشُّعراء، وبتنوّع ألسنتهم، فمنه الهجاء المقذع الفاحش، ومنه الهجاء الصّادق القائم على كشف العيوب، والتّعريض بصاحبها، وقد لُمح في أدبنا العربيّ كيف "سعى الشُّعراء إلى إحصاء الرَّذائل، فوجدوا أنَّ أقواها إصابةً للمهجو في المحيط العربيّ هو تناوله من حيث العِرض، وأنَّ أشدَّها قتلاً لسمعته هو تناول زوجه أو ابنته أو أمّه أو أخته، فبلغوا من ذلك مبلغاً لم يقع في الآداب كُلِّها كما وقع في الأدب العربيّ"(٤).

ويُقسم الهجاء إلى أقسامٍ عدّةٍ، ولكن ما يهمّنا هو جانبان: ١ـ الهجاء الفرديّ أو الشَّخصيّ القائم على الوقيعة في الأعراض والأنساب، و القائم على هجو الشّخص من جوانب خُلُقيّة وخَلْقيّة.

(١) نقد الشّعر: ١١٣.

(٢) طبقات فحول الشّعراء: ٩٤/١.

(٣) طبقات فحول الشّعراء: ٩٤/١.

(٤) الهجاء، سامي الدّهان: ٢٥.

٢ـ الهجاء الجَماعيّ أو القَبَليّ وأساسه الحطّ من شأن القبيلة أو الجماعة بين القبائل، وامتهانها، واتّهامها بالضِّعَة والصَّغار والهوان.

١ ـ الهجاء الفرديّ (الشَّخصيّ):

إن كان هذا النَّوع من الهجاء يقوم على الطّعن في النَّسب، وذمِّ الخُلُق والخَلق، والوقيعة في الأعراض، فإنَّنا لا نلمح هذه الصّور في شعر شعراء بكر بن وائل، وكأنَّ أثراً إسلاميّاً يمنعهم من الولوج في هذا المضمار الفاحش، أو أنَّ أخلاق كثيرين منهم تربأ بهم أن ينزلوا تلك المنزلة، فكان جلّ شعرهم في الهجاء يقوم على الهجاء الشَّخصيّ المنبثق من السِّياسة، والمعتمد على الأحداث والوقائع الّتي عاشوها، وجالوا في ميادينها، كالهجاء الكثير الّذي قيل في مُسيلمة الكذّاب نتيجة ما جرَّه على قومه من الخزي والعار، بدءاً من تنبّوئه وانتهاءً بمعركة اليمامة، وهو ما يُعرف بالهجاء الأخلاقيّ، فقد هجته امرأةٌ من بني حنيفة، مُنكرة عليه قيادة الرّجال خلفه، حتّى أهلكهم، ولم يبقَ في القبيلة إلّا النِّساء، وليس ذلك لشيءٍ، بل خدمةً لهدفه الّذي جرّ عليهم الخزي والعار، وسحب إليهم ذيول الذُّلّ والهوان، فقاد رجال القبيلة إلى الموت، والنِّساءَ إلى السّبي، والأطفالَ إلى اليُتم، أفلا تُعذر تلك المرأة، وقد تمنّت ألّا يكون له والد يلده، فكان مَثلاً للبعير (قاشر) الّذي ضُرب به المثل في الشُّؤم، فقالت:

مُسَـــيْلِمُ لم يَبْـــقَ إلا النِّسَـــاءُ ... سَـــبَايَا لِـــذِي الخُـــفِّ و الحَـــافِرِ
و طِفْـــلٌ تُرَشِّـــحُهُ أُمُّـــهُ ... صَـــغِيْرٌ مَتَـــى يُـــدْعَ يَسْـــتَأْخِرِ
فَأَمَّـــا الرِّجَـــالُ فَـــأَوْرَدْتَهُمْ ... حَـــوَادِثَ مِـــنْ دَهْرِنَـــا الغَـــابِرِ
فَلَيْـــتَ أَبَـــاكَ مَضَـــى حَيْضَـــةً ... و لَيْتَـــكَ لَمْ تَـــكُ فى القَـــابِرِ
سَـــحَبْتَ عَلَيْنَـــا ذُيُـــوْلَ الـــبَلاءِ ... و جِئْـــتَ بِهِـــنَّ سُـــما قَـــاشِرِ (١)

واتّفق ثُمامة بن أُثال مع المرأة الحَنَفيّة في أنّ مُسيلمة جرّ على بَني حَنيفة العار، وابتعد كذلك عن الشَّخصنة في هجائه، ونفر من الهجاء الخَلْقيّ أيضاً، على الرَّغم من أنّ مُسيلمة كان صورةً ملائمة للهجاء، فقد عُرف بصفرة الوجه، وضَعْف البدن، إلّا أنَّه ذهب إلى هِجاء الفِعل، فوصف مُسيلمة بالغباء والحُمق، والكذب، فقال:

مُسَـــيْلِمَةُ ارْجِـــعْ ، وَلَا تَمْحِـــكِ ... فَإِنَّـــكَ فِي الْأَمْـــرِ لَمْ تُشْـــرَكِ

(١) الدِّيوان: ق٦١.

كَـــــذَبَتْ عَـــــلَى اللهِّ فِي وَحْيِـــــهِ وَكَـــــانَ هَـــــوَاكَ هَـــــوَى الْأَنْـــــوَكِ
سَـــــحَبْتَ الـــــذُّيُوْلَ إلى سَـــــوْأَةٍ عَـــــلى مَـــــنْ يَقُـــــلْ مِثْلَـــــهُ يَهْلَـــــكِ[1]

ولمّا مات مُسيلمة لم يسلم من الهجاء، فقد هجاه مُجّاعة الحَنَفيّ، حين وقف وخالد بن الوليد على جثّته بين القتلى، وكان أجْفَسَ[2]، ضعيفَ البدن، هزيلاً، فلم يأت مُجّاعة على تلك الصّفات الخَلْقيّة، بل ذهب إلى إبراز صفاته الخُلُقيّة، من كذب، وخداع وغدر، كطير الرَّخمه المعروف بالغدر، إلى جانب ما جرّه على قومه من الخزي والعار، فقال:

قُلْـــتُ والأُفْـــقُ عَلَيْـــهِ قَتَمَـــهْ بِـــئْسَ مَـــا جَـــرَّ عَلَيْنَـــا مَسْـــلَمَهْ
حَـــاوَلَ الفَـــلَّ فَـــأَلْقَى خَالِـــداً كَعَتِيْـــقِ الطَّـــيْرِ خَـــلَّى رَخَمَـــهْ
قَـــالَ لَمَّـــا أنْ رَآهُ مُقْـــبِلاً إنَّ هَـــذَا قَـــدْ يُرِيْـــدُ القَحَمَـــهْ
أَصْـــبَحَ اليَـــوْمَ لَـــدَيْنَا ضَـــائِعاً وَيْلَـــكَ الخَـــيْرُ عَـــلى مَـــا دَهَمَـــهْ[3]

وأمّا عُمير بن ضابئٍ اليَشْكُريّ فقد تغلغل أكثر في هجاء مُسيلمة، حتّى تبرّأ منه، فهو الجحود للنعم، الكافر بها وبالدّين، وهو رمزٌ للشّؤم والكذب:

يَـــا بـــنَ الوَلِيْـــدِ بـــنِ المُغِـــيْرَةِ إنَّنِـــي أَبْـــرَأُ إلَيْـــكَ مِـــنَ الجَحُـــوْدِ الكَـــافِرِ
أَعْنِـــي مُسَـــيْلِمَةَ الكَـــذُوْبَ فَإنَّـــهُ واللهِ أَشْـــأَمُ صُـــحْبَةً مِـــنْ قَـــاشِرِ[4]

ولم يعمد كثيرٌ من شعراء بكر بن وائل إلى الإفحاش في القول، والإغراق في الذَّمّ والسّباب، فلا نجد أكثر من وصف أحدهم بالكلب، أو بخصية الكلب، كقول أبي عِلاقة التَّيميّ في عامر بن مسعود:

وكَيْفَ أُرَجِّـــيْ بَعْدَ يَوْمِـــيْ نَمـَاءَهَا وقدْ سَارَ فِيْهَا خِصْـــيَةُ الكَلْبِ عَامِـــرُ[5]

فأتى عامرٌ زياد بن سُميّة، فقالَ: أصْلَحَ اللهُ الأميرَ. إنَّهُ هَجَاني،: فقالَ أبو عِلاقةَ: لم أَقُل هَكَذا، ولكِنِّي قُلْتُ:

وإنِّـــي لأَرْجُو بَعْدَ يَوْمِي نَمَـــاءَهَا وقَدْ سَـــارَ فِيْهَا يَأْخُـــذُ الحَقَّ عَامِرُ[1]

---

(١) الدِّيوان: ق١٧.
(٢) أجفس: لئيم الخُلق والخِلقة.
(٣) الدِّيوان: ق٢٩.
(٤) الدِّيوان: ق٦٠.
(٥) الدِّيوان: ق٢.

فقال زياد: قَاتَلَ اللهُ الشُّعراءَ يَقْلِبُونَ أَلْسِنَتَهُم كما يُرِيدون، واللهِ لولا أنْ تكون سُنَّةً يُقْتَدى بِها لَقَطَعْتُ لِسَانه(٢).

ونال فُرات بن حَيَّان العِجْليّ من حسّان بن ثابت(٣)، فطعن بأخلاق أبيه وخاله، وذهب إلى أنّ حسَّان مثلهما في السّوء،ورماه بالحُمق والبلاهة، فقال:

أَبُــوْكَ أَبُــو سَــوْءٍ وخَالُــكَ مِثْلُــهُ ولَسْــتَ بِخَــيْرٍ مِــنْ أَبِيْــكَ وخَالِكــا
يُصِـيْبُ ومَـا يَـدْرِي ويُخْطِـي ومَـا دَرَى وكَيْــفَ يَكُــوْنُ النَّــوْكُ إلا كَــذَالِكا(٤)

وحين هجا شُجاع بنُ الحَارث السَّدوسيّ زوجه، لم يرسم لها تلك الصّورة السَّاخرة الضّاحكة الّتي عهدناها عند كثيرٍ من الشّعراء، ليدفعوا عن أنفسهم تقصيرهم نحو نسائهم، أو ليبيّنوا الأسباب الموجبة لخيانتهنّ مثلاً، فابتدأ هجوها بأنّه أُبتلي بزوجةٍ سليطة اللّسان، يفعل كلّ ما من شأنه أن يرضيها، لكنَّ الخيانة من طبعها، بل من طبع النِّساء على العموم، فما لبث أن غادرها فترةً من الزّمن لأجل أن يؤمّن لها سُبل العيش حتّى هربت من منزلها، وهجرت زوجها، يقول:

يــــا سَــــيَّد النَّــــاسِ ودَيَّــــانَ العَــــرَبْ
إنِّي نَكَحْــــتُ ذِرْبَــــةً مِــــنَ الــــذِّرَبْ
خَرَجْــــتُ أَبْغِيْهــــا الطَّعَــــامَ في رَجَــــبْ
فَخَــــالَفَتْنِي في نِــــزَاعٍ وهَــــرَبْ
أَخْلَفَــــتِ الوَعْــــدَ ولظَّــــتْ بالــــذَّنَبْ
وهُــــنَّ شرُّ غالــــبٍ لمــــنْ غَلَــــبْ(٥)

ولّما ردَّ جرير بن الخرقاء العِجْليّ على الفرزدق هجاءه بَني بكر بن وائل، جاء هَجوه رقيقاً، ساقه على سبيل العِاتب واللّوم، ودفع التُّهم، فكان كمحامٍ يدفع تُهم الفرزدق عن قومه البكريين، ورأى أنَّ الفرزدق يتجنّى على قومه، ثُمّ إنّه لم يُقفل باب العفو والصَّفح أمام الفرزدق، فأبواب بكر بن وائل مُشرَّعة له ولغيره، يقول:

(١) الدِّيوان: ق٢.
(٢) معجم الشّعراء: ٢٣٠، ٢٣١.
(٣) في الرّواية التباس، وقد عالجت ذلك عند الحديث عن قضيّة النّحل في الشّعر.
(٤) الدِّيوان: ق٥٢.
(٥) الدِّيوان: ق٤٣.

أَتَـــانِيَ قَـــوْلٌ لِلْفَـــرَزْدَقِ قَالَـــهُ ... ولَـــيْسَ كَـــما قَـــالَ الفَـــرَزْدَقُ يَـــزْعُمُ
لَعَمْـــرِي لَـــئِنْ كَـــانَ الفَـــرَزْدَقُ لائِـــماً ... وأَحْـــدَثَ صَرْمـــاً لَلْفَـــرَزْدَقُ أَلْـــوَمُ
لَـــئِنْ وَسَّـــطَتْكَ الـــدَّارَ بَكْـــرُ بـــنُ وَائِـــلٍ ... وضَـــمَّتْكَ للأَحْشَـــاءِ إِذْ أَنْـــتَ مُحْـــرِمُ
عَشِـــيَّةَ تَرْجُـــو أَنْ تَكُـــوْنَ حَمامَـــةً ... بِمَكَّـــةَ مَأْوَاهَـــا الفِنَـــاءُ المحَـــرَّمُ
فَـــإِنْ تَنْـــأَ عَنَّـــا لا تَـــضِرْنا وإِنْ تَعُـــدْ ... تَجِـــدْنَا عَـــلى العَهْـــدِ الَّـــذِي أَنْـــتَ تَعْلَـــمُ[1]

وإن كان جريرٌ العِجْليّ لم يستطع أن يأتيَ في خمسة أبيات بالأمثل في هجائه الفرزدق، فإنَّ الهَزهَاز البكريّ جاء في بيتٍ واحد ببعض معاني الهجاء الشّخصيّ، حين هجا الفرزدق بأنّه حيٌّ ميّت، وأنَّه حيَّةٌ أو فخَّةٌ لا خير فيها، تأكل وتشرب لا غير، والشَّرُّ فيه في ازدياد، والخير عنده منقوص، فقال:

لَقَـــدْ وَلَـــدَتْ أُمُّ الفَـــرَزْدَقِ حيَّـــةً ... عَـــنِ الخَـــيْرِ مَنْقُـــوصٌ وفي **الشَّـــرِّ** زَائِـــدُ[2]

ومثل ذلك فعل خلف بن خليفة وهو من طبقة شعراء الهجاء اللّاذع، السّاخر، حين رسمَ صورةً ساخرةً لسَعيد بنِ عبد الرّحمن بن سَعيد، ذي البطن الكبير، فنظر إليه، فرأى فيه امرأةً حُبلى، متثاقلة، على وشك الولادة، فقال:

وأَمَّـــا سَـــعِيْدٌ إِذَا مَـــا مَشَـــى ... فَحُـــبْلَى تُـــرَادُ لهَـــا قَابِلَـــهْ[3]

وأمّا واثِلة بن خليفة فهجا عُبيد الله بن أبي بَكْرة في شخصه الماديّ، فرسم له صورة مقزّزة، تدعو النّاس إلى تجنُّب لُقياه، فنعته بالشّديد السّواد (النُّوبي)، الّذي بطبيعة جسمه كثير العرق، فاستعمل لفظ (الذَّفر)، و هو الصّنان والنَّتن خاصّة، وكان عُبيد الله آدم شديدَ الأُدْمة، فذهب إلى أنّه وأهله قد سخط الله عليهم، فأزال عن وجوههم النّور، بزوال اللون الأبيض عنهم، فقال:

إِنَّ الأَسَـــاوِدَ لَـــنْ تَلْقَـــى عَطَـــاءَهُمُ ... في الصَّـــالِحَاتِ ولا في الخَـــيْرِ مَـــذْكُوْرا
أَوْلادُ أَسْـــوَدَ نُـــوْبِيٍّ لَـــهُ ذَفَـــرٌ ... لَمْ يَجْعَـــلِ اللهُ في أَلْـــوَانِهِمْ نُـــوْرَا[4]

(١) الدِّيوان: ق١٤٤.

(٢) الدِّيوان: ق١٨٨. (البيت في أصله: (لقد ولدت أم الفرزدق جثّة...)، و(جثّة) محرّفة عن (حيّة، أو فخّة) انظر شعره في الدّيوان (الفخّة: المرأة القذرة).

(٣) الدِّيوان: ق١٧٢.

(٤) الدِّيوان: ق١٣٩.

وأمَّا الحُضين بن المُنذر فقد رسم صورتين من صور الهجاء في شعره، وقد امتاز الحُضين بالصِّدق في شِعره، وهو حامل اللّواء في غير معركة من معارك بكر، فأمَّا الصّورة الأولى فقد جسّد فيها ملامح الهجاء الشّخصيّ الجسَديّ، ولكن الأقرب إلى الصِّدق في نقل الواقع، فكان صادقاً بذلك في هجائه، وذلك حين تعاور فارسان على قتل قُتيبة بن مُسلم الباهليّ، هما ابن سعدٍ القُردوسيّ من دَوْس، وجَهم بن زَحْرٍ الكُوفيّ، فأمّا المراد بالهجو؛ فجِيء به بعد الطِّعان على حالة مُزرية، فكان أسود، أدغم، مُخطَّط الذّراعين، متساقط البدن، كثير اللحم،مجعَّد الوجه كأنّه قرطاسٌ مكتوب، يقول الحُضين:

عَشِيَّةَ جِئْنَا بِابْنِ زَحْرٍ وجِئْتُمُ ... بأدغم مَرْقُوْمِ الذِّرَاعَيْنِ دَيْزَجِ

أَصَمَّ غُدَانيٍّ كَأَنَّ جَبِيْنَهُ ... لُطَاخَةُ نِقْسٍ في أَدِيْمٍ مُمَجْمَجِ[1]

وأمَّا الصّورة الثّانية الّتي رسمها الحُضين فهي في الهجاء الاجتماعيّ، وفي الأخلاق عامّة، من غير تحديد مهجوٍّ بعينه، وإنّما هي صورة عامّة لمن أخلَّ بموازين المروءة والمكارم، ومن أمرته نفسُه بالدّناءة والفِسق، عندها يستحقّ هذا الإنسان أن ينحطّ عن مراتب الإنسانيّة، ولا سيّما إذا أضاع مكارم ورثها عن آبائه:

إنَّ المُرُوءَةَ لَيْسَ يُدْرِكُهَا امْرُؤٌ ... وَرِثَ المكَارِمَ عَنْ أَبٍ فَأَضَاعَهَا

أَمَرَتْهُ نَفْسٌ بالدَّنَاءَةِ والخَنَا ... ونَهَتْهُ عَنْ طَلَبِ العُلَى فَأَطَاعَهَا

فإذا أَصَابَ مِنَ المَكَارِمِ خَلَّةً ... يَبْنِيْ الكَرِيْمُ بِهَا المكَارِمَ بَاعَهَا[2]

وبالمجمل فإنّ هذا النّوع من الهِجاء، يقوم على ذمّ الشّخص من حيث هو جَسدٌ وروح، فأمّا جسده فُيذمّ فيه قبحه، وهيئته عموماً، وأمّا روحه فُيذمّ فيه الخُلُق والصّفات المنبوذة من المجتمع، الّتي قد لا تكون فيه، وإنّما هي مَحض افتراء الهاجي على المهجوّ.

٢ـ الهجاء الجَماعيّ أو القَبَليّ:

ويقوم على هجاء الشّاعر قبيلةً ما، أو جماعةً من قبيلة، أو بطناً من البطون، وقد يكون هذا النّوع من الهجاء أكثر إيلاماً، وأبعدَ مراماً من الهجاء الفرديّ، الّذي يستقلّ بالشّخص الفرد، وأمّا هجاء قبيلة أو قومٍ بعينهم، فهو من شأنه أن يحطّ من القوم جميعاً بلا استثناء، حتّى تصبح القبيلة في نظر الهاجي خاليةً من معالم الفروسيّة، أو المكارم والأخلاق.

(١) الدِّيوان: ق١٠٦.

(٢) الدِّيوان: ق١١١.

وصورة الهجاء الجماعي قليلة في شعر بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأموي، بعكس ما كان في الجاهليّة، ولا سيّما ما كان بينهم وبين أبناء عمومتهم التَّغلبيّين، وأمّا في الإسلام فقد استمرّ التّشاحن بين بكر بن وائل وتميم على الأرض والسّيادة، وكانت هذه الشَّحناء تظهر من جديد بشكلٍ غير مباشر في الحروب والمعارك، إذا ما اختلف النّاس مثلاً على القيادة، أو على الرّاية، فهذا سَلمان العِجْليّ يعترض الأُبَيْرد الشّاعر التّميمي من بَني رياح؛ لأنّه تعرّض لسعدٍ العِجْليّ وزوجه، فيهجو قومه، ثُمّ ما يلبث أن يشمل قبيلة تميم كلَّها، مُعيّراً إيّاها باللؤم، وأنّ طعامهم لا يؤكل، مُذكّراً إيّاهم بما وقع لهم من الدّواهي العظيمة، والقتل الكثير في أيّامهم مع البكريين، ثُمّ ذهب إلى الطّعن في صفات بني رِياح، ومنهم الأُبَيرد، فاتّهمه بأنّه دَعيٌّ، مختلط النّسب، وأمّه من نساء بني رياح، وقد عُرفوا بثقل الجسم، وسَواد الإبط، يقول:

لَعَمْـــرُكَ إنَّنِـــي وبَنِـــي رِيَـــاحٍ ... لَكَالعَـــاوِي فَصَـــادَفَ سَـــهْمَ رَامِ
يَسُـــوْقُوْنَ ابـــنَ وَجْـــرَةَ مُزْمَئِـــرّاً ... لِيَحْمِـــيَهمْ ولَـــيْسَ لهـــمْ بِحَـــامِ
وكَـــمْ مِـــنْ شَـــاعرٍ لبَنِـــي تَمِـــيْمٍ ... قَصِـــيْرِ البَـــاعِ مِـــنْ نَفَـــرٍ لِئَـــامِ
كَسَـــوْنا إذْ تَخَـــرَّقُ ملْبَســـاهُ ... دَوَاهـــيَ يبْـــتَرِينَ مِـــنَ العِظَـــامِ
وإنْ يُـــذكَرْ طعـــامُهُمُ بِـــشَرٍّ ... فـــإنَّ طَعَـــامهُمْ شرُّ الطَّعَـــامِ
شَرِيـــجٌ مـــن مَنِـــيِّ أبي سُـــواجٍ ... وآخَـــرُ خَـــالِصٌ مِـــنْ حَـــيْضِ آمِ
وسَـــوْدَاءُ المغَـــابِنِ مِـــنْ رِيـــاحٍ ... عَـــلَى الكُـــرْدُوسِ كَالفَـــأْسِ الْكَهـــامِ[1]

ومثل ذلك التّشاحن والتّنافس ظهر بين ربيعة عموماً (ومنهم بكر بن وائل) ومُضَر، إرضاءً لعليّ بن أبي طالب ﷺ يوم صفّين، وكان عليٌّ ﷺ لا يَعدل بربيعةَ أحداً، فشَقَّ على مُضَر ذلك، وأظهروا لهم القبيح، فتصدّى لهم الحُضين بن المُنذر، مُبيّناً أنّهم ليس للرِّياسة والقيادة بأهل، فمضر دون ربيعة في الرّتبة، وقد خصّ الله ربيعة بالزّعامة؛ لأنَّهم أهلٌ لها، كما خصّ مُضر بالوضاعةوالبغضاء الّتي هي مُتأصّلة في نفوسهم. يقول:

رَأَتْ مُضَـــرٌ صَـــارَتْ رَبِيْعَـــةُ دُوْنَهُـــمْ ... شِـــعَارَ أَمِـــيْرِ المـــؤْمِنِيْنَ، وذَا الفَضْـــلُ
فَأَبْـــدَوْا إِلَيْنَـــا مَـــا تُجِـــنُّ صُـــدُوْرُهُمْ ... عَلَيْنَـــا مِـــنَ البَغْضَـــا وذَاكَ لَـــهُ أَصْـــلُ
فَقُلْـــتُ لهَـــمْ لَّـــا رَأَيْـــتُ رِجَـــالهُمْ ... بَـــدَتْ بِهِـــمُ قَطْـــوٌ كَـــأَنَّ بِهِـــمْ ثِقَـــلُ

(١) الدِّيوان: ق١٤٥.

إلـــيْكُمْ أَهِيْبُـــوا لا أَبَـــا لأَبِـــيْكُمْ فَـــإنَّ لَكُـــمْ شَـــكْلاً وإنَّ لَنَـــا شَـــكْلُ
ونَحْـــنُ أُنَـــاسٌ خَصَّـــنَا اللهُ بـــالَّتي رَآنـــا لهـــا أَهْـــلاً وأَنْـــتُمْ لهـــا أَهْـــلُ
فَـــأَبْلُوا بَلانَـــا أو أَقِـــرُّوا بِفَضْـــلِنا ولَـنْ تَلْحَقُوْنَـا الـدَّهْرَ مَـا حَنَّـتِ الإبْـلُ (١)

وصبَّ حجَّار بن أبجر غضَبه على قومه بني عِجْل، وقد تهدَّدوه بالقتل لهجوه بِشْراً، وهو واحدٌ منهم ، فيرى أنَّهم ملوك كالأسود الضّارية في حالة الرَّخاء، والسّلم، لكنّهم ثعالب تُحسن الجري والفرار إذا حَمِيَ الوطيس، والتقت الأبطال، وعلا الصّياح وقت الضّرب والطِّعان، ، يقول:

وعِجْـــلٌ أُسُـــوْدٌ في الرَّخَـــاءِ، ثَعَالِـــبٌ إذا التَقَـــتِ الأَبْطَـــالُ واخْتَلَـــفَ النَّبْـــلُ
فـــإن تَلْقَنـــا عِجْـــلٌ هُنَـــاكَ فَـــما لَنَـــا ولا لهـــمُ مِ المـــوتِ مَنْجًـــى ولا وَعْـــلُ (٢)

ثُمّ وقف إلى صفّ قومه عِجْل، رغم أنّهم هدّدوه بالقتل، ولاحقوه، يُضفي صفة الانتماء إلى القبيلة الواحدة، رغم أنّه يُقرّ بالمفاجئ، والدّهشة من موقف قومه تجاهه، فقال:

تُهـــدِّدُنِي عِجْـــلٌ ومـــا خِلـــتُ أَنَّنـــي خَـــلاةٌ لِعِجْـــلٍ والصَّـــلِيْبُ لَهَـــا بَعْـــلُ
ومـــا خِلتُنِـــي والـــدَّهرُ فِيْـــهِ عَجَائِـــبٌ أُعمَّـــرُ حَتَّـــى قَـــدْ تُهَـــدِّدُني عِجْـــلُ (٣)

وذهب الحُضين بن المنذر إلى الهجاء الجماعيّ ضمن القبيلة الواحدة، حين هجا بني ضُبَيْعة بن قيس بن ثَعلبة، وقد نازعوا قومه السِّيادة، فرأى أنَّ القيادة لم تُخلق فيهم، فهم أصغر من ذلك بكثير، بل ذهب إلى الطّعن في نسبة ضُبيعة إلى بكر بن وائل، وأنّهم وإنْ نُسبوا إليهم فهم مُلحقون بالنّسب من بعيد، وليسوا إلّا عَبيداً، أذلّاءَ، ثُقلاءَ على النّفس ثقل القُراد إذا التصق بالبعير، يقول:

تُنَـــازِعُنِي ضُـــبَيْعَةُ أمْـــرَ قَـــوْمِي ومَـــا كَانَـــتْ ضُـــبَيْعَةُ للأُمُـــوْرِ
وهَـــلْ كَانَـــتْ ضُـــبَيْعَةُ غَـــيْرَ عَبْـــدٍ ضَـــمَمْنَاهُ إلى نسَـــبٍ شَـــطِيْرِ
وأَوْصَـــاني أَبي، فَحَفِظْـــتُ عَنْـــهُ بِفَـــكِّ الغُـــلِّ عَـــنْ عُنُـــقِ الأَسِـــيْرِ
وأَوْصَى جَحْـــدَرٌ قِـــدْماً بَنِيْـــه بإرْسَـــالِ القُـــرَادِ عَـــلى البَعِـــيْرِ (٤)

(١) الدِّيوان: ق١١٢.
(٢) الدِّيوان: ق٤٩.
(٣) الدِّيوان: ق٤٩.
(٤) الدِّيوان: ق١٠٧.

وإن كان الحُضين قد هجا بطناً من قبيلته، فإنَّ موسى بن جابر الحَنَفيّ ساقه زهوه بنفسه، وإعجابه بها إلى هجاء قومه، وقد خذلوه أمام الأمير، فحطَّ من شأنهم، ونعتهم بالضّعة والهوان، حين قارن بين صِنفين من الأُسُود، وصِنفين من الأسنَّة، على أنّ قومه من الأسنّة المُبخَّلة، والمُقلَّلة، غير الفاعلة، فحضورهم كغيبتهم، لا غِناء عندهم، ولا دِفاع بهم.

وهم من صنف الأُسُود، إن وصفوا بذلك، المتقاربون كالقُماش واللّفائف، جُمعوا على ما اتَّفق من شيء إلى شيء، بلا تمييز أو تمحيص، كما يجمع الحاطب في حبله الجيّد والرّديء، والرَّطب واليابس، فيقول:

وَمِـــنَ الرِّجـــالِ أسِـــنَّةٌ مَذْرُوبَـــةٌ وَمُزَنَّـــدُونَ شُـــهُوْدُهمْ كالْغائِـــبِ
مِـــنْهُمْ لُيُـــوثٌ لا تُـــرَامُ ومِـــنْهُمُ مِمَّـــا قَمَشْـــتَ وَضَـــمَّ حَبْـــلُ الحَاطِـــبِ[1]

وفي العموم فإنّ هجاء شعراء بكر بن وائل لا يخرج عن معنى الهجاء الجاهليّ المعروف، ولكنّه كان أهدأ، وأكثر اتّزاناً، ولم يَغرق شعراء بكر في خِضَم النَّعَرات والمذاهب والخصومات، بل سَبحوا على ضفاف الهجاء ما أمكن، على أنّ لبعض شعرائهم لساناً سليطاً يُخشى، فيُتَّقى، ولهم من الهجاء ما يقارب شعراء الهجاء المعروفين، كخلف بن خليفة الأقطع.

القسم الرَّابع: الرِّثاء

الرِّثاء فنٌّ من الشِّعر الغِنائيّ، يُعبّر فيه الرَّاثي عن تفجُّعه وحزنه وألمه لفقدان قريبٍ، أو حَبيب، أو زوج أو غير ذلك، ويتَّخذ الرّثاء صوراً ثلاث هي[2]، النَّدْب والتَّأبين والعَزاء، فإذا غلب على الرِّثاء البكاء، وبثُّ اللّوعة والحزن وحُرقة القلب، مع تعديد محاسنه كان نَدْباً[3]، وأمّا التّأبين " فليس نُواحاً ولا نَشيجاً، بل هو أدنى إلى الثَّناء منه إلى الحزن الخالص"[4]، وفيه يُنوّه الرّاثي بمنزلة الميّت العلميّة والأدبيّة والسِّياسيّة، ليصوّر خسارة النّاس وربّما البشريّة به جمعاء، وأمّا العزاء، فهو مرتبة عقليّة فوق مرتبة التّأبين، "إذ نرى الشّاعر ينفذ

(١) الدِّيوان: ق٨٣.

(٢) الرّثاء، د. شوقي ضيف: ٥.

(٣) قال ابن منظور: " ونَدَبَ الميتَ أَي بكى عليه وعَدَّدَ مَحاسِنَه يَنْدُبه نَدْباً، والاسم النُّدْبةُ بالضم، ونَدَبَ الميت بعد موته من غير أَن يُقَيِّد ببكاء، وهو من النَّدَب للجراح لأَنه احْتِراقٌ ولَذْعٌ من الحُزْن والنَّدْبُ أَن تَدْعُوَ النادِبةُ الميتَ بحُسْنِ الثناءِ" (لسان العرب: [ن د ب]، ١/)٧٣٥.

(٤) الرّثاء: ٦.

من حادثة الموت الفرديّة الّتي هو بصددها إلى التّفكير في حقيقة الموت والحياة، وقد ينتهي به هذا التّفكير إلى معانٍ فلسفيّة عميقة"[1].

وذهب د. محمّد شفيق البيطار[2] إلى أنَّ النَّظر في المعاني الدَّالَّة على موقف الحيّ من ميتٍ ما في لغة العرب تُعطينا ثلاثة أضرُب: رثاء، ونَدْب، وتأبين، ورأى أنّ الرِّثاء هو رأسها؛ لأنّ البكاء على الأقارب هو أوّل مظاهر موقف الحيّ من الميت ظهوراً في الحياة الإنسانيّة البدائيّة، ثُمّ جاءت من بعده تعديدُ محاسن القريب مع البكاء عليه في مرحلة أخرى.

و إذا نظرنا في شعر الرّثاء عند بني بكر بن وائل عموماً بأضربه المختلفة فإنّنا لا نجد كثير مادّة في شعرهم، أي شعرهم في الرّثاء لا يُقارن بشعر هم في الفخر والحماسة، أو بشعر الحكمة مثلاً.

ففي الرّثاء الّذي يخلص إلى تصوير شدّة الحزن، وتصوير تسكاب العين حتّى جمودها نجد غيرَ قطعة من شعر بكر بن وائل في صدر الإسلام، فقد رثت حُبَيبة بنت عَتيق قومها، وقد أفناهم الطّاعون، فقالت:

أَلا إنَّ عَيْنِـــي لم تَـــنَمْ لاعْتِلاهـــا ولَكِـــنْ أَوَانُ جَمْـــدِها واحْتِفَالِهـــا[3]

ورثى عبد الله بن ثَعلبة الحَنَفيّ ولده، فأظهر غاية التّفجّع والحزن والأسى على فقدان ابنه، حتّى فقد لذّة الحياة بعده، ولم تعد تلك الحياة تستحقّ أن تُعاش، بعد أن أضحى ابنه سليباً، وقد غيّبه الموت تحت الثّرى، فكيف يُخضّب رأسه، ورأس ابنه مدفون تحت التّراب، وقد أمسى غريباً في ديارٍ غريبة؟ فقال:

أَأَخْضِـــب رَأْسِي أم أُطَيِّـــبُ مَفْرِقِـــي ورَأْسُـــكُ مَرْمُـــوْسٌ وأَنْـــتَ ســـلِيبُ
نَسِـــيبُكُ مَـــنْ أمْســـى يُناجِيـــك طَرْفُـــهُ ولَـــيْسَ لَمَـــن تَحْـــت الـــتُّرَابِ نَسِـــيبُ
غَرِيـــبٌ وأطْـــرافُ البُيُـــوْتِ تُكِنُّـــهُ ألاَ كُـــلُّ مَـــنْ تَحْـــتَ الـــتُّرَابِ غَرِيْـــبُ[4]

وفي عصر بني أميّة رثى عُبيد الله بن زياد بن ظَبيان أخاه النَّابي، رثاءً خالصاً لوجه الحزن والدّمع، صافياً من النَّدب والتّأبين، فجعل همّه أن يأخذ بثأر أخيه، حتّى قتلَ من فِهر بن مالك، وهم قتلة أخيه، ثمانين رجلاً من مختلف الأعمار، ولم يكتف بالعدد، لأنّه لم يرو بسيفه حَنَقه على القتلة، فقتل مُصعب بن الزُّبير بأخيه،حتّى

(١) الرّثاء: ٦.
(٢) شعراء بني كلب بن وبرة: ٣٤٤.
(٣) الدِّيوان: ق٣.
(٤) الدِّيوان: ق٢٣.

أخذ على نفسه عهداً مُغلّظاً، أن يُكمل العدد إلى المئة، أو يلحق بأخيه قتيلاً، وألّا ينساه ما شمّ أنفه الهواء، وما طلعت الشّمس، ودجى اللّيل، يقول:

قَتَلْتُ بِهِ مِنْ حَيِّ فِهْرِ بنِ مَالِكٍ ... ثَمانِيْنَ مِنْهُمْ نَاشِئُونَ وشُيَّبُ
وكَفِّي لَهُمْ رَهْنٌ بِعِشْرِينَ أو يُرَى ... عَلَيَّ مَعَ الإصْبَاحِ نَوْحٌ مُسَلَّبُ
أَأَرْفَعُ رَأْسِي وَسْطَ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ ... ولم أَرْوِ سَيْفِي مِنْ دَمٍ يَتَصَبَّبُ
فَوَ اللهِ مَا أَنْسَاهُ مَا ذَرَّ شَارِقٌ ... ومَا لاحَ في دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ كَوْكَبُ[1]

فهذه القطع الثّلاث لم نسمع فيها إلّا صوت البكاء والحزن، وأخذ العهد على الثّأر المشفوع بالغلوّ والمبالغة، فهي في الرّثاء الخالص، وهناك من القطع الشّعريّة ما تضمّ أكثر من ضربٍ من الرّثاء، فيرثي فيها الشّاعر الميت، مُظهراً الحسرة وحجم الفَقْد، ثمّ يَشْرع ببيان محاسن الفَقيد، وقد يُعدّد مناقبه، والهدفُ واحد؛ إظهارُ أثر الفَقْد على الأهل والعشيرة والقبيلة، وربّما المجتمع والبشريّة جمعاء، على نحو ما قاله رجلٌ من بني حَنيفة في رثاء مُسيلمة الكذّاب، حين أظهر شدّة الغَيظ والحزن والتّفجع عليه، بقوله: لهفي عليك، ثُمّ نَدَبه وأبّنه، فرأى أنّه سندٌ لبني حَنيفة، ورُكن من أركان الشّهامة، وهو شمسٌ شموس تظهر من بين الغيوم الدّاكنة، حتّى تجلي الحقّ، وتُبصر من عَمِي عن الحقيقة، يقول:

لَهَفِي عَلَيْكَ أَبَا ثُمامَهْ ... لَهَفِي عَلى رُكْنَيْ شَامَهْ
كَمْ آيَةٍ لَكَ فِيْهِمُ ... كالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمَامَهْ[2]

ومن ذلك ما قاله توسِعة بن أبي عِتبان في رثاء أخيه عُتبة في عَصر بني أميّة، حين أظهر الجزع الشّديد والتّحوّب والوَحشة ، حتّى منع ذلك النّوم عن عَيْنيه، ونبا الفراش عن جنبيه، فهجره، يقول:

مَنَعَ الرُّقَادَ تَحَوُّبِي مَا أَهْجَعُ ... ونَبَا بِجَنْبِيَ عَنْ فِرَاشِي مَضْجَعُ
قَدْ كُنْتُ أَنْظُرُ في المقَامَةِ سَادِراً ... فَنَظَرْتَ قَصْدِي واسْتَقَامَ الأَخْدَعُ
وفَقَدْتُ إِخْوَانِي الَّذِيْنَ بِقُرْبِهِمْ ... أُعْطِي الدَّنِيَّةَ مَنْ أَشَاءُ وأَمْنَعُ[3]

(١) الدِّيوان: ق٧٢.
(٢) الدِّيوان: ق٦٥. ركني شمامه، وفي رواية: ركني شهامه.
(٣) الدِّيوان: ق٧١.

وفي ذات القطعة ينتقل توسِعة إلى ضربٍ آخر من الرّثاء وهو النَّدب، وذلك حين يشرع بذكر محاسن أخيه، مُبيّناً أنّه كان السَّند القويّ، الّذي طالما استند إليه، فأعزّه، واتّجه إليه في المُلمّات والمصائب، فأنجده، لكنّ الموت أسرع إليه، وضمّه بين جنبيه، فأضحى فقدُه فقداناً لكلّ تلك المكاسب، فأمّا اليوم، وقد رُزئ بأخيه، فإلى من سيتّجه إذا نزلت به الخطوب؟، بل من يملك تلك المزايا الّتي كانت عند عُتبة حتّى يقصده؟ إنّه من خيرة فتيان بكر بن وائل على الإطلاق، وفقدانه خُسران للقبيلة جمعاء، يقول توسِعة:

أَعُتَيْبُ قَدْ كُنْتُ امرأً لي جَانِبٌ ... حَتَّى رُزِئْتُكَ والجَدُوْدُ تَضَعْضَعُ
فَلِمَنْ أَقُوْلُ إذا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ ... أَرِنِي بِرَأْيِكَ أَمْ إلى مَنْ أَفْزَعُ!؟
نِعْمَ الفَتَى مِنْ آلِ بَكْرٍ أُلْبِسُوا ... أَثْوَابَهُ في اللَّحْدِ ثُمَّ تَصَدَّعُوا
عَنْهُ ومَا طَابَتْ بِذَاكَ نُفُوْسُهُمْ ... ولِكُلِّ جَنْبٍ لا مَحَالَةَ مَصْرَعُ[1]

وبكت عَمرة بنت أبي عتبان، أخت توسعة، أخاها عُتبة أيضاً، فكان رثاؤها رثاء الثّكالى على أولادهنّ، رثاء مملوء بالتّفجّع على الميت، وفيه دعوة إلى الأرامل واليتامى لبكاء عُتبة، الّذي طالما كان الأب الحنون لهم، والقائم على حاجاتهم، وقد أتلف ماله، وأنفق كلّ ما يملك في سبيل المحتاجين، ما جعله يتصدّر قومه، ويرتقي سلَّم المجد، يقول:

قُلْ لِلأَرَامِلِ واليَتَامَى قَدْ ثَوَى ... فَلْتَبْكِ أَعْيُنُهَا عَلى عُتَّابِ
أَوْدَى ابنُ كُلِّ مُخَاطِرٍ بِتِلادِهِ ... وبِنَفْسِهِ بُقْيَا عَلى الأَحْسَابِ
الرَّاكِبِيْنَ مِنَ الأُمُوْرِ صُدُوْرَها ... لا يَرْكَبُوْنَ مَعَاقِدَ الأذْنَابِ[2]

وأمّا التّأبين القائم على الثّناء على الميت، وتصوير مدى الألم والفجيعة بفقده، فمثاله رثاء رجلٍ من حَنِيْفة مُسيلمة الحَنَفيّ الكذّاب في بيتٍ واحد، فلم يُظهر الجزع والحزن على موته، بل ذهب إلى الإعلاء من شأنه وشأن قومه وآبائه، فوصفه بأنّه ابن الأكرمين، وقد سما بالمجد وارتفع، وبلغ صيته كلّ مبلغ، إلى جانب كرمه الفيّاض، وإغاثته الملهوف، ومساعدة المحتاج، أليس هو مَن تلقّب (برحمان اليمامة)[3]؟ فهو يستحقّ ذلك اللّقب، حتّى كان فقده خسارة للجميع، يقول:

(١) الدِّيوان: ق٧١.
(٢) الدِّيوان: ق٧٥.
(٣) الأعلام: ٢٦٦/٧.

سَـمَوْت بِالْمَجْـدِ يَـا ابْـنَ الْأَكْـرَمَيْنِ أَبًـا وَأَنْـتَ غَيْـثُ الْـوَرَى لَا زِلْـت رَحْمَانَـا[1]

وقد اختزل نهار بن توسعة أضرب الرّثاء في بيتٍ واحد، فأتى على النّدب والتّأبين، وربّما العزاء، فعبّر عن البلاغة في إيجازها، واختصر كلّ ما يُمكن أن يُقال من مظاهر الحزن والأسى والتّفجّع، وتعداد مناقب الميت ومحاسنه، ولكن هل كان صادقاً في شعوره؟ أم أنّ الحزن والبكاء يتطلّبان التّفصيل في المشاعر، حتّى تنهال، وتنساب دونما قصد، فإذا قصيدة الرّثاء لوحة من الأسى والحزن! فنهار عَتِب على عمرو، وربّما اتّهمه، لكنّه لمّا جرّب غيره بعد موته، وقد فقد فيه تلك الخصال الحميدة، عرف مقدار عمرو، فحقّ لنهار أن يبكيه، يقول نهار:

عَتِبْـتُ عَـلى عَمْـرٍو فَلَـمَّا فَقَدْتُـهُ و جَرَّبْـتُ أَقْوَامـاً بَكَيْـتُ عَـلَى عَمْـرِو[2]

إنّ كلّ ما سبق ذكره من شعر الرّثاء عند شعراء بكر بن وائل لا يخرج عن معاني الرِّثاء الجاهليّ، ذلك أنّنا لا نلمس أثراً إسلاميّاً في شعرهم، فلا نجد مثلاً احتساب الميت عند الله ﷻ، ولا الدّعاء له بالرّحمة والغفران، ولا الحديث عن أنّ الميت قضى في سبيل الله، فهو شهيد في سبيل الله والحقّ، على الرّغم من أنّ تلك الأشعار الرّثائيّة قِيلت في الإسلام، ولكنّ التّعميم أمرٌ لا يقبله المنطق، ولا يصحّ بلا استثناء، فنحن حين نقرأ رثاء امرأة من شيبان، يصادفنا أمران لا بُدّ من الوقوف عندهما قليلاً، فهذه المرأة الشَّيبانيّة قُتِل أَبُوها وأخُوها وزوجُها وابنُها وعمّاها وخَالاها مع الضَّحَّاك بنِ قَيْس الخارجيّ في أيّام مروان بن محمَّد، فعاشَتْ بعد قتل الضَّحَّاك، فما رقأت لها عين، ولا رُئيت ضَاحكةً ولا مُبْتسمةً، حزناً على أقاربها، لكنّها حين رثتهم جاءت بمعانٍ إسلاميّة حقيقيّة، وهو الأمر الأوّل، في حين أنّنا عَهدنا أنّ تفجّع النّساء أكبر، وأعمق من بكاء الرّجال وتفجّعهم على موتاهم، وهو الأمر الثّاني، ولعلّ فكر الخوارج الّذي كان أقاربها القتلى من مُعتنقيه، وربّما كانت هي منهم، قد بسط على شعرها رِداء الاحتساب، والرِّضا بقضاء الله وقدره، فحزنت عليهم، فلم تهدأ نفسها ولم تسكن، لكنّ ذلك لا يعني أنّها لا ترى في موتهم رحلةً بعيدة، لا بُدّ أن تلتقي بهم من جديد، وقد فعلوا ما طُلب منهم، فصدقوا وأحسنوا الصّبر وقت المِحَن، ولم يجبنوا؛ لإيمانهم بما هم في صدده، وقد باعوا نفوسهم في سبيل الله، ولعلّنا نعلم أنَّ الخوارج سمّوا أنفسهم الشُّراة؛ أي الّذين باعوا

(١) الدِّيوان: ق٦٨.

(٢) الدِّيوان: ق٣٣١.

أنفسهم في سبيل الله، وعلى ذلك فأهلها من شيبان ما باعوا أنفسهم رخيصةً، بل كانت في سبيل إحياء الدّين، والسُّنن، وقد ماتت في قلوب النّاس، فلم تعد تُعرف بينهم، وانتشرت الفِتن، فهدّت النّاس، تقول:

مَنْ لِقَلْبٍ شَفَّهُ الحَزَنُ ... ولِنَفْسٍ مَا لهَا سَكَنُ
ظَعَنَ الأَبْرَارُ فَارْتَحَلُوا ... خَيْرُهُمْ مِنْ مَعْشَرٍ ظَعَنُوا
مَعْشَرٌ قَضَّوا نُحُوْبَهُمُ ... كُلُّ مَا قَدْ قَدَّمُوا حَسَنُ
صَبَرُوا عِنْدَ السُّيُوْفِ فَلَمْ ... يَنْكُلُوا عَنْهَا، ولا جَبُنُوا
فِتْيَةٌ بَاعُوا نُفُوْسَهُمُ ... لا وربِّ البَيْتِ مَا غُبِنُوا
ابْتَغَوا مَرْضَاةَ رَبِّهِمُ ... حِيْنَ مَاتَ الدِّيْنُ والسُّنَنُ
فَأَصَابَ القَوْمَ مَا طَلَبُوا ... بَعْدَمَا هَدَّتْهُمُ الفِتَنُ[1]

فإنّنا نلحظ هذه السّكينة، وتلك العلامات من الاتّزان والوقار على تلك المرأة الّتي ما ناحت، وما شقّت الثّوب جزعاً على ثمانية من أهلها، وقد قُتلوا دفعة واحدةً، على عكس ما عَهدناه من طباع النّساء في مثل تلك المواقف المزلزلة.

القسم الخامس: الغزل

الغزل هو حديث الشَّاعر عن المرأة، والافتنان بجمالها، والإفصاح عمّا يجيش في صدره من مشاعر الحبِّ، ووصفٌ لجمالها ومفاتنها، وهو كذلك تعبيرٌ عن تباريح الشَّوق إليها، والجَزع لصدودها، والعتاب على إخلاف مواعيدها، ونكثِ عهودها.

فقوام الغزل المرأة، ومفاتن المرأة تكمن في الوصف الحسّيّ لها، وهنا تبرز علاقة الرَّجل الشَّاعر بالمرأة؛ لأنّه دائماً " يُعلي من قيمة الجمال الحسّي، ويحتفل به، ويُقيم له الشَّعائر "[2].

ويذهب د. طه حسين إلى أنَّ للغزل مقوّماتٍ وأسساً لا بُدّ أن تتوافّر في المجتمع حتّى يظهر الغزل بمعناه الصّحيح، كالتّرف والثّروة والغنى، ويرى أنّ تلك الأمور لم تكن في الجاهليّة؛ لذلك فإنّنا لا يُمكن أن نعدّ ما قاله الشّعراء الجاهليّون غزلاً، وإن وصفوا النِّساء، وتشبَّبوا بهنّ، يقول:" فنشأ عند العرب في عصر بني

(١) الدِّيوان: ق١٩٧.

(٢) المرأة في الشّعر الأمويّ: ٢٢٣.

أميّة نوعان من الشِّعر لم يكن قد ألفهما الجاهليّون، ... الأوّل نشأ عن حياة التَّرف والغِنى والثَّروة، وهو الغزل، وليس ينبغي أن يقال إنَّ الغزل فنٌّ قديم عند العرب، فتحن نعلم ذلك ولا نشكُّ في أنَّ الشُّعراء الجاهليين جميعاً قد تغزّلوا وشبَّبوا، ووصفوا النِّساء، وإنَّما نريد أنَّ فنّاً جديداً قد نشأ في هذا العصر لم يكن موجوداً من قبل، .... ومن الظّاهر أنّ الجاهليين لم يعرفوا هذا الفنّ ولم يتذوَّقوه"[1].

إذا نظرنا في تلك الآراء، وإلى جانب أنَّ الغزل " بالمرأة يتطلّب من الرّجل أن يتحدّث إليها، وأن يكون حديثه مؤثِّراً، جذّاباً، حتّى يستميلها إلى ودّه، ويستهويها إلى حبّه، وهو في هذه السّبيل يسلك شتّى الوسائل، ويركب صعب الأمور، ... والمرأة بين هجرٍ ووصال، وتمنُّعٍ ودلال"[2] نجد أنّ ما قيل في المرأة عند شعراء بكر بن وائل ليس غزلاً، باستثناء ما قاله شعراء الدّواوين، كالأغلب العِجلي، وأبي النَّجم العِجليّ، وقد أفحشا الغزل في مواضع كثيرة، وسوى ذلك هو غزلٌ سطحيّ، أقرب إلى التَّشبيب، والنَّسيب، ولا سيّما إذا لم تتوافر أركان الغزل الثَّلاثة، الّتي ذهب إليها د. حسّان أبو رحاب[3]؛ وهي:

الرُّكن الأوّل: الرَّجل الّذي يتحدّث ويتودَّد.

الرُّكن الثَّاني: المرأة الّتي تستمع حديثه وتودّدَه.

الرُّكن الثَّالث: الحديث الّذي يقوم بين الرّجل والمرأة، ويحمل ما يكون بينهما من آصرة الحبِّ والمودَّة.

على أنّ الإسلام لم يحارب مثل تلك الميول والأهواء، بل نظر التّشريع الإسلاميّ إلى النّفس الإنسانيّة على أنّها هذه الكتلة من الأهواء والغرائز والميول ....، ولذلك رأى أنّ خير ما يكون من عمله فيها أن يسمو بهذه الميول : لا يحاربها، وإنّما يصعِّدها"[4]، كما أنّ صورة المرأة في شعر بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأمويّ لم تغاير صورتها على مدى أربعة عشر جيلاً من الأدب العربيّ، وإنّما الفارق الوحيد هو طريقة التّعبير عن تلك المشاعر، وما خالطها من أساليب ورقّة ألفاظ وغيرها، على أنّ ما يُسجّل على شعراء بكر في الإسلام يُسجّل على غيرهم، فظهور الدّعوة إلى الإسلام، وانشغال العرب في الجهاد، وأحداث الفتنة والحروب، شغلت القلوب عن الحسناوات، وقد أَفْلتَ من تلك المشاغل مَن نذر عمره للجميلات،

(١) حديث الأربعاء: ٨ (المطبعة التّجاريّة الكبرى).

(٢) الغزل عند العرب، حسّان أبو رحاب: ٨.

(٣) الغزل عند العرب: ١٢.

(٤) تطوّر الغزل بين الجاهليّة والإسلام: ٢١٠.

وأوقف حياته في محطة المتعة، ولا نكاد نجد في شعراء بكر بن وائل مثل هؤلاء الشّعراء، فجلّهم قد جَبل نفسه على الحروب، وولج في عجاج المعارك والفروسيّة، حتّى جاء غزلهم نسيباً و عتاباً وأنيناً.

فهذا البَعِيْث الحَنَفي يشتاق إلى حبيبته؛ أمِّ السَّلسبيل، الّتي كان بينه وبينها ما كان من أواصر الحبّ والمودّة، لكنّها اليوم بعيدةٌ عنه سفرَ شهرٍ على ظهر دابّة سريعة، مُتعجّلة، ولم يبق من ذكراها إلّا ذلك الخيال الّذي زاره، فتلقّاه بالتّأهيل والتّرحيب، واستطرف منه ما كان يستطرفه من حبيبته وصديقته، مُتشوِّقاً إليها، وهو يربأ بصديقته في حُسنها وجمالها، وفتنتها أن تُشَبَّه بالظَّبي، أو الظّبيةِ، أو بالصُّورة المنقوشة، أو بكريمةٍ من بقر الوحش، إذ كانت هذه الأشياء عنده دونها، وقاصرةً عن رتبتها، فحُسنها يزيد على كُلِّ حُسنٍ كمالاً؛ لأنَّه لا حُسنَ إلّا وتدخله نقيصةٌ، سِوى حُسنها، وكذلك كُلُّ الطِّيْب يتخلّله حَطِيْطة إلّا طِيْبها[1]، يقول البعيث:

خَيَـــالٌ لأُمِّ السَّلْسَـــبِيْلِ ودُوْنَهـــا ... مَسِـــيْرَةُ شَـــهْرٍ للبَرِيْـــدِ المُذَبْـــذَبِ
فَقُلْـــتُ لَهَـــا أَهْـــلاً وسَـــهْلاً ومَرْحَبـــاً ... فَـــرَدَّتْ بِتَأهِيْـــلٍ وسَـــهْلٍ ومَرْحَـــب
مَعَـــاذ الإلَـــهِ أَنْ تَكُـــوْنَ كَظَبْيَـــةٍ ... ولا دُمْيَـــةٍ ولا عَقِيْلَـــةِ رَبْـــرَبِ
ولَكِنَّهَـــا زَادَتْ عَـــلى الحُسْـــنِ كُلِّـــهِ ... كَـمَالاً ومِـنْ طِيْـبٍ عَـلى كُـلِّ طِيِّـبِ[2]

فما أشبه هذا الشّعر بشعر الشّعراء العُذْريّين، الّذين عاشوا "يسعَون وراء المرأة من غير نوال، ويَنشدونها، فلا يحصلون منها إلّا على شبح الزِّيارة وبعض الحديث، لأنَّها في حَوزة غيرهم، وهم عنها مُبعدون"[3].

ومثل ذلك غزل الرَّحّال العُذريّ، فقد فارقته زينبُ، وهجرته، حتّى اختلط عليه عقلُه من الشَّجو والعشق القاتل، فمرض، وثَقُل، وأشرف على الموت، حين علم ألّا سبيل إلى اللّقاء من جديد، فقد شَحَطت، وبُتَّ وصالها، ولم يبق منها إلّا ذلك الخيال في عينيه، أيّام كانت تقفز أمامه كظبيةٍ رشيقة القوام، تأوي إلى حبيبها، وقد أصابها مطر الخريف، يقول:

بَـــانَ الخَلِـــيْطُ ولم أَكُـــنْ صَـــحْوَانا ... دَنِفـــاً بزَيْنَـــبَ لـــو تُرِيْـــدُ هَوَانـــا
لَكِنَّهَـــا شَـــحَطَتْ وبُـــتَّ وِصَـــالُهَا ... ولَقَـــدْ تُلِـــمُّ نَـــوَاهُمُ بِنَوَانـــا
أَيَّـــامَ زَيْنَـــبَ ظَبْيَـــةٌ مَحْرُوفَـــةٌ ... تَرْعَـــى دَكَـــادِكَ قَشْـــعِهِ أَحْيَانـــا[4]

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقيّ: ٣٧٦/١.
(٢) الدِّيوان: ق٨.
(٣) الغزل منذ نشأته حتّى صدر الدّولة العبّاسيّة: ٣٧.
(٤) الدِّيوان: ق٤٢.

وهذا شُجاعُ بن الحارث السَّدُوسيّ، أخذ يتشبّب بزوجته مُعاذة، بعد أن رُدَّت إليه، وفي طيّات كلامه اعتذارٌ لها مُبطَّنٌ، فراح يعبّر لها عن شدّة حبّه لها، وتعلّقه بها، وموضِّحاً أنّ ما بينهما لا يمكن أن يفصِم عُراه بعضُ الواشين والحاسدين الحاقدين، ولا أن يُغيّرَه بُعدُ العهد، وتوالي الأيّام والسّنون، ولا ما اقترفته مُعاذة بحقّ زوجها الحبيب، فحبّه لها خالدٌ أبديّ، ما دامت الحياة، يقول:

لَعَمْـــرُكَ مَـــا حُبِّـــي مُعَـــاذَةَ بِالَّـــذِي ... يُغَـــيِّرُهُ الْوَاشِـــي وَلاَ قِـــدَمُ الْعَهْـــدِ
وَلاَ سُـــوءُ مَـــا جَـــاءَتْ بِـــهِ إِذْ أَزَالَهَـــا ... غُـــوَاةُ الرِّجَـــالِ إِذْ يُنَاجُونَهَـــا بَعْـــدِي[1]

وأمّا خوف الرَّقيب، واستراق اللحظات السَّعيدة، فهو أجمل ما في الحُبّ، وأشدّ لذّة من الإباحة المفرطة، وهذا الرَّقيب قد يكون داخليّاً، وقد يكون خارجيّاً، فأمّا الدّاخليّ، فهو الخوف من الله ﷻ وعقوبته، فيكون الرّقيب عندها مع المُحبّ في كلّ لحظاته، وأمّا الخارجيّ، فهو الأهل، أو السُّلطان، أو الواشون، وهؤلاء يمكن الهروب منهم، والتّملُّص من رقابتهم، فيغدو لقاء الأحبّة ناراً زادها جمر الشُّوق والتّضحية، ولهيب المغامرة، فهذا الفتى العِجْليُّ عشِق ابنة عمٍّ له، فكتبت له تَسْتزيرُه، بعد أن بَرَّح بها الهوى، وأخذ بشغاف قلبها النَّوى، وهي تُحسن الظّنَّ بعشيقها المُحبّ، لكنَّ المفاجأة صعقت الحبيبة، حين اعتذر عن اللّقاء، بسبب خوفه من بِشْر بن مروان؛ وكان بشرٌ شديداً على العُصاة، فكَان إذا ظَفِر بالعَاصِي أقَامهُ على كُرْسيٍّ، وسَمَّر كَفَّيْه بالمسامير على الحائط، ثمَّ نَزَعَ الكُرسِيَّ من تحته، فيبقى مُعَلَّقاً يَضْطَرِبُ حَتَّى يموت، ما أخاف الفتى العاشق، فقال:

لَـــوْلا مَخَافَـــةُ بِشْـــرٍ أَوْ عُقُوْبَتُـــهُ ... أَوْ أَنْ يُشَـــدَّ عَـــلى كَفَّـــيَّ مِسْـــمَارُ
إذاً لَعَطَّلْـــتُ ثَغْـــرِي، ثُـــمَّ زُرْتُكُـــمُ ... إِنَّ الْمُحِـــبَّ إِذَا مَـــا اشْـــتَاقَ زَوَّارُ[2]

لكنَّ المسوِّغات والأعذار الّتي ساقها العاشقُ لم تشفع له عند حبيبته، فلو كان مُحبّاً حقّاً، لما خَشِي أحداً، ولما خشي عقوبة الخليفة، ولو كانت عقوبته أن يُرمى في النّار حيّاً، بل المُحبّ هو الّذي يعمل المستحيل في سبيل حبيبته، ويواجه العقبات، حتّى يستقرَّ وحبيبه في دارٍ واحدة تضمّهما، تقول تلك العاشقة:

لَـيْسَ الْمُحِـبُّ الَّـذِي يَخْشَـى العِقَـابَ ولَـو ... كَانَـــتْ عُقُوْبَتَـــهُ فِي إِلْفِـــهِ النَّـــارُ
بَـــلِ المحِـــبُّ الَّـــذِي لا شَيءَ يَمْنَعُـــهُ ... أَوْ تَسْـــتَقِرَّ ومَـــنْ يَهْـــوَى بِـــهِ الـــدَّارُ[3]

(١) الدِّيوان: ق٤٤.
(٢) الدِّيوان: ق٢٠١.
(٣) الدِّيوان: ق٢٠٢.

فلمّأ قرأ كتابها، عَطَّل ثغره، وجاءها مُعتذراً، مُستغفراً الله أنّه خاف من بشر، ولم يخشَ ربَّ بشر، ورغم ذلك زار العاشق عشيقته، من غير اكتراث ببشرٍ وعقوبته، طالما أمست حبيبته راضيةً عنه،فقال:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ إذْ خِفْتُ الأَمِيْرَ، ولمْ ... أَخْشَ الَّذِي أَنَا مِنْهُ غَيْرُ مُنْتَصِرِ
فَشَأْنُ بِشْرٍ بِلَحْمِي فَلْيُعَذِّبُهُ ... أَوْ يَعْفُ عَفْوَ أَمِيْرٍ خَيْرِ مُقْتَدِرِ
مَا أُبَالِي إذا أَمْسَيْتِ رَاضِيَةً ... يَا هِنْدُ مَا نِيْلَ مِنْ شَعْرِي ومِنْ بَشَرِي[1]

في قراءة ما سبق من أشعار، نلحظ النَّفس العَفيف في الغزل، إن أمكننا أن نسميه غزلاً، ففي تلك الأشعار ملامح العُذريين، وعفّة العشّاق المنتظرين، وشوقٌ مُستبِدٌّ بأفئدة العُشّاق، وبُعدٌ مُضنٍ، وهجران كئيب، وفي كلّ ذلك وصفٌ للحبيب عام من غير تخصيص، وأمّا ما يُمكن أن نلحظه من تعداد صفات المحبوب، أو إبراز بعضِ مفاتنه، فهو قليلٌ ومحدود، ومن ذلك وصْفُ العُديل بن الفَرْخ العِجْليّ لامرأةٍ يتغزَّل بها، فوصف ضحكتها، وقد بدت من ثغرها أسنانُها البيض اللّامعة، فإذا هي غمامةٌ برِقت، ولمعت وسط الظّلام، فأضاءت ما حولها، وأنارت شِعاب مكّة المظلمة، واستدام نورها، لا يبرح الحيّ، فقال:

ضَحِكَتْ فَقُلْتُ:غَمَامَةٌ بَرَقَتْ لنا ... بِشِعَابِ مكَّةَ بَرْقُهَا لا يبرحُ[2]

وأمّا أبو النَّجم العِجْليّ (الفَضْلُ بن قُدامة) فقد فضحته عيناه، وأعلنتا الحُبَّ الأكيد، حين كان فؤاده كاتماً لذلك، فحاول الابتعاد والنّسيان، لكن توالي اللقاءات، على غير موعدٍ، أكَّد له صدق ما أخبرت به عيناه، وعلى الرّغم من ذلك فإنّ نفسه تأبى أن يتقدّم إليها مُعلناً حُبّه بين يديها، فاكتفى بالصّبر والسُّلوان:

لَقَدْ خَبَّرَتْ عيْنَاكَ يوماً بِحُبِّهَا ... بِبَطْحَاءَ ذي قَارٍ، وقد كَتَمَ الصَّدْرُ
ويوماً بِدِيرِ المَصْقَلِيَّةِ أشْرَقَتْ ... لها النَّفْسُ حتَّى ردَّها اللهُ والصَّبْرُ[3]

وليس كُلُّ الغَزل كان عفيفاً عند بكر بن وائل، فمنه على قلّته حسّيٌّ ليس بالفاحش، ولا بالبذيء، فهذا أبو الأخيل العِجْليّ جعل من الغزل مقدِّمة لقصيدته الدَّاليّة، الّتي ألقاها بين يَدَي عُمر بن هُبيرة الفزاريّ، فنقل لنا صورة جميلة لحسناء، تُجسِّد معالم جمال المرأة عند العرب، فكانت سوداءَ اللِّثات، بيضاءَ العارض، حُلوة

(١) الدِّيوان: ق٢٠٣.
(٢) الدِّيوان: ق٢٩٩.
(٣) الدِّيوان: ق٣٢٠.

الرِّيق، كالعسل الأبيض، وهو أجود أنواع العَسل، وشعرها أسود مُسترسل، وأمّا فمها فتطيب رائحته عند السَّحر إذا تغيَّرت رائحة الأفواه، يقول:

أَلا يَـا اسْـلَمِي ذَاتَ الـدَّمَالِيْجِ والعِقْـدِ ... وذَاتَ الثَّنَايَـا الغُـرِّ والفَـاحِمِ الجعْـدِ
وذَاتِ اللِّثَـاثِ الحُـمِّ والعَـارِضِ الَّـذِي ... بـِهِ أَبْرَقَـتْ عَمْـداً بِـأَبْيَضَ كالشُّـهْدِ
كَـأَنَّ ثَنَايَاهَـا اغْتَـبَقْنَ مُدَامـةً ... ثَـوَتْ حِجَجـاً في رَأْسِ ذِي قُنَّـةٍ فْـردِ[1]

وفي الخلاصة نلاحظ أنّ جُلّ شعر بكر بن وائل، أي ما بين أيدينا من صنعة الدّيوان، هو من الشِّعر العفيف، العُذريّ، ولعلّ طبيعة البكريين، وموقعهم الجغرافي على ضفاف الفُرات، ومنهم من كان في قلب الجزيرة العربيّة، جعل غزلهم أقربَ إلى الشِّعر البدويّ، منه إلى الشّعر الشّاميّ أو الحجازيّ، اللّذين غَرقا في التّرف واللّهو والمجون، وتتبّع المحبوبة، والسّعي وراءها، وما يتبع ذلك من هيام وشقاءٍ وجنون، وما يرافقه من سلاطة لسان، وكلامٍ فاحش.

(١) الدِّيوان: ق١٤١.

القسم السَّادس: الشَّكوى

كثيراً ما يقترن الحديث عن الشَّكوى بالهرم، فيؤلِّفان موضوعاً واحداً عند الكلام عن أغراض الشِّعر تحت مُسمَّى (الشَّكوى من الهَرَم)، وقد ينضمّ إليهما غرضٌ آخر هو الحكمة، ذلك أنَّ الّذي بلغ خريف العمر، وزهِد في الحياة انطلق لسانه معبِّراً عن حالته، وقد فارقه العَزم، و فقد عُنفوان الشَّباب.

ولعلَّ مثل ذلك الحديث يصدق على شعراء بكر بن وائل في مرحلة الجاهليّة، حالهم حال الجاهليين، الّذين إذا ما وصلوا إلى أرذل العمر، أُلقوا كالمتاع في طرف البيت، بلا توقير ولا اهتمام.

وأمّا الشَّكوى عند شعراء بكر بن وائل في مرحلة صدر الإسلام والعصر الأمويّ، فلم تكن بمثل ذلك الظُّهور الّذي نلحظه عند شعراء الجاهليّة، بل لا نكاد نلمح مظاهرها إلّا في أبياتٍ محدّدة، مع اختلاف موضوع تلك الشَّكوى، فلسنا نلمح كثير شكوى من الهرم، وظهور الشّيب، وتجعّد الوجه، وتخدّد اليدين.

ولكن الشّكوى في الإسلام صارت أعمّ من غير تفصيل، بل هي أقرب إلى التّأمّل، واستخلاص العبر بعد كلّ تلك التّجارب، فهذا عبد الله بنُ ثَعْلبة الحَنَفيّ نظر حوله، فرأى القبورَ في ازدياد، والنَّاسَ في نُقصان مُستمر، ومنازلَ الأحياء تبلى جدرانُها، وتزول، بينما نرى كُلّ يوم منزلاً جديداً لميت جديد، فالعاقلُ مَن اتَّعظ بتلك القبور المجاورة للأحياء، لكنّ اللّقاء بهم بعيدٌ، يقول:

لِكُـــلِّ أُنَـــاسٍ مَقْـــبَرٌ بِفِنَـــائِهِمْ ... فَهُـــمْ يَنْقُصُـــوْنَ والقُبُـــورُ تَزِيْـــدُ

فَـــما إنْ تَـــزَالُ دَارُ حَـــيٍّ قَـــدْ اخْلَقَـــتْ ... وقَـــبْرٌ بأَفْنَـــاءِ البُيُـــوْتِ جَدِيْـــدُ

هُـــمُ جِـــيْرَةُ الأحْيَـــاءِ أَمَّـــا مَـــزَارُهُمْ ... فَـــدَانٍ؛ وأَمَّـــا المُلْتَقَـــى فبَعِيْـــدُ

أَزُورُ وأَعْتـــــادُ القُبـــــورَ ولا أَرَى ... سِـــوَى رَمْـــسِ أَعْجَـــازٍ عليـــه رُكُـــودُ[1]

ويمكن أن نقترب من مظاهر الشَّكوى من الدَّهر، و الهرم، وثِقَل الجسم، وبُطء الحركة، وذهاب الشّباب، وغضارة الحياة في كلام عبد الله بن عبد الأعلى الشَّيبانيّ، في عصر بني أميّة، وذلك حين أيقن في نفسه مغادرة روحه جسده إلى العالم الآخر، فلزمته الهموم، وركبته الأوجاع، واستقرّت في نفسه الكآبة، فأصبح محتاجاً إلى مَن يواسيه، وإلى الصّديق يعوده في كمده المؤرق، يشكو له ضعف حاله، وقلّة حيلته، وما سيؤول إليه

(١) الدِّيوان: ق٢٤.

المرء بعد أن كان يشعُّ نوراً كالشّهاب الثّاقب، لكنَّ الموت أخمد نوره، وأظلم سناه، وسحبه من بين أهله وأبنائه، وأحاله جثّة هامدةً، بعد أن كان موفورَ القوّة ، كامل العقل، يقول:

مَنْ هُنَا لِي مِنْ صَدِيْقٍ فَلْيَعُدْ ... لِيَعُدْنِي إِنَّنِي اليَوْمَ كَمِدْ
مِنْ هُمُوْمٍ تَرَكَتْنِي قَلِقاً ... قَلَقَ المِحْوَرِ بالقُبِّ المَسَدْ
لَيْتَ شِعْرِي ولِلَيْتٍ نَبْوَةٌ ... أَيْنَ صَارَ الرُّوْحُ مُذْ بَانَ الجَسَدْ
بَيْنَمَا المَرْءُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ... ضَرَبَ الدَّهْرُ سَنَاهُ فَخَمَدْ
وَلَبِيْبٍ أَيِّدٍ ذِي حُنْكَةٍ ... مُسْتَوِي المِرَّةِ مَأْمُوْنِ العُقَدْ
غَالَهُ الدَّهْرُ وغَطَّى حَزْمَهُ ... وانْتَضَاهُ مِنْ عَدِيْدٍ ووَلَدْ[1]

وراحت امرأةٌ من بني عِجْلٍ تبثُّ همومها، وتشكو أوجاعها إلى ذئب في الصَّحراء سَمعت عواءه، وقد غادرها أهلها وقومها إلى غير عودة، في الطَّاعون الجارف بالبصرة، سنة سبعين للهجرة، فكانت السِّباع تدخل البيوت، فتصيب من الموتى طعاماً لها، فلم تجد تلك الجارية أنيساً إلّا ذلك الذِّئب، تبثّه شكواها، ويُثْمها، وتُعبّر له عن دمعها التِّسْكاب، الّذي لا ينقطع حُزناً على أهلها، لكنّها استوقفت نفسها لحظةً، وكفكفت دمع عينيها هُنيهةً، أمام مصير كُلِّ البشر، وهو الموت، فكانت على يقين تام أنَّها ستلحق بمن سبقها، وسيلحقُ بها مَن بعدها، ولعلَّ التّأسّي بالآخرين من أعظم نعم الله على الإنسان، تقول تلك الجارية:

أَلا أَيُّهَا الذِّئْبُ المُنَادِي بِسُحْرَةٍ ... هَلُمَّ أَبُثُّكَ الَّذِي قَدْ بَدا لِيَا
بَدَا لِي أَنْ قَدْ يَتِمْتُ وأَنَّنِي ... بَقِيَّةُ قَوْمٍ أَوْرَثُوْانِي المَبَاكِيَا
ولا ضَيْرَ أَنِّي سَوْفَ أَتْبَعُ مَنْ مَضَى ... ويَتْبَعُنِي مِنْ بَعْدُ مَنْ كَانَ تَالِيَا[2]

وأمَّا الشّكوى من البشر، فليس بأقلّ مرارة من الشَّكوى من الدَّهر والكِبر، ولا سيّما إذا ما شكا المرء من نفسه الخبيثة، أو فقره المُدقع، أو زوجه العاذلة اللائمة باستمرار، فتنقلب حياته الهانئة إلى موتٍ زؤام، وكمدٍ مُضنٍ.

(١) الدِّيوان: ق١٢٢.

(٢) الدِّيوان: ق١٩٨.

فمثلاً، هذا ابن خُمام يشكو تغيُّر النُّفوس، وتبدُّلَها بتغير حال المرء من الفقر إلى الغِنى، ولعلَّه يريدُ نفسه لا غير، فحين أصاب من المال ما جعله في صفوف الأغنياء، وجد نفسه تثقُل بحمل ذلك العبء الكبير، كأنّه مُحمَّل بالأصفاد، ومُكبَّل بالقيود، فأنكر نفسَه، فلم يعد يعرفها، وهجرته زوجه، ونفرت منه، فيقول:

رَأَيْـــتُ الفَتَـــى بَعْـــدَ الغِنَـــى وكَـــأَنَّما ... يَنُـــوءُ بِقَيْـــدٍ مُغْلَـــقٍ وصِـــفَادِ

فَأَصْـبَحْتُ قَـدْ أَنْكَـرْتُ نفسـيْ وأصـبحتْ ... حُبَيْبَـةُ مَـازَتْ مَضْـجَعِي ووِسَـادِي[1]

وسببُ تغير تلك الحال هو المال؛ سببُ كلّ شكوى، ومدارُ كلّ خلاف بين الزّوج وزوجه، فهذا المال كثيراً ما نجده في أشعار الشُّعراء، وقد تعرّضوا لملامة الزّوجة، وعتابها الدّائم، على إسراف زوجها، وتبذيره إيّاه بلا وجه حقّ، حتّى يضجر الزَّوج من كثرة ذلك اللوم والعتاب، فيشكو ثقل كلام زوجه، وتأنيبها إيّاه، ولكن هناك من الأزواج من يتملَّصون من ذلك العَذْل، ويجدون لأنفسهم مخرجاً من العتاب والتّأنيب، على نحو ما نجده عند ثَعْلبةَ بنِ عُمَيْر الحَنَفيّ، وكان يُدانُ كثيراً، فخافت امرأته أن يذهب ماله في الدَّين، فطلبت منه أن يستدرك ذلك المال، وأن يَقْسِمه بين بنيه، فراح يشكو عَذل زوجه، وملامتها، من غير اكتراثٍ بما طلبته منه، فلطالما عصى العَاذلين، ولم يهتمّ لأمرهم، مُبرِّراً سبب رفضه أن يقسم المال بين بنيه، أنّ المالَ مالُه، ولن يُعطيه مَن لا يستحقُّه، على أنَّ الله مُتكفِّل بأرزاق العباد، فيعطي المحتاج وغير المحتاج، الضّعيف والقوي، يقول:

وعَاذِلَـــةٍ تَلُـــومُ فَلَـــمْ أُطِعْهَـــا ... قَـــدِيْماً مَـــا عَصَـــيْتُ العَاذِلِيْنَـــا

ألا مَـــالِي ومَـــا أَهْلَكْـــتُ مِنْـــهُ ... لَِـــنْ أُبْقِـــي لأيِّ الوَارِثِيْنَـــا

أَلِلْمُحْتَـــالِ حِـــيْنَ أَمُـــوْتُ، بَعْـــدِي ... بِجَمْـــعِ المَـــالِ أَمْ لِلْمُنْشِـــدِيْنَا

أَرَى المَضْـــعُوْفَ والمُحْتَـــالَ كُـــلًّا ... يَعِـــيْشُ بِـــرِزْقِ رَبِّ العَالَمِينَـــا[2]

لكنّه لم يكن وفيّاً لكلامه، ولم يؤمن بصدق عباراته، حين وكل أمر الرّزق لله، فحين استعدى غُرماؤه عليه والي اليَمامة، وحَبسوه، بسبب تأخُّره في قضاء دينه، راح يشكو ثِقل ذلك الدّين، مُعلناً إعلاناً خفيّاً ندمه على تبذير ماله، وشدّة إسرافه، ورأى أنَّ قضاء الدَّين بالدّين هو غُرْم يجرُّ عليه ديناً إضافيّاً، وهمّاً ثقيلاً، يقول:

(١) الدِّيوان: ق٥.

(٢) الدِّيوان: ق١٢. المضعوف: الضّعيف.

إِذا مَـا قَضَـيْتُ الـدَّيْنَ بالـدَّيْنِ لَمْ يَكُـنْ قَضَـاءً ولَكْـنْ كَـانَ غُرْمـاً عَـلى غُـرْمِ (١)

وليس شيء أكثر مَضاضةً، وأذًى نفسيّاً، من فقدان إحساس البشر بإنسانيَّتهم، وضياع التّآخي والإيثار، حتّى ينقلب الإيثار إلى أَثَرة، و يصير المرءُ تَبَعاً لغيره، على تصرُّفهم في المضاحكة والمؤانسة، أو جرياً للعادة، في حين يظلُّ صاحب الحاجة في لجاجة من أمره، وحَنَقٍ على نفسه ومجتمعه إن لم يُصب شكواه، فهذا خلفٌ الأقطع لم يجد من النَّاس من يشكو له همّه، وهو الموتور، صاحب الثَّأر، الحانق، لكنّه مُجبَر على إظهار التّبسُّم والحُبور قَطْعَاً لشماتة شامتٍ، وتجلُّداً مع عدوٍّ مُكافح، وممّا زاد في توجّعه وتلهّفه أن أحِبَّتُه بالدَّير ماتوا وهو مكانٌ بعيد، فدفنوا غُرباء عن أهلهم، بينما من يتأسَّى بهم من المفجوعين دُفنوا في مقابرهم ببقيع الغَرْقد، يقول:

أُعاتِـبُ نَفْسِـي أنْ تَبسَّـمْتُ خَالِيـاً وَقـدْ يَضْـحَكُ المَوْتُـورُ وَهْـوَ حَـزِيْنُ
وَبِالـدَّيْرِ أَشْـجَانِي وَكَـمْ مِـنْ شَـجٍ لـهُ دُوَيْـنَ المُصَـلَّى بـالْبَقِيْعِ شُـجُونُ
رُبَّـى حَوْلَهَـا أمْثالُهَـا إنْ أتَيْتَهَـا قَرَيْنَـكَ أشْـجَاناً وَهُـنَّ سُـكُونُ
كَفَـى الهَجْـرَ أنَّـا لَمْ يَضِـحْ لَـكَ أمْرُنَـا وَلَمْ يَأتِنـا عَـنَّا لَـدَيكَ يَقِـينُ(٢)

هذا كلّ ما يمكن أن نلحظه في شعر الشّكوى، فهو أبعد ما يكون عن الشّكوى الصّريحة، الّتي تتّخذ من ألفاظٍ معيّنة مادّة دسمة لها، وتتخلّلها كلمات الجَزع، والخوف والرَّهبة، ولا سيّما شعر الشّيب والمشيب، والتَّحسّر على ما فات المرء من عمره الغابر، إلى جانب أنواعٍ أخرى من الشّكوى أقلّ بروزاً وظهوراً، كالشّكوى من الأخلاق الفاسدة في المجتمع، والشّكوى من انحلال القيم والأخلاق، والشّكوى من تردّي الأوضاع الاجتماعيّة للنّاس، والشّكوى من العمّال والولاة، وهي موضوعات لم تبرز كلّ البروز في شعر الشَّكوى، بل كانت تمرّ على ألسنة الشّعراء مرور الكِرام في أزمنة معيّنة، تحت وطأة أوضاع خاصّة.

(١) الدِّيوان: ق١٣.

(٢) الدِّيوان: ق١٧٩.

القسم السّابع: الحِكمة

تأتي الحكمة نتيجة عُصارة الفكر والتَّجربة، وطول التَّأمّل غالباً، لكنّها قد تصدر عن قلبٍ شفّه الحزن، وأضناه الوجع، لا عن بُعد تجربة، وطول حياة فحسب، ما يجعل تلك الحكم في مجموعها صالحةً لكلِّ زمان ومكان، ذلك أنَّ الحياة واحدةٌ، والموت واحد، وما تفرضه الدُّنيا على المرء من مصائب وأهوال تتشابه فصولها، وتتّحد أحداثها، فإذا بالمرء ينفر من الدُّنيا، ويصبح أقرب إلى الآخرة، والعمل في سبيلها، وهذا يعني أنَّ من ثمار الحكمة العملَ على تغيير الشَّرّ إلى خير، والسّيئ إلى حَسَن، وفي تعريفات الفلاسفة للحكمة:" هي حقيقة العلم بالأشياء القائمة، ووضع كلِّ شيء في موضعه، الّذي يجب أن يكون فيه الوضع فقط"[(١)].

وللحِكمة تشعّباتٌ، وارتباطاتٌ كثيرة[(٢)]، فلها صلةٌ بالقرآن الكريم، وقد وردت فيه في مواضع كثيرة، لمعانٍ مختلفة، وجاءت الحِكمة على لسان النّبي ﷺ كثيراً، وقد أشاد بها، وللحكمة صلةٌ بالأمثال، والأدب، وقد أفرد أبو تمّام في حماسته باباً مُفرداً للحِكمة، هو باب الأدب.

إلّا أنَّ جُلّ حِكَم العَرب، أو كُلّها، لا يجري على نِحْلة فلسفيّة أو دينيّة، بل هي أقرب إلى رسوخ الأخلاق فيهم، وتفكُّرهم في الحياة، وقد أدركوا أنّها فانيةٌ، غرَّارةٌ، غدَّارةٌ، بعد تجربة فاشلةٍ خاضوها مثلاً، ولا يعني ذلك تجرُّدهم من الدِّين، بل كانت لهم تأثُّرات بمعاني الإسلام، تأتي في أثناء القصائد، وأحياناً على عَجَل، حتّى صارت الحِكْمة موضوعاً مُنْفَرداً تُخَصّص له القصائد الطِّوال، والمقطّعات الكثيرة، ولا سيّما في العصر العبّاسيّ.

وأمَّا أشعار الحكمة في شعر بني بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأموي فكثيرةٌ، متنوّعةٌ، يُكثر فيها شعراؤهم من نَهْر النَّفس البشريّة، وعتابها الدّائم، بُغية إيقافها أمام حقيقتها الدُّنيويّة، وبعضهم ينطلق من الدِّين ليصل إلى الختام المرجو، فيصدر عن عقلٍ إسلاميّ بَحْت.

(١) المقابسات للتّوحيديّ: ٣١٢.

(٢) انظر (أشعار الحكمة في ديوان الحماسة لأبي تمّام)، ورود الصّرّاف: ص ٨ـ ١٥،رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، ٢٠٠٥م.

فهذا نهار بن حَرْبٍ أخذ العِبْرة من معركة اليمامة، واستخلص النّتائج إثر الهزيمة، فعلم عن يقين لا يجلوه الشّك، ولا تحول دونه مريّة، أنّ الموت حقٌّ على كُلِّ نفسٍ، لا يُجادل في ذلك عاقل، وأنَّ الله هو الواحد الصَّمد، ومحمَّداً رسول الله إلى النّاس أجمعين، والخلق سيقفون أمام الله في يومٍ يشيب منه الجنين، فيُجازى كُلّ عبدٍ بما صنع، وبما قدّم، ثُمّ ختم ذلك كُلّه، بإقراره بقصر عُمره في الدّنيا مهما طال، يقول:

وقَـــالوا: مَـــا تَقُـــوْلُ؟ فَقُلْـــتُ خَـــيْراً ... شَـــــهِدْتُ بـــــأَنَّنِي عَبْـــــدٌ ذَلِيْـــــلُ
وأنَّ البَعْـــــثَ بَعْـــــدَ المـــــوْتِ حَـــــقٌّ ... ولَـــــيَسْ إلى خِـــــلافٍ مِـــــنْ سَـــــبِيْلِ
وأنَّ اللهَ لَـــــــيْسَ لَـــــــهُ شَرِيْـــــــكٌ ... وأنَّ محمَّـــــــداً هَـــــــادٍ دَلِيْـــــــلُ
وأنَّ أَمَامَنَـــــــا يَوْمـــــــاً طَـــــــوِيْلاً ... يَشِـــــيْبُ بِـــــهِ مِـــــنَ القَـــــوْمِ الجَمِيْـــــلُ
فَيَجْـــــزِي اللهُ فِيْـــــهِ كُـــــلَّ نَفْـــــسٍ ... بِـــــما كَسَـــــبَتْ، وذَا خَطْـــــبٌ جَلِيْـــــلُ
وأَعْلَـــــمُ والأُمُـــــوْرُ لهـــــا قَـــــرَارٌ ... بـــــأنَّ بَقَـــــايَ في الـــــدُّنْيَا قَلِيْـــــلُ[1]

وأمّا ما خَلُص إليه نهار فلا يُمكن أن نعمّمه على الجميع، ما أمكن أن نسميَه بالحكمة الخاصّة لا العامّة، القابلة للتّطبيق في كلّ زمن وعصر، ذلك أنَّ منبع حكمته الدّين، ومن النّاس مَن لا يوافقه في كثيرٍ ممّا أقرّ به، على أنَّ الحِكَم العامّة هي تلك الّتي يرتضيها الجميع، فيشعر الواحد منهم أنّ ذلك يعنيه، وهي حِكَمٌ تجعل من النَّفس البشريَّة مُلهماً لها، ومن القناعة بالقليل أساساً للرّضا في الحياة الدُّنيا، ومن خِضَم التّجارب، والتّأمُّلات تنبع حكم الصَّبر، ونهر النَّفس عن كُلِّ ما يُسيء إليها، فراح حُنَيْفُ بنُ عُمَيْرٍ اليَشْكُريّ ينصح عن علمٍ وخبرة الآخرين، ويدعوهم إلى الصَّبر مفتاح كُلّ فَرج، وسلوان الهمّ والغمّ، فلطالما كرهت النُّفوس ما يُحيط بها، في حين أنّ الخير يحفّ بها من كُلّ جانب، وهذا لا يُدركه إلّا من عَرك الدُّنيا وعَرَكته، وخَبِر خَبيئها، فاستخرجه، يقول حُنيف:

اصْـــبِرِ الـــنَّفْسَ عِنْـــدَ كُـــلِّ مُلِـــمٍّ ... إنَّ في الصَّـــــبْرِ حِيلَـــــةَ المُحْتَـــــالِ
لا تَضِـــيقَنَّ بـــالأُمُورِ فقـــدْ تُكْـــ ... ـــشَـــفُ غَمّاؤُهـــا بِغَـــيْرِ احْتِيـــالِ
رُبَّـــما تَكْـــرَهُ النُّفُـــوسُ مِـــن الأمْـــ ... ـــرِ لـــه فَرْجَـــةٌ كَحَـــلِّ العِقـــالِ[2]

(١) الدِّيوان: ق٣٨.

(٢) الدِّيوان: ق٥٧.

وفي العصر الأمويّ حذّر موسى بن جابرٍ الحَنَفيُّ من الاستكانة إلى الدُّنيا، والانخداع بها، لأنَّها زائلة، فانية، سُرعان ما تنهار على عُروشها بعد كُلّ هذا البناء والعمران، وتعلن ضعفها وقلّة حيلتها أمام الآخرة، يقول:

فـــلا تَغُرَّنَّـــكَ دُنْيَـــا غَـــيْرُ بَاقِيَـــةٍ تَنْهَـــارُ لَـــيْسَ لهـــا طَـــيٌّ ولا حُـــوَلُ[1]

ولامس الشُّويعر الحَنَفيّ معنًى إسلاميّاً في تعبيره عن فناء الدُّنيا، مُستمدَّاً حكمته من القرآن الكريم، فرأى أنَّ القابضَ على الدّنيا، المتمسِّكَ بعقالها، كالممسك بحبلٍ من الأكاذيب والأباطيل، وكالسَّائر خلف الوهم والسَّراب، وهو حبل الغُرور، يقول:

وإنَّ امْـــرَأً دُنْيَـــاهُ أَكْـــبَرُ هَمِّـــهِ لَمُسْتَمْسِـــكٌ مِنْهَـــا بِحَبْـــلِ غُـــرُوْرِ[2]

وقد قال تعالى في الدّنيا: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ومن غُرور الدُّنيا، وعدم وفائها، وخذلانها، أنَّها تسعى دائماً إلى تفريق الأحبّة بعضهم عن بعض، مهما التقوا واجتمعوا، فمصيرهم الفِراق والبَيْن، على نحو ما رأى عبد الله بن عبد الأعلى الشَّيبانيّ، حين يقول:

كُـــلُّ حَـــيٍّ ذِي اجْـــتِمَاعٍ رَهْـــنُ بـــيْنٍ وشَـــتَاتِ[3]

ورأى أنَّ الدُّنيا مهما طالت، وعركت النّاس بأهوالها ومصائبها، فزوالها قريب، والموتُ أقرب إلى المرء من زوالها، يقول:

لَـــيْسَ آتٍ بِبَعِيْـــدِ بَـــلْ قَرِيْـــبٌ مَـــا سَـــيَأْتِي[4]

ويؤكّد مرّة أخرى عبد الله هذه المعاني، وغرضه تنبيه الغافلين، وتقويم الحائدين عن وجه الحقيقة، مُشدِّداً على موت كلّ من على البسيطة، مُزدرياً تلك الحقيقة المريرة، حقيقة الدُّنيا، تلك التُّربة الخصبة الّتي يزرع فيها العبد عمله، ثُمّ لا تلبث أن تحصد ما زرع، والمرء بين حصاد الخير وحصاد الشّرّ، منتظر مُترقّب، يقول:

يَـــا وَيْـــحَ هَـــذِي الأَرْضِ مَـــا تَصْـــنَعُ لِكُـــلِّ حَـــيٍّ فَوْقَهَـــا مَـــصْرَعُ
تَـــزْرَعُهُمْ حَتَّـــى إِذَا مَـــا أَنَـــوَا عَـــادَتْ لهـــمْ تَحْصِـــدُ مَـــا تَـــزْرَعُ[5]

(١) الدِّيوان: ق٩٠.
(٢) الدِّيوان: ق١١٨.
(٣) الدِّيوان: ق١٢١.
(٤) الدِّيوان: ق١٢١.
(٥) الدِّيوان: ق١٢٤.

ولكنَّ عبد الله بن عبد الأعلى لم يكتفِ بإطلاق الحِكم والنَّصائح عامّة شاملة على عادة كثيرٍ من الشّعراء، بل نفذ بخلاصة تجاربه إلى طريق العمل الواقعيّ، وهدفه الشّباب، والأمّة عامّة، فدعا النّاس إلى الأُلفة، والتَّوحّد فيما بينهم، والتَّصالح، وإصلاح ذات البَين، وعدم إضاعة الوقت بما لا ينفع، ونصحهم نصيحة رجلٍ خَبر الحياة، ففهمها، وعَرف مغزاها، فعلم أن لا شيء ينفع المرء إلّا عمله، وختم عبد الله بحكمةٍ الرَّجل الخبير، النّاصح أولاده، فدعاهم إلى أن يكونوا رجلاً واحداً في السَّرّاء والضَّرّاء، حالهم في الاجتماع والقوّة حال العِيدان إذا شكَّلت حُزمة واحدة، عزَّ على الرّجل القوي كسرُها، وكذلك يَبْغي قومه، يستحيل باتّحادهم، واجتماع كلمتهم كسرُهم والنَّفاذُ إليهم، فقال:

أُنْفُـوا الضَّـغَائِنَ والتَّخَـاذُلَ عَـنْكُمُ ... عِنْـدَ البَعِيْـدِ، وفي الحُضُـوْرِ الشُّـهَّدِ
بِصَـلاحِ ذَاتِ البَـيْنِ طُـوْلُ بَقَـائِكُمْ ... إنْ مُـدَّ في عُمُـرِي وإنْ لمْ يَمْـدُدِ
فَلِمِثْـلِ رَيْـبِ الـدَّهْرِ أُلِّـفَ بَيْـنَكُمْ ... بِتَوَاصُـلٍ وتَـرَاحُمٍ وتَـوَدُّدِ
وانْفُـوا الضَّـغَائِنَ والتَّخَـاذُلَ عَـنْكُمُ ... بِتَكَـرُّمٍ وتَوَسُّـعٍ وتَغَمُّـدِ
حَتَّـى تَلِـيْنَ جُلُـوْدُكُم وقُلُـوْبُكُمْ ... لِمُسَـوَّدٍ مِـنْكُمْ وغَـيْرِ مُسَـوَّدِ
إن القِـداحَ إِذَا اجْـتَمَعْنَ فَرَامَهـا ... بالكَسْـرِ ذُو بَطْـشٍ شَـدِيْدٍ أيِّـدِ
عَـزَّتْ فَلَـمْ تُكْـسَرَ؛ وإِنْ هِـيَ بُـدِّدَتْ ... فَـالوَهْنُ والتَّكْسِـيْرُ لِلْمُتَبَـدِّدِ[1]

ولكن مَتى تبلغ الحِكْمة غايتها، وتصدر عن قلبٍ مُشفوع بالرِّضا التّام، والتَّسليم لقضاء الله وقدره؟ لا شكَّ أنّ الحكم بيقينيّة الموت ليس أثراً إسلاميّاً بحتاً، فقد قالت فيه كُلُّ الدّيانات والمعتقدات، وإنّما ما جاء به الإسلام هو ما بعد الموت، وهنا تبرز حِكَم الشّعراء، وتتفاوت في التَّعبير عن الدّنيا، ثُمّ الموت، على نحو ما ورد آنفاً، ومثل حال تلك المرأة العِجْليّة الّتي أورثها مَن فقدتهم المباكيا، ثُمّ سُرعان ما فاقت من سَراب ما لزمته، حين عادت إلى الحقيقة الواقعيّة، وهي أنّها لا شكّ ستلحق بهم، وسيلحق بها مَن سيأتي بعدها، فظهرت عبارات السُّلوان، والرِّضا، في قولها: لا ضَير، تقول:

ولا ضَـيْرَ إنِّي سَـوْفَ أَتْبَـعُ مَـنْ مَضَـى ... ويَتْبَعُنِـي مِـنْ بَعْـدُ مَـنْ كَـانَ تَالِيَـا[2]

(١) الدِّيوان: ق١٢٣.

(٢) الدِّيوان: ق١٩٨.

وأمام هذه السّواسية الدّنيويّة، يتباين النّاس في الآخرة، والطّريق مُشترك هو الموت، والموت العام المشترك هو ما يُعطي النَّفس القناعة بعض الشَّيء، ويجعلها تتغاضى عن التَّفاوت الطَّبقي بين النّاس، بانتظار الحساب يوم القيامة، يقول الشُّويعر الحَنَفيّ:

يُحَيِّي النَّاسُ كُلَّ غَنِيٍّ قَوْمٍ ... ويُبْخَلُ بالسَّلامِ عَلى الفَقِيْرِ

ويُوْسَعُ لِلْغَنِيّ إِذَا رَأَوْهُ ... ويُحْبَى بالتَّحِيَّةِ و الأَمِيْرِ [1]

ثُمَّ يقول:

أَلَيْسَ الموتُ بَيْنَهُما سَوَاءٌ ... إِذَا مَاتُوا وصَارُوا في القُبُوْرِ [2]

فالشُّويعر جعل السَّواسية بين الغني والفقير في جَرْي الموت عليهما، لكنّه حين وصل إلى القبور لَزم حدَّ العبد أمام خالقه، حين قال: وصاروا في القبور، أي صاروا في عالم غَيبيّ، لا معرفة تامّة للبشر بتفاصيله، وأحداثه.

وأمَّا شاعر الحكمة في عصر بني أميَّة فهو مُحَارب بنُ دِثار، قاضٍ عَدْلٌ، جُلُّ شُعره المنظوم في الزُّهد، وهجْرِ الدُّنيا، والإقرار بحتميّة الموت، والعمل على إعمار الدُّنيا في سبيل النّجاة يوم الآخرة.

ومن أعظم حكم إقراره بموت النَّاس جميعاً، بلا تمييز بين غَنيٍّ وفقير، وظالمٍ وعادل، خطابه أمير المؤمنين؛ عُمر بن عبد العزيز، الخليفة العادل، فرأى أنَّ الموت لو تهيَّب من إنسانٍ لعدله، لكان هُو عُمر، ولكنّ الموت لا يُميِّز بين أحدٍ، فالجميع عنده متساوون، يقول:

لَوْ أَعْظَمَ الموْتُ خَلْقاً أَنْ يُوَاقِعَهُ ... لِعَدْلِهِ لمْ يَزُرْكَ الموْتُ يَا عُمَرُ [3]

وأشار مُحَارب في أكثر من مكان إلى خَشْيته المفرطة من الله ﷻ، تلك الخَشْية تدعوه إلى الحِياد عن قول ما لا يَعرفه، وتربأ به أن يَشْهد على الشُّبْهة، فبعثَ برسائل إلى النَّاس في التزام الحقّ، وعدم الخوض فيما جاء من عصرٍ مضى لم يعايشوه، ويُشير هنا إلى أحداث الفتنة، الّتي أعقبت قتل الخليفة عُثمان بن عفَّان ﷺ، يقول:

ولَيْسَ عَلَيَّ في الإرْجَاءِ بَأْسٌ ... ولا نَقْصٌ ولَسْتُ أَخَافُ شَيَّا

إِذَا أَيْقَنْتُ أَنَّ اللهَ حَقٌّ ... وأَنَّ مُحَمَّداً جَانَا نَبِيَّا

(١) الدِّيوان: ق١١٦.

(٢) الدِّيوان: ق١١٩.

(٣) الدِّيوان: ق١٢٧.

وأَنَّ الرُّسْـــلَ قَـــدْ بُعِثُـــوا بِحَـــقٍّ ... وأَنَّ اللهَ كَـــانَ لهـــمْ وَلِيَّـــا
إِذَا حُـــشِرَ القُـــرَانُ حُـــشِرْتُ مَعْـــهُ ... وأُرْجِـــي بَعْـــدَهُمْ أَمْـــراً حَفِيَّـــا
ومَـــا عِلْمِـــي بِـــما فَعَلَـــتْ رِجَـــالٌ ... مَضَـــوا قَـــبْلِي، وكُنْـــتُ لهـــمْ عَمِيَّـــا[1]

على أنَّ الحِكَم متنوّعةٌ، مُتباينةٌ، تخضع للحوادث والتّجارب الدّنيويّة، وهي وسيلةٌ نحو الآخرة، وهذا يعني أنّ ما يصدر عن شاعرٍ ما من الحِكم يُلامس دنياه، وما تقتضيه الدُّنيا من مُستلزمات الغِنى والفقر، الطّمع والقناعة، سبيلاً نحو السُّمعة الحسنة، والنَّجاة في الآخرة، فهذا موسى بن جابرٍ الحَنَفيّ يتحدَّث عن المال والطّمع، فيرى من خلال عُصارة تجاربه، وبعض تأمّلاته في ذاته والآخرين، أن لا خيرَ في مالٍ كثير، لا يَقي المرء من ذَمٍّ أو عار، ولا يحميه من لُحُوق تهجينٍ وشَنَار، ولا خيرَ فيه إن كان سبباً في تعريض نفس المرء إلى ما يَشِينُها، وإن وقع المرءُ في مِثل ذلك كان الموت أجودَ، وأنجى له من تلك الحياة الذّليلة، يقول موسى الحَنَفيّ:

وجُـــدْتُ بِـــنَفْسٍ لا يُجَـــادُ بِمِثْلِهَـــا ... وقُلْـــتُ اطْمَئِنِّـــي حِـــيْنَ سَـــاءَتْ ظُنُوْنُهَـــا
ومَـــا خَـــيْرُ مَـــالٍ لا يَقِـــي الـــذَّمَّ رَبَّـــهُ ... ونَفْـــسِ امْـــرِئٍ في حَقِّهَـــا لا يُهِيْنُهَـــا[2]

ولهذا وجد عبد الله بن عبد الأعلى الشَّيبانيُّ أنَّ الطَّمع وشِدّة الحرص يُوصلان صاحبهما إلى المهالك، لأنّ المرء يُهْلِكه ما يِضنّ به، ويَبخل في تقديمه، والتمس لذلك لفظ الحِرص، فقال:

ويَطْمَـــعُ فِـــيْما سَـــوْفَ يُهْلِـــكُ دُوْنَـــهُ ... وكَـــمْ مِـــنْ حَـــرِيْصٍ أَهْلَكَتْـــهُ مَطَامِعُـــهْ[3]

وذات الأمر أثبته خلفُ بن خَليفة، حين دعا ممدوحه إلى أن يجود، ويُعطي المحتاج، طالما أنَّ الدّنيا لن تبقى، وستأخذ معها المال والعِيال، فالأحرى أن يجود المرء بماله، طالما حَبَتْه كنوزها الوفيرة، يقول:

لا تَـــبْخَلنَّ بِـــدُنْيَا وهْـــيَ مُقْبِلَـــةٌ ... فَلَـــيْسَ يُنْقِصُـــهَا التَّبْـــذِيْرُ والسَّـــرَفُ
فَـــإِنْ تَوَلَّـــتْ فَـــأَحْرَى أَنْ تَجُـــوْدَ بِهَـــا ... فالحَمْـــدُ مِنْهَـــا إِذَا مَـــا أَدْبَـــرَتْ خَلَـــفُ[4]

(١) الدِّيوان: ق١٢٩.
(٢) الدِّيوان: ق٩٤.
(٣) الدِّيوان: ق١٢٥.
(٤) الدِّيوان: ق١٦٧.

وإن لم يَجُد الغنيُّ على الفقير، ولم يُعطَ المحتاج، فغنيمتُه الّتي لا تزول هي غِنى نفسه، وتعفُّفه عن السُّؤال، هو ما يسدُّ حاجته المعنويّة، حتّى يصير الغنى فقراً، والفقر غنى، وكذلك انتقد خلفٌ مَن يُعطي لأجل أن يُعْرف بالعطاء، وطمعاً بالذِّكر الحَسن، والصِّيت الذّائع، فيجعل المحتاج سُلَّماً إلى حاجته وبُغيته، فرأى أنَّ تلك اليد الممدودة لا تستحقّ الشُّكر، ولا الثَّناء، يقول خلف:

وفي اليَأْسِ مِنْ أَنْ تَسْأَلَ النَّاسَ رَاحَةٌ ... تُمِيْتُ بِهَا **عُسْراً وتُحْيِي بِهَا يُسْرا**

ولَيْسَ يَدٌ أَوْلَيْتَهَا بِغَنِيْمَةٍ ... إِذَا كُنْتَ تَبْغِي أَنْ يُعَدَّ لَهَا شُكْرا

غِنَى النَّفْسِ يَكْفِي النَّفْسَ مَا سَدَّ فَاقَةً ... فَإِنْ زَادَ شَيْئاً عَادَ ذَاكَ الغِنَى فَقْرا[1]

ليس هذا كُلُّ ما يُمكن أن يُقال في شعر الحِكْمة عند شعراء بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأمويّ، بل هذا القسم الأكبر منه فيما بين أيدينا من شعرهم، وفي جُلّ معاني الحِكمة الّتي تصدر عن نفْسٍ شَفَّها الحزن، وأرّقتها كَثْرة النِّفاق والكَذب بين النّاس، فإنّها تخرج أيضاً عن تجربةٍ مريرةٍ دفعت بالشّاعر المتكسّب، اللّحوح أن يَنطق بالحكمة، ويدعو إلى الرِّضا والقناعة، كخلف بن خليفة الأقطع، وهذه المعاني مُشتركة، عامّة بين الشّعراء، ذلك أنَّ مصدر الحكمة واحد، يرجع إلى التَّأمّل والتَّجارب.

وبذلك ينتهي الحديث عن موضوعات أشعار بني بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأموي، وثمَّة قِطَعٌ لا تُشكِّل موضوعاً بأبعاده المعروفة، كبعض أبياتٍ تتناول الحَنين إلى الوطن[2]، أو الحَنين إلى الزَّوج[3].

(١) الدِّيوان: ق١٦٢.

(٢) انظر من الدّيوان شعر كلاب بن حَرِيّ في صدر الإسلام، وامرأة من بني حَنِيفة في العصر الأموي، ق٢٠٦.

(٣) انظر شعر (امرأة من بني حَنيفة) من العصر الأموي، ق٢٠٣، ق٢٠٤، ق٢٠٥.

الباب الثّالث
الدِّراسة الفنيَّة للشعر

وستشمل الدّراسة الفنيّة جانبين: الأوَّل: الظَّواهر الأسلوبيّة من حيث الوضوح والغموض، والصُّور البيانيِّة الَّتي تبرز المعاني وتوضِّحها من تشبيه واستعارة وكِناية، وكذلك من حيث ما يعرف بالمحسّنات المعنويّة كالطباق والمقابلة والتّكرار. ثُمَّ الحديث عن مصادر معانيهم، الّتي غالباً ما استقوها من البيئة المحيطة بهم، يُضاف إلى ذلك ما أخذوه من المعتقدات و المعاني الدِّينيّة.

والثّاني: الظَّواهر البنائيَّة، من حيث منهج القصيدة (أو المنهج المسلوك في بناء النُّصوص الشِّعريَّة) وموسيقا الشِّعر بشقيّها الخارجي والدّاخلي، فأمَّا الموسيقا الخارجيّة فتشمل الوزن والقافية، وأمَّا الدَّاخليِّة فتقوم على أمور أهمّها ما أسماه علماء البلاغة بالمحسّنات اللفظيَّة، إضافة إلى الاقتباس و بعض الأمور كالتلاؤم بين الحروف والحركات، أو بين الحروف بعضها مع بعض، وأخيراً من حيث بعض الظّواهر اللغوية والنّحويّة والتّصرف في بعض القواعد.

الفصل الأوّل: الظواهر الأسلوبيَّة (المعنويّة):

- الوضوح والغموض
- الصُّور البيانيّة
- المحسِّنات وأثرها.
- المثل في شِعرهم.

ـ مصادر معانيهم بين الموروث والجديد.

الفصل الثّاني: الظّواهر البنائيّة (اللفظيّة):

- المنهج المسلوك في بناء نصوصهم
- مُوسيقا الشِّعر (خارجيَّة و داخليَّة).

الفصل الثّالث: الظَّواهر اللّغويّة والنَّحويّة في أشعارهم.

الفصل الأوّل
الظواهر الأسلوبيّة

الوضوح والغموض

١ ـ الوضوح والغُموض في الألفاظ والمعاني:

لعلَّ أوَّلَ ما نلْحَظه في شعر بكر بن وائل الإسلاميّ على مستوى اللّفظ والمعنى هو الوضوح والبَساطة، وهي سمةٌ عامّةٌ لمعاني الشِّعر الإسلاميّ، وعلى أقلّ تقدير شعر بكر في صدر الإسلام، فليس فيها تكلُّفٌ ولا بُعْدٌ ولا إغراق في التَّعبير عن المعنى المراد باللّفظ الواضح السَّهل، وسبب ذلك طبيعة العرب الصَّحراويّة، ونَقْلُ الشَّاعر الواقعَ نقلاً أميناً محسوساً، من غير تغيير، وقد أشار د. شوقي ضيف إلى هذه القضيّة، فقال:" ومرجع ذلك في رأينا أنَّه لم يكن يفْرِض إرادته الفنيَّة على الأحاسيس والأشياء، بل كان يحاول نقلها إلى لوحاته نقلاً أميناً، يُبْقي فيه على صورها الحقيقيّة دون أن يُدخلَ عليها تعديلاً من شأنه أن يمسَّ جوهرها"[(١)].

وأمّا شعر بكر بن وائل في صدر الإسلام، ومعه شعر المخضرمين، فهو سهلٌ، واضحٌ، أقربُ ـ في كثير من الأحيان ـ إلى النَّظم، على أنَّ هذا الوضوح قد يتخلَّله أحياناً إغرابٌ في اللَّفظ، لا يجلوه إلّا وضوح المعنى، فتتكاثف الألفاظ الغريبة أحياناً، حتّى لا يكادُ المعنى يَبِين، إلّا بطرق المعاجم، والاعتماد عليها أوَّلاً وآخراً.

وقد قال الخليل:" الشُّعراء أمراءُ الكلام، يتصرَّفون فيه أنَّى شاؤوا، جائزٌ لهم فيه ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييدِه، وتسهيلِ اللفظ وتعقيدِه"[(٢)].

والأبيات الّتي لا غرابة في معانيها، ولا إغراب في ألفاظها، " مُستمدَّةٌ من الدِّين الإسلاميّ من جهة، ولأنَّ هذه المعاني وما عُبِّرَ به عنها ممَّا يتداوله النَّاس منذ ظهور الإسلام"[(٣)]. من جهةٍ ثانيةٍ، ومن جهة ثالثةٍ

(١) العصر الجاهليّ: ٢١٩.

(٢) الكشكول: ١٥٣.

(٣) ديوان حُميد بن ثور: ١٦٨.

فإنَّ لموقع القبيلة من جزيرة العرب، وما يحيط بها، أكبرَ الأثر في لسان أفرادها، فلسان بني حَنِيْفة غيرُ لسان شيبان مثلاً، وقد كانت الأخيرة مجاورةً الفُرس، في حين أنَّ بَني حَنِيْفة أخذت من اليمامة في الحِجاز وجوّها مرتعاً خصباً لها، وهم كما قال الجاحظ عنهم، وعن إخوتهم من بني عِجْل:" أهل مَدَر، وأكّالو تمرٍ"(١).

غير أنّنا يجب أن نتنبه إلى الفرق بين عصرٍ وآخر، فلُغَةُ العصر الجاهليّ لا شكَّ أنها تنماز عن لغةَ صدر الإسلام والعصر الأمويّ، بسبب دخول النّاس في الإسلام، وما تبع ذلك من التزامهم بنهجه ومبادئه وقيمه وأهدافه، ولسنا في هذا المقام نَنْسى قول الأصمعيّ:" الشِّعر نَكِدٌ بابه الشَّر، فإذا دخل في الخير ضعف، هذا حسّان فحلٌ من فحول الجاهليّة، فلمّا جاء الإسلام سَقَط شعره"(٢).

ويقول ابنُ سلَّام الجُمَحِيُّ، عن عُمر بن الخطَّاب ﷺ:" كانَ الشِّعرُ علمَ قَومٍ لم يكُنْ لهم عِلمٌ أصَحُّ منه فَجَاء الإسلامُ، فتَشَاغَلتْ عنهُ العربُ، وتَشَاغَلوا بالجهاد وغَزْوِ فارسٍ والرُّوم، ولَهَت عنِ الشِّعر وروايتِه، فلمَّا كَثر الإسلامُ، وجَاءتِ الفُتُوح، واطْمأنَّت العربُ بالأمصَار رَاجعوا روايةَ الشِّعر"(٣).

وأبناء بكر بن وائلٍ ليسوا بمعزل عن تلك التَّطوّرات ، ومَن يقرأ شعرهم الإسلاميَّ يلحظ الفرق الشَّاسع بينه وبين شعرهم الجاهليّ لفظاً ومعنًى وصوراً وخيالاً، إلى جهة غرابة كثيرٍ من لفظهم الجاهليّ، ووعورته، ولا سيَّما شعر الأعشى.

وأمَّا ما يُمْكن أن نسجِّله على شعر بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأمويّ فهو التَّفاوت بين ألفاظهم قُوَّةً وضعفاً، وصُعوبةً وسُهولةً، ووضوحاً في كثير من الأحيان وغرابةً في مناسبات قليلةٍ، وقد خضع هذا التَّفاوت إلى طبيعة المناسبة والموضوع المطروق، وجوِّ الشّعر العام.

فمن الشِّعر البكريّ ما هو أقرب إلى النَّظم والسَّرد القَصصيّ، ولا سيَّما ذاك الشِّعر المرافق للدّعوة الإسلاميّة، والنَّاطق بأهداف الإسلام وقيمه، كقول أبي عِلاقةَ التَّيْمِيّ في صِفِّين:

مَعَـــاذَ إِلهِـــي أَنْ تَكُـــونَ مَنِيَّتِـــي كَـما مَـاتَ في سُـوْقِ الـبَرَاذِيْنِ أَرْبَـدُ(٤)

وكقول المرأة من بَني حَنيفة في هِجاء مُسَيْلمة الكَذَّاب، الَّذي جَرَّ على قومها السَّخط، والغَضب، وكادت أفعالُه فيهم أن تُفني العشيرة، فانطلق لسان تلك المرأة تُعبِّر من غير تنميقِ ألفاظٍ، ولا ترتيبِ فِكْر

(١) الحيوان: ٤/٣٨٠.

(٢) الشِّعر والشُّعراء: ١/٢٩٦.

(٣) طبقات فحول الشُّعراء: ١/٢٤.

(٤) وقعة صفِّين: ١/٩٥.

عن فداحة ما جرَّه مُسيلمةُ عليها وعلى قومها، فقالت:

مُسَـــــيْلِمُ لم يَبْـــــقَ إلا النِّسَـــــاءُ ... سَـــــبَايَا لِـــــذِي الخُـــــفِّ و الحَـــــافِرِ
و طِفْـــــلٌ تُرَشِّـــــحُهُ أُمُّـــــهُ ... صَـــــغِيْرٌ مَتَـــــى يُـــــدْعَ يَسْـــــتَأْخِرُ
فَأَمَّـــــا الرِّجَـــــالُ فَـــــأَوْرَدْتَهُمْ ... حَـــــوَادِثَ مِـــــنْ دَهْرِنَـــــا الغَـــــابِرِ[1]

ومثل ذلك يُقال في شِعْر ثَعْلبة بن عُمَيْرٍ الحَنَفيّ، وقد لامته زوجُه على إسرافه في المال، وإنفاقه بعضه دون وجه حقٍّ، فعاتبها عِتاب العَاذلين، بألفاظٍ سهلةٍ، بسيطةٍ لا تَعقيدَ فيها، ولا وعورة، ذلك أنَّ المُقام لا يَسْتدعي غير ذلك من الشَّاعر، فقال:

وعَاذِلَـــــةٍ تَلُـــــومُ فَلَـــــمْ أُطِعْهَـــــا ... قَـــــدِيْماً مَـــــا عَصَـــــيْتُ العَاذِلِيْنَـــــا
ألا مَـــــالِي ومَـــــا أَهْلَكْـــــتُ مِنْـــــهُ ... لَـــــئِنْ أُبْقِـــــي لأيِّ الوَارِثِيْنَـــــا
أَلِلْمُحْتَـــــالِ حِـــــيْنَ أَمُـــــوْتُ، بَعْـــــدِي ... بِجَمْـــــعِ المَـــــالِ أَمْ لِلْمُنْشِـــــدِيْنَا
أَرَى المَضْـــــعُوْفَ والمُحْتَـــــالَ كُـــــلًّا ... يَعِـــــيْشُ بِـــــرِزْقِ رَبِّ العَالَمِينَـــــا[2]

فهو يُبيِّن لها سَبب لومها له، وأنَّه صاحبُ المال والأحقُّ به وبإنفاقه كيفما أراد، وأنَّ المال سبيله الإنفاق، طالما أنَّ الغنيَّ والفقير يَعِيْشان في كَنَف الله، وهو الرَّازق لا غير.

ونحو ذلك من سُهولة اللَّفظ، ووضوح المعنى قول ثُمَامةَ بنِ أُثالٍ الحَنَفِيّ مُجِيْباً داعيَ الحقّ إلى قتال أهل البَحْرين، ونُصْرة دين الله في وجه المرتدِّين، فجاءت هذه المعاني مُغلَّفةً في ثوبٍ من الألفاظ السَّلِسة، السَّهلة الواضحة، الَّتي يفهَمها الحَضريّ والبدويّ، العربيّ والعَجَميّ، فقال:

لَعَمْـــرُ أَبِيْـــكَ والأَنْبَـــاءُ تَنْمِـــي ... لَـــنِعْمَ الأَمْـــرُ صَـــارَ لَـــهُ العَـــلاءُ
ونِعْـــمَ الأَمْـــرُ يَـــدْعُونا إِلَيْـــهِ ... ودَاعِـــي اللهِ لَـــيْسَ لَـــهُ خَفَـــاءُ
دَعَـــا لِقِتَـــالِ مَـــنْ لا شَـــكَّ فِيْـــهِ ... وذَرْي الـــدِّيْنِ والـــدُّنْيَا بَقَـــاءُ
فَلَـــنْ أُثْنِـــي الأَعِنَّـــةَ عَـــنْ دُعَـــاهُ ... وعِنْـــدَ اللهِ في ذَاكَ الجَـــزَاءُ[3]

(١) الدِّيوان: ق٦١.
(٢) الدِّيوان: ق١٢.
(٣) الدِّيوان: ق١٤.

فألفاظ مثل (داعي الله، الدِّين، الدُّنيا، دعاه، الله، الجزاء) تدخل في نَفَس الإسلام، وتدعو إلى مجابهة المشركين والكُفَّار، فكان من الطَّبيعيّ أن تجنحَ نحو الوضوح والسُّهولة، وتَبتعدَ عن الإعْسَار في اللفظ والمعنى نحو اليُسْر، يُسرَ الدِّين ووضوحَ مفاهيمه.

ولعلّ أسلوب ثُمامة ذاك قد اعتنقه بعد إسلامه، وقد كان مُشركاً، يناصب الرَّسول والمسلمين العَداء، فلمَّا أشرق قلبه بنور الإسلام، أشرق لفظه خدمةً لمعانيه، فقال، وقد أنكر على مُسيلمة غَيَّه، ودعواه الباطلة:

دَعَانَا إلى تَرْكِ الدِّيَانَةِ والهُدى ... مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ إذْ جَاءَ يَسْجَعُ

فَيَا عَجَباً مِنْ مَعْشَرٍ قَدْ تَتَابَعُوا ... لَهُ في سَبِيْلِ الغَيِّ والغَيُّ أَشْنَعُ[1]

ومثله أيضاً، وقد وَقَفَ في قَوْمِه خَطِيْباً، يُذكِّرُهُم أَمْرَ النَّبِي ﷺ ورِسَالَتَه، ثُمَّ قَالَ مُخَاطِباً مُسَيْلِمَة الّذي ادَّعى الشِّرْكَة في النُّبُوَّة:

مُسَيْلِمَةُ ارْجِعْ ، وَلَا تَمْحِكِ ... فَإِنَّكَ فِي الْأَمْرِ لَمْ تُشْرَكِ

كَذَبَتْ عَلَى اللهِّ فِي وَحْيِهِ ... وَكَانَ هَوَاكَ هَوَى الْأَنْوَكِ

وَمَنَّاكَ قَوْمُكَ أَنْ يَمْنَعُوكَ ... وَإِنْ يَأْتِهِمْ خَالِدٌ تُتْرَكِ[2]

فطبيعة الموضوع تُلجئ صاحبه إلى اختيار اللَّفظ المناسب لموضوعه، ومِن ثَمَّ فإنَّ هذا اللَّفظ لا بُدَّ أن يُلائم المعنى، حتَّى لا يحدث بينهما تنافرٌ يقود إلى استهجان الشِّعر، وابتعاده عن جوِّ الفنّ والأدب، فمثلاً هذا رجلٌ من بَني حَنِيفة، أَخَذَتْه العِزَّةُ، وداخَلَتْه النَّخوةُ، ودغْدَغه الشَّرف حين عَتِب الخليفةُ أبو بكرٍ ﷺ على خالدٍ في أمرِ زواجه من ابنةِ مُجَّاعة الحَنَفيّ، فقال الحَنَفيّ أبياتاً في جاه بني حَنِيْفة وشرفهم، وعلوّ رتبتهم ومكانتهم بين الأمم بأسلوب واضحٍ، قويّ، ابتعد فيه عن الإغراق في وعورة اللّفظ، وتَجنَّبَ حُوشيه:

إنَّا وإنْ كَانَتْ قُرَيْشٌ أَئِمَّةً ... عَلَيْنَا وفِيْهِمْ نَخْوَةُ العِزِّ والشَّرَفْ

فَلَسْنَا نَرَى صِهْرَ المُغِيْرِيِّ خَالِدٍ ... لُمَجَّاعَةَ الحَامِي الدِّيَارِ مِنَ السَّرَفْ

لَهُ شَرَفٌ في حَيِّ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ ... إلى خَلَفٍ مَا مِثْلُهُ فِيْهِ مِنْ خَلَفْ

عَلَى أَنَّ سَيْفَ اللهِ عِزَّةُ قَوْمِهِ ... بَرِيءٌ مِنَ الأَمْرِ المُقَرَّبِ لِلتَّلَفْ

(١) الدِّيوان: ق١٦.

(٢) الدِّيوان: ق١٧.

ولَكِـــنَّ مُجَّـــاعَ اليَمامَـــةِ سَـــيِّدٌ ... خِضَـــمٌ فَـــما شَـــا أَنْكَـــرَ اليَـــوْمَ أَو عَـــرَفْ
وقَـــدْ نَفَـــرَ الصِّـــدِّيْقُ لِلصِّـــهْرِ نَخْـــوَةً ... تَـــوَخّى لَهَـــا مِـــنْ خَالِـــدٍ بَعْـــضَ مَـــا سَـــلَفْ
فَـــما كَـــرِهَ الصِّـــدِّيْقُ مِنْـــهُ كَرِيْهَـــةً ... ومَـــا سَـــخَفَ الصِّـــدِّيْقُ مِـــنْ أَمْـــرِهِ سَـــخَفْ[1]

ونحو ذلك قول عَمْرو بن سَمُرَة الحَنَفيّ في بداية أمر مُسيلمة، يُدافع عن كُفْره، وكُفر قبيلته، ويُنافح عن نبيِّه المزعوم؛ مُسيلمة الكذّاب، فاشتملت أبياته على ألفاظٍ سهلةٍ، جُلّها أسماء قبائل عربيّة، وطغى على معانيه جوٌّ من الحِقْد والحَنق على مَن رماهم بالكفر وتناسوا غيرهم، قبل أن يَعرفوا تعاليمه، وما يدعو إليه، وقد دانوا في البداية بما دان كَذّابُهم، حين ادَّعى النُّبوّة، فقال:

رَمَتْنَـــــا القَبَائِـــــلُ بـــــالمُنْكَرَاتِ ... ومَـــا نَحْـــنُ إلَّاكَمَـــنْ قَـــدْ جَحَـــدْ
ولَسْـــــنَا بِـــــأَكْفَرَ مِـــــنْ عَـــــامِرٍ ... ولا غَطَفَـــــانَ ولا مِـــــنْ أَسَـــــدْ
ولا مِـــــنْ سُـــــلَيْمٍ وسَـــــادَاتِها ... ولا مِـــــنْ تَمِـــــيْمٍ وأَهْـــــلِ الجَنَـــــدْ
ولا ذِي الخِـــــمَارِ ولا قَوْمِـــــهِ ... ولا الأَشْـــعَثَ اليَـــوم لَـــوْلا النَّكَـــدْ
ولا مِـــــنْ عَـــــرَانِيْنَ مِـــــنْ وَائِـــــلٍ ... تَسُـــــوْقُ المُحَـــــرِّقَ سَـــــوْقَ النَّقَـــــدْ
وكُنَّـــــا أُنَاســـــاً عَـــــلى شُـــــبْهَةٍ ... نَـــرَى الغَـــيَّ لا شَـــكَّ مِثْـــلَ االرَّشَـــدْ
نَـــــدِيْنُ بِـــــما دَانَ كَـــــذَّابُنا ... فَيَـــــا لَيْـــــتَ والِـــــدَهُ لم يَلِـــــدْ
تَمَنَّـــــى النُّبُـــــوَّةَ في شِرْكِـــــهِ ... ومَـــا قَالَهَـــا قَبْلَـــهُ مِـــنْ أَحَـــدْ[2]

هو أسلوبٌ شِعْري، أقرب إلى النَّثر منه إلى الشِّعر، والمعاني الّتي يكتنفها اللّفظُ فِطريَّةٌ، يشترك فيها الجميع، كالأخبار الّتي يتَنَاقلها النّاسُ بين بعضهم، وأوصافِ المشاهدات، وبَثِّ ما في النُّفوس من مشاعر وأحاسيس، وهو أسلوبٌ يميل إليه بنو حَنِيْفة دون غيرهم من البَكْريّين، وسبب ذلك طبيعة أرضهم، وتأثُّرهم بمناخ اليَمامة، فلانت ألفاظُهم، ورقَّت. ومعلومٌ أنَّ قرائحَ البدويّين تجودُ بما لا تجود به قرائحُ الحَضَريّين. وهو أمرٌ يَتَّضح في جُلِّ شعر الحَنَفيّين، ومنهم مُسيلمةُ أيضاً في شعره الّذي قاله في سَجاح، وقد زُفَّت إليه، وله من شعرٍ قوله:

أَنَـــــا رَسُـــــوْلٌ وارْتَضَـــــانِي الخَـــــالِقُ

(١) الدِّيوان: ق٦٣.

(٢) الدِّيوان: ق٢٥.

القَـــــــــابِضُ البَاسِـــــــــطُ ذَاكَ الـــــــــرَّازِقُ
يَـــــا بـــــنَ الوَلِيْـــــدِ أَنْـــــتَ عِنْـــــدِي فَاسِـــــقُ
وكَـــــــــــــافِرٌ بِرَبِّـــــــــــــهِ مُنَـــــــــــــافِقُ (١)

وشعر مُجَّاعةَ الحَنَفيُّ مثالٌ آخر على بساطة اللَّفظ، وسُهولة جَريه على اللِّسان، ولا سيّما حديثَ النَّفْس، وعَدم الرَّهبة من الموت، حتّى لكأنَّه وثيقةٌ مُرسلةٌ، أو رسالةٌ مُغَلغلةٌ، يكشف فيها ثَباته وقومه على دين الله، ويُعرِّض بخالد بن الوليد قُبيل الصُّلح الّذي أبرمه معه، فيقول:

عِنْـــدَنَا اليَـــوْمَ فِي مُسَـــيْلِمَةَ الـــرَّ ... دُّ لِتِلْـــكَ الفِـــرَى وطُـــوْلُ العِتَـــابِ
لَمْ نَـــدَعْ مِلَّـــةَ النَّبِـــيِّ ولا نَحْـــ ... ـــنُ رَجَعْنَـــا عَـــلى الأَعْقَـــابِ
إنْ يَكُـــنْ خَالِـــدٌ يُرِيْـــدُ دَمِـــي اليَـــوْ ... مَ فَـــما إنْ أَرَادَهُ بِصَـــوَابِ
ولَسَـــفْكُ الـــدِّما أَخَـــفُّ عَلَيْـــهِ ... يَـــا لَـــكَ الخَـــيرُ مِـــنْ طَنِـــيْنِ الـــذُّبَابِ
قُلْـــتُ لِلْـــنَفْسِ إنْ تَعَاظَمَـــكِ المـــوْ ... تُ فَعُـــدِّي مَـــنْ مَـــاتَ مِـــنْ أَصْـــحَابِي
مِـــنْ عَـــدِيٍّ وعَـــامِرٍ ومَنَـــاةٍ ... وبَنِـــي الـــدُّوْلِ تِلْكُـــمُ أَحْبَـــابِي
ولَنَـــا أُسْـــوَةٌ بِمَـــنْ أَكَـــلَ الدَّهـــ ... ـــرُ ولَـــيْسَ الـــرُّؤوسُ كالأَذْنَـــابِ (٢)

وليس شِعْرُ مُحكَّم بن الطُّفَيْل ببعيدٍ عن شِعْر قومه الحَنَفِيّين، فهو مثلاً حين بلغهُ مَسيْرُ خالدِ بن الوليد إلى اليمامة، رَغِب في أن يُكَذِّبَ هذا الخبرُ الّذي جاءه عن الرُّكبان، وهمَّ أن يرجع عن رِدَّته إلى الإسلام، لكنَّه ما لبث أن توعَّد المسلمين بالقتل، فقال في رسالةٍ بعثها إلى نَفْسِه الحزينة، وبَثَّها أرقه وهمومه، بأسلوبٍ شَفَهيّ ارتجاليٍّ، أبعدَ ما يكون عن تَنْميق الكلمات، وتزيينِ الألفاظ، فقال:

أَرَى الرُّكْبَـــانَ تُخْـــبِرُ مَـــا كَرِهْنَـــا ... أَكُـــلُّ الرَّكْـــبِ يَكْـــذِبُ مَـــا يَقُـــوْلُ
أَلا لا لَـــيْسَ كُلُّهُـــمُ كَـــذُوباً ... و قَـــدْ كَـــذَبُوا و كِـــذْبُهُمُ قَلِيْـــلُ
و قَـــدْ صَـــدَقُوا لَهُـــمْ مِنَّـــا و مِـــنْهُمْ ... لَنَـــا إنْ حَـــارَبُوا يَـــوْمٌ طَوِيْـــلُ
فَقُـــلْ لابْـــنَ الوَلِيْـــدِ و لِلْمَنَايَـــا ... عَـــلَى الَّسَّـــراءِ و[الضَّـــرَّاءِ] (٣) دَلِيْـــلُ

(١) الدِّيوان: ق٣٦.
(٢) الدِّيوان: ق٢٦.
(٣) كذا الأصل، وصوابه (الضّرّا) بتخفيف الهمز إقامةً للوزن الشِّعري.

أَيَقْطَعُ بَيْنَنَا حَبْلاً وِصَالاً فَلَيْسَ إلَيْهِما أَبَداً سَبِيْلُ[1]

إلى جانب ما يُمكن أن يُقال في هذا الشّعر، وقد ظهرت من خلاله شَخصيّة مُحكّم المضطربة، الّتي تميل إلى تصديق دعوة الإسلام، وتكذيبِ نفسه المرتدّة عن الدّين، فاستعمل لفظ (يكذب، كذوباً، كذبوا، كذبهم).

واستعمل المتناقضات كثيراً(كلّهم/ قليل، كذبوا/ صدقوا، السَّرَّاء/ الضَّرَّاء) وهي بمجملها ألفاظٌ شائعةٌ، مفهومة.

وليس في وسعنا أن نقول في قولِ رجلٍ من شَيْبان في العصر الأمويّ، إلّا أنّه يكتب خاطِرةً من خواطِره، أو يَعُدُّ أسماء الأشخاص الَّذين مرّوا في حياته، ويَسْتذكر فَضلهم وما أنجزوه، ولا يُمكننا أن نَعُدَّه شِعْراً بحال، وهو قوله مُعَدِّداً فُحَول شَيْبان على باب مُعاوية بن أبي سُفيان:

أَعُدُّ إذا عَدَدْتُ أَبَا خُفَافٍ وعِمْرَانَ بنَ مُرَّةَ والأَصَمَّا
وهَانِئاً الَّذِي حُدِّثْتَ عَنْهُ وكَانَ قَبَيْصَةُ الأَنِفَ الأَشَمَّا
ومَفْرُوْقاً وذا النَّجَدَاتِ عَوْفاً وبِسْطَاماً ووالِدَهُ الخِضَمَّا
وأَسْوَدَ كَانَ خَيْرَ بَنِي شَرِيْكٍ ولم يَكُ قَرْنُهُ كَبْشاً أَجَمَّا
أُولَئِكَ مِنْ عُكَابَةَ خَيْرِ بَكْرٍ وأَكْرَمَ مَنْ يَلِيْكَ أَباً وأُمَّا
وأَفْضَلَ مَنْ يَنُصُّ إلى المعَالي إذا مَا حَصَّلُوا خَالاً وعَمَّا
وأَكْثَرَ قَوْمِهِمْ بالشَّرِّ طَوْفاً وأَبْعَدَ قَوْمِهِمْ في الخَيْرِ هَمَّا[2]

فهذا الشِّعر هو رسالةٌ نثريَّةٌ منها إلى الشِّعر، وهو لا يحتاج إلى تَفْسير أو توضيح، فألفاظه سَهْلة واضحة، ولا سيّما أنَّه استغرق قولَه في تَعداد الأسماء، وتِبيان المكارم، وفضائل الأخلاق.

على أنَّ من الشِّعْر ما يَخْلُب معناه للطافة الكلام، ويَحْسُن لفظُه ويُسْتَعْذب، ويَروق للأسماع، مثل قول حَمْزة ابن بِيْضٍ الحَنَفيّ:

تَقُوْلُ لِي والعُيُوْنُ هَاجِعةٌ أَقِمْ عَلَيْنَا يَوْماً فَلَمْ أَقِمِ
أيَّ الوجُوهَ انْتَجَعْتَ قُلْتَ لَهَا لا أيَّ وَجْهٍ إلَّا إلى الحَكَمِ

(١) الدِّيوان: ق٣٣.

(٢) الدِّيوان: ق٢٠٠.

مَتَـــى يَقُـــلْ حَاجِبـــاً سُرَادِقِـــهِ هَـــذا ابـــنُ بِـــيْضٍ بالبَـــابِ يَبْتَسِـــمِ
قَـــدْ كُنـــتُ أسْـــلمتُ فِيْـــكِ مُقْتَـــبلاً فَهَـــاتِ إذ حَـــلَّ أعْطِنـــي سَـــلَمِي[1]

وقد اسْتَملح ابن طَباطبا العلويّ هذه الأبيات، واختارها ضمن الأبيات الّتي تخلُب معانيها لِلطَافة الكلام فيها[2].

وعلى الطَّرف النَّقيض نجد من أشعار بَكْرِ بن وائلٍ في صدر الإسلام ما يَنحو نَحو الشِّعر الجاهليّ في جَسَاوة بعض لفظه، وتمام معناه المأخوذ من مشاهدات الصَّحراء، فحين نقف مثلاً على بَيْتي حُبَيْبَة بنت عَتيق تَبكي قومها، وقد أفناهمُ الطَّاعون، نُحسّ أنَّنا أمام شاعرةٍ جاهليَّة، حين تُشبِّه الحربَ الطَّحونَ بالنَّاقة الملقَّحة، ثُمَّ تُعرِّج على رؤوس الجبال، وقد تحصَّنت بها الأَرْوى، مُشَبِّهةً شُموخ قومها ورفعتهم بها، فتقول:

إذا الحَـــرْبُ شُـــبَّتْ بَـــيْنَ حَيَّـــيْنِ نَارُهـــا وطَـــارَتْ لِقَاحـــا بَعْـــدَ طُـــوْلِ حِيَالِهـــا
فإنَّـــا حِجَـــارٌ في المُلَـــمَّاتِ مَعْقِـــلٌ كَـــما يَعْقِـــلُ الأرْوَى رُؤُوسُ جِبالِهـــا[3]

وكأنَّها تستعيدُ قول زُهير بن أبي سُلمى:

فَتَعْـــرُكُكُمْ عَـــرْكَ الرَّحـــى بِثِفَالِهـــا وتَلْقَـــحْ كِشَـــافاً ثُـــمَّ تُنْـــتَجْ فَتُتْـــئِمِ[4]

وتابعَ البَعِيْثُ الحَنَفيُّ حُبَيْبَةَ في ألفاظها ومعانيها، فراح يَشْرح لنا قصَّة تكبُّدّه مشقَّة الرِّحلة في الهاجرة، وقد أعانته على تجاوز مخاطر الصَّحراء، وتحمُّلِ أعباء الطَّريق ناقةٌ أشبه بالبعير، قوَّةً وكرماً، فهي من نَجَائب الإبل، جَريئةُ القلب، سريعةُ الخَطو، من أصلٍ كريم، وقد خُلقت مَرُوضةً مؤدَّبةً، يقول:

وهَـــاجِرَةٍ تَشْـــوِي مَهَاهَـــا سَـــمُوْمُها طَبَخْـــتُ بِهَـــا عَيْرانَـــةً واشْـــتَوَيْتُها
مُفَرَّجَـــــةً مَنْفُوجَـــــةً حَضْـــــرَمِيَّةً مُسَـــــانَدَةً سِرَّ المَهَـــــارى انْتَقَيْتُهـــــا
فَطِرْتُ بِها شَجْعَـــاءَ قَرْواءَ جُـــــرْشُـــعاً إذا عُـــــدَّ مَجْـــدُ العِيْسِ قُـــدِّمَ بَيْتُـــهَـــا
وجَدْتُ أَبَـــاها رَائِضَيْـــها وأُمَّـــهَـــا فَأَعْطَيْتُ فِيْها الحُـــكْمَ حَتَّى حَوَيْتُـــها[5]

فألفاظٌ من مثل (طبختُ، عَيرانة، منفُوجة، سر المهارى، شَجعاء، قرواء.....) مع ما تحمله من معانٍ،

(١) حمزة بن بيضٍ الحنفيّ (حياته وشعره): ١٩٨.
(٢) انظر عِيار الشّعر: ٩٠.
(٣) الدِّيوان: ق٤.
(٤) شرح القصائد السَّبع الطِّوال الجاهليّات: ٢٦٨.
(٥) الدِّيوان: ق٩.

تحتاج من القارئ إلى طرق باب مُعْجَمٍ في اللُّغة يرومُ تِبيانَ تلك الألفاظ والمعاني، وتَفسيرَ ما استَغْلق منها، ذلك أنَّ طبيعة الموضوع المطروق تقودُ الشَّاعر إلى طَرق باب الإغراب، على حين أنَّ هذا الشَّاعر حين وقف أمام باب الغَزل يطلب الولوجَ فيه، التمس لقولِه في أمِّ السَّلْسَبيل أرقَّ الألفاظ، واستجلب أعذبَ المعاني، وركبَ لتسهيل مهمَّته أيسرَ الطُّرق، فلم يجنحْ نحو الغَريب، بل ساقه طبعُ النَّسيب إليه دونما شعورٍ منه، يقول البَعيث:

خَيَـــالٌ لأُمِّ السَّلْسَـــبِيْلِ ودُوْنَهـــا ... مَسِـــيْرَةُ شَـــهْرٍ للبَرِيْـــدِ المُذَبْـــذَبِ
فَقُلْـــتُ لَهَـــا أَهْـــلاً وسَـــهْلاً ومَرْحَبـــاً ... فَـــرَدَّتْ بِتَأهِيْـــلٍ وسَـــهْلٍ ومَرْحَـــب
مَعَـــاذ الإلَـــهِ أَنْ تَكُـــوْنَ كَظَبْيَـــةٍ ... ولا دُمْيَـــةٍ ولا عَقِيْلَـــةِ رَبْـــرَبِ
ولَكِنَّهَـــا زَادَتْ عَـــلى الحُسْـــنِ كُلِّـــهِ ... كَـــمَالاً ومِـــنْ طِيْـــبٍ عَـــلى كُـــلِّ طِيِّـــبِ
وإنَّ مَسِـــيْرِي في الـــبِلادِ ومَنْـــزِلِي ... لَبِـــالمنزِلِ الأقْصَـــى إذا لم أُقَـــرَّبِ[1]

وكأنَّ البَعِيْث حين يَجنح في النَّسيب هذا النَّحو، وكان في مكان آخرَ قد أغرقَ في وعورةِ اللَّفظ، يَسْبق ما ذهب إليه قُدامة بن جَعْفر في النَّسيب، حين يقول فيه:"يجب أن يكون النَّسيبُ الَّذي يتمُّ به الغرضُ هو ما كَثرت فيه الأدلَّةُ على التَّهالك في الصَّبابة، وتظاهرت فيه الشَّواهدُ على إفراط الوجد واللَّوعة، وما كان فيه من التَّصابي والرِّقَّة أكثر ما يكون فيه من الخَشن والجلادة ...."[2].

وليس هذا ما يُقال في الغزل والنَّسيب فحسب، بل يَسْري على كُلّ أغراض الشِّعر، وهو يُماشي قُدرة الشَّاعر الفَنِّيَّة أيضاً، فهذا الحُضين حين أراد أن يَصف أحدهم، وقد قُتِل، التمس لوصفه كلمات غريبةٍ، ومنها لفظٌ فارسيّ هو (دَيْزج) بمعنى الأسْود، وهو إنَّما أراد أن يقول: إنَّ جبينه مُجعَّد، كأنّه قِرطاسٌ مكتوب، فقال:

عَشِـــيَّةَ جِئْنَـــا بـــابْنِ زَحْـــرٍ وجِئْـــتُمُ ... بـــأدغم مَرْقُـــوْمِ الـــذِّرَاعَيْنِ دَيْـــزَجِ
أَصَـــمَّ غُـــدَانيٍّ كَـــأَنَّ جَبِيْنَـــهُ ... لُطَاخَـــةُ نِقْـــسٍ في أَدِيْـــمٍ مُمَجْمَـــجِ[3]

فجاء بألفاظ (أدغم، ديزج، عُدانيّ، لطاخة نِقسٍ، ممجمج) لتعبّر عن معنى واحدٍ، مُتقاربٍ.

وفي الهِجاء يُمكن للشَّاعر أن يَستعير من قاموس الغُموض إذا أراد أن يكون هِجاؤه قويّاً، كقول عِصَامٍ بن

(١) الدِّيوان: ق٨.
(٢) نقد الشِّعر: ١٣٤.
(٣) الدِّيوان: ق١٠٦.

عُبَيدٍ الزِّمَّانيّ في هِجاء يَحيى بن أبي حَفْصة، حين شَبَّهه رأسه الأقرعَ بعَسِيْب النَّخْل إذا نُحِّيَ عنه خُوصه، وأمَّا أنيابه فَعُصْلٌ؛ أي مِعْوجَّة، وشبّهه بالحيَّة الّتي تتلوَّى في مشيها كما يتلوَّى السَّيْل إذا لاقى الحَيْدَ. وقد بِيْعَت عنده بوَكْسٍ، أي ثمنٍ قليل، فقال:

إنِّي ويَحْيَـى ومَـا يَبْغِـي كَمُلْـتَمِسٍ ... صَـيْداً ومـا نَـالَ منـه الـرِّيَّ والشِّـبَعا
أَهْـوَى إلى بَـابِ جُحْـرٍ في مُقَدَّمِـهِ ... مِثْـلُ الْعَسِـيْبِ تَـرَى في رَأْسِـهِ قَرَعـا
اللَّـوْنُ أَرْبَـدُ والأَنْيَـابُ شَـائِكَةٌ ... عُصْـلٌ تَـرَى السُّـمَّ يَجْـرِي بَيْنَهـا قِطَعَـا
يَهْـوي إلى الصَّـوْتِ والظَّلْـمَاءُ دَاجِيّـةٌ ... تَنَـوَّر السّـيْلِ لاقـى الحَيْـدَ فاطَّلَعَـا
لـو نَـالَ كفَّـكَ آبَـتْ مِنْـك مُخْضَـبةً ... بَيْضَـاءُ قَـدْ جَلَّلَـتْ آباءَهَـا قَـذَعَا
بِيعَـتْ بـوَكْسٍ قليـلٍ واسْـتَقَلَّ بِهـا ... مِـنَ الهُـزَالِ أَبُوْهَـا بَعْـدَ مَـا رَكَعَـا(١)

وما أقرب قول عَمْرو بن جابرٍ الحنفيّ من شِعر الجاهليّة، وهو يُحدِّثنا عن لقائه عدوّاً صلباً، قويِّاً، يَتنازعان الضَّرْب والطِّعان، وهما متماثلان في القوّة والهدف، يقول:

أُكاشِـحُ أَقوامـاً عـلى سِرِّ بِغْضَـةٍ ... وأَضْـحَكُ في وجـه العـدوِّ المُكـاشِرِ
أُرِيْـهُ كَـذَاكُمْ مـا يُرِيْنِـي وأَبْتَغِـي ... بِـهِ في غَـدٍ خَـوْفَ الجُـدُوْدِ العَـوَاثِرِ
ثَنَـى ضِـلَعاً مِـنْ جَنْبِـهِ وثَنَيْتُهـا ... عَـلَى مِثْلِهـا مِـنْ عَـائِفِ الطَّـيْرِ زَاجِـرِ
كِلانَـا يَـرَى أَنْ لَـيْسَ في الصَّـدْرِ رِيْبَـةٌ ... عـلى حَنَـقٍ بـينَ الشَّرَاسِـيْفِ وَاغِـرِ(٢)

نلحظ أنَّ الكلمات (المكاشر، الجدود، العَواثر، الشَّراسيف) تحتاج إلى مُعجمٍ لُغويّ لتفسيرها، إلى جانب ما يُمكن أن يُقال في العادة الجاهليّة، الّتي نهى عنها الإسلام، وهي زجر الطَّير، والعِيافة.

وحين وصفَ يزيدُ بن جَدْعاء الفرسَ الّذي هَرَب عليها أحدهم، جاء بالألفاظ الجاهليّة ومعانيها، فرأى أنّه فرسٌ مُقلِّصٌ، أجشّ، فإذا ما ضُرِب بالسّوط جرى جرياً سريعاً، وأثار الغبار كأنَّه ذكر النَّعام في سُرعته، يقول:

ونَجَّـاهُ مِـنْ يَـوْمِ الـوَقِيْظِ مُقَلِّـصٌ ... أَجَـشُّ عَـلَى فَـأسِ اللِّجَـامِ أَزُوْمُ

(١) الدِّيوان: ق١٠٠.

(٢) الدِّيوان: ق٨٠.

إذا يُمْـــتَرَى بالسَّـــوْطِ جَـــالَ كَـــأنَّما يُهَـــاجُ بِـــهِ تَحْـــتَ الغُبَـــارِ ظَلِـــيْمُ[1]

ومعنى مُقلِّص: طويل القوائم، منضمّ البطن. والأجشّ الّذي له صوتٌ قويٌّ، يخرج من خَياشيمه بُحَّةً، وهو ممَّا يُحمد في الخيل. وأزوم: شِدَّة العَضّ والقَبْض.

وقد يأتي الإغراب في المعنى من وعورة اللَّفظ، وتنافرِ بعض حروفه، فإذا ما استبانَ معناه ظهر ذلك المعنى جميلاً، واضحاً، تروقه الأسماع، كقول الأَغْلب العِجْليّ:

فَبَصُـــــرَتْ بِنَاشِـــــئٍ فَتِـــــيٍّ غِـــــرٍّ جُنَـــــافيٍّ جَمِيْـــــلِ الـــــزِّيِّ[2]

فالرّجز واضحٌ، لا يُعكِّر صفوه إلّا لفظٌ واحدٌ غريبٌ، وهو (جُنافيّ)، وفي العُباب:" قال شَمِرٌ: رجلٌ جُنافيّ، بالضَّمّ، أي مُختالٌ فيه مَيْلٌ، ولم أسمعه إلَّا في رَجز الأغْلَب العِجْليّ"[3]. وأنشدَ الرَّجز.

ولمّا عرفنا معنى (الجُنافيّ) زال الغُموض، ووجدنا أنَّ معناه لا يخرج عن المعنى العام المُراد، بل يُقوّيه ويدعمه.

ونحو ذلك لفظ (أكْتَع) بمعنى (أجمع)، الّذي ورد في قول أَعْشى رَبيعة:

تَولَّـــــوا بالـــــدَّوَابِرِ واتَّقَوْنـــــا بـــــنُعْمانَ بـــــنِ زُرْعـــــةَ أَكْتَعِيْنـــــا[4]

وعلَّق السُّيوطيّ:" والأوَّلون، قالوا هو ضرورةٌ، وفيه نَظَر، لإمكان الإتيان بدله بلفظ: (أجمع)"[5].

ومن الألفاظ الغَريبة الوَعِرة، قول أبي الأَسْود العِجْليّ:

إنِّي لأَهْـــــوَى القَهْبَلِـــــيْسَ الجَحْمَـــــرِشْ
مِـــــنْهُنَّ حَقَّـــــاً والعَجُـــــوْزَ الهمَّـــــرِشْ
وكُلُّهـــــنَّ أَبْتغـــــي وأحـــــتَرِشْ[6]

فظاهر هذه الألفاظ يوحي أنَّ الشّاعر يَشِيْدُ بحربٍ مُسْتَعرة، أو يصفُ وحشاً كاسراً في الصَّحراء، لما تحمله تلك الألفاظ من وعورة، وتنافرٍ في الحروف، لكنّنا بعد أن نطلبَ معانيها في معاجم اللَّغة نعثر على معنًى

(١) الدِّيوان: ق٥٥.
(٢) العباب الزّاخر: ٧٢. والرّجز ليس في شعراء أمويّون.
(٣) العُباب الزّاخر: ٧٢.
(٤) همع الهوامع: ٣/١٤٠.
(٥) همع الهوامع: ٣/١٤٠.
(٦) الدِّيوان: ق٢٤٦.

بسيطٍ، وهو عِشق أبي الأسود لامرأةٍ عجوزٍ، ضَخمةٍ، ممتلئة الجسم.

ومثله قوله:

لَمَّـــــــــا رَآهُ جَسْـــــــــــــرَباً مِخَنَّـــــــــــا

أَقْصَـــــــرَ عَـــــــنْ حَسْـــــــناءَ وارْثَعَنَّـــــــا[1]

فاستعمل (جَسْرباً، مِخنّا، وارثعنّا)، والجِسْرب: الطّويل والمِخنّ مثلها، ومعنى ارثَعنّا استرخى. ومثل ذلك الكثير في شعر أبي الأسود.

وقد انتقد العَسْكريُّ في الصِّناعتين أبا النَّجم العِجْليّ في لفظه، وعاب عليه غَلَطه في اختيار اللَّفظ المناسب، فقال:" ومن الغَلَط قول أبي النَّجم أيضاً في وصف الفرس، وهو غَلَطٌ في اللَّفظ:

كأنَّهـــــــــا مَيْجَنـــــــــــةُ القَصَّـــــــــــارِ[2]

وإنَّما المَيْجنة لصاحب الأدَمِ، وهي الَّتي يُدّقُّ عليها الأدَمُ من حَجَرٍ وغيرِه"[3].

ولعلّنا في هذا المقام لا بُدّ أن نقول كلمةً تُنصِف البَكْريّين، كما أنصفتْ غيرهم، وهي أنَّ العصر وما يلفُّه من أحداثٍ، وما تجري فيه من وقائع له أكبر التّأثير على لُغةِ الشُّعراء، ووضوح معانيهم وغموضِها، فممّا لا شكَّ فيه أنَّ عصر الإسلام غَيّر في نفوس الشُّعراء، مثلما غيَّر فيهم مُعتقدهم وفكرهم الجاهليّ، وهذا بدوره ينعكس على ما يَنْظمونه، وهل اللِّسانُ إلّا مرآةُ القلب، وسِجِل الفِكْر؟!

وشعراء بَكْر بن وائل، وإن لم يكن لهم النَّصيب الوافر في الإسلام، ولم يكن سَهْمهم أوّل السّهام المُرسلة من جُعْبة الإسلام، يَنماز أسلوبهم عن غيرهم بأنَّه واضحٌ إلى حدٍّ كبير، ولا سيّما الحَنَفيّين منهم، ولغتَهم تخلو من الكَزازة والوعورة، على عَكس لغتهم في الجاهليّة، الّتي تحتاج في كثيرٍ من الأحيان إلى قاموسٍ خاصٍّ بلغتهم، قد لا يَفي المُعْجم اللّغوي بالغرض.

الصُّور البَيَانيَّة:

قال الجاحظ " فإنَّما الشّعرُ صِناعةٌ، وضَربٌ من النَّسج، وجِنسٌ من التَّصوير "[4].

تُعَدُّ الصّورة الشّعريّة عنصراً مهمّاً في بناء القصيدة، إذ تتفاعل الصّورة مع العناصر الأخرى، لتخلق جوّاً من

(١) الدِّيوان: ق٢٥٠.

(٢) ديوانه: ٢٠٥.

(٣) الصّناعتين: ٩٢.

(٤) الحيوان: ١٣٢/٣.

الألفة والمُناسبة يعبّر بها الشّاعر عن مَكنونات نفسه، وتخيّلاته، ويوصل المعنى إلى المتلقّي بأنجع السّبل.

والصُّورةُ جَوهر الشِّعر، فهي " نَقلُ تجربةٍ حِسيَّةٍ أو حالةٍ عاطفيّةٍ من الشَّاعر إلى المتلقِّي، في شكلٍ فنِّيّ تَتَّخِذه الألفاظُ والعِباراتُ بعد أن ينظمها الشَّاعر في سِياقٍ بيانيٍّ خاصٍّ، ليُعبِّرَ به عن جانبٍ من جوانب التَّجربة الشِّعريَّة الكاملة في القصيدة "[1].

ولإيضاح بعض جوانب الغموض الَّذي تَقدَّم لا بُدَّ من الوقوف عند بعض جوانب التَّصوير الفَنِّي في شِعر بكر بنِ وائل، والنَّظر في قدرتها على الإسْهام في إيضاح معانِيْهم، وهذه الجوانب تتمثَّل في التَّشبيه والاستعارة والكِناية.

فأمَّا التَّشبيه فهو في الصَّدارة منها، ويُعدّ عُنْصراً هامّاً من عَناصر التَّشْكيل الشِّعْريّ، فهو يُبرز الصّورة ويُقَرِّبها إلى الأسماع؛ لأنّه يَضع طرفي التّشبيه أمام بعضهما في مواجهة مستمرّة لا يفترقان، فهذا مثل ذاك في الشّبه، ووجه الشّبه يلتقي معهما فيميّزهما ويجمعهما.

وقد فُضّل التّشبيه على الاستعارة عند العَرب لأنَّ التَّشبيه أقرب إلى الأذهان، فالشَّاعر يَسْتقي ألفاظه ومعانيه من البيئة المحيطة، ويَصف ما يرى بعينيه، قال ابن طَباطبا العَلويّ: " اعلم أنَّ العربَ أَوْدعت أَشْعارَها من الأوصاف والتَّشبيهات والحِكَم ما أحاطت بِه مَعرفتها، وأدركه عَيانها، ومرَّت به تجاربها، وهم أهل وبر، صُحُونهم البَوادي، وسُقُوفهم السَّماء، فليست تَعدو أوصافهم ما رأوه منهما وفيهما. . . . . "[2].

فمن التَّشبيه القائم على مُجاراة البيئة، والاستعارة من خُشونتها وطبيعتها القاسية في شِعر بَكْر بن وائل في صدر الإسلام قول حُبَيْبَة بنت عَتيق في قومها، وقد شَبّهت قومها في الحرب الطَّاحنة بالظِّباء الّتي تعلو رؤوسَ الجبال، فتتَّخذُ منها مَعاقل وحُصون لا تُخْترق:

فإنَّـــا حِجَـــارٌ في المُلـــمَّاتِ مَعْقِـــلٌ كَـــما يَعْقِـــلُ الأرْوَى رُؤُوسُ جِبالهـــا[3]

(١) الصّورة في شعر الدّيوانيين، محمّد علي هديّة، ص٤٧، المطبعة الفنيّة، مصر، ١٩٨٤م. .

(٢) عيار الشّعر:١٥.

(٣) الدِّيوان: ق٤.

واستعارَ أيضاً البَعِيْثُ الحَنَفيُّ من البيئةِ المُحيطةِ بها الظَّبيةَ والصُّورةَ المنقُوشةَ وبَقَر الوحش، لكنَّه زاد على حُسنِها جمالاً وحُسناً، فأنِف أن تكون محبوبتَه تُشْبِه هذه المخلوقات، وتلك الأشياءَ، واستعاذَ بالله من ذلك؛ إذ كانت هذه الأشياءُ عنده دونها، وقاصِرةً عن رُتْبتها، في حين أنَّ محبوبَته فوق الجمال والحُسن، فيقول:

مَعَاذ الإلَهِ أَنْ تَكُوْنَ كَظَبْيَةٍ ولا دُمْيَةٍ ولا عَقِيْلَةِ رَبْرَبِ
ولَكِنَّهَا زَادَتْ على الحُسْنِ كُلِّهِ كَمَالاً ومِنْ طِيْبٍ عَلى كُلِّ طِيِّبِ[1]

وشَبَّه حُريثُ بن جَابرٍ مَهْجوَّه؛ أبا القَيَّار بالذِّئب في غَدْرِه بجاره، وعَدم وفائه مع أصحابه، بل هو يَنْتَهز الفُرص للانْقِضاض على صاحبه، فينهشُ لحمه، يقول:

رَأَيْتُ أَبَا القيَّارِ لِلْغَدْرِ آلِفاً وللْجَارِ وابْنِ العَمِّ جَمَّاً غَوَائِلُهُ
وإنَّ أَبَا القَيَّار كالذِّئْبِ إنْ رَأَى بِصَاحِبِهِ يَوْماً دَماً فَهْوَ آكِلُهُ[2]

وما أجمل ما جاء به ثَعْلبة بن عُمَيْرٍ الحَنَفيّ في نَخْلَةٍ سَمَقت، وارتفعت، وطالت شَماريخُها، وقد عانت بردَ الشِّتاء القاسي، ثُمّ دِفئ الصَّيف اللّاذع، حتّى نمتْ الكوافِيرُ مِثل أغمادِ السُّيوف، وبرز ليْفُها كالفارس المتأهّب للمبارزة، وأمّا ثَمرُها الأسود عند القِطاف فهو كمعاصِم الزِّنْج، ليس لوناً فحسب، بل قُوَّةً ومتانةً، يقول:

نَمَتْ مِثْلَ أَغْمادِ السُّيُوْفِ وبَرَّزَتْ عن اللِّيْفِ بالأعْنَاقِ قَبْلَ مَدَى الرَّفْضِ
فَلَمَّا نَضَتْ عَنْهَا الجُفُونَ وشَبَّهتْ شَمارِيْخُهَا الكتَّانَ أُخْلِصَ بالرَّحْضِ
تَرَى ثَمَرَهَا عِنْدَ الصِّرامِ كَأَنَّهُ مَعَاصِمُ زَنْجٍ تَمَّ في غَيْرِ مَا نَقْضِ[3]

وقد أوغل مُجَّاعةُ الحَنَفيّ في التَّشْبيه الجاهليّ حين وصفَ خالدَ بن الوليد في حربه ضدّ مُسَيْلمة الكذّاب بعَتِيْق الطَّيْر، وهو البازي الجارح يُغير على الرَّخَمة، وهو طيرٌ مَعْروف بالغدر واللّؤم، فشبَّه مُسيلمة، وقد حاول الغدر بخالدٍ وبالمسلمين بالرَّخَمة الَّتي ألقى بها البازي جِيْفةً نتِنةً، يقول:

قُلْتُ والأُفْقُ عَلَيْهِ قَتَمَهْ بِئْسَ مَا جَرَّ عَلَيْنَا مَسْلَمَهْ

(١) الدِّيوان: ق٨.
(٢) الدِّيوان: ق١٩.
(٣) الدِّيوان: ق١١.

حَـــاوَلَ القَتْـــلَ فَـــأَلْقَى خَالِـــداً كَعَتِيْـــقِ الطَّـــيْرِ خَـــلَّى رَخَمَـــهْ[1]

وأمّا التَّشبيه بـ (فَقْعة القاع) فهو من المألوف في شِعْر بكرِ بنِ وائل، وفَقْعة القاع أردأ أنواع الكَمأة، وأسرعها فساداً على الرَّغم من لونها الأَبيض، الّذي يغترّ به الجاهل بالكمأة، وقد لاح غيرُ تَشبيه في شعر البكريّين، ومن ذلك قولُ رجلٍ من بَكر بنِ وائل في رِدَّة البحرين، وقد وصلت إلى أسماع البكريّين حُشود المسلمين إلى البحرين:

نَسِـــيْرُ إلى البَحْـــرَيْنِ نَأْكُـــلُ تَمْرَهَـــا ونَرْعَـــى حِمَاهَـــا بالقَنَـــا والقَنَابِـــلِ
ونَعْرُكُهَـــا عَـــرْكَ الأَدِيْـــمِ بِفِتْيَـــةٍ عَـــرَانِيْنَ مِـــنْ أَفْنَـــاءِ بَكْـــرِ بـــنِ وَائِـــلِ
فَتُصْـــبِحُ عَبْـــدُ القَـــيْسِ فِيْهَـــا أَذِلَّـــةً كَفَقْعَـــةِ قَـــاعٍ أو كَشَـــحْمَةِ آكِـــلِ[2]

ومنه قول رَجلٌ مِنْ حَنِيْفة يَردُّ عَلى ثُمامة بنِ أُثَال الحَنَفيّ حِيْن دَعَاهُم إلى القِتَالِ معَ أبي بَكْرٍ ﷺ في رِدَّةِ البَحْرين:

لَيْتَنَـــا لا نَكُـــونُ فَقْعَـــةَ قَـــاعٍ لِغَـــدٍ لا ولا نَكُـــونُ خِزَامَـــهْ[3]

ويُلحَظ في تشابيه بَكر بن وائل تَطلُّعهم إلى الأفق، وكأنَّهم يرتَشفون من السَّماء مظاهرَ العُلوِّ والرِّفعة والسُّمو، فظهر عندهم أكثرُ من تَشبيهٍ بالشَّمس والقمر نوراً وضِياءً ورِفعةً، وتوزّعت التَّشبيهات على شِعرهم في صدر الإسلام والعَصْر الأمويّ، ففي صدر الإسلام رثى رجلٌ من بَني حَنِيْفةَ مُسَيْلمةَ الكَذَّاب، فشَبّه آياته المزعومة بالشَّمس الّتي تطلع من بين الغُيوم، فَتُنير درب السَّائرين بعد ظلام دامس، فيقول:

لَهَفِـــي عَلَيْـــكَ أَبَـــا ثُمَامَـــهْ لَهَفِـــي عَـــلى رُكْنَـــيْ شَـــامَهْ
كَـــمْ آيَـــةٍ لـــكَ فـــيْهِمُ كالشَّـــمْسِ تَطْلُـــعُ مِـــنْ غَمَامَـــهْ[4]

(١) الدِّيوان: ق٢٩.
(٢) الدِّيوان: ق٦٩.
(٣) الدِّيوان: ق٦٦.
(٤) الدِّيوان: ق٦٥.

وفي العصر الأمويّ برز غيرُ تَشْبيه لهم بالشّمس والقمر، أبرزها قول موسى بن جابرٍ الحَنَفيّ في الأَوْعال تأكل بعضِ حَيَّات الجبل، شديدةِ العَداوة والسُّمّ، فشبَّهه سيلان السّمّ من أشداقها بِشُعاع الشَّمس، وقد لاحَ ضوءه وقتَ الغُروب، فهو يتلألأ ويَبْرق:

وتَرَى السُمَّ عَلى أَشْدَاقِهِ كَشُعَاعِ الشَّمْسِ لاحَتْ في طَفَلْ[1]

وأمَّا التَّشبيه بالقمر فهدفه إبرازُ ملاحة وَجهه الأبيض، ولا سيّما البدرَ منه، وتشبيهُ الممدوح به على درب إنارة الطّريق أمام الغافلين، مثل تشبيه عِمْران بن حِطَّان سُنَّة ممدوحه، أي صُورة وجهه، بالهلال الّذي بدا بين صِغار النُّجوم الخَفِيّة، ودخل بين غَيْمٍ رقيق ، وهو المَخْفي المُسْتتر، ، فهو يتلألأ من وراء الحُجب، يقول:

كَأَنَّ ضِيَاءَ سُنَّتِه هِلالٌ بَدا بعدَ الغُمُومِ إلى السِّرَارِ[2]

ولكنّ عُميرَ بن جابرٍ لم يرتقِ بتشبيهه إلى مُستوى القمر والنُّجوم، بل رأى أن يُجالس الأنوار المُشَعْشِعة على الأرض، فاختار المصابيح الّتي تذكو، وتتلألأ بأنوارها، ثُمّ صعد فجأة إلى السّماء، فغاصَ بين كواكِبها الزَّاهرة حين شَبَّه سُيوف بَني حَنِيْفة الهنديَّة في حُجُراتهم بمصابيح يَشْتدُّ ضوءها كُلّما اشتدّ القتال، فلا يَخبو نورُها، أو هي كواكب زاهرة، تُنير طريق المعركة، فتُعينهم على فَلْق الجماجم، والإطاحة بالرُّؤوس، فقال:

كَأَنَّ سُيُوفَ الهنْدِ في حُجُرَاتِهِمْ مَصَابِيْحُ تَذْكُو، أو كَوَاكِبُ تَزْهَرُ
تُفِلِّقُ هَاماً مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ عَلَيْنا وهُمْ فِيْها أَعَقُّ وأَفْجَرُ[3]

وقد كانت لعلماء العَربيّة وقفَات جليلة على كَثيرٍ من الشِّعْر البَكْريّ، ولا سيَّما شِعْر أبي النَّجم العِجْليّ، وخاضوا في تَشابيهه واسْتِعاراته كثيراً، وعَلَّقوا عليها قبولاً أو رفضاً، وبَيَّنوا جمال الصّور وقَبيحَها، وأخذوا عليه بعض الأخطاء في التَّشْبيه والوصف، ومن ذلك ما أخذه العَسْكريُّ؛ صاحبُ الصِّناعتين عليه في قوله يَصِف فَرسَ أبي الأَعْور السُّلَمِيّ:

جَاءَ كَلَمْعِ البَرْقِ، جَاشَ مَاطِرُهْ
يَسْبَحُ أُوْلاهُ، ويَطْفُو آخِرُهْ

(١) الدِّيوان: ق٩٣. الطّفل: الغروب.
(٢) الدِّيوان: ق٣٠٧.
(٣) الدِّيوان: ق٨٢.

فَـــــما يَمَـــــسُّ الأرضَ مِنْـــــهُ حَـــــافِرُهْ[1]

فقال:" وأُخِذ على أبي النَّجم قوله: (يسبَح أولاه، ويَطفو آخره)، أنشَدَه الأصمعيُّ، فقال:" حمارُ الكَسَّاح أسْرعُ من هذا؛ لأنَّ اضطرابَ مآخيره قبيحٌ، وقد أحسن في قوله: (ويطفُو آخره)، وقوله (فما يمسّ الأرض منه حافره) جيِّدٌ[2].

وفي أبيات أبي النَّجم:

إنَّ الأَعَـــادِي لَـــنْ تَنَـــالَ قَـــدِيْمَنا حَتَّـــى تَنَـــالَ كَوَاكِـــبَ الجَـــوْزَاءِ

كَـــمْ في جُـــيْمٍ مِـــنْ أَغَـــرَّ كأَنَّـــهُ صُـــبْحٌ يَشُـــقُّ طَيَـــالسَ الظَّلْـــمَاءِ

ومُجَـــرَّبٍ خَضِـــلِ السِّـــنَانِ إذا التَقَـــى زَحْـــفٌ بِخَـــاطِرَةِ الصُّـــدُوْرِ ظِـــمَاءِ[3]

قال العَسْكريُّ " ومن الشِّعر المتلائم الأجزاءِ، المُتَشابِه الصُّدُور والأعجاز، قول أبي النَّجم...."[4].

ومن مآخذ العَسْكريّ على أبي النَّجم في الوصف القائم على التَّشْبيه، قوله في هِجاء يزيد بن المُهلَّب:

أخْـــــنَسَ في مِثْـــــلِ الكِظَـــــامِ المُخْطَمَـــــهْ

قال:" ومن خطأ الوصف قول أبي النَّجم.... والأخنس: القَصير المشافر، وإنَّما تُوصف المشافر بالسُّبُوطة". أي بالطّول.

وعابَ أيضاً عليه وصْفَه راعِيَ الإبل بصلابةِ العَصا، فقال:" ومن الغَلَطِ قولُ أبي النَّجم:

صُـــــلْبُ العَصـــــا جَـــــافٍ عَـــــنِ التَّغَـــــزُّلِ[5]

يصفُ راعيَ الإبلِ بصَلابة العَصا، وليس بمعروفٍ، .... وإنَّما يُقال: فلانٌ صُلْب العصا على أهله إذا كان شديداً عليهم"[6].

وأخطأ في صِفة الإبل أيضاً، فقال العَسْكريّ:" ولم يُحْسِن أيضاً صفة وُرود الإبل، قال:

(١) ديوانه: ١٩٣.

(٢) الصّناعتين: ٨١.

(٣) ديوانه: ٥٣ – ٥٦.

(٤) الصِّناعتين: ١٤٦.

(٥) ديوانه: ٣٥٩.

(٦) الصّناعتين: ٩٢.

جَـــــــاءَتْ تَسَـــــــامى في الرَّعِيْـــــــلِ الأوَّلِ
والظِّـــــلُّ عَـــــنْ أَخْفَافِهـــــا لم يَفْضُـــــلِ[1]

ذكرَ أنَّها وردتْ في الهاجرة، وهذا خِلاف المعهود، وإنَّما يكون الورود غَلَساً"[2].

الاسْتِعارة:

تقوم الاستعارة على حَذف أحدِ طرفي التَّشبيه، قال الجُرجانيّ:" فالاستعارة، أنْ تُريدَ تَشْبيه الشَّيءِ بالشَّيء، فتدعَ أن تُفْصِح بالتَّشْبيه وتظهرَه، وتجيءَ إلى اسم المشبَّه، فتعيرَه المشبَّه وتُجرَيه عليه "[3].

وهذا التَّعريف هو المفهوم الضَّيّق القاعِديّ للاستعارة، وأمّا جمال الاستعارة فمكانه الذَّوق الأدبيُّ، إذ ماؤه مَلاحة المعنى، وقُربه من الخيال؛ لأنّها تحتاج إلى صَفاء الذِّهن، وشَحْذِ الفِكْر، ولهذه الأسباب فُضِّلت على التَّشبيه، وانتشرت أكثر ما انتشرت في الإسلام، ذلك أنَّه فتح للنَّاس أبواباً من التَّصوّر والخيال لم تُهيَّأ لهم في الجاهليَّة، فمالتِ الصُّورُ إلى شَيءٍ من العُمق الفكريّ، والإيحاء الرّمزيّ، ولا سيّما عند شعراء المدينة، الّذين كان تأثير الإسلام فيها أقوى، وأوقع في النّفس.

وهذا التَّدرُّج في تطوّر الاستعارة، ومدى انتشارها نلمحه في شِعْر بَني بكر بن وائلٍ في الإسلام، إذ نلحظ كثرة الاستعارات في صُورهم في العَصر الأمويّ مقارنةً باسْتعاراتِهم في صدر الإسلام، ذلك أنَّ تطوّر العَصْر يَسحب معه تطوّراً في الفِكْر والخيال، والشّاعر في النِّهاية يَصف ما يرى، ويُشبِّه الشّيء بالّذي يراه ويُدركه، ويَسْتعير له ممّا عرفه وعقله.

فمن الاستعارات الجميلة في صَدر الإسلام قول امرأةٍ في هِجاء مُسيْلمة، فقد شبَّهت الخزيَ والعار الّلذين جرَّهما مُسيلمةُ على بني حَنيفة بطائرٍ مَذبوح، يُسْحب من ذيله،حتّى كانت تلك الخزاية علامةً يُعرفون بها، كما يُعرف (قاشر) ذاك البعير الّذي ألحق ببني عَوفٍ الشّؤم والخِزي، فقالت:

سَـــــحَبْتَ عَلَيْنَـــــا ذُيُـــــوْلَ الـــــبَلاءِ و جِئْـــــتَ بِهِـــــنَّ سُـــــما قَـــــاشِرِ[4]

ومن جميل الاستعارة أيضاً قول هَوْذةَ الحَنَفِيّ في وصف حاله، وقد أتاه رسولُ النَّبيِّ ﷺ إليه يدعوه إلى الإسلام، فتكلَّم بكلامٍ هو أقرب إلى إجابة الدَّعوة، لكنَّ نفسه أبتْ، وعاندتْ الحقَّ وكابرت، ودبَّت بين

(١) ديوانه: ٣٥١.
(٢) الصّناعتين: ٩١. الغَلَس: ظلام آخر اللّيل.
(٣) دلائل الإعجاز: ٦٧.
(٤) الدِّيوان: ق٦١.

أضلاعه وَسْنةٌ خَفيفةٌ لها نَفسٌ عَميق، كما يدبُّ شَيْخٌ كبير، أو طفلٌ يمشِي الهوينى، فقال:

سَــكِرْتُ ودَبَّــتْ في المَفَــارِقِ وَسْــنَةٌ لهــا نَفَــسٌ عَــالِي الفُــؤَادِ غَطِــيْطُ[1]

بينما جعل كِلابُ بن حَرِيٍّ العِجْليُّ للعُقول أجْنِحةً تُحلِّق بها، وذلك في سِجْنه في اليَمامة، وقد كان يرجو الفَرج القريبَ، فاستعار للعقول أجنحةً تطير بها العقول إذا سُمع صوتُ مفتاح السِّجن يُحرَّك، إمَّا فرحاً ببُشْرى إطلاق سراح المسجونين، أو جزعاً من أن يُسْحَب بعضهم إلى التَّعذيب ، فقال:

إذا حُــرِّكَ المفْتَــاحُ طَــارَتْ عُقُــوْلُهُمْ رَجَــاءً وخَوْفــاً أَنْ يُجَــرَّ ويُسْــحَبَا[2]

وأمّا استعارات شعراء بكر بن وائلٍ في العصر الأمويّ فإنّها تتفاوت قوّةً وحُسناً وجمالاً، وبساطةً وسهولة نسجٍ، فما كان منها في التَّعبير عن هدف الإسلام، والعمل على إرضاء الله ورسوله، فهو يميل نحو السّهولة والبساطة في التّعبير، كقول امرأةٍ من شَيْبان حين قُتِل أَبُوها وأخُوها وزوجُها وابنُها وعمَّاها وخَالاها مع الضَّحَّاك بنِ قَيْس الخارجي في أيَّام مروان بن محمَّد، فعاشت بعد قتل الضَّحَّاك، فما رقأت لها عين، ولا رُئيت ضَاحكةً ولا مُبْتسمةً، فرأت أنّ قتلاها قد ابتغوا مرضاة ربّهم حين مات الدّين، ولم يَعد النّاس يعملون بالسّنن، وقد هدّتهم الفتنُ، وكَثرت المصائب:

ابْتَغَــــوا مَرْضَــــاةَ رَبِّهِــــمُ حِــــيْنَ مَــــاتَ الــــدِّيْنُ والسُّــــنَنُ

فَأَصَــــابَ القَــــوْمَ مَــــا طَلَبُــــوا بَعْــــدَمَا هَــــدَّتْهُمُ الفِــــتَنُ[3]

فقولها (مات الدّين والسّنن، هدّتهم الفتن) لا يحمل جديداً في درب الاستعارات، الّتي بطبيعتها تجنح نحو الخيال.

في حين أنَّ صورهم في التّعبير عن الموت تتّخذ الأسلوب الجاهليّ، الّذي يجنح إلى تصوير المنيّة بالوحش الكاسر المفترس، و كان سَبيلهم للتّعبير عنه التّفنُّنُ في الاستعارات، فراح الشّعراء منذ الجاهليّة يُعبِّرون عن فداحة المنيّة بأساليب شتّى، وكُل واحدٍ منهم يرى فيه ما أملته عليه طبيعة البيئة، وثقافته الدّينيّة، وشعراء بكر بن وائل لم يبتعدوا كثيراً عن مثل تلك الصّور، بل كانت لهم مجاراةٌ مع الواقع، واستعارات من السَّلف، فقد استعارَ خالدُ بن حِقٍّ الشَّيْبانيّ للمَنون الولادةَ المُتجدِّدة، باستعماله لفظ (تمخَّضت)، على ما يحمله

(١) الدِّيوان: ق٣٩.

(٢) الدِّيوان: ق٥٣.

(٣) الدِّيوان: ق٣٠٨.

التَّمخُّض من معنى العُسْر في الولادة، والتَّهيّؤ لها، فوصف مَقْتلَ كِسْرى الفُرس على يَد ابنه، وتَقْطيعَ لحمه بأسيافٍ حادَّةٍ، وما عاناه أثناء نَزْع النَّفَس، وخُروج الرُّوح، فقال:

وكِسْرَى إِذْ تَقَسَّمَه بَنُوه ... بأَسْيافٍ كما اقْتُسِمَ اللِّحامُ
تَمَخَّضَتِ المَنُونُ لهُ بيَوْمٍ ... أَنَى ولِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمامُ[1]

في حين أنَّ أرنباً الحَنفيَّة في العصر الأمويّ أخذت صُورة المنايا القاهرات الغالِبات، فرأت في الموت فارساً صَلداً، مُدّجَّجاً بأَعتى أنواع الأسلحة وأمضاها، أو حِصْناً شامخاً، يَصْعُب اختراقه أو النَّفاذ منه، لكنّها بقوّة إيمانها، ونفاذ عزيمتها اخترقت هذا الفارس، وحطَّت عن ظهر هذا الحِصن، تقول:

حَلَفْتُ ولَمْ أَحْذِبْ وَإلاَّ فَكُلُّ مَا ... مَلَكْتُ لِبَيْتِ اللهِ أُهْدِيهِ حَافِيهْ
لَوَ انَّ المَنَايَا أعرَضَتْ لاَقْتَحَمْتُهَا ... مَخَافَةَ فِيهِ إنَّ فِيهِ لدَاهِيَهْ[2]

أمّا عِتْبان بن وصيلةَ الشَّيْبانيّ فقد استعارَ للمنيَّة التفاف الأفعى، ثُمَّ انقضاضَها على الفريسة، فوصف اليوم الّذي قُتل فيه مُصعب بن الزَّبير، وقد شارفت الحرب على نهايتها، ودارت دَورة الموتِ عليه، فقال:

غَدَاةَ قَتَلْنَا مُصْعَباً يَوْمَ شَارَفَتْ ... بِهِ الحَرْبُ والتفَّتْ عَلَيْهِ شَعُوْبُ[3]

وقد أحسن البَعِيْثُ اليَشْكُريّ غاية الإحسان في استعاراته، حين أتى بأكثر من صورة للموت الّذي ناله مُصْعبٌ وأصحابه، الأمر الّذي يُشْعرنا بعِظَمِ الكراهيّة لهم، حتّى نوّع البَعِيْث في طُرق موتهم، فالموتُ انقضّ على مُسْلمِ بن عَمرو الباهليّ كالعُقاب الّتي هوت على فريْستها، ثُمّ أخذته، فطارت به إلى مكان مجهول، تُقَطِّع لحمه وتنهَشه، في حِين اختار لابن سِيدان الباهليّ الموت ببطءٍ، حين سقاه من كأس الموت سُمّاً ذُعافاً، بل مَرّت سَحابةٌ مملوءة بالسَّم القاتل، تَسْقي هؤلاء الصَّناديد موتاً محتَّماً، فقال:

ونَحْنُ قَتَلْنَا ابنَ الحَوَرِايِّ مُصْعَباً ... أَخَا أَسَدٍ والمَذْحِجِيَّ اليَمَانِيا
وأَلْوَتْ عُقَابُ الموتِ مِنَّا بِمُسْلِمٍ ... فَأَهْوَتْ لَهُ ظُفْراً فَأَصْبَحَ ثَاوِيا
سَقَيْنَا ابْنَ سَيْدَانٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ ... كَفَتْنَا، وخَيْرُ الأَمْرِ مَا كَانَ كَافِيا

(١) الدِّيوان: ق٤١.
(٢) الدِّيوان: ق٧٧.
(٣) العفو والاعتذار: ١/١٨٦.

ومَـــرَّتْ عَـــلى الجبَّـــارِ مِنَّـــا سَـــحَابَةٌ سَـــقَتْهُ ذُعَافيَّـــاً مِـــنَ المـــوْتِ قَاضِـــيا[1]

وليس يختلف الموتُ مهما كانت طريقته، وبأيّ سببٍ كان، فهو موتٌ واحدٌ لا نجاة منه، وإنّما تختلف السّبل، وتتنوّع الطُّرق الّتي توصل إلى تلك النّهاية الأكيدة، فتكثر التّشابيه، وتتنوّع الاستعارات في خدمة هذا الغرض، حتّى تتركّب الصُّور فوق بعضها لتوصلنا إلى المعنى المراد، فهذا عُبَيدةُ بن هِلالٍ الخارجيّ أوصلَ عَدوّه إلى باب الموت ليدخل، وقد ثَوى على أرض المعركة صَريعاً، برماحٍ هي الوحوشُ كاسرةً، تتقاذف فريستها فيما بينها، فتارةً تعلق بمخالبها، وأخرى تنوشها بأنيابها الحادّة، فتمزِّقُها إرباً إرباً، يقول:

يَهْـــوي وتَرْفَعُـــهُ الرِّمـــاحُ كأَنَّـــهُ شِـــلْوٌ تَنَشَّـــبَ في مَخَالـــبِ ضَـــارِ

فَثَـــوَى صَرِيْعـــاً **والرِّمَـــاحُ تَنُوشُـــهُ** إنَّ الشُّـــرَاةَ قَصـــيْرَةُ الأعْـــمَارِ[2]

على أنَّ من الاستعارات الحَسَنةِ البيان في شِعر بكر بن وائل ما لفت الأنظار، وأوقف النُّقّاد على جمالها، وحُسن نسجها،فعلّقوا عليها، فبيّنوا تفاصيلها الدَّقيقة الّتي قد تخفى على غيرهم، ومن ذلك ما قاله ابن يَسعون صاحب المِصباح في قول أبي النَّجم العِجْليّ:

حَتَّـــى تحنَّـــى وهْـــوَ لَمَّـــا يَـــذْبُلِ

مُسْتأسِـــداً ذِبَّانُـــهُ في غَيْطـــلِ

يَقُلْـــنَ للرَّائـــدِ: أعْشَـــبْتَ، انـــزلِ[3]

" إنَّ الرَّائدَ إذا سمع صوتَ الذُّباب تيقَّن خِصب ذلك الجَنَاب، فصار ذلك كدُعاء الإنسان، وهذا من الاستعارة الحسنة البيان"[4].

فهذا العُشب قد تَحنَّى ومال، والتفّ على بعضه من الطّول، أي استأسَد، حتّى قال ذِبّانه للّذي يرتاد هذا الغيطل الكثيف المُلتف: أعْشبتَ، وأصبتَ حاجَتكَ، فانْزِلِ.

ومن جميل الاستعارات الممزوجة بالمطابقة الّتي وقف عندها أصحابُ الذّوق السّليم قول أبي جِلْدة اليَشْكُري:

(١) الدِّيوان: ق١٨٩.

(٢) الدِّيوان: ق٢٩٧.

(٣) ديوانه: ٣٤١.

(٤) المصباح لما أعتم من شواهد الإيضاح: ٧١٤/١.

إذا عَـدَلَتْ بالصَّـرْمِ والوصْـلِ عاقَهَـا عـن الصَّـرْمِ ميـزانٌ مـنَ الحُـبِّ رَاجِـحُ[1]

فعلّق صاحب نَضرة الإغريض: "فيه طِباقٌ واستعارة. ولمّا جعلَ للحُبِّ ميزاناً جعلَ القرينةَ لفظيةً، وهي قوله راجِح. وهذا القِسم واسعٌ كثيرٌ يدلُّ عليه القليلُ اليَسير"[2].

ومن الاسْتعارة الحسنة، الّتي قرينتُها معنويّة قول جَحْشِ بنِ زيدٍ الحَنَفيّ:

فَطَمْنـا بَنِـي كَعْـبٍ عَـنِ الحـربِ بَعْـدَها ولاقَـوْا مِـنَ الأَبْطَـال وَقعـاً غَشَمْشَـما[3]

فقال المُظفّر بن الفَضل؛ صاحبُ نضرة الإغريض في تبيان حُسن الاستعارة:" القرينةُ في هذا البيتِ مَعْنويّةٌ، وذلك أَنَّه قد استقرَّ عندَهُم تَشْبيهُ الحربِ بالنَّاقة على صِفاتٍ مختلفةٍ، وأنَّهُم يذكُرون أخلافَها، وأنَّها تدِرُّ وتُحلب، فلما استقرّ عندَهم وكثُرَ بينهم كان اطِّراحُه وإيرادُه عندهم واحداً، وهذا معنى لطيفٌ فاعْرِفْهُ"[4].

ومن هذا التَّشبيه الكثير عندهم بالنّاقة، قول أبي جِلدة اليَشْكُريّ، وقد شبَّه حرب قومه وبني تميم بالنّاقة المُلقّحة:

قـرِّبي يـا حُـلَيُّ ويْحَـكِ دِرْعِـي لَقِحَـتْ حرْبُنَـا وحَـرْبُ تَمِـيْمِ[5]

ومنه التَّشبيه بالنَّاقة المسنّة، في قول موسى بن جابرٍ الحَنَفيّ:

وإن عَضَّـتِ الحَـرْبُ الضَّـرُوْسُ بِنَابِهـا فَعُرْضَـةُ حَـدِّ السَّـيْفِ مِثْلُـكَ أو مِـثْلِي[6]

وفي المقابل، فإنَّ هناك استعاراتٍ لم يُحالف الذّوق أَصْحابها، فهَوَت بهم في مُستنقع النَّقد والملامة، من ذلك نَقْد الجُرجاني لأبي النَّجم العِجْليّ في قوله يَصف الإبل:

تَسْـمَعُ لِلـماءِ كَصَـوْتِ المِسْـحَلِ
بَـيْنَ وَرِيْـدَيْها، وبَـيْنَ الجَحْفَـلِ[7]

(١) الدِّيوان: ق٢٩٤.
(٢) نضرة الإغريض: ١٠٣.
(٣) الدِّيوان: ق٢٢٥.
(٤) نضرة الإغريض: ١٤٥.
(٥) الدِّيوان: ق٢٩٦.
(٦) الدِّيوان: ق٩١.
(٧) ديوانه: ٣٥٢.

فقد صَنّف الجُرجاني هذه الاستعارة في باب الاستعارات غير المفيدة، قائلاً:" فجَعَلَ للإبل جَحافل، وهي لذوات الحَوَافر"(١).

وفي المجمل، فإنَّ الاستعارات الّتي جاءت على لسان شعراء بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأمويّ لا تخرج عمّا رسمه أسلافهم، ولا تأتي بجديدٍ ينبِئ بثورة في عالم الفكر والخيال.

الكِناية:

تميل الكِناية نحو الخَفاء، وبعض الغموض، وهو ما يُميّزها عن التَّشبيه والاستعارة، قال السَّكّاكيّ:" الكِنايةُ هي تركُ التَّصريح بذكر الشَّيء إلى ذكر ما يلزمه..... وسُمِّي هذا النَّوع كِنايةً لما فيه من إخفاء وجه التَّصريح"(٢).

وقد عالج شُعراء بكر بن وائل الكِنايةَ، ورمزوا بها عن غيرِ موضعٍ ومِثالٍ، وقد خاب بهم الظَّنّ حين وقع رجلٌ بينهم أسيراً، فاستطاع أن يَنجو وقومه من غَزو البَكريين لهم، بفطنته وذكائه، فكانت الكِناية وَبالاً عليهم، وذلك حين أرسل الأسيرُ إلى قومه رسالة مَرْموزةً، وهي الكناية على سبيل الرّمز، فقد ذكر الأبْشِيهي؛ صاحبُ المستطرف أنَّ رجلا كان أسيراً في بَني بَكْرِ بنِ وائل، وعَزَموه على غَزو قَومه، فسَأَلهم في رسولٍ يُرْسله إلى قومه، فقالوا: لا تُرْسله إلَّا بحَضْرَتنا لئلَّا تُنْذَرهم وتُحذِّرَهم، فجاؤوا بعَبدٍ أسودٍ، فقال له: أتَعْقِل ما أقولُه لَك، قال: نعم، إنِّي لعاقلٌ، فأشَار بيدِه إلى اللَّيل، فقال: ما هذا؟ قال: اللَّيل! قال: ما أَراك إلَّا عاقلاً، ثُمَّ ملأ كَفَّيْه منَ الرَّمل، وقال: كم هذا؟ قال: لا أَدري، وإنَّه لكثيرٌ، فقال: أيَّما أكثرُ النُّجوم أم النِّيران؟ قال: كُلٌّ كثير، فقال: أَبْلغ قَومي التَّحيَّة وقل لهم يُكرموا فُلاناً؛ يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر ابن وائل، فإنَّ قومَه لي مُكرمون، وقل لهم: إنَّ العَرْفَجَ(٣) قد دَنا، وشَكَّتِ النِّسَاءُ، وأمُرهم أن يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها، وأنْ يَركبوا جملي الأصهب بأَمَارة ما أَكَلتُ مَعَكم حَيْساً(٤)، واسألوا عن خَبري أَخي الحَرثَ، فلما أدَّى العبدُ الرِّسالةَ إليهم قالوا: لقد جُنَّ الأعورُ، والله ما نَعْرِف له ناقةً حَمراء، ولا جملاً أصْهَبَ، ثُمَّ دَعَوا بأخيه الحرث، فقصُّوا عليه القصة فقال: قد أَنْذَرَكم! أمَّا قوله: قَد دَنا العَرْفَج: يُريد أنَّ

(١) أسرار البللاغة: ٣١.

(٢) مفتاح العلوم: ٤٠١.

(٣) العرفج: نباتٌ طَيِّب الرِّيح أَغبرُ إلى الخضرة، وله زَهْرة صفراء، وليس له حب ولا شَوْك.

(٤) الحَيْس: تمرٌ وأقِطٌ يُعجنان بالسّمن، وهو من طعام بضني حنيفة خاصّةً.

الرِّجال قد استلأموا ولبِسوا السِّلاح، وأما قوله: شَكَّتِ النِّساءُ: أي أخذتِ الشِّكَاء[1] للسَّفر، وأمَّا قوله: أَعِرُّوا[2] ناقتي الحمراءَ أي ارتحلوا عن الدَّهناء، واركبوا الجمل الأَصْهب: أي الجبل، وأمَّا قوله: أكلت معكم حَيْساً: أي أَنَّ أخلاطا من النَّاس قد عَزموا على غَزوكم؛ لأنَّ الحَيْس يجمعُ التَّمْرَ والسَّمْنَ والأَقِطَّ، فامْتَثلوا أمره، وعَرَفوا لحن الكلام، وعَمِلوا به، فنَجَوا"[3].

وأمّا ما كان من كناياتهم فكثيرةٌ، ولكن يكفينا أن نستعرض بعضاً منها، موزّعةً على صدر الإسلام والعصر الأمويّ.

ففي صدر الإسلام كَنّى ثُمامةُ بن أُثالٍ الحَنَفيُّ عن الهمَّة العالية، والتَّهيّؤ التَّام لخوض غمار المعركة، والتَّجهّز لها، كّنى عن ذلك بتَشْمير الإزار، والإزار المِلْحفة على الجِسم، أو بعضه، فقال ثُمامة:

وقَـــدْ قَالَـــتْ حَنِيْفَـــةُ إِذْ رَأَوْنِي ... نَهَضْـــتُ بِهَـــا: لَقَـــدْ كُشِـــفَ الغِطَـــاءُ
وقَـــالُوا يَـــا ثُمَامَـــةُ لا تَـــزِدْهُمْ ... فَـــإِنَّ الأَمْـــرَ أَثْقَلَـــهُ الـــدِّماءُ
وإِنَّهُـــمُ الوَضِـــيْعَةُ فالْـــهُ عَـــنْهُمْ ... فَقُلْـــتُ: اللهُ يَفْعَـــلُ مَـــا يَشَـــاءُ
فَشَـــمَّرتُ الإزارَ وطَـــالَ رُمْحِـــي ... إلى قَـــومٍ دِمَـــاؤهُمُ الشِّـــفَاءُ[4]

وفي حديث الاعتكاف:" كان رسول الله ﷺ إذا دخل العَشْرُ أَحْيا اللَّيلَ، وأيقظَ أَهْله وجَدَّ وشد المئزر"[5]، المئزَرُ: الإزار، وكَنّى ﷺ بشدّةٍ عن اعتزال النِّساء، وقيل أَراد تشميره للعباد.

ومن باب إشمام الكِناية؛ أي اقتراب اللّفظ من الكِناية لأنّه أصبح معهوداً إذا رُمِز إليه بالخَفاء، قول رجلٍ من حَنِيْفة في البليَّة والمُصيبة:

إِنَّ فِي تَرْكِنَـــا المسِـــيْرِ لَعُـــذْرا ... أَوْسَـــعَ اليَـــوْمِ فِي البَقَـــا والمقَامَـــهْ
إِنَّـــما عَهْـــدُنا بِقَاصِـــمَةِ الظَّهْـــرِ ... ويَـــوْمٍ لَنَـــا كَيَـــوْمِ القِيَامَـــهْ[6]

(١) الشّكاء: زِقٌّ صغير، يُتَّخذ لمخض اللّبن.

(٢) العَرُّ والعُرُّ والعُرَّةُ الجربُ وقيل العَرُّ بالفتح الجرب وبالضم قُروحٌ بأَعناق الفُصلان، وقيل العُرُّ داءٌ يأْخذ البعير، فيتمعّط عنه وَبَرُه حتى يَبْدُوَ الجلدُ.

(٣) المستطرف في كلّ فنٍّ مُستظرف: ٩٩/١.

(٤) الدِّيوان: ق١٤.

(٥) صحيح مسلم: ٨٣٢/٢.

(٦) الدِّيوان: ق٦٦.

فقد وصف ما يَنزل بالمرء من الشَّدائد والأهوال بـ (قاصمة الظَّهر) حَتّى أصبح هذا اللّفظ معهوداً معروفاً، يُكَنّى بها عن الشَّيء الثّقيل، المؤرق.

ومن باب الكِناية قول حُريث بن جابرٍ الحَنَفيّ:

إذا ظُلِمَ المَوْلَى فَزِعْتُ لِظُلْمِهِ ... فَحَرَّكَ أَحْشَائِيْ وهَرَّتْ كِلابِيَا[1]

فقوله (هرّت كِلابيا) كنايةٌ عن تهيُّؤه للانتقام، ذلك أنَّ الكلب يُنكر أصحابه إذا رآهم بهذه الحال، فينبح.

ومن كنايات بكرِ بن وائلٍ في العصر الأمويّ قول موسى بن جابرٍ الحَنَفيّ في الفَخرِ بنفسه، وتِبيان عُلوِّ هِمَّته، ومَتانةِ حَبْله بين النَّاس:

مَدُّوا الحِبالَ فَكَانَ أَطْوَلَهَا ... طُوْلاً وأَمْتَنَهَا قُوًى حَبْلي[2]

فكنّى عن استقامته وثَباته على الحقّ بمتانة الحبال وقُوَّتها، وقد جاء في القرآن الكريم دعوة المولى ﷻ النّاس للاعتصام بحبل الله، قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عمران: ١٠٣]. كنايةً عن تركِ الفُرقة، واتِّباع القرآن.

وفي حديث الدُّعاء:" اللَّهُمَّ يا ذا الحَبْلِ الشَّدِيدِ والأَمْرِ الرَّشِيدِ! أَسْأَلُكَ الأَمْنَ يَوْمَ الوَعِيدِ"[3]. فوصفَ الحبل بالشِّدّة، لأنَّها من صفات الحِبال، والشِّدّة في الدِّينِ الثَّباتُ والاستقامةُ.

ومن جميل كِنايات العرب قولهم للطَّير كنايةً عن البَركة والسُّعود، أو الشُّؤم والتّطيُّر (تَسْنَحُ وتَبْرُحُ)، فقال خلفٌ الأقطع:

إِذَا مَا أَرَدْتَ الأَمْرَ فَاعْمَدْ لِوَجْهِهِ ... ولا تَكُ مُرْتَاعاً لِغَادٍ مُشَحْشَحِ

وسِرْ سَيْرَ مَنْ لا يَعْلَمُ الغَيْبَ إِنْ غَوَى ... وخَلِّ سَبِيْلَ الطَّيْرِ تَسْنَحْ وتَبْرَحِ[4]

فالسَّانح ما أتاك عن يمينك من طيرٍ وغيره، والبارح ما أتاك عن يَسارك، فأراد: لا تكن مُتردِّدا تردُّدَ من يَعمد إلى الطِّيَرة.

وكَنّى موسى بن جابرٍ الحَنَفيّ بالطَّير أيضاً عن صِيْته الحَسن، الذَّاهب بين النَّاس، فقال:

---

(١) الدِّيوان: ق٢١.

(٢) الدِّيوان: ق٩٢.

(٣) الفتح الكبير للسّيوطي: ١/٢٢٤.

(٤) الدِّيوان: ق١٥٩.

فَـــما نَفَـــرَتْ جِنِّـــي ولا فُـــلَّ مِـــبْرَدِي ومَـا أَصْـبَحَتْ طَـيْرِي مِـنَ الخَـوْفِ وُقَّعَـا[1]

فذكَرَ الطَّيرَ؛ لأنّه يَحمل معه رسائل كثيرةً، ويَتنقّل من مكان إلى آخر، فتارةً يحطّ بين قومٍ مُحبّين يُبلِغهم رسالات المدح والثَّناء، وأخرى بين قومٍ مُبغضين، فيُبلغهم رسالات التَّهديد والعَزم والمَضاء.

فهذه أبرز كِنايات بكر بن وائلٍ الكثيرة، الّتي اعتمدت الخَفاءَ وسيلةً لإبراز ما في النُّفوس من عِتابٍ أو نَقدٍ، وأسْهمت في تأكيدِ معاني القوَّة والثَّبات عند البَكْريِّين عموماً.

المُحسِّناتُ المعنويَّة:

تُسهم المحسّنات المعنويَّة في إبراز المعنى وتوضيحه، وتتوزّع المحسّنات المعنويّة في الأدب على أكثر من نوعٍ وضَرْبٍ، أبرزها الطِّباقُ، والمقابلةُ، والتَّقسيم، والتَّكرار، وجُلّها لم ترد عِند البَكْريين إلّا عفو الخاطر، وقد اتَّفقت للقُدماء اتِّفاقا، من غير تَصنُّعٍ ولا مُغالاةٍ أو تَفريطٍ، فهم شُعراء فِطريّون، همّهم إبرازُ مواقفهم، والتَّعبيرُ عن خَلَجاتهم وأحاسيسِهم.

فالطِّباق يجمع بين ضِدّين، قال ابن رشيق:" المطابقة عند جميع النَّاس: جمعُكَ بين الضِّدَّين في الكلام أو بيتِ شِعر"[2].

وقد وردَ الطِّباق في أشعار بَكر بن وائل متوازناً بلا تكلُّفٍ ولا إسفاف، ومن أجمل مطابَقاتهم قول أبي جلدة اليَشْكُريّ:

إذا عَـــدَلَتْ بالصَّـــرْمِ والوصْـــلِ عاقَهَـــا عـــن الصَّـــرْمِ ميـــزانٌ مـــنَ الحُـــبِّ راجـــحُ[3]

فقد جاء بالطِّباق مُتتابعاً متوالياً، حين طابق بين (الصّرم) وهو القطيعةُ والهِجران، و(الوصل) وهو اللّقاء والتّواصل بعد ذاك الهِجران الطَّويل، ويكمن جمال ذلك الطّباق في القرينة اللّفظيّة (راجح)، لأنّها تجعل من تلك المُحِبَّة مِيزاناً عادِلاً، فهي تهجر بمقدار، وتَصِل بمقدار.

ومن أمثلة الطِّباق في شِعرهم في صدر الإسلام قول عَبد الله بن ثَعلبة الحَنَفيّ:

لِكُـــلِّ أُنَـــاسٍ مَقْـــبَرٌ بِفِنَـــائِهِمْ فَهُـــمْ يَنْقُصُـــوْنَ والقُبُـــورُ تَزِيْـــدُ[4]

---

(١) الدِّيوان: ق٨٨.

(٢) العمدة: ١/٥ (تح: عبد الحميد).

(٣) الدِّيوان: ق٢٩٤.

(٤) الدِّيوان: ق٢٤.

فطابق في الشَّطر الثّاني بين (ينقصون) و (تزيد)، في قضيّة طالما أرّقت فكر الجاهليّ، ثُمّ الإسلاميّ، فبيَّن الشّاعرُ حجم ذلك الأرق، و طول السُّهاد نتيجة التَّفكُّر في الحياة والموت، حتّى جاءه الطّباق عفو الخاطر، يجمع بين نَقيضين، كما أنَّ الحياة نقيض الموت.

ومن أمثلة الطِّباق في العصر الأمويّ قول عُبيد الله بن زياد التَّيمي في أخيه النَّابي، وقد قتله مُصعب بن الزُّبير:

فَـــوَ اللهِ مَـــا أَنْسَـــاهُ مَـــا ذَرَّ شَـــارِقٌ ومَـــا لاحَ في دَاجٍ مِـــنَ اللَّيْـــلِ كَوْكَـــبُ[1]

فطابق بين أكثر من كلمة في قوله: (ذرّ بمعنى أشرق وأصبح) و (داجٍ)، وجاء بالطّباق في كلمتين (شارق ويقصد الشَّمس) و(اللّيل). وهو من الطّباق الخفي الجميل، كونه لا يأتي باللّفظ النّقيض المعروف، وإنّما يأتي برديفه الّذي لا يخرج عن معناه الأصليّ.

ومن الطّباق قول عَمْرة بنت أبي عِتْبان:

الـــرَّاكِبِيْنَ مِـــنَ الأُمُـــوْرِ صُـــدُوْرَها لا يَرْكَبُـــوْنَ مَعَاقِـــدَ الأذْنَـــابِ[2]

فقد طابقت عَمرة بين (صدورها) وتعني المقدّمة، و (معاقد الأذناب) وتعني التّأخُّر في الصُّفوف والرُّتبة.

ومن المحسِّنات المعنويّة في شِعر بكر بن وائل ما يُسمَّى بالتَّشْكيك، وهو :" أن يأتي المتكلّم في كلامه بلفظةٍ تُشكِّك المخاطبَ، هل هي حَشوٌ أو أصليَّة لا غِنى للكلام عنها"[3]. مثل قول ابن دَغْماء العِجْليّ:

لَعَمْـــرُكَ مَـــا أَدْرِي وإِنِّي لَسَـــائِلٌ سُـــوَيْدَ بـــنَ حِطَّـــانٍ يَمُـــتُّ ومَـــا أَدْرِي

سِـــوَى أَنَّكُـــمْ دُرِّبْـــتُمُ فَجَـــرَيْتُمُ عَـــلى دُرْبـــةٍ والضَّـــبُّ يُخْتَـــلُ بـــالتَّمْرِ[4]

وهذا الضّرب من المحسِّنات من مُلَح الشِّعر، وطُرَف الكلام، إلى جانب فوائده في الشِّعر، وهي:" الدّلالة على قُربِ الشَّبهين، حتّى لم يُفرَّق بينهما، ولا يُميَّز أحدهما من الآخر"[5].

ومن التَّشكيك قول مُجَّاعة الحَنَفي، مُبدياً خوفه من خالد بن الوليد:

(١) الدِّيوان: ق٧٢.

(٢) الدِّيوان: ق٧٥.

(٣) تحرير التّحبير: ٥٦٣.

(٤) الدِّيوان: ق٥٠.

(٥) العمدة: ٦٦/٢(تح: عبد الحميد).

أَتَـــرَى خَالِـــداً يُقَتِّلُنَـــا اليَـــوْ مَ بِـــذَنْبِ الأُصَـــيْفِرِ الكَـــذَّابِ[1]

وقريب منه قول مُحارب بن دِثار في مصيره:

ونَفْـــسٍ لَسْـــتُ أَدْرِي مَـــا تُلاقِـــي أَتَظْمَـــأُ أَمْ تُصِـــيْبُ هُنَـــاكُ رَيَّـــا[2]

ومن المحسّنات المعنويّة التَّقسيم، ومن أبرز أمثلته قول موسى بن جابرٍ الحَنَفيّ:

وَمِـــنَ الرِّجـــالِ أسِـــنَّةٌ مَذْرُوبَـــةٌ وَمُزَنَّـــدُونَ شُـــهُوْهمْ كالْغائِـــبِ

مِـــنْهُمْ لُيُـــوثٌ لا تُـــرَامُ ومِـــنْهُمُ مِمَّـــا قَمَشْـــتَ وَضَـــمَّ حَبْـــلُ الحَاطِـــبِ[3]

وهو من الشّواهد الحَسَنة في التَّقسيم، وبيّن المرزوقيّ وجه الحُسْن في ذلك التَّقسيم، فقال مُعلِّقاً على البيتين:" فإن قِيل: وما الفائدةُ في إعادةِ التَّقْسيم والتَّشْبيه؟ فالجواب أن يقال: كأنَّه صَنَّفهم في الأولى من حَيثُ اختلفوا عِنده في الأعمال والأخلاق، وعلى توهُّم تَباعدٍ بينهم، بدلالة قوله: من الرجال أَسنَّةٌ ومنهم مُزَنَّدون لا يُعْتدُّ بحضورهم. وبين الصِّفتين تفاوتٌ عظيمٌ، وتباينٌ شديدٌ. وصنَّفهم في الأخرى من حيث اختلفوا فيها على تَوهُّمِ تقاربٍ بينهم؛ لأنَّ فِيْمَن يُقْمَشُ من لا يُبَاين المُبايَنة الفاحشةَ، ولا يُخالف المخالفة المنكرة"[4].

ومن المُحسِّنات المعنويّة التَّكرارُ، والتَّكرار ظاهرةٌ تُبرز المعاني وتؤكِّد معانيها، ويكون بالحرف والحرف، والكلمة والأخرى، وقد يأخذُ التَّكرار شطراً بعينه، والأفضل أن يكرّر الشّاعر لفظاً أو معنىً من المعاني، وهو في اللَّفظ أكثر من المعاني، " فإذا تكرَّر في اللَّفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه "[5]، والتّكرار يأتي لأسباب عديدة، ويحقّق غايات كثيرة، فقد جاء في المثل السّائر: " اعلم أنَّ المفيد من التّكرير يأتي في الكلام تأكيداً له، وتَشْييداً من أمره، وإنّما يفعل ذلك دلالة على العِناية بالشّيء الّذي قَصدتَ فيه بكلامك، إمَّا مُبالغة في مَدحه أو في ذَمِّه أو غير ذلك "[6].

(١) الدِّيوان: ق٢٦.

(٢) الدِّيوان: ق١٢٩.

(٣) الدِّيوان: ق٨٣.

(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقيّ: ٣/٣٦٥.

(٥) العمدة: ٢/٦٨٣.

(٦) المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر: ٣/٤.

فأمّا التّكرير في اللّفظ والمعنى الدّالّ على معنى واحد فمثاله قول خلفٍ الأقطع:

إلى مَعـــدِنِ العِـــزِّ المُؤيَّـــدِ والنَّـــدَى هُنـاكَ هُنـاكَ الفَضْـلُ والخُلُـقُ الجَـزْلُ[1]

فكرَّر اسم الإشارة (هناك) مرَّتين، قال ابن الأثير في ذلك:" فقوله: (هُناك هُناك)، من التَّكرير الّذي هو أبلغ من الإيجاز؛ لأنّه مَعْرض مَدحٍ، فهو يُقرِّر في نفس السّامع ما عند الممدوح من هذه الأوصاف المذكورة، مُشيراً إليها، وكأنّه قال: أدلُّكم على مَعْدِن العِزّ كذا وكذا، ومقرِّه ومُفادِهِ"[2].

ومن تَكرار الاسم، قول حَجَّار بن أبْجَر العِجْليّ في قومه بَني عِجْل:

تُهـــدِّدُنِي عِجْـــلٌ ومـــا خِلـــتُ أنَّنـــي خَـــلاةٌ لِعِجْـــلٍ والصَّـــلِيْبُ لَهَـــا بَعْـــلُ
ومـــا خِلتُنِـــي والـــدَّهرُ فِيْـــهِ عَجَائِـــبٌ أُعمَّـــرُ حَتَّـــى قَـــدْ تُهَـــدِّدُنِي عِجْـــلُ
وتُوعِـــدُنِي بالقَتْـــلِ مِـــنْهُمْ عَصَـــابةٌ ولَـــيْسَ لَهُـــمْ في العِـــزِّ فَـــرْعٌ ولا أَصْـــلُ
وعِجْـــلٌ أُسُـــوْدٌ في الرَّخَـــاءِ، ثَعَالِـــبٌ إذا التَقَـــتِ الأَبْطَـــالُ واخْتَلَـــفَ النَّبْـــلُ
فـــإن تَلْقَنـــا عِجْـــلٌ هُنَـــاكَ فَـــما لَنَـــا ولا لهـــمُ مِ المـــوتِ مَنْجًـــى ولا وَعْـــلُ[3]

فقد كرَّر اسم القبيلة (عِجْل) خمس مرّات في خمسة أبيات متتالية، وهَدفه تقرير حقيقةٍ حزينة في نفسه، فقومه الّذين يجب أن يَفخر بهم قد تهدّدوه بالقتل، وأباحوا دمَه، فإذا هو مُضطربٌ، قلِقٌ، فكان منه أن هجاهم بعد أن دفع عن نفسه الملامة.

ومن تكرار شطرٍ بعينه قول خلفٍ الأقطع:

إِذَا ابـــنُ حُضَـــيْنٍ غَـــدَا بـــاللِّوَاءِ أَسْـــلَمُ أَهْـــلُ القِـــلاعِ القِلاعَـــا
إِذَا ابـــنُ حُضَـــيْنٍ غَـــدَا بـــاللِّوَاءِ أَشَـــارَ النُّسُـــوْرُ بِـــهِ والضِّـــبَاعَا
إِذَا ابـــنُ حُضَـــيْنٍ غَـــدَا بـــاللِّوَاءِ ذَكَّـــى وكَانَـــتْ مَعَـــدٌّ جُـــدَاعَا[4]

(١) الدِّيوان: ق١٧٠.

(٢) المثل السّائر: ٣/٢٠.

(٣) الدِّيوان: ق٤٩.

(٤) الدِّيوان: ق١٦٤.

فكرّر (إذا ابن حُضينٍ غدا باللّواء) ثلاث مرّات، ليؤكّد أحقيّة يحيى بن حُضين بحمل اللّواء، وليُبيِّنَ القُوّة الّتي يتمتّع بها ابن حُضين.

ومن تكرار لفظٍ واحدٍ قولُ جرول بن الحَمارس اليَشْكُريّ في هِجاء الفرزدق:

لَقَـــد بَشَّـــرَتْ أُمُّ الفَـــرَزْدَقِ أَهْلَهَـــا ... بِـــأَلْأَمِ مَوْلُـــوْدٍ وأَخْبَـــثِ مَوْضِـــعِ
خَصَـاكَ جَرِيْـرٌ يـا بْـنَ قَـيْنٍ فَـإنْ تَعُـدْ ... لِشَـتْمِ كَـرِيْمٍ بَعْـدَ خَصْـبِكَ تُجْـدَعُ
بَكَـى القَـيْنُ لَمَّـا أَنْ رَأَى الحَـرْبَ شَـمَّرتْ ... جَزِعْـتَ ابْـنَ قَـيْنِ اللُّـؤْمِ، لا حِـيْنَ مَجْـزَعِ
وإنَّـكَ يَـا بْـنَ القَـيْنِ لَسْـتَ بِمُـدْرِكٍ ... مَـآثَرَ بَكْـرٍ فَـأْتِ جُهْـدَكَ أَوْ دَعِ[1]

كرّر لفظ (قَين) أربع مرّات في أربع أبيات متواليات، وأراد بالقين الفرزدق، أصله أن القَيْنَ بالبَادية، يَتنقَل في مِيَاههم، فيُقِيم بالموضع أياماً، فيَكْسُدُ عليه عملُه، ثمَّ يقول لأهل الماء : إنِّي راحِلٌ عَنْكم اللَّيلةَ وإنْ لم يُرِد ذلك، ولكنَّهُ يُشِيْعه ليَستعمله مَنْ يريد استعمالَه، فيَكْثر ذلك من قوله حتَّى صار لا يُصَدَّق.

وكرَّرت ابنةُ يزيد بن قُرَّة الشَّيبانيّ اسم الحَجَّاج خمس مرَّاتٍ في خمسة أبيات، وكان يزيدُ بن قُرّة يرى رأيَ الخوارج، فغَضِب الحَجَّاج عليه، وهَمَّ بقتله، فاسترقَّت ابنته قلبَ الحَجَّاج بذكر اسمه متوالياً، واستمالت عَطفه، حتّى بكى وكَتب في أمره إلى عبد الملك يطلب له العفو، وممّا قالته ابنة يزيد:

أَحَجَّـــاجُ إمَّـــا أَنْ تمُـــنَّ بِنِعْمَـــةٍ ... عَلَيْنَـــا، وإمَّـــا أَنْ تُقَتِّلَنَـــا مَعَـــا
أَحَجَّـــاجُ كَـــمْ تُفْجِـــعْ بِـــهِ إنْ قَتَلْتَـــهُ ... ثَـــمَانِي عَشْـــرَ واثْنَتَـــيْن وأَرْبَعَـــا
أَحَجَّـــاجُ لَـــوْ تَسْـــمَعْ بُكَـــاءَ نِسَـــائِهِ ... وعَمَّاتِـــهِ يَنْدُبْنَـــهُ اللَّيْـــلَ أَجْمَعَـــا
أَحَجَّـــاجُ مَـــنْ هَـــذَا يَقُـــوْمُ مُقَامَـــهُ ... عَلَيْنَـــا، فَمَهْـــلاً لا تَزِدْنَـــا تَضَعْضُـــعا
أَحَجَّـــاجُ هَبْـــهُ اليَـــومَ للهِ وَحْـــدَهُ ... ولِلْبَاكِيَـــاتِ الصَّـــارِخَاتِ تَفَجُّعـــا[2]

وقد استخدمَ شُعراء بكر بن وائل المثلَ بهدف إيضاح معانيهم، وتقوية ما يقولون، والمثل بطبيعته يختصر الكثير ممّا يودّ المرء قوله، لما يتضمّنه من مغزًى وإشارات خفيّة، تُفهم بالسّياق، فالأمثال كما قال عنها أبو عُبيد القاسم بن سلّام هي:" حِكمة العرب في الجاهليّة والإسلام، الأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها كانت تُعارِضُ كلامها فتبْلغ بها ما حاوَلَتْ من حَاجَاتها في المنطق بكنايةٍ غير تصريح،

(١) الدِّيوان: ق١٩٠.

(٢) الدِّيوان: ق٣٣٣.

فيجتمع لها بذلك ثلاث خلال: إيجازُ اللَّفظ، وإصابةُ المعنى، وحُسْنُ التَّشبيه، وقد ضربها النبي ﷺ وتمثَّل بها هو ومن بَعْده من السَّلف"[1] .ومن أمثال شُعراء بكر بن وائل قول قَتَادة اليَشْكُريّ يُحذِّر أهل العراق الحَجَّاجَ:

حَــذَارِ حَــذَارِ اللَّيْــثَ يَحْــرِقُ نَابَــهُ ويَكْسِرُ أَرْعَاظــاً عَلَــيْكُمْ مــن الحِقْــدِ[2]

يُشير إلى المثل الّذي يُضرب للغَضْبان:" إِنَّهُ لَيكْسِرُ عَلَيَّ أرْعَاظَ النَّبْلِ غَضَباً"[3]، وهو شاهدٌ على (الرَّعظ)، وهو مدخل النَّصل في السَّهم، وإنّما يَكْسره إذا كلَّمته بكلام يغَيظه، فيخط في الأرض بسهامه، فيَكْسِر أَرْعَاظها من الغَيظ.

فجاء قَتادة في بيتٍ واحدٍ، يضمّ مثلاً عربيّاً معروفاً عند العرب، ليوجز كثيراً من القول يُمكن أن يأخذ أسطراً طويلاً في التّحذير من خطر الحَجَّاج، إلى جانب إصابته المعنى، ودِقّته في التَّشبيه.

ومن ذلك قولهم:" أشْأَمُ من قاشِر".

وقاشِر: اسمُ فَحْلٍ كان لبَني عُوَافةَ بنِ سَعْد بن زيد مَناةَ بن تميم، وكانت لقومه إبل تُذْكِرُ فاسْتَطْرقوه رجاءَ أَن تُؤْنِثَ إبلُهم، فماتت الأُمهات والنَّسْل. فضرب به المثل في الشُّؤم، وقد أخذ مُرّةُ بن ضابئ اليَشْكُريّ هذا المعنى، ونعت به مُسَيْلمة المُتنبِّئ، وقد ادَّعى المعجزات، فَمجَّ في البئر ليفور الماء، فإذا بالمياه تغور، وأعمى صَبيّاً بصيراً، وقرأ على ناقةٍ، فجفّ حَلِيْبها، يقول عُمير:

يَــا بــنَ الوَلِيْــدِ بــنِ المُغِــيْرَةِ إنَّنِــي أَبْــرَأُ إلَيْــكَ مِــنَ الجَحُــوْدِ الكَــافِرِ

أَعْنِــي مُسَــيْلِمَةَ الكَــذُوْبَ فَإنَّــهُ واللهِ أَشْــأَمُ صُــحْبَةً مِــنْ قَــاشِرِ[4]

ومن أمثالهم الشّعريّة؛ أي الّتي جاءت في تَضاعيف شعرهم، قول حَمْزةَ بنِ بِيْضٍ الحَنَفِيّ:

لم تَكُــنْ عَــنْ جِنَايــةٍ لحَقَتْنِــي لا يَسَــاري ولا يَمِيْنِــي رَمَتْنِــي

بَــلْ جَنَاهــا أَخٌ عَــليَّ كَــرِيْمٌ وعَــلى أَهْلِهــا بَــرَاقشُ تَجْنِــي[5]

(١) الأمثال: ٣٤.

(٢) الدِّيوان: ق١٩٢.

(٣) مجمع الأمثال: ١/١٣٦.

(٤) الدِّيوان: ق٦٠.

(٥) حمزة بن بيضٍ الحنفيّ (حياته وشعره): ٢٠٢، ٢٠٣.

يُشير إلى المثل المعروف:" عَلَى أَهْلِهَا تَجْنِي بَرَاقشُ "(١).

وأصل ذلك المثل أنَّ بَرَاقشَ كانت كلبةً لقومٍ من العَرب، فأُغِيرَ عَليهم، فهَرَبُوا ومعهم بَرَاقش، فاتَّبع القومُ آثارَهُم بنُبَاح بَرَاقش، فهجموا عَليهم، فاصْطَلَمُوهم، وروى يُونس بنُ حَبيب عن أبي عمرو بن العلاء قَال : إنَّ بَرَاقش امرَأةٌ كَانت لبعض الملوك، فسَافر الملكُ واستخْلَفها، وكان لهم موضعٌ إذا فَزِعوا دخَّنُوا فيه، فإذا أَبْصَره الجندُ اجتمعوا، وإنَّ جواريَها عَبَثْنَ ليلةً، فَدخَّنَّ، فجاءَ الجندُ، فلمَّا اجتمعوا قَال لها نُصَحاؤها: إنَّك إنَّ رَدَدْتهم ولم تَسْتعمليهم في شَيءٍ، ودَخَّنتهم مَرَّةً أخرى لم يأتِكِ منهم أحدٌ، فأَمَرتهم، فبَنَوا بناءً دون دارها، فلمَّا جاء الملكُ سَألَ عنْ البِناءَ، فأخْبَروه بالقصَّة، فَقَال : على أهْهِا تَجنِي بَرَاقشُ، فصارت مَثَلاً. وقِيل براقش غير ذلك(٢).

ومن أمثالهم الّتي فَطروها، لا الّتي ضَمّنوها في أشعارهم، قولهم:

" أزنى من سَجاح "(٣)، وقِيل :" أغلم من سَجاح "(٤).

وسَجاح: امرأةٌ من بَني تميم بن مُرَّة، كانت ادَّعَتْ فيهم النُّبوَّةَ، فأهدى إليها مُسيلِمة مالاً واستأمنها، حتى أمنته وأمنها فجاء واستدعاها، وقال لأصحابه: اضْرِبوا لها قُبَّة وجمِّروها، لعلَّها تذكُره الباهَ، وفعلوا فلمَّا أَتتْ، قالت له: اعرضْ عليّ ما عندك، فقال لها: إنّي أريدُ أن أخلوَ معك حتَّى نَتدارسَ، فلمَّا خلت معه في القُبَّة، قالت: اقرأ عليّ ما يأتيك به جِبرائيلُ؛ فقال: اسْمَعي هذه الآية: إنَّكُنَّ مَعْشرَ النِّساء خُلقتُنَّ أفواجاً، وجُعلتن لنا أزواجاً، نولِجه فيكُنَّ إيلاجاً، ثم نُخْرجه منكنّ إخراجاً. فقالت: صدقت إنّك نبيٌّ مُرْسل، فقال لها: هل لكِ في أن أتزوجكِ، فيقال: نبيٌّ تزوَّج نبيَّة ؟ فقالت: افعل ما بدا لك، فقال لها:

أَلاَ قُـــــــــــــــــومِي إلى المُخَـــــــــــــــــدعْ
فقـــــــــــد هُيِّـــــــــــئ لَـــــــــــكِ المَضْـــــــــــجَعْ
فـــــــــــإنْ شِـــــــــــئْتِ سَـــــــــــلَقْنَاكِ
وإن شِـــــــــــئْتِ عَـــــــــــلَى أَرْبَـــــــــــعْ
وإن شِـــــــــــئْتِ فَفِـــــــــــي الْبَيْـــــــــــتِ

(١) مجمع الأمثال: ٣٩١/٢.
(٢) مجمع الأمثال: ٣٩١/٢.
(٣) مجمع الأمثال: ١١٨/٢.
(٤) الكَشكول: ٣٠٨.

وإن شِـــــــــــــئْتِ ففـــــــــــــي المُخْـــــــــــــدَعْ
وإن شِـــــــــــــئْتِ بِثُلْثَيْـــــــــــــهِ
وإن شِـــــــــــــئْتِ بِـــــــــــــهِ أجْمَـــــــــــــعْ[1]

فقالت، بل به أجمع، فإنّه للشَّمل أجمع، فضرب بعضُ ظُرفاء العرب لذلك مثلاً[2].

"العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ بيْنَ جُمَادى وَرَجَبَ"[3].

أَوَّلُ مَن قَال ذلك عاصِم بن المُقْشَعِر الضَّبِّيُّ، وكان أخُوه أبَيْدَةُ علِقَ امرَأة الخُنَيْفِسُ بن خَشرَم الشَّيبانيّ، وكان الخُنيفس أغْيَرَ أهل زمانه وأشجَعَهم، وكان أُبَيْدَةُ عزيزاً مَنِيعاً، فبلغ الخنيفس أن أُبَيْدَةَ مضى إلى امرأته، فركب الخنيفسُ فرسه وأخذ رمحه وانطلقَ يرصُدُ أُبيدة، وأقبل أبيدةُ، وقد قضى حاجتَه راجعاً إلى قومه، وهو يقول :

ألا إنَّ الخُنَـــــيْفسَ فَـــــاعْلَمُوهُ ... كـــــما ســـــمَّاهُ والـــــدُهُ اللَّعـــــينُ
بَهـــــيمُ اللَّـــــونِ مُحْتَقِـــــرٌ ضَـــــئِيلٌ ... لئـــــيماتٌ خلائقـــــهُ ضَـــــنِينُ
أيوعِـــــدُنِي الخُنَـــــيْفِسُ مِـــــنْ بَعَيـــــدٍ ... ولَمَّـــــا يَنْقَطِـــــعْ مِنْـــــهُ الـــــوَتِين
هَـــــوْتُ بِجَارَتَيـــــهِ وَحَـــــادَ عَنِّـــــي ... وَيَـــــزْعُمُ أَنَّـــــهُ أَنَّـــــفٌ شَـــــنُونُ

قَال : فشدَّ عليه الخُنَيفسُ، فَقَال أبيدة : أذكِّرُكَ حُرمةَ خَشْرم، فَقَال: وحُرْمةِ خَشْرَمٍ لأقتلنك، قَال : فأمْهِلْني حتَّى أَسْتلئمَ، قَال : أوَ يستلئمُ الحاسِرُ ؟ فقتله، وقَال :

أيـــا ابْـــنَ المُقْشَـــعِرِّ لَقِيْـــتَ لَيْثـــاً ... لـــه في جَـــوفِ أَيكَتِـــهِ عَـــرِينُ
تقـــولُ صَـــدَدْتُ عَنْـــكَ خَنـــاً وجُبْنـــاً ... وإنَّـــكَ مَاجِـــدٌ بَطَـــلٌ مَتِـــينُ
وَإنَّـــكَ قَـــد لَهَـــوتَ بِجَارَتَينَـــا ... فَهَـــاكَ أُبَيْـــدُ لاَ قَـــاكَ القَـــرِينُ
سَـــتَعْلَمُ أَيُّنـــا أَحْمَـــى ذِمـــاراً ... إذا قَصُـــرَتْ شِـــمَالُكَ واليَمَـــينُ
لَهَـــوْتَ بِهـــا فَقَـــدْ بُـــدِّلْتَ قَـــبْراً ... وَنَائِحَـــةً عَلَيْـــكَ لَهَـــا رَنِـــينُ

(١) الدِّيوان: ق٣٥.
(٢) الدُّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة: ١/٣٢٥.
(٣) مجمع الأمثال: ٢/٤١٠.

قَال : فلما بَلَغ نَعِيه أخاه عاصِماً لبِس أطمَاراً من الثِّياب، وركب فرسه، وتقلَّد سيفه وذلك في آخر يوم من جُمادى الآخَرة، وبادر قَتْلَه قبل دخول رَجب، لأنَّهم كانوا لا يقتلون في رجب أَحَداً، وانطلقَ حتَّى وقف بفناء خباء الخُنَيفس، فنادى : يا ابن خَشْرَم أَغِثِ المُرْهقَ فطالما أَغَثتَ، فَقَال : ما ذاك ؟ قَال : رجلٌ من بني ضَبَّة غصَبَ أخي امرأته، فشدَّ عليه، فقتله، وقد عَجَزت عنه، فأخذ الخنيفسُ رُمحه، وخرج معه، فانطلقا فلمَّا عَلمَ عَاصم أنهُ قَد بَعَدَ عَن قَومهِ داناه حتَّى قارنه، ثُمَّ قَنَّعه بالسَّيف، فأطار رأسه وقَال : العجَبُ كُلُّ العَجَب بين جُمادى ورجب، فأرسلها مَثَلاً ورجع إلى قومه.

ومن ذلك المثل:" سِرْ عَنْكَ "[1] .

قالوا : إنَّ أوَّلَ من قال ذلك خِدَاش بن حَابِسٍ التَّمِيميّ، وكان قد تَزَوَّج جاريةً من بني سَدُوس، يُقال لها الرَّباب، وغاب عنها بعد ما مَلَكها أعواماً، فعلقها آخر من قومها يقال سَلم، ففَضَحها، وإنَّ سَلماً شَرَدَت له إبلٌ، فركب في طَلَبها، فوَافاه خِداشٌ في الطَّريق، فلمَّا عَلِم به خِداش كتَمَه أمرَ نفسِه ليعلم عِلم امرأته، وسارا فسأل سَلم خِداشاً : ممَّنِ الرَّجلُ ؟ فخبَّره بغير نسبه، فقال سَلم :

أغِبْتَ عَنِ الرَّبَابِ وَهَامَ سَلْمٌ ... بِهَا وَلَهَا بِعِرْسِكَ يَاخِدَاشُ

فَيَالَكَ بَعْلَ جاريةٍ هَوَاهَا ... صَبُورٌ حين تَضْطَرِبُ الْكِبَاشُ

وَيَا لَكَ بَعْلَ جاريةٍ كَعُوبٍ ... تَزيدُ لذاذةً دُونَ الرَّيَاشِ

وَكُنْتَ بها أخا عَطَشٍ شَدِيدٍ ... وَقَدْ يَرْوَى عَلَى الظّمْأ العِطَاشُ

فإن أرْجِعْ وَيَأْتيهَا خِدَاش ... سَيُخْبِرُهُ بِمَا لاقى الفِرَاشُ[2]

فعرف خِداشٌ الأمرَ عند ذلك، ثُمَّ دنا منه، فقال : يا أخا بَني سَدوس فقال سَلم : علقتُ امرأةً غاب عنها زوجُها، فأنا أنْعَمُ أهلِ الدُّنيا بها، وهي لَذَّةُ عَيشي، فقال خِداش : سِر عَنك، فسَار ساعةً، ثمَّ قال : حدِّثنا يا أخا بني سَدوس عن خَليلتك قال : تَسَدَّيتُ خِباءها ليلاً، فبِتُّ بأقَر ليلةٍ، أعلُو وأعْلى وأعانِق وأفْعَلُ ما أهوى فقال خداش : سِر عنك، وعرف الفضيحةَ، فتأخرَّ، واخْترط سَيفه وغَطّاه بثوبه، ثمَّ لحقه وقال : ما آية ما بينكما إذا جئْتَها قال : أذهَبُ ليلاً إلى مَكان كذا من خِبائها وهي تخرج، فتقول :

يالَيْلُ هَلْ مِنْ ساهرٍ فيكَ طالبِ ... هَوَى خلَّةٍ لا يَنْزَحَنْ مُلْتَقَاهُمَا

(١) الخبر بتمامه في مجمع الأمثال: ٢/١٧٤.

(٢) الدِّيوان: ق٢٣٦.

فأجاوبها :

نَعَـــمْ سَـــاهِرٌ قَـــدْ كَابَـــدَ الليـــلَ هـــائِم بِهَائِمَـــــةٍ مـــــا هَوَّمَـــــتْ مُقْلَتَاهُمـــــاَ

فتَعْرف أنِّي أنا هو، ثُمَّ قال خِداش : سِر عنك، ودنا حتَّى قَرَن ناقته بناقته وضربه بسيفه، فأطار قِحْفَهُ وبقي سائره بين سرخي الرَّحْل يضطرب، ثمَّ انصرف، فأتى المكانَ الذي وصَفه سَلِم، فقعد فيه ليلا وخرجت الرَّباب، وهي تتكلَّم بذلك البيت، فجَاوبَها بالآخر، فدنَتْ منه وهي تَرى أنَّه سلم، فقنَّعها بالسيف، ففلَق ما بين المفرق إلى الزّور، ثُمَّ ركب وانطلق.

ومعنى قولهم: (سِر عَنكَ): دعني واذهبْ عَنِّي، وقيل معناه: لا تَربع على نفسك، وإذا لم يربع على نَفسه، فقد سارَ عنها.

وأمَّا مصادر معانيهم فممزوجة بين الأعراف والمعتقدات الجاهليّة، وما تأثّروا به، وأخذوه من الإسلام، متمثِّلاً بالقرآن الكريم، والسُّنَّة النَّبويَّة، وثقافة الدِّين الجديد عموماً.

وقد ظلَّ كثيرٌ من شُعراء بكر بن وائل في الإسلام على ما اعتقدوا في الجاهليّة، وأبرزوه في أشعارهم، فمن ذلك الخرافة الجاهليَّة، الّتي ترى أنَّ القتيل تحوم فوق قبره (الهام) حتّى يُدرك ثأرُه، "فكانوا يعتقدون أنّ الإنسان إذا مات اجتمع دم الدِّماغ في جسمه، فانتصب طيراً هامة، ترجع إلى رأس القبر كلّ مئة سنة. وقد يرجع هذا الأمر إلى عقيدة قديمة تعتبر الدّم مقرّا للنفس "[1].

وفي هذا المعتقد يقول مُحكَّم بن الطُّفيل مُتوعِّداً خالدَ بن الوليد:

وهَـــــــامٍ يَطِـــــــيْرُ بأَقْفَائِهـــــــا وشَـــــدٌّ عَلَيْـــــكَ لهـــــمْ وَاحِـــــدُ[2]

(١) الموت في الشّعر العربي السوري المعاصر: ٤١.

(٢) الدِّيوان: ق٣١.

وذلك لأنّ مُعظم العرب لم يحفلوا بديانة تبدِّد عنهم الوهم وتجلوه، وكانت الأساطير ترسم حياتهم، وتسِم وجودهم، ويرى د. حسن البنّا أنّ فكرة الهامة" تتّصل بفكرة الشّبح والطّيف في إطار الموت والقتل والأحلام"(١)، أي هي ليست فِكرةً قائمةً على مُعتقد أو دِين، بقدر ما هي مُعتمدة على أساطير وخرافات، شكّلت في زمن من الدّهر أساس مجتمع، وبُنيت عليها حياة أمم.

ومنه قول خلف الأقطع في قتل الوليد بن يزيد:

لَقَدْ سَكَّنَتْ كَلْبٌ وأَسْبَاقُ مَذْحِجٍ صَدًى كَانَ يَزْقُو لَيْلَهُ غَيْرَ رَاقِدِ(٢)

والصَّدى طائِرٌ يَصِيحُ في هامَةِ المَقْتُولِ إذا لَمْ يُثْأَرْ به، وقيل: هو طائِرٌ يَخْرُجُ من رَأْسِهِ إذا بَلِيَ ويُدْعَى الهامَةَ، وإنّما كان يزعُم ذلك أَهلُ الجاهِلية(٣)، وهو ما أراده خلفٌ في قتل الوليد.

ومن هذه المعتقدات الّتي أبطلها الإسلام ونهى عنها العِيافةُ وزجرُ الطَّير، وذلك أنّهم كانوا يعتبرون بأسماء الطّيور، ويتفاءلون بها ويتشاءمون، ويجعلونها ترسم خُططهم، وتُحدِّد مصيرهم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن تلك المعتقدات، فقال: « الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الْجِبْتِ »(٤). الطَّرْقُ يعني الزَّجْرُ وَالْعِيَافَةُ هي الْخَطُّ؛ أي الّذي يخُطّ في الأرض.

وفي ذلك يقول عَمْرو بن جابرٍ الحَنَفيّ في عَدوّه المُكاشِر:

ثَنَى ضِلَعاً مِنْ جَنْبِهِ وثَنَيْتُهَا عَلَى مِثْلِهَا مِنْ عَائِفِ الطَّيْرِ زَاجِرِ(٥)

وكان مُسَيْلمةُ الحَنَفيُّ قد أحكَمَ حِيَل الكّهَنة و السّدَنَةِ والحُوَّاءِ(٦) وأصحابِ الزَّجْر والخَطِّ، ومَذْهبَ الكَاهنِ والعَيَّاف والسّاحر، لذلك يقول فيه مُرَّةُ بن ضابئ اليَشْكُريّ:

يَا بنَ الوَلِيْدِ بنَ المغِيْرَةِ إنَّنِي أَبْرَأُ إلَيْكَ مِنَ الجَحُوْدِ الكَافِرِ

أَعْنِي مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابَ فإنَّهُ واللهِ أَشْأَمُ صُحْبَةً مِنْ خَاسِرِ

---

(١) الطّيف والخيال في الشّعر العربيّ القديم، د. حسن البنا عزّ الدّين، ص١١، دار النديم، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

(٢) الدِّيوان: ق١٦١.

(٣) انظر لسان العرب: [ص د ى]، ٤٥٣/١٤.

(٤) سنن أبي داود: ٢٣/٤.

(٥) الدِّيوان: ق٨٠.

(٦) الحوّاء: نبتٌ يُشبه لون الذّئب، واحدته حُوَّاءة. والحوّاء: أرض تُستخرج منها الحيّات. والعرب تقول: وعَزَم الحوَّاء: إذا استخرج الحيَّة، كأنَّه يُقْسم عليها (المحكم والمحيط الأعظم: (ع ز م، ٣٣٣/١).

ضَرَبَ النُّبُـــوَّةَ بالكَهَانَـــةِ ضِـــلَّةً يـــا لَلرِّجَـــالِ مِـــنَ الخَـــدُوْعِ السَّـــاحِرِ
النَّـــاقِضِ الإسْـــمَ الّـــذِي مِـــنْ مَيْنِـــهِ أَنْ لَـــيْسَ يَـــدْرِي كَيْـــفَ زَجْـــرُ الطَّـــائِرِ[1]

والعرب تختلف في العِيافة، كما جاء في لسان العرب، فيتيمّنون بالسَّانح، وهو الّذي يأتي عن اليمين، ويتشاءمون بالبَارح، وهو الّذي يأتي عن اليسار، إلّا أنَّ أهلَ نجْدٍ يتيمَّنون بالسَّانح، بينما يتشاءمُ الحِجازيّون به، وفي المثل:" مَنْ لِي بالسَّانِحِ بعد البارِحِ"[2]، يُضرب للرَّجل يُسِيءُ إلى الرَّجل، فيقال له: إنَّه سوف يُحسن إليك، فيُضرب هذا المثل، وفي هذا يقول خلفٌ الأقْطَع:

وسِرْ سَـيْرَ مَـنْ لا يَعْلَـمُ الغَيْـبَ إنْ غَـوَى وخَـلِّ سَـبِيْلَ الطَّـيْرِ تَسْـنَحْ وتَـبْرَحِ[3]

ومن المعاني والأفكار والمفاهيم الّتي جاء الإسلام مُصحِّحاً لها، ومُغيّراً لبعضها، مفهوم الموت الّذي اعتبره الجاهليّون فَناءً لا رَجعة بعده، فجاء الإسلام مُبيِّناً أنَّ بعد الموت بعثاً، فحساب، يقول مُحكَّم بن الطُّفيل:

أَيَـــا بْـــنَ الوَلِيْـــدِ ويَـــا خَالِـــدُ ويَـــا أيُّهَـــا الأسَـــدُ اللابِـــدُ
لَـــرُبَّ أُنَـــاسٍ أَفْنَيْـــتَهُم وأَنْـــتَ إلى مِثلِهـــا عَائِـــدُ[4]

ومن العادات الجاهليّة الّتي نهى عنها الإسلام شُربُ الخَمْر، إذ اعتبر أنّها من الموبقات، ورِجسٌ من عَمل الشَّيطان، بينما كانت عِندهم من علامات الكَرم والأصالة، فنجد الممكّأ الشَّيبانيّ في الإسلام يَفْخر بشربه الخمر حتّى يُعْرف بين النّاس، ويَهابه خُصومه، يقول:

إِني آمْـرِؤٌ مِـنْ بَنـي شَـيْبانَ قَـدْ عَلِمَـتْ هَاتَـا القَبَائِـلُ أُمَّـي مِـنْهُمُ وأَبي
أَنِّي إِذَا مـا شَرِبـتُ الخَمْـرَ يَـذْكُرُني قَـوْمِي وتُعْـرَفُ مِنِّـي آيَـةُ الغَضَـبِ[5]

وقد جاء في تحريم الخمر، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[المائدة: ٩٠].

(١) الدِّيوان: ق٦٠.
(٢) لسان العرب: [ب ر ح]، ٤٠٨/٢.
(٣) الدِّيوان: ق١٦٥ق١٥٩
(٤) الدِّيوان: ق٣١.
(٥) الدِّيوان: ق٤٦.

وكان لُشعراء بكر بن وائل أثرٌ واضحٌ في الإسلام، وقد تأثَّر بعضهم بالدِّين الجديد وبدا واضحاً في أشعارهم، فنجدُ ذكراً للقرآن الكريم، والإسلام، والدّين الحنيف ذكراً صريحاً.

فهذا حُريث بن جابرٍ يُشير في قضيّة التّحكيم يوم صِفّين إلى احْتِكامهم إلى القرآن الكريم، فيقول:

فَحَكَّمْنَا القُرَانَ[1] بِغَيْرِ شَكٍّ ... وكَانَ اللهُ عَدْلاً لا يَجُوْرُ[2]

ويُشير خالدُ بن المعمَّر السَّدوسيّ إلى القرآن الكريم، وقد استعان بمبادئه وقيمه في تَفريجه فتنةً، احتار منها السّادة والعبيد، يقول:

وفِتْنَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ اللَّيْلِ مُظْلِمَةٍ ... لا يَسْتَبِيْنُ لَهَا أَنْفٌ ولا ذَنَبُ

فرَّجْتُهَا بِكِتَابِ اللهِ فانْفَرَجَتْ ... وقَدْ تَحَيَّرَ فِيْهَا سَادَةٌ عَرَبُ[3]

وأمّا إشارتهم إلى لفظ الإسلام فكثير، من ذلك قول مَصْقَلَةَ بن هُبَيرة الشَّيْبانيّ لمعاوية:

ويَنْسَى لِيْ مُفَارَقَتِي عَلِيّاً ... عَلى الإسْلامِ والدِّيْنِ الحَنِيْفِ[4]

ومنه قول حَجّار بن أبجر العِجْليّ، وقد سُجن، فبدتْ عليه علامات الشّحوب والتَّعب، فبيّنت له أنَّ الإسلام لا يَظلم أحداً، ولا يُقيِّدُ إلّا المعتدي:

تَقُولُ ابْنَةُ العِجْلِيّ إذْ جِئْتُ شَاحِباً ... مِنَ السِّجْنِ في سِربالِيَ المُتقدِّدِ

أَقُيِّدْتَ في سِجْنِ المدِيْنَةِ بَعْدَنا ... ومَنْ يَعْدُ في الإسلامِ ظُلْماً يُقَيَّدِ[5]

ومن المعاني الّتي أظهرها الإسلام وبيّنها، قضيّة الرُّوح في الجسد، الّتي لم يَعرفها الجاهليُّون، فبيّن الإسلام أنَّ الرّوح هي الّتي تحرِّك الجسد، فإذا بانت منه مات ذلك الإنسان، وأمّا الشَّهيد فهو حيٌّ لا يموت، قال تعالى في الرُّوح: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥].يقول الحُضين في هِجاء ابنه، وقد دعا الله ألّا يجعله في الشُّهداء:

(١) الشّطر مختلّ الوزن، ولا يستقيم إلَّا بتسهيل المد (القران بدل القرآن).

(٢) الدِّيوان: ق١٨.

(٣) الدِّيوان: ق١١٥.

(٤) الدِّيوان: ق١٣٢.

(٥) الدِّيوان: ق٤٨.

فــلا حَفِــظَ الــرَّحْمَنُ رُوحَــكَ حَيَّــةً ولا هِــيَ في الأَرْواحِ حِــيْنَ تَفِــيْضُ [1]

وأشار عُبَيْدة بن هِلالٍ اليَشْكُريُّ إلى عرش الله ﷻ، وحملة العَرش، والسّموات السّبع، فقال:

عَــلا فَــوْقَ عَــرْشٍ فَــوْقَ سَــبْعٍ ودُونَــهُ سَــمَاءٌ تَــرَى الأَرْوَاحَ مِــنْ دُونِهَــا تَجْــرِي [2]

وهو يُشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحاقة: ١٧].

وقضيّة البعث بعد الموت من القضايا الّتي جاء بها الإسلام، بعد أن كان سائداً في الجاهليّة مصطلح الفَناء، فأشار نهار بن حَرْب إلى البعث بعد الموت، ومُجازاة الله النّاس حسب أعمالهم، وأشار أيضاً إلى وحدانيَّة الله، ونُبوّة محمَّدٍ ﷺ:

وقَــالوا: مَــا تَقُــوْلُ؟ فَقُلْــتُ خَــيْراً شَــهِدْتُ بِــأَنَّنِي عَبْــدٌ ذَلِيْــلُ
وأنَّ البَعْــثَ بَعْــدَ المــوْتِ حَــقٌّ ولَــيَسْ إلى خِــلافٍ مِــنْ سَــبِيْلُ
وأنَّ اللهَ لَــيْسَ لَــهُ شَرِيْــكٌ وأنَّ محمَّــداً هَــادٍ دَلِيْــلُ
وأنَّ أَمَامَنَــا يَوْمــاً طَــوِيْلاً يَشِــيْبُ بِــهِ مِــنَ القَــوْمِ الحَمِيْــلُ
فَيَجْــزِي اللهُ فِيْــهِ كُــلَّ نَفْــسٍ بِــما كَسَــبَتْ، وذَا خَطْــبٌ جَلِيْــلُ [3]

وليس تأثُّر الشّعراء بالإسلام يعني أنّهم امتثلوا له، فاتّبعوا ما أمرهم به، والتزموا ما نُهُوا عنه، بل قد يتأثّر بعضهم بالجوّ المحيط به، أو بغية هدفٍ ما يَرمي إلى تحقيقه، مُتسربلاً بعباءة الإسلام، من غير أن يعني له الإسلام شيئاً، فهذا مُسيلمة الحَنفيّ، راح يُعدّدُ عدداً من أسماء الله الحُسنى، ليوهم النّاس أنّه نبيٌّ مُرسلٌ من عند الله، فقال:

أَنَــا رَسُــوْلٌ وارْتَضَــانِي الخَــالِقُ
القَــابِضُ البَاسِــطُ ذَاكَ الــرَّازِقُ [4]

(١) الدِّيوان: ق١٠٩.
(٢) شعر الخوارج: ١٢٤. (ونسب البيت إلى سميرة بن الجعد أيضاً).
(٣) الدِّيوان: ق٣٨.
(٤) الدِّيوان: ق٣٦.

فالقابض والباسط والرّزّاق من أسماء الله الحسنى الّتي ذكرها الرّسول ﷺ، ولعلّه يُشير تحديداً إلى الحديث النّبويّ الّذي ذكر فيه الرّسول تلك الأسماء، .فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ حين سأله النَّاسُ أنّ يُسعِّر لهم إثر الغلاء « إِنَّ اللهَّ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّى لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِى دَمٍ وَلاَ مَالٍ »(١).

ومن اقتباسهم من القرآن لفظاً ومعنًى وصف الحياة الدُّنيا بمتاع الغَرور في قول الشُّويعر الحَنَفيّ:

وإنَّ امْـــرَأً دُنْيَـــاهُ أَكْـــبَرُ هَمِّـــهِ لَمُسْتَمْسِـــكٌ مِنْهَـــا بِحَبْـــلِ غُـــرُوْرِ(٢)

أخذه من قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[آل عمران: ١٨٥]

ومن قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ ﴾[فاطر: ٥].

وهكذا فإنَّ الظَّواهر المعنويَّة في شِعر بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأمويّ ، ضمن هذا الشّعر المجموع، لا تخرج كثيراً عمّا كان في أشعار القبائل الأخرى، ذلك أنّهم كانوا مُنصهرين في بوتقة المجتمع العربيّ في كثيرٍ من جوانبه وعاداته ومعتقداته وأعرافه، إلّا أنّ الجديد قد نلمحه في الظَّواهر اللَّفظيّة، ولا سيّما اللغة والألفاظ الأعجميّة منها، الّتي وجدت لها سبيلاً في لسان البَكريّين.

(١) سنن أبي داود: ٢٨٦/٣.

(٢) الدِّيوان: ق١١٨.

الفصل الثَّاني
الظَّواهر البنائيَّة (اللَّفظيَّة)

أوّل ظاهرة لفظيَّة يمكن الوقوف عليها هي المنهج المسلوك في بناء النُّصوص الشِّعريّة، أو منهج بناء القصيدة فيما اشتمل عليه شِعر بكر بن وائلٍ المجموع، وعند النَّظر في منهج بناء قصائدهم نجد أنَّ المُقطَّعات غلبت على القصائد، وإن تعدَّدت القصائد في شعرهم، إلّا أنّ جُلّ مقطّعاتهم جاءت عفوَ الخاطر، وتعبيراً عن موقف واجه صاحبها، أو اعترض له أمرٌ شغله.

وليس من الغريب أن تكون للمقطَّعات الغَلَبة على القصائد، فهو أمرٌ طبيعيّ من الجاهليّة حتّى نهاية العصر الأمويّ، لضياع جُلِّ الشِّعر العربيّ، ولأسبابٍ تتّصل بتسجيل الشّاعر في شعره لموقف ما، أو تسجيل حادثةٍ، إلى جانب اعتماد العرب على الرِّواية الشَّفويّة، ما من شأنه أن يُقطِّع الشِّعر إلى نُتَف في كثيرٍ من الحالات.

ففي مرحلة صدر الإسلام انشغل النّاس بالدّعوة الإسلاميَّة بين مؤيِّدٍ لها، ومُساهمٍ في نشرها بشعره وقوله وفعله، ولا سيّما مرحلة الفتوح، وبين مُعارضٍ لا يألو جهداً في التَّقليل من شأنها، بل المساهمة في القضاء عليها قبل أن تنتشر بين العرب.

وكان مَطيُّ الفريقين من الشّعراء لسانهم الّذي أعانهم على التَّعبير عن المواقف المتسارعة في بداية مرحلة صدر الإسلام، فهذا أبو عِلاقة التَّيميّ يُسجّل لنا في بيتين موقفاً عارضاً صادفه في وقعة صفّين، وهو وثوب النَّاس على أربد بن ربيعة، فخشي على نفسه، فقال:

أَعُـــوذُ بِـــربِّي أَنْ تَكُـــونَ مَنِيَّتِـــي ... كَـــما مَـــاتَ في سُـــوْقِ الـــبَرَاذِيْنِ أَرْبَـــدُ

تَعَـــاوَرَهُ هَمْـــدَانُ خَفْـــقُ نِعَـــالِهِمْ ... إذا رُفِعَـــتْ عَنْـــهُ يَـــدٌ وُضِـــعَتْ يَـــدُ[1]

وأمّا غاية ما قاله شُعراؤهم في صدر الإسلام فلم يُجاوز الاثني عشر بيتاً في ثلاث قصائد، هي لُمحَكَّم بن الطُّفيل الحَنَفيّ الّتي مطلعها:

أَيَـــا بْـــنَ الوَلِيْـــدِ ويَـــا خَالِـــدُ ... ويَـــا أيُّهَـــا الأسَـــدُ اللابِـــدُ[2]

(١) الدِّيوان: ق١.

(٢) الدِّيوان: ق٣١.

وقصيدة ثعلبة بن عُميرٍ الحَنَفيّ الّتي أوّلها:

شَـتَتْ جَثْلَـةُ الأوْبَـارِ لا القُـرَّ تَشْـتكِي ولا الـذِّيْبَ تخْشَـى وَهْـيَ بالبَلَـدِ المُفْضِـي[1]

وقطعة عمرو بن سَمُرة الحَنَفيّ:

رَمَتْنَـــا القَبَائِـــلُ بـــالمُنْكَرَاتِ ومَـا نَحْـنُ إلّاكَمَـنْ قَـدْ جَحَـدْ[2]

وقطعة مُرَّة بن ضابئ اليَشْكريّ الّتي سجّل فيها حيل مُسَيْلمة وألاعيبَه في اثني عَشر بيتاً، أول الأبيات:

يَـا بـنَ الوَلِيْـدِ بـنَ المغِـيْرَةِ إنَّنِـي أَبْـرَأْ إلَيْـكَ مِـنَ الجَحُـوْدِ الكَـافِرِ[3]

وما سوى ذلك فهو يتوزع على قِطعٍ صغيرة، ونُتفٍ لا تتجاوز البيت والبيتين.

وأمّا شِعرهم في العصر الأمويّ فليس يخرج كثيراً عنه في صدر الإسلام، وإن كانت عِندهم بعض القصائد وقد بلغت (ثلاثاً وثلاثين) بيتاً، كما في قصيدة مُحارب بن دِثارٍ الذُهْليّ الّتي مطلعها:

أَحْمَـــدُ خَـــالِقِي حَمْـــداً كَثِـــيراً بَـــدَا خَلْقِـــي فَأَنْشَـــأَهُ سَـــوِيَّا[4]

وقصيدة خلف بن خَليفة الأقطع الّتي قالها في عزل هشام بن عبد الملك عاصمَ بن عبد الله، وتوليته خالداً القسريّ، فبلغت ثلاثين بيتاً، يقول في مطلعها:

أَبَـــى هَـــمُّ قَلْبِـــكَ إلَّا اجْتِمَاعَـــا ويَـــأْبَى رُقَـــادُكَ إلَّا امْتِنَاعَـــا[5]

وشأنهم في هذا العصر شأنهم في صدر الإسلام، فلم يفتتحوا قصائدهم بالمنهج التَّقليدي المعروف عند شعراء الجاهليَّة، ولعلّ مرد السَّبب إلى غلبة المقطَّعات على أشعارهم، وطبيعة المقطَّعات لا تتطلَّب مقدِّمةً ثُمّ حُسن انتقال، فالولوج في غرض القصيدة، ثُمّ إنَّ ذلك يتطلّب نفساً قويّاً، ووقتاً للشّاعر لا يُشغله عنه أحداثٌ جِسام، في حين أنّ شُعراء بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأمويّ شَغلتهم حُروبهم، ومُنازعاتُهم مع القبائل الأخرى، فراح بعضهم يُطلق البيت والبيتين ليعبّر عن موقفٍ ما، أو يُسجِّل حدثاً وقع، وهذا التّفصيل يخصّ شعرهم المجموع في الدّيوان، ولا يجري غالباً على المكثرين منهم، وأصحاب الدّواوين منهم.

---

(١) الدِّيوان: ق١١.

(٢) الدِّيوان: ق٢٥.

(٣) الدِّيوان: ق٦٠.

(٤) الدِّيوان: ق١٢٩.

(٥) الدِّيوان: ق١٦٤.

وأمّا الجانب الثّاني من الظّواهر اللّفظيّة فهو:

الجانب الموسيقي: (ويضم الموسيقا الخارجيَّة والموسيقا الدَّاخليَّة).

الموسيقا الخارجيَّة: تقوم الموسيقا الخارجيَّة على أساسين هما: الوزن والقافية.

وأمَّا **الوزن** فيقصد به بحور الشِّعر العربي، وهو ما يميّز الشّعر عن النثر، وقد عدّه ابن رشيق " أَعْظم أركان حدّ الشّعر، وأولاها به خصوصيّة، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة "[1].

وقد نَسج شُعراء بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأمويّ على اثني عشر بحراً، هي:(الطّويل، الوافر، الرّجز، البسيط، الكامل، الخفيف، المتقارب ، السّريع، الرّمل، المنسرح، الهزج، المديد). ما مجموعه (٣٤٠) نصّاً، وذلك بعد استثناء القسم المستدرك على شعرهم.

(١) العمدة: ٢٦٨/١.

وهذا الجدول الإحصائيّ يُبيّن أكثر البحور دوراناً، إلى جانب عَدد النّصوص:

البحر	عدد النُّصوص
الطّويل	١٢٥
الوافر	٣٦
البسيط	٢٣
الكامل	٢٢(منها نصّان من مجزوء الكامل)
المتقارب	١٥
الخفيف	١٤
السّريع	١٤(منها ٩ نصوص من المشطور)
الرَّجز	١٢(منها ١٠ نصوص، ٩ من مشطور الرّجز، وواحد من مجزوئه)
الرّمل	٧(منها نصَّ واحد على مجزوء الرّمل)
المنسرح	٢
المديد	١
الهزج	١
المجموع: ١٢ بحراً	٢٨٣ نصّاً

ويتبيّن من الجدول السّابق أمورٌ منها:

ـ أكثر البحور دوراناً الطّويل، وقد استأثر بأكبر عددٍ من النّصوص، وهي سمة عامّة عند الشّعراء، لما يمتاز به الطّويل من الاعتدال (فعولن، مفاعيلن، فعولن، مفاعيلن)، وجمعه لصفات بحور مثل (رِقَّة الرَّمل، وترسّل المتقارب)[1]، ثُمّ الوافر، فالبسيط، فالكامل، وهذه البحور هي الّتي ملكت على العربيّ كيانه الشِّعريّ، حتّى كان الطّويل ملك البحور، والبسيط وزيره، وأقلّها المديد والهزج، والهزج من البحور الّتي قلّ النّظم عليها في عصر الاحتجاج.

(١) ينظر ما قاله عبدالله الطّيّب في المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ١/ ٣٦٢، الدّار السّودانيّة، الخرطوم، ط٢، ١٩٧٠م

ـ ويلاحظ في فترة صدر الإسلام شيوع الرّجز كبحر مستقلّ واضح المعالم، إذ بدأ الشّعراء يكثرون من النَّظم عليه كثرةً مُلفتةً، كونه يُناسب أجواءَ الحروب، فهو بمثابة الموسيقا العسكريّة الّتي تؤجّج المشاعر وتلهبها، " إذ كان له دور كبير في القيام مقام الموسيقا العسكريّة في الجيوش الحديثة، من التّحميس والتَّعبئة الرّوحيّة للجند"[1]، وهو سَهل يأتي عفو الخاطر(مُسْتَفْعلن مُسْتَفْعلن مُسْتَفْعلن).

ـ البحر الكامل احتلّ المركز الرَّابع، وهذا البحر يتناسب مع أكثر أغراض الشّعر، وقد قال عنه د. عبدالله الطّيّب: " هو بحر كأنّما خُلق للتغنّي، سواءٌ أأريد به جدّ أم هزل "[2]. وإن كان هذا البحر يقترب من الحزينة، فيلامس سويداء القلب، حتّى يُخرج الآهات مُعبّرةً عمّا يختلج في الصّدور، كقول توسعة بن أبي عِتبان في أخيه الميّت:

مَنَعَ الرُّقَادَ تَحَوُّبِي مَا أَهْجَعُ ... ونَبَا بِجَنْبِيَ عَنْ فِرَاشِي مَضْجَعُ
أَعُتَيْبُ قَدْ كُنْتُ امرأً لي جَانِبٌ ... حَتَّى رُزِيْتُكَ والجُدُوْدُ تَضَعْضَعُ
فَلِمَنْ أَقُوْلُ إذا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ ... أَرِنِي بِرَأْيِكَ أَمْ إلى مَنْ أَفْزَعُ!؟[3]

وأمَّا القافية: فهي شريكة الوزن في الشّعر، لأنّ الشّعر لا يُسمّى شعراً إلاّ إذا كان له وزن وقافية، والقافية عند الخليل هي: " من آخر البيت إلى أوّل ساكن يليه مع المتحرّك الّذي قبل السّاكن "[4]، وسمّيت القافية بهذا الاسم كونها آخر البيت الشّعريّ، فهي من قولك: "قفوته قفْواً وقُفُوّاً، تَبِعْتُهُ" [5].

وأمّا الحرف الّذي تُبنى عليه القصيدة، ويكون آخر حروف القافية ومرتكزها فهو الرّوي، وهو آخر حرفٍ صحيح في البيت، وعليه تبنى القصيدة وتنسب إليه، فيقال: قصيدة ميميَّة، أو عينيّة، أو سينيّة، إذا كان الرّوي فيها ميماً أو عيناً أو سيناً.

وقد نظم شُعراء بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأموي، فيما جمعته من شِعرهم، على ثلاثٍ وعشرين حرفاً، وهذه الحروف هي:(الهمزة، الباء، التّاء، الجيم، الحاء، الدّال، الرّاء، السّين، الشّين، الصّاد،

(١) شعر الفتوح الإسلاميّة في صدر الإسلام: ٢٢٦.
(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ٢٤٦ .
(٣) الدّيوان: ق٧١.
(٤) شرح القصيدة الخزرجيّة: ص٢١٢.
(٥) القاموس المحيط: مادة [ق ف و] ، ص١١٩٣.

الضَّاد، الطَّاء، الظَّاء، العين، الفاء، القاف، الكاف، اللَّام، الميم، النُّون، الياء).

وفيما يأتي جدولٌ يُبيّن حُروف الرّوي مع عدد النُّصوص:

حرف الرّوي	عدد النُّصوص
الهمزة	٩
الألف (ى)	١
الباء	٣٣
التّاء	٥
الجيم	٢
الحاء	٣
الدّال	٢٧
الرّاء	٤٢
السّين	٦
الشّين	٢
الصّاد	١
الضّاد	٢
الطّاء	١
الظّاء	١
العين	٢١
الفاء	٤
القاف	٦

حرف الرّوي	عدد النُّصوص
الكاف	٤
اللّام	٣٩
الميم	٣٢
النّون	٢٣

الهاء	٢
الياء	١١
.....	.....
المجموع: ٢٣ حرفاً	٢٨٥ نصّاً

ومن خلال استقراء الجدول السّابق يتبيّن أنّ:

ـ أحرف (الرَّاء، اللّام، الباء، الميم، الدّال، النّون، العين) هي أكثر الحروف دوراناً في شِعرهم، وهي ما يطلق عليها اسم القوافي الذُّلل، وقد عرّفها أبو العلاء المعرّي بقوله: " ما كَثر على الألسن، وبُني عليه في القديم والحديث "[١]، وأحرفها " الباء والتّاء والدّال والرّاء والعين والميم والياء المتبوعة بألف الإطلاق، والنّون في غير التّشديد أسهلها جميعاً " [٢].

ويرجع إكثار الشّعراء من اختيار حرف الرّاء لكونه من الحروف المجهورة المتوسّطة بين الشّدة والرّخاوة، فلا يُسمع لها انفجار شديد، وهو حرف يوحي بالتّكرار وإعادة النّظر في القول بغية التّدبّر.

وحرف الرَّاء انتهبَ سِفراً تامّاً من لسان العرب، وشاركه حرفُ الباء الّذي أخذ ثلاثة أرباع محتواه[٣].

ثُمَّ اللّام، وهو من الأصوات الذّلقيّة، وقد وصفها المحدثون على أنَّها أوضح الأصوات السَّاكنة في السَّمع[٤]، وهذا إن أشار إلى شيء فهو يُشير إلى نقاء سمع البَكريّين، وصفاء ذهنهم، ولا سيّما الحَنفّيين الّذين قطنوا اليمامة.

ـ أحرف (الصّاد، الضّاد، الطّاء) أقلّ الحروف دوراناً، وهي في قائمة ما يُسمّى بـ القوافي النّفر، فهي أقل استعمالاً من غيرها، ومن حروفها: (الصّاد، والزّاي، والضّاد، والطّاء، والهاء الأصليّة، والواو)[٥].

وقد وردت الهاء غير أصليّةٍ وصلاً في قول مُحكَّم بن الطُّفيل:

لَبِئْسَ مَا أَوْرَدَنَا مُسَيْلِمَهْ
أَبْقَى لَنَا مِنْ بَعْدِنَا أُغَيْلِمَهْ

(١) لزوم ما لا يلزم، أبو العلاء المعرّي، تح: كمال اليازجي، ٤٣/١، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

(٢) ينظر المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ٤٦، وما بعد .

(٣) شعراء حمير (الدّراسة): ٥٦٣.

(٤) الأصوات اللّغويّة: ٥٥.

(٥) ينظر " المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها"، عبدالله الطّيّب: ٥٩/١ .

ونِسْـــــــوَةً جَـــــــرَا لُهُـــــــمْ مُنَيْنِمَـــــــهْ
واشـــــــــتماً رمالهـــــــــا أمينمـــــــــهْ[1]

ـ أحرف (الثّاء، الغين، الذّال) لم ترد رويّاً في أشعارهم، وهذه الحرف ممّا يُسمّى بـ الأحرف الحُوش، و هي الّتي تهجر ولا تستعمل حروفها، كالثاء و الظّاء والشّين والغين والذّال[2]، وقد ورد في شِعرهم بعض أحرف الحوش، وهي الظّاء في قول الحُضين:

نَسِـــيٌّ لَـــا أَوْلَيْـــتُ مِـــنْ صَـــالِحٍ مَضـــىَ وأَنْـــــتَ لِتَأْنِيْـــــثٍ عَـــــلَيَّ حَفِـــــيْظُ
تَلِـــيْنُ لأَهْـــلِ الغِـــلِّ والغِمْـــرِ مِـــنْهُمُ وأَنْـــتَ عَـــلى أَهْـــلِ الصَّـــفَاءِ غَلِـــيْظُ[3]

وهي قطعة من خمسة أبيات قالها في ابنه، وقد حَنق عليه، وبلغ الغضب عليه كلّ مَبلغٍ، فنفرَ منه، ودعا عليه، حتّى قاده ذلك النُّفور إلى نظم شعره على حرفٍ يُناسب ما هو فيه، وقد قال ابن الأثير في وجوب تخيّر الأحرف المألوفة: " واعلم أنَّه يجب على النَّاظم والنَّاثر أن يتجنّبا ما يضيق به مجال الكلام في بعض الحروف كالثّاء والذّال و الخاء والشّين والصّاد والطّاء والعين والغين، فإنّ الحروف الباقية مندوحةٌ عن استعمال ما لا يَحسن من هذه الأحرف المشار إليها "[4].

ومن جملة القوافي هناك القافية المقيَّدة، والقافية المطلقة؛ فأمّا القافية المقيّدة: فهي الّتي يكون فيها حرف الرّوي مقيّداً، وهو نوع من القوافي قليل الشّيوع في الشّعر، وأكثر دورانها في إطار الأراجيز، كقول مُسيلمة:

ألاَ قُـــــــــــــــــــــــــومِي إلى المُخَـــــــــــــــــــــــــدعْ
فقـــــــــــد هُيِّـــــــــــئ لَـــــــــــكِ المَضْـــــــــــجَعْ[5]

وهذا النّوع من القوافي المقيَّدة، تُعرف بالمقيَّدة المجرّدة؛ أي المجرّدة من الرِّدف التَّأسيس[6].

(١) الدِّيوان: ق٣٤.
(٢) ينظر "لزوم ما لا يلزم": ١/٤٤.
(٣) الدِّيوان: ق١٠٩.
(٤) المثل السّائر: ١/ ١٩٥. المندوحة: السّعة والفسحة، وقوله " مندوحة عن استعمال ...." أي لا غنى عنها .
(٥) الدِّيوان: ق٣٥.
(٦) الرّدف: هو ياء أو واو أو ألف سواكن قبل حرف الرّوي، والتّأسيس: هي ألف لا تكون إلاّ من الكلمة الّتي الروي منها، أو أن يكون الرّوي مضمراً فيجوز أن تأتي ألف التأسيس في كلمة والروي في أخرى / شرح القصيدة الخزرجيّة:

ومثله قول شُجاع بن الحارث السَّدوسيّ:

يـــــا سَـــــيَّد النَّـــــاسِ ودَيَّـــــانَ العَـــــرَبْ
إنِّي نَكَحْـــــتُ ذِرْبَـــــةً مِـــــنَ الـــــذِّرَبْ
خَرَجْـــــتُ أَبْغِيْهـــــا الطَّعَـــــامَ في رَجَـــــبْ
فَخَـــــالَفَتْنِي في نِـــــزَاعٍ وهَـــــرَبْ
أَخْلَفَـــــتِ الوَعْـــــدَ ولظَّـــــتْ بالـــــذَّنَبْ
وهُـــــنَّ شرُّ غالـــــبٍ لمـــــنْ غَلَـــــبْ[1]

ومنه قول عَمرو بن سَمُرة الحَنَفيّ:

رَمَتْنَـــــا القَبَائِـــــلُ بـــــالمُنْكَرَاتِ ومَـــــا نَحْـــــنُ إلَّاكَمَـــــنْ قَـــــدْ جَحَـــــدْ
ولَسْـــــنَا بِـــــأَكْفَرَ مِـــــنْ عَـــــامِرٍ ولا غَطَفَـــــانَ ولا مِـــــنْ أَسَـــــدْ[2]

وأمّا القوافي المطلقة، فهي ستّ ويشترط فيها الوصل[3]، ومن أنواعها المجرّد الموصول بحرف اللين، كقول ابن دَغماء العِجْليّ:

لَعَمْـــــرُكَ مَـــــا أَدْرِي وإِنِّي لَسَـــــائِلٌ سُـــــوَيْدَ بـــــنَ حِطَّـــــانٍ يَمُـــــتُّ ومَـــــا أَدْرِي
سِـــــوَى أَنَّكُـــــمْ دُرِّبْـــــتُمُ فَجَـــــرَيْتُمُ عَـــــلى دُرْبَـــــةٍ والضَّـــــبُّ يُخْتَـــــلُ بـــــالتَّمْرِ
فَـــــما أَنْـــــتُمُ مِنَّـــــا ولا نَحْـــــنُ مِـــــنْكُمُ دِعَـــــاوَةُ كِـــــذْبٍ أَنْـــــتُمُ آخِـــــرَ الـــــدَّهْرِ[4]

والمقصود بالمجرَّد أي المجرّد من الرِّدف والتَّأسيس، والشّاهد هاهنا الوصل بحرف اللّين (التّمرِ، التّمري).

ومنها المردف الموصول باللّين والهاء، فأمّا الموصول باللّين فمثاله قول علباء بن جحشٍ العِجْليّ:

أَرْجُـــــو بِهَـــــا مِـــــنْ رَبِّنَـــــا ثَوَابَـــــا
قَـــــدْ كُنْـــــتُ ممَّـــــنْ أَحْسَـــــنَ الضِّرَابَـــــا[5]

.٢٢١. ٢٢٤.

(١) الدِّيوان: ق٤٣.

(٢) الدِّيوان: ق٢٥.

(٣) الوصل: إمّا أن يكون حرف لين، وإمّا أن يكون هاء الوصل، وهي بدورها تأتي ساكنة وتأتي متحركة .

(٤) الدِّيوان: ق٥٠.

(٥) الدِّيوان: ق٥١.

وأمّا المردف الموصول بالهاء فقول مَسْعود بن المُختلس الشَّيبانيّ:

أَعَلْقَمَ، يا ابنَ المُسْهِرِيْنَ حَرَمْتَنِي عُلالَةَ نَابٍ مُسْتَعَادٍ ضَرِيْبُها
تَضَلَّلْتَها أو نِلْتَها مِنْ عُمالَةٍ إلى صِرْمَةٍ كَانَتْ قَلِيْلاً غَرِيْبُها[1]

عُيوب القافية:

لا يخلو شِعرٌ منظوم من عُيوبٍ في بنائه، مهما بلغ صاحبه من فراسة الطّبع، وحذق الصَّنعة، ولربّما أولج الشَّاعر نفسه في بعض العُيوب مُتعمِّداً في ذلك أن يُنسب إلى المطبوعين، أو بهدف التَّنبيه على أمرٍ أراده، كأن يقع في الإقواء وهدفه إبراز ما في نفسه من حَنقٍ وغضبٍ، فيأتي بالقافيةٍ مكسورةً، فيتبعها بالمضمومة.

والإقواء " هو أن يختلف إعرابُ القوافي، فتكون قافية مرفوعة مثلاً وأخرى مخفوضة، وهذا في شِعر الأعراب كثيرٌ جدّاً"[2]. وهو عَيبٌ لم يسلم منه الشّعراء الفحول.

ومثال الإقواء قول مُليكة الشَّيبانيّة في رثاء عمِّها:

مَا بَالُ دَمْعِكِ يا مُلَيْكَةُ جارٍ أَمْ مَا لِقَلْبِكِ لا يَقِرُّ قَرَارُ
أَمْ لِنَفسِكِ لَيْسَ يَسْكُنُ حزْنها لَيلاً، ولَيْسَ نَهَارُها بنَهارِ[3]

فقد جاءت بروي البيت الأوّل مضموماً، ثُمّ في الثّاني مكسوراً، ولعلّ فجيعتها بعمّها جعلتها تشرد بفكرها، حتّى شرد منها الرّوي مكسوراً.

ومن الإقواء قول نهار بن حرب:

وقَالوا: مَا تَقُوْلُ؟ فَقُلْتُ خَيْراً شَهِدْتُ بأَنَّنِي عَبْدٌ ذَلِيْلُ
وأنَّ البَعْثَ بَعْدَ المَوْتِ حَقٌّ ولَيْسَ إلى خِلافٍ مِنْ [سَبِيْلِ]
وأنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيْكٌ وأنَّ محمَّداً هَادٍ دَلِيْلُ[4]

وهي قطعةٌ عدد أبياتها (٩)، أقوى الشّاعر فيها في البيت الرّابع، إذ جاء بالقافية مكسورةً بعد أن جاء بها مضمومةً.

(١) الدِّيوان: ق٢٤١.
(٢) نقد الشّعر: ١٨١.
(٣) أشعار النّساء: ١٩٨- ١٩٩.
(٤) الدّيوان: ق٣٨.

ومنه قول سَلْم من بني سَدوس:

أغِبْتَ عَنِ الرَّبَابِ وَهَامَ سَلْمٌ ... بِهَا وَلَهَا بِعِرْسِكَ يَاخِدَاشُ
فَيَالَكَ بَعْلَ جاريةٍ هَوَاهَا ... صَبُورٌ حين تَضْطَرِبُ الْكِبَاشُ
وَيَا لَكَ بَعْلَ جاريةٍ كَعُوبٍ ... تَزيدُ لذاذةً دُونَ الرَّيَاشِ[1]

فقد جاء بالقافية مضمومةً إلّا في بيتٍ فقد جاء بها مكسورةً.

ومن أمثلة الإقواء أيضاً قول خالد بن المُعَمَّر السَّدوسيّ:

تَمَنَّى ابنُ حَرْبٍ حَلْفَةً في نِسَائِنا ... ودُوْنَ الَّذِي يَنْوِي سُيُوْفٌ قَوَاضِبُ
سُيُوْفٌ نِطَاقٌ والفَتاة فَتَسْتَقِي ... سِوَى بَعْلِهَا بَعْلاً وتَبْكِي القَرَائِبُ
فَإِنْ كُنْتَ لا تُغْضِي عَلَى الحِنْثِ فَاعْتَرِفْ ... بِحَرْبٍ سَجَى بَيْنَ اللَّهَا والشَّوَارِبِ[2]

فالبيتان الأوّلان رويّهما مضموم، بينما جاءت بالبيت الثّالث مكسوراً.

ومن عيوب القافية الإكفاء، وهو اختلاف القوافي، وكان الخليل يُسمّيه إجازةً، قال المرزبانيّ في تعريفه:" وسمَّيتُ الإكفاءَ ما اضطربَ حرفُ رويِّه، فجاء مرّةً نوناً ومرَّةً ميماً ومرّةً لاماً، وتفعل العرب ذلك لقرب مخرج الميم من النّون"[3].

ومثاله قول أبي مَيمون العِجْليّ:

بَنَاتُ وُطَّاءٍ عَلى خَدِّ اللَّيْلْ
لا يَشْتَكِينَ عَمَلاً مَا أَنْقَيْنْ
مَا دامَ مُخٌّ في سُلامَى أَو عَيْنْ[4]

قال أبو العلاء المعرّي:" اللّام والنّون مُتقاربتان، فلذلك جاءت بهما العرب في القافية على سبيل الغَلَط، وهو الّذي يُسمّى الإكفاءَ"[5].

(١) الدِّيوان: ق٢٣٦.
(٢) الدِّيوان: ق١١٤.
(٣) الموشّح: ٢١.
(٤) الدِّيوان: ق١٤٧.
(٥) اللّامع العزيزيّ: ١٣٩٧/٣.

وجاء في الفصوص:" فقال: اللّيل والعين، النّون مع اللّام، فهذا يكون من العرب على الغَلط"[1].

ومنه قول أبي النَّجم العِجْليّ:

جَاريـــــــــةٌ مِـــــــنْ ضـــــــبَّةَ بـــــــن أُدِ

كأنَّهـــــــــا في دِرعهـــــــــا المـــــــــنعطّ[2]

فقد جاء بالدَّال مع الطّاء. قال ابن عبد ربِّه:" وزَعم يونس أنَّ الإكفاءَ عند العرب هو الإقواء. وبعضُهم يجعله تبديلَ القوافي، مثل أن يأتي بالعين مع الغين لشبههما في الهجاء،وبالدَّال مع الطَّاء، لتقارب مخرجيهما"[3].

ومن عيوب القافية الإيْطاء، وهو تكرار القافية لفظاً ومعنى، وهو عيب في القافية لأنّه ضربٌ من العِيّ، وأمّا إذا تكرّرت القافية لفظاً بلا معنى فليست عيباً ولا يعد إيطاءً [4]، ومثاله قول خلف بن خليفة[5]:

أَبَـــى هَـــمُّ قَلْبِـــكَ إلَّا اجْتِمَاعَـــا ويَـــأْبَى رُقَـــادُكَ إلَّا امْتِنَاعَـــا

ثُمّ كرَّر القافية بعد بيتين، فقال:

نُـــدَافِعُ عَنْهَـــا وعَـــنْ مُلْكِهَـــا إذا لمْ نَجِـــدْ بِيَـــدَيْهَا امْتِنَاعَـــا

ووقع الشّاعر في الإيطاء مرّة ثانية في ذات القصيدة، فقال[6]:

أَتَلْهِـــيْنَ عَـــنْ قَتْـــلِ سَـــادَاتِنَا ونَـــأْبَى لِحَقِّـــكِ إلَّا اتِّبَاعَـــا

ثُمّ قال بعد بيتٍ واحد:

أَبَـــى ابـــنُ حُضَـــيْنٍ لَمَّـــا تَصْنَعِـــ ـــيْنَ إلَّا اضْـــطِلاعَا وإلاَّ اتِّبَاعَـــا

ومن عُيوب القافية السِّناد، وهو اختلاف كلّ حركةٍ قبل الرّوي[7]، وهو على أنواع، منه سِناد الرِّدف، ويقع بوقوع الرِّدف فى القافية وانعدامه فى القافية الّتي تليها، ومنه سناد التّوجيه، وهو اختلاف حركة التّوجيه،

(١) الفصوص: ١٧٥/٥.

(٢) الدِّيوان: ق٣١٩.

(٣) العقد الفريد: ٥٠٧/٥.

(٤) ينظر شرح القصيدة الخزرجيّة، ص٢٤٠.

(٥) الدِّيوان: ق١٦٤.

(٦) الدِّيوان: ق١٦٤.

(٧) الموشّح: ١٥.

وذلك بأن يكون قبل حرف الرّوي المقيّد فتحة مع ضمّة أو كسرة، فإنْ كانت مع الضّمة الكسرة لم تكن سناداً، ومثاله قول عَمرو بن سَمُرة الحَنَفيّ:

رَمَتْنَا القَبَائِلُ بالمُنْكَرَاتِ ... ومَا نَحْنُ إلّاكَمَنْ قَدْ جَحَدْ
ولَسْنَا بِأَكْفَرَ مِنْ عَامِرٍ ... ولا غَطَفَانَ ولا مِنْ أَسَدْ
ولا مِنْ سُلَيْمٍ وسَادَاتِها ... ولا مِنْ تَمِيْمٍ وأَهْلِ الجَنَدْ
ولا ذِي الخِمَارِ ولا قَوْمِهِ ... ولا الأشْعَثَ العَرَب لَوْلا النَّكَدْ
ولا مِنْ عَرَانِيْنَ مِنْ وَائِلٍ ... تَسُوْقُ المُحَرِّقَ سَوْقَ النَّقَدْ
وكُنَّا أُنَاساً عَلى شُبْهَةٍ ... نَرَى الغَيَّ لا شَكَّ مِثْلَ االرَّشَدْ
نَدِيْنُ بِما دَانَ كَذَّابُنا ... فَيَا لَيْتَ والِدَهُ لم يَلِدْ[1]

فجاء بحرف الدّال المقيّد، وقبله حرف مفتوح، ثمّ جاء باللّام مكسورةً.

ومنه قول عبد الله بن عبد الأعلى الشّيبانيّ:

مَنْ هُنَا لِي مِنْ صَدِيْقٍ فَلْيَعُدْ ... لِيَعُدْنِي إِنَّنِي اليَوْمَ كَمِدْ
مِنْ هُمُوْمٍ تَرَكَتْنِي قَلِقاً ... قَلَقَ المِحْوَرِ بالقُبِّ المَسَدْ
لَيْتَ شِعْرِي ولِلَيْتٍ نَبْوَةٌ ... أَيْنَ صَارَ الرُّوْحُ مُذْ بَانَ الجَسَدْ[2]

وأمّا الموسيقا الدّاخليّة فعمادها اللّفظ ومحسّناته، الّتي أطلق عليها علماء البلاغة اسم المحسِّنات اللّفظيّة(كالجناس، وردّ الأعجاز على الصُّدور، ولزوم مالا يلزم وغيرها). فأمّا الجِناس فكثير في أشعارهم، وهو ممّا تترنّم الأذن عند سماعه، لأنّه ضرب من التّكرار الصّوتي تستحسنه الأسماع، وترغب فيه دائماً إذا جاء عفو الخاطر، أو متصنّعاً غير مستكره.

ومن الجِناس قول رجلٍ من بكر:

نَسِيْرُ إلى البَحْرَيْنِ نَأْكُلُ تَمْرَهَا ... ونَرْعَى حِمَاهَا بالقَنَا والقَنَابِلِ[3]

إذ جانس بين (القنا) وتعني الرّماح، والقنابل وهي الخيول.

(١) الدِّيوان: ق٢٥.
(٢) الدِّيوان: ق١٢٢.
(٣) الدِّيوان: ق٦٩.

ومنه قول حَجّار بن أبجر:

طَلـــوبٌ بأَوْتَـــارٍ بِهِـــنّ مُطَلَّـــبٌ سَـــبُوقٌ صَـــدُوقٌ مَوْعِـــدِي وتَوَعُّـــدِي[1]

فقد جانس بين (موعدي) وهو ما يُبرمه المرء مع غيره من زمن معيّن للقاء، وبين (توعّدي) ومعناه الوعيد والتَّهديد.

ومنه قول وَهب بن أبجر:

هجَـــرْتَ لُجَـــيْماً أَنْ أَصَـــبْتَ زِيَـــادةً وعُـــذْتَ بِهِـــمْ عِنْـــدَ الـــزَّلازِلِ والأَزْلِ[2]

فجانس بين(الزّلازل)، و(الأزل).

ومن أمثلته قول عِمران بن حِطّان:

إنْ تَقُـــدْهُ تَقُـــدْ شَـــدِيْداً سَـــدِيْداً فَهْـــوَ يَمْشِـــي كَمِشْـــيَةِ المُخْتَـــالِ[3]

فأبدل السّين شيناً في كلمتين، وهو ما يُعرف بـ (التَّجنيس المُبدل).

ومنه قول عِصام بن عُبيد الزِّمَّانيّ:

يَنْضُـــو الفَـــلا بـــالمُنِّ خَـــوْفَ نَجِيْـــبِ ويَغُـــوْلُ فَضْـــلَ زِمَامِـــهِ بِنَجِيْـــبِ[4]

جانس عصام الزّمّانيّ جناساً تامّاً بين (نجيب) الأولى وتعني السّوط، و(نجيب) الثّانية وتعني العُنق.

ومن المحسّنات اللفظيّة ردُّ العَجز على الصّدر، وهو من محسّنات الكلام، وقد (قسمه ابن المعتز على ثلاثة أقسام: الأوّل، ما وافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في صدره، والثّاني: ما وافق آخر كلمة في البيت أوّل كلمة منه، والثّالث: ما وافق آخر كلمة في البيت بعض كلام في أيّ موضع كان)[5].

وهو تعريف ضيّق الحدود، قد جعله البلاغيّون بعض كلمات البيت في أيِّ موضعٍ كانت من حشو صدره[6].

ومن أمثلته في شِعر بكر بن وائل قول عبد الله بن ثعلبة الحَنَفيّ:

---

(١) الدِّيوان: ق٤٨.

(٢) الدِّيوان: ق١٤٩.

(٣) الدِّيوان: ق٣١٦.

(٤) الدِّيوان: ق٩٧.

(٥) تحرير التّحبير: ١١٦.

(٦) تحرير التّحبير: ١١٧.

غَرِيـــبٌ وأطْـــرافُ البُيُـــوْتِ تُكِنُّـــهُ ألاَ كُـلُّ مَـنْ تَحْـتَ الـتُّرَابِ غَرِيْـبُ[1]

ومن النّوع الثّاني عند ابن المعتزّ قول امرأةٍ من بَني شَيبان:

ظَعَـــــنَ الأَبْـــــرَارُ فَـــــارْتَحَلُوا خَـــيْرُهُمْ مِـــنْ مَعْشَـــرٍ ظَعَنُـــوا

ومنه قول عبد الله بن عبد الأعلى الشَّيبانيّ:

لَـــــــــيْسَ آتٍ بِبَعِيْـــــــــدٍ بَـــلْ قَرِيْـــبٌ مَـــا سَـــيَأْتِي[2]

وقوله:

عَـزَّتْ فَلَـمْ تُكْـسَرَ؛ وإِنْ هِـيَ بُـدِّدَتْ فَـــالوَهْنُ والتَّكْسِـــيْرُ لِلْمُتَبَـــدِّدِ[3]

وقوله:

يَـا وَيْـحَ هَـذِي الأَرْضُ مَـا تَصْـنَعُ لِكُـــلِّ حَـــيٍّ فَوْقَهَـــا مَـــصْرَعُ

تَـــزْرَعُهُمْ حَتَّـــى إِذَا مَـــا أَنَـــوَا عَـــادَتْ لهـــمْ تَحْصِـــدُ مَـــا تَـــزْرَعُ[4]

ومنه قول واثِلة بن خليفة السَّدوسيّ:

رَأَيْتُـــكَ لَمَّـــا شِـــبْتَ أَدْرَكَـــكَ الَّـــذِي يُصِـــيْبُ سَرَاةَ الأَزْدِ حِـــيْنَ تَشِـــيْبُ[5]

ومنه قول خلف بن خليفة:

وإِذَا سُـــــبِّبَ لِي خَـــــيْرٌ أَتَـــــى إِنَّ لِلصُـــــنْعِ وُجُوْهـــــاً وسَـــــبَبْ[6]

وقوله:

فَـــإِنْ تَقْطَعُـــوا مِنَّـــا مَنَـــاطَ قِـــلادَةٍ قَطَعْنَـــا بِـــهِ مِـــنْكُمْ مَنَـــاطَ قَلائِـــدِ[7]

(١) الدِّيوان: ق٢٣.
(٢) الدِّيوان: ق١٢١.
(٣) الدِّيوان: ق١٢٣.
(٤) الدِّيوان: ق١٢٤.
(٥) الدِّيوان: ق١٣٨.
(٦) الدِّيوان: ق١٥٦.
(٧) الدِّيوان: ق١٦١.

وثمّة ضربٌ آخر من المحسّنات اللَّفظيّة هو التَّصريع، وهو :" استواء آخر جزء في الصَّدر، وآخر جزء في العجز في الوزن والإعراب والتَّقفية"(١).

والتّصريع من شأنه أن يُغني موسيقا الشّعر، وأجمل ما يكون إن جاء في أثناء القصيدة لا في أوّلها فحسب، وقد وقع التّصريع في شِعر بكر بن وائل كثيراً في صدر الإسلام، منه قول ثُمامة الحَنَفيّ:

مُسَيْلِمَةُ ارْجِعْ ، وَلَا تَمْجِكِ ... فَإِنَّكَ فِي الْأَمْرِ لَمْ تُشْرَكِ(٢)

وقول رجلٍ من حَنيفة:

لَهَفِي عَلَيْكَ أَبَا ثُمامَهْ ... لَهَفِي عَلى رُكْنَيْ شَامَهْ(٣)

وقول مُجَّاعة الحَنَفيّ:

قُلْتُ والأُفْقُ عَلَيْهِ قَتَمَهْ ... بِئْسَ مَا جَرَّ عَلَيْنَا مَسْلَمَهْ(٤)

ومن أجمل التّصريع الّذي تَطرب له الأذن، قول كِلاب بن حَريّ العِجْليّ:

طَرِبْتَ ولَمْ تَطْرَبْ بِدَارِيْنَ مَطْرَبَا ... وجَوَّلْتَ في الآفَاقِ شَرْقاً ومَغْرِبا(٥)

ويرجع حُسن هذا البيت إلى مجيء الرّوي على الباء المفتوحة الّتي ينبغي إطلاق الألف بعدها، فجاء التّصريع على حرفين ما زاد من ملاحته وجماله.

ومثال التّصريع في شِعر بكر بن وائل في العصر الأمويّ قول توسِعة بن أبي عِتبان:

مَنَعَ الرُّقَادَ تَحَوُّبِي مَا أَهْجَعُ ... ونَبَا بِجَنْبِيَ عَنْ فِرَاشِي مَضْجَعُ(٦)

وقول ابنة حُذاق الحَنَفيّ:

أَعَيْنَيَّ جُودَا بالدُّمُوْعِ عَلَى الصَّدْرِ ... عَلَى الفَارِسِ المُقْتُوْلِ في الجَبَلِ الوَعْرِ(٧)

وقول عِصامٍ الزِّمَّانيّ:

(١) تحرير التّحبير: ٣٠٥.
(٢) الدِّيوان: ق١٧.
(٣) الدِّيوان: ق٦٥.
(٤) الدِّيوان: ق٢٩.
(٥) الدِّيوان: ق٥٣.
(٦) الدِّيوان: ق٧١.
(٧) الدِّيوان: ق٧٨.

أَرَى حَجْـــــراً تَغَـــــيَّرَ واقْشَـــــعَرَّا وبُـــدِّلَ بَعْـــدَ حُلْـــوِ العَـــيْشِ مُـــرّاً[1]

وقول امرأةٍ من شَيبان:

مَـــــنْ لِقَلْـــــبٍ شَـــــفَّهُ الحَـــــزَنُ ولِـــــنَفْسٍ مَـــــا لهَـــــا سَـــــكَنُ[2]

وقول الرَّحَال:

بَـــانَ الخَلِـــيْطُ ولم أَكُـــنْ صَـــحْوَانا دَنِفـــاً بزَيْنَـــبَ لـــو تُرِيْـــدُ هَوَانـــا[3]

ومن الملاحظ أنَّ التّصريع في أثناء الأبيات لم يرد في شِعر بكر بن وائل، بل اقتصرَ على المطلع.

ومن المحسّنات اللّفظيّة لزومُ مالا يلزم، وهو "أن يلتزم النَّاثر في نثره، والشَّاعر في شِعره، قبل رويّ البيت من الشّعر حرفاً فصاعداً على قَدْر قوَّته، وبحسب طاقته، مشروطاً بعدم الكلفة"[4].

فمن ذلك التزام مَسْعود بن المختلس الشّيبانيّ الرّاء المكسورة قبل الرِّدف:

أَعَلْقَـــمَ، يـــا ابـــنَ المُسْـــهِرِيْنَ حَرَمْتَنِـــي عُلالَـــةَ نَـــابٍ مُسْـــتَعَادٍ ضَرِيْبُهـــا

تَضَـــلَّلْتَها أو نِلْتَهَـــا مِـــنْ عُمالَـــةٍ إلى صِرْمَـــةٍ كَانَـــتْ قَلِـــيْلاً غَرِيْبُهـــا[5]

والتزم قَتادة بن مغرب الجيم المفتوحة في بيتين من أصل ثلاثة:

اجْعَـــلْ لُكَيْـــزاً ولا تَخْلِـــطْ بِهِـــمْ أَحَـــداً سُـــفَالَةَ الـــرِّيْحِ حَتَّـــى يُـــوْرِقَ الشَّـــجَرُ

إنَّ الرِّيـــــاحَ إذَا مَـــــرَّتْ بِفَسْـــــوِهِمُ لمْ تُبْـــقِ فِيْهَـــا فَسَـــاطِيْطَ و لا حَجَـــرُ[6]

والتزم قتادة الميم قبل السّين في بيتين:

تجهَّـــــزِي لِلطَّـــــلاقِ واصْـــــطَبِرِي ذَاكَ دَوَاءُ الجَـــــوَامِسِ الشُّـــــمُسِ

مَـــا أَنْـــتِ بالحَنَّـــةِ الوَلُـــودِ ولا عِنْـــدَكِ خَـــيْرٌ يُرْجَـــى لُمْلـــتَمِسِ[7]

(١) الدِّيوان: ق٩٨.

(٢) الدِّيوان: ق١٩٧.

(٣) الدِّيوان: ق٤٢.

(٤) تحرير التّحبير: ٥١٧.

(٥) الدِّيوان: ق٢٤١.

(٦) الدِّيوان: ق١٩٣.

(٧) الدِّيوان: ق٢٠٠.

والتزام الشّاعر حرفاً من بيتين أو أكثر، من غير أن يُعَمّم على سائر القصيدة يُشير إلى عدم التَّكلّف الّذي أشار إليه ابن أبي الإصبع في تعريفه.

وهذا الضّرب من ضروب المحسّنات اللّفظيَّة من محاسِن الشّعر، " لأنَّ الأذن إنّما تنتظر تكرار حرف الرَّوي الّذي هو ركنٌ أساسيّ من الموسيقا الخارجيّة للقصيدة لا بدّ منه، فإذا شَفَعَ الشّاعرُ حرف الرّويّ بحرفٍ آخر قبل الرّوي طَرِبَت له الأذنُ، وارتاحتْ له النَّفسُ "[1].

فهذه المحسّنات من لفظيّة ومعنويّة أبرز ما ورد في شِعر بكر بن وائل، ويُمكن أن نلاحظ أنّهم لم يأتوا بجديد، بل هذه السّمات هي عامّة في شِعر العرب في صدر الإسلام والعصر الأمويّ، وورد في شِعرهم من غير تكلُّفٍ ولا صنعة.

(١) ديوان شعراء بني كلب بن وبرة (الدّراسة): ٤٧٤.

الفصل الثّالث
الظَّواهر اللّغويّة والنَّحويّة في أشعارهم

يمكن تناولُ هذا الفصل من خلال جوانب عِدّة، هي:

- غريب اللّغة: وقد اضطرّنا الحديث عن خصائص شِعرهم المعنويّة إلى الحديث عن الألفاظ والمعاني عندهم.
- لغة بكر بن وائل و التَّوليد في بعض أبنية ألفاظهم، وتصرُّفهم فيها.
- التَّصرُّف في قواعد النَّحو (ومنه الضّرورة).
- اللَّفظ الأعجميّ في كلامهم.

لغة بكر بن وائل والتَّوليد في بعض أبنية الألفاظ، وتصرُّفهم فيها:

نظر أهل اللّغة إلى وسط الجزيرة العربيّة على أنَّهم أنقى لغةً من أطرافها، فقد رُويَ عن أبي عمرو بن العلاء أنّه لقي أعرابيّاً بمكّة، وأُعجب بفصاحته، فسأله: ممَّن أنت؟ قال: أسديٌّ ....قال: من أيّ البلاد؟ قال: من عُمان، قال: فأنّى لك هذه الفَصاحة؟ قال: إنَّا سكنَّا قُطْراً لا نسمع فيه ناجِخَة التَّيَّار"[1] أي صوته.

ولم يكن العرب يأخذون لغتهم عن أهل الحضر، ولا مَن جاور العَجم كبكر بن وائل، يقول أبو نَصْرٍ الفارابيّ:" وبالجملة فإنَّه لم يُؤخذ عن حَضَريٍّ قطّ، ولا عن سُكّان البَراري ممَّن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم، الّذين حولهم، فإنَّه لم يُؤخذ لا من لَخْم ولا من جُذام لمجاورتهم أهل مِصر والقبط، ولا من قُضاعة وغسّان وإياد لمجاورتهم أهل الشَّام، وأكثرهم نَصارى يقرؤون بالعبرانيّة، ولا من تَغلب والنَّمِر"[2].

والأمر ينطبق على بطون بكر بن وائل، فأهل اليمامة من بَني حَنيفة استقرّت عِندهم عناصر أجنبيّة كثيرة، بينما جاور بنو شَيبان الفُرس، وكانت بينهم معاملات تجاريّة، وعلاقات اقتصاديّة، وقامت بينهم الأحلاف، وعُقِدت عندهم المواثيق.

ففي العقد الفريد عن الأصمعيّ عن ذي الرّمّة:" رأيتُ عبْداً أسودَ لبني أسد قَدِم علينا من شِق اليمامة، وكان وَحْشِيًّا لطُول تَغرُّبه في الإبل، وربما كان لَقِي الأكَرة فلا يَفْهمِ عنهم ولا يَسْتَطيع إفهامَهم، فلما رآني سَكن إليَّ...."[3].

وهذا الخبر يُشير إلى انتشار العبيد والموالي في اليمامة، و يؤكّده ياقوت الحموي، وقد ساق خبراً عن أمّ موسى الكلابيّة وكان تزوّجها رجلٌ من أهل حَجر اليمامة، فنقلها إلى هناك، فكرهتُ الإقامة في منطقة زراعيّة، فيها علوج، فقالت:

قَـدْ كُنْـتُ أَكْـرهُ حَجْـرا أن أَلُمَّ بهـا ... وأنْ أَعِـيْشَ بـأَرْضٍ ذَاتِ حِيْطـانِ
لا حَبَّـذا العُـرفُ الأعـلى وسَـاكِنه ... ومـا تضـمَّنَ مـن مـالٍ وعِيْـدانِ

(١) ذيل الأمالي: ١٦.
(٢) كتاب الحروف: ١٤٦- ١٤٧.
(٣) العقد الفريد: ٢٧٩/٣.

أبيـــتُ أَرْقُـــبُ نَجْـــمَ اللَّيـــل قاعـــدةً حتَّـى الصَّـباحِ وعنـد البـاب عِلْجـانِ[1]

وعلى العموم ظهرت عند العرب لهجات مختلفة، بعضها اختصّ بقومٍ بعينهم، وظهرت في اللّغة فروقات ولكن " لم تكن في الأصل فُروقاً ضخمة، ولم يكن بينها هذا المدى المتَّسع، كانت لهجاتٍ مُتقاربةً حيناً، ومُتضامَّةً حيناً آخر، لا يكاد يُجاوز الخلاف فيها بعض الألفاظ، وبعض الصِّيغ، ولا يكاد يعدو بعض هذه الأساليب في الوقف أو الحذف، وفي الهمز أو التَّخفيف، وفي إبدال حرفٍ بحرف آخر يُقاربه في المخرج"[2].

ومن ذلك أن جعلوا المثنّى والملحقَ به بالألف مُطلقاً، رفعاً، ونَصْباً، وجرّاً، فيقولون:" جاء الزَّيدان كلاهما، ورأيتُ الزَّيدان كلاهما، ومررتُ بالزَّيدان كلاهما"[3].

وهذه الفروق في لهجاتهم تتّضح في كَشْكَشة ربيعة، وعَنْعَنة تميم، وكَسْكَسة هوازن، وتضجُّعِ قيس، وتَلْتَلة بهراء، طَمْطَمانيّة حِمْير، وغيرها.

وما يهمّنا هو لغة (لهجة) بكر بن وائل الّتي عُرفت بالكَشْكَشة، وقيل هي الكَسْكَسة، لغةٌ في بكر، وهي لُغةٌ قليلة، بأن يزيدوا سيناً بعد كاف المؤنّثة في الوقف لبيان حركة الكاف؛ نحو: عليكِسْ، فإذا وصلوا حذفوها، فهي في ذلك نظير هاء السَّكت[4].

وفي لسان العرب:" الكَسْكَسَة لغة من لغات العرب تقارِب الكَشْكَشَة، وفي حديث معاوية: تَياسَروا عن كَسْكَسَة بكر، يعني إبدالهم السِّينَ من كاف الخطاب، تقول: أَبُوسَ، وأُمُّسَ؛ أَي أَبوكَ وأُمُّك، وقيل هو خاصٌّ بمخاطبة المؤنث"[5].

وقد يُبدلون الذّال دالاً، وهي لغة في بكر بن وائل، وربيعة عموماً، كأن يقولوا في (الذِّكر) الدّكر، قال ابن منظور:" الدِّكْرُ لُعْبَةٌ يلعب بها الزِّنْجُ والحَبَشُ، والدِّكْرُ أَيضاً لربيعة في الذِّكْرِ، وهو غلطٌ حملهم عليه ادَّكَرَ، ..... وبعض بني أَسد يقول مُذَّكِر، فيقلبون الدَّال فتصير ذالاً مشدّدة، وقد قال الليث: الدِّكْرُ ليس من كلام العرب، وربيعة تغلط في الذِّكْر، فتقول دِكْرٌ"[6].

---

(١) معجم البلدان: ٢/٢٢٢.

(٢) سوق عُكاظ ومواسم الحجّ: ١٧١.

(٣) شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك: ١/٥٩.

(٤) انظر الجنى الدّاني في حروف المعاني: ٦٠.

(٥) لسان العرب: [ك س س]، ٦/١٩٦.

(٦) لسان العرب: [د ك ر]، ٤/٢٩٠.

وعرف البكريّون ظاهرةً لغويّة أخرى هي الكَشْكَشَة، وقد عُرفت في ربيعة ومضر" يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنّث شيناً، فيقولون: رأيتكش وبكش وعليكش، فمنهم من يُثبتها حالة الوقف فقط وهو الأشهر، ومنهم من يُثبتها في الوصل"[(١)].

وهذه الظّواهر عُرفت في الشّعر البَكْريّ الجاهليّ، ولها أثرٌ بسيطٌ في شِعرهم الإسلاميّ منها، إبدال الياء جيماً، قال الزَّمخشريّ:" وبعض العرب يقول: الإجَّل، يُبدل الياء جيماً، وأنشد أبو عليّ (لأبي النّجم):

كـــــــــأنَّ في أذنـــــــــابهنَّ الشُّـــــــــوَّلِ

مـــــن عَـــــبَسِ الصَّـــــيْفِ قـــــرونَ الإجَّـــــلِ[(٢)]

وجمعه أيائل مهموز، كجمع سيِّد. وزِنة إيَّل فَعَّل، والهمزة فيه أصل، لأنَّ ليس في الكلام (اِفْعَل) اسماً ولا صفةً"[(٣)].

وقد يُبدلون حرفاً مكان حرف، كإبدالهم العين المهملة غَيناً في (لعلَّ)، واللّام نوناً، ذكره السّيوطيّ في همع الهوامع، ، فقال يذكر القالي في أماليه: " وأنشد على (لغنَّ) بالمعجمة قول أبي النّجم:

اغْـــــــدُ لَغنَّـــــــا في الرِّهـــــــانِ نُرْسِـــــــلُهْ[(٤)]

وذكر الباقوليّ أنّ في (لعلّ) لغةً أخرى عند العرب، وهي إبدال العين همزةً، واللّام نوناً، فقال:" العربُ تقول: ائتِ السُّوقَ أنَّك تشتري لنا شيئاً، أي: لعلّك"[(٥)].

ومن ذلك أنّهم يُبدلون الياء من الباء، ومثاله قول أبي كاهِلٍ اليَشْكُريّ:

لَهَـــا أَشَـــارِيْرُ مِـــنْ لَحْـــمٍ تُتَمِّـــرُهُ مِـــنَ الثَّعـــالي وَوَخـــزٌ مِـــنْ أرانِيهَـــا[(٦)]

(١) انظر اللّهجات العربيّة لعبد الغفّار هلال: ٣٣.

(٢) في ديوانه: ٣٥٠ (جاء بلفظ الأصل وهو الإيّل).

(٣) التّهذيب بمحكم التّرتيب: ٤٩-٥٠.

(٤) همع الهوامع: ١/٤٣٠.

(٥) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات: ١/٤٢٥.

(٦) غريب الحديث لابن قتيبة: ٢/٢٧٨

أراد (من الثّعالب ووخزٌ من أرانبها)، وقال المعرّي:" وإنَّما قالت العربُ: الثَّعالي والأراني؛ تريدُ الثَّعالبَ والأرانبَ في ضرورة الشِّعر، فأبدلتِ الياءَ من الباء"(١).

وأمّا ما شُهر من لغتهم فهي سِمات معيّنة ميَّزت لغتهم، منها:

- تسكينُ وسط الثّلاثيّ الماضي، كقول أبي النَّجْم العِجْليّ:

لـــــو عُصْـــــرَ مِنْـــــهُ البَـــــانَ والمِسْـــــكُ انعَـــــصر(٢)

فسكّن نون الصّاد في الفعل الثّلاثيّ (عُصِرَ)، قال ابن سيده في المخصَّص:" هذه اللُّغة كثيرةٌ في تغلب، وهو أخو بكر بن وائل"(٣).

وليس تسكين وسط الثّلاثيّ لغةً عامّة عندهم، أو أساساً من أس لغتهم، بل له أسباب تعود إلى النّطق، وحركة اللّسان، قال سيبويه:" وإنَّما حملهم على هذا أنَّهم كَرِهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوحُ أخفُّ عليهم، فكرِهوا أن ينتقلوا من الأخفِّ إلى الأثقل، وكرِهوا في عُصِرَ الكسرة بعد الضمة، كما يكرهون الواو مع الياء في مواضع، ومع هذا أنَّ بناءٌ ليس من كلامهم إلّا في هذا الموضع من الفعل، فكرهوا أن يحوّلوا ألسنتهم إلى الاستثقال"(٤).

ومنه قول أبي النّجم أيضاً:

..... ونُفْخُـــوا في مَـــدائنهم فطـــاروا(٥)

وقد أكثر أبو النَّجْم من هذه اللغة في شِعره، فمن ذلك قوله:

ونَسْـــــيَ مـــــا يَـــــذْكُرُ مـــــن حَيائـــــه(٦)

فسكّن عين الفعل (نَسِيَ).

(١) اللّامع العزيزيّ: ١١١٧/٢.

(٢) ديوانه: ١٥٩.

(٣) المخصّص: ٣٣٥/٤.

(٤) الكتاب: ١١٤/٤.

(٥) ديوانه: ١٩١. صدر البيت: ألم يُخْزِ التَّفرُّقُ جُندَ كِسْرى.....

(٦) ديوانه: ٦٤.

وقد أشار سيبويه إلى هذه اللّغة، وعَدّ تسكين الوسط من باب الاستخفاف من الثّقيل، وهو في الأصل مُتحرّك، فقال:" وذلك قولهم في فَخِذ: فَخْذ، وفي كَبِد: كَبْدٌ، وفي عَضُد: عَضْدٌ، وفي .....، وهي لغة بكر ابن وائل، وأناسٌ كثير من بَني تميم"(١).

ولكنّهم أيضاً قد يفتحون ما حقّه التَّسْكين من باب (فَعْل وفَعَل) من السّالم، فيقولون: فَحْم وفَحَم، وهو من الصّواب بمكان، كقول الأغلب العِجْليّ:

قد قابَلوا لو يَنْفُخُون في فَحَمْ(٢)

وهم قد يفتحون ما صوابه التَّسكين، كلفظ (السَّمْن) بسكون الميم، إلّا أنّهم يقولوم(السَّمَن) بفتحها، جاء في لحن العوام:" ويقولون(السَّمَن) بفتح الميم، قال محمَّد: والصَّواب:(السَّمْن) بإسكانه، وقد أسْمنوا؛ إذا كَثُر سَمْنُهم، وسَمَنْتُ الطَّعام أسْمنه: إذا عملته بالسَّمْن، وأنشد ابن قتيبة (وهو للحُصين بن القَعقاع اليَشْكُريّ):

هُمُ السَّمْنُ بالسَّنُّوتِ لا أَلْسَ بَيْنَهُمْ وهُمْ يَمْنَعُونَ جارَهُمْ أَن يُقَرَّدا(٣)

ومن لغتهم ضَمّ الرَّاء في (الرُّضوان)، " فالضَّمّ والكسر ممّا يناسب طبيعة الأداء عند البدو، فالنّاظرُ إلى ما استَشْهد به النُّحاة من أشعار العرب في حالة البناء من أسماء الزَّمان المُبهمة كـ(قبل وبعد) وأشبههما، يلحظ أنّها مَعزوَّةٌ لشعراء من قبائل بدويّة؛ مثل تميم وعُقيل وأسد وعِجْل"(٤).

و الإمالة في لغتهم، ولغة هوازن وسَعد بن بكر(٥).

ومن لغتهم عدم فكّ الإدغام إذ سُكّن آخر الفعل المدغم لاتِّصاله بضمير الرَّفع، نحو:(رددنا، رددت)، والإدغام قبل الضّمير لُغيَّة، قال سيبويه:" وزعم الخليل أنَّ ناساً من بكر بن وائل يقولون: ردَّنا، مرَّنا، ردَّت) وهذه لغةٌ ضعيفة، كأنَّهم قدّروا الإدغام قبل النُّون والتَّاء، وأبقوا اللّفظ على حاله"(٦).

(١) الكتاب: ٤/١١٣.

(٢) شعراء أمويّون (شعر الأغلب العِجْلي): ١٧٥.

(٣) الدِّيوان: ق٢٦٩.

(٤) اللّغات العربيّة في تفسير البحر المحيط: ٣٠٥.

(٥) من لغات العرب لغة هذيل: ٧١.

(٦) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيّة ابن مالك: ٣/١٦٤٧.

وعلى الوجه النّقيض تجدهم يُشدّدون ما حقّه التّخفيف، فيقولون في (أَرِمْتَ) أي فَنيتَ:

(أرمّت)، قال صاحب التّاج:" وهي لغةُ بكر بن وائل"(١).

ومنهم من يجعل (عَليْكُم)، و(بِكُمْ) إذا كانت قبلها ياء ساكنة أو حرف مكسور بمنزلة (هُمْ)؛ أي قولون: (عَلَيْكِم)، و(بِكِم)، قال الأخفش:" وذلك قبيحٌ، لا يَكاد يُعرف؛ وهي لغةٌ لبكر بن وائل، سمعناها من بعضهم يقولون:(عَلَيْكِمي)، و(بِكِمِي)، ... سمعته من بكر بن وائل:

وإنْ قَالَ مَوْلاهُمْ على جُلِّ حاجَةٍ مِنَ الأمرِ رُدُّوا فَضْلَ أَحْلامِكِمْ رَدُّوا(٢)

وقولهم في (أحلامكُم) (أحلامِكِم) ذكره سيبويه في الكِتاب، فقال:" وقال ناسٌ من بكر بن وائل: من أحلامِكِم، وبِكِم، شبّهها بالهاء لأنّها عَلَمُ إضمار، وقد وقعت بعد الكَسْرة، فأتبعَ الكَسرة الكَسرة حيث كانت حرف إضمار، وكان أخفَّ عليهم من أن يَضُمّ بعد أن الكسر، وهي رديئةٌ جدّاً"(٣).

وفي النّوادر:" وقال رجلٌ من بكر بن وائل: أخذتُ هذا مِنْهُ يا فتى ومِنْهِما ومِنْهِمِي، فكَسَر الاسمَ المضمرَ في الإدراج والوقف"(٤).

وهم كثيراً ما يقفون على غير ما عَهدته العرب، كأن يبدلوا ألف (ما) و(ههنا) هاءً في الوقف، كقول أبي النَّجم:

اللهُ نجَّاكَ بِكَفَّيْ مَسْلَمَتْ

مِنْ بَعْدِ ما وبعدِ ما وبَعْدِ مَتْ(٥)

أراد (مسلمة وبعدما)، وجاء في كتاب الجمل في النّحو للخليل:" فوقَفَ على الهاء بالتّاء على اللّغة، وهي حِمْيريَّة"(٦).

(١) تاج العروس: [أ ر م]، ٣١/٢١٠.

(٢) معاني القرآن: ٣٠.

البيت للحطيئة في ديوانه: ٦٦. برواية (على جُلّ حادثٍ.... من الدّهر ردّوا فضل.....

(٣) الكتاب: ٤/١٩٧.

(٤) النّوادر في اللّغة: ٤٧١.

(٥) ديوانه: ٤٠٩.

(٦) الجمل في النّحو: ٢٨٩.

وعلّق العاتِكي في الفضّة المضنية في شرح الشَّذْرة الذّهبيّة:" وحين وُقِف على تاء التّأنيث بالهاء كُتِبت هاءً، وحين وُقف عليها بالتّاء كُتبت تاءً، فالخطُّ تابعٌ للوقف، واللهُ أعلم"(١).

وهذه اللّغة كُتبت بها ألفاظٌ في المصحف الشّريف، قال المالقيّ في الدّر النّثير:" وعلى هذا جاء الوقف في القرآن على ما كُتب من ذلك بالتّاء"(٢).

و جاء في هِمع الهوامع للسّيوطيّ(٣):" قال أبو حيّان: وعلى هذه اللّغة كُتب في المصحف ألفاظ بالتَّاء، نحو قوله تعالى:

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ ﴾[الدخان: ٤٣].

وعَدّه ابن هِشامٍ اللّخميّ الأندلسيّ ممّا أُجريَ فيه الوقف مجرى الأصل(٤).

وهم قد يَعدِلون باللّفظ عن موضعه، كقول أبي النّجم:

قالَـــــــتْ لَـــــــهُ رِيْـــــــحُ الصَّـــــــبا قَرْقَـــــــارِ(٥)

يريد بذلك: قالت له: قَرقِرِ، وقرقار بُني على الكَسْر، وهو معدول، ولم يُسْمع العَدْل من الرّباعيّ إلّا في: عَرْعار وقَرقار(٦).

ثُمّ إنّهم قد يأتون باللّفظ على أصله في بعض أحوالهم، كقول بعض قيس بن ثَعلبة:

إذا كُنْـــتِ تَـــرْأينَ الجميـــلَ إســـاءةً إليـــكِ، ولم تنفـــع لـــديكِ الوســـائلُ(٧)

فأثبت الهمزة في (ترأين) فأخرجه على الأصل، ولا يكون ذلك إلّا قليلاً، وكأنّهم فرّوا من التقاء همزتين، همزة الفعل (أرى) وهمزة (أرأى).

(١) الفضّة المضنيّة في شرح الشّذرة الذّهبيّة: ٤٦٦.

(٢) الدّر النّثير والعذب النّمير: ٤٦٣.

(٣) همع الهوامع: ٣٩٧/٣.

(٤) المدخل إلى تقويم اللّسان وتعليم البيان: ٨٦.

(٥) ديوانه: ٢٠٣.

(٦) انظر الكتاب: ٢٧٦/٣.

(٧) الدِّيوان: ق٢٠٧.

ومنه لفظ الموصل، أي: المؤصل بمعنى الإيصال، وهو وقت المساء، فقد سهّل أبو النَّجم الهمز، جاء في المحتسب لابن جنّي:" هو مصدر آصلنا، فنحن مؤصلون، دخلنا في وقت الأصيل"(١)، قال أبو النّجم:

فَصَـــــــــدَرتْ بَعْـــــــــدَ أَصِـــــــــيلِ المُوصـــــــــلِ(٢)

ومن مَجيء اللّفظ عندهم على الأصل، قول عُبيد الله بن زيادٍ التَّيميّ:

ونحــن قتلنــا ابــن الــزُّبير ورأســه حززنــا بــرأس النَّــابِي بــن زيــاد(٣)

فكَسَر الياء في (النَّابي) على الأصل.

وقد تختلف معاني الألفاظ عن غيرهم من القبائل، كلفظ (الماء العِدّ)، فهو عِندهم الماء القليل، في حين أنّه الماء الكثير في لغة تميم، جاء في تاج العروس:" وقال أبو عدنان: سألتُ أبا عُبيدةَ عن الماء العِدِّ، فقال لي: الماءُ العِدُّ بلغة تميم: الكثير، قال: وهو بلغة بكرِ بن وائل: الماء القليل"(٤).

ولبكر بن وائل لسانٌ في القراءات القرآنيّة، فقد ذكر ابن النَّحّاس في إعراب القرآن أنّ بكر بن وائل يسكّنون ياء الفعل (يَسْتَحيْ) في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا ﴾[البقرة: ٢٦]. فقال في ذلك:" لغة تميم وبكر بن وائل(لا يستَحيْ) بياء واحدة، وهكذا قرأ ابن كثير وابن مَحْيص وشِبْل"(٥).

ومن قراءاتهم، أنّهم يقرؤون (مالك) في قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾[الفاتحة: ٤]. (مَلْك) على وزن (سَهْل)(٦).

وقرؤوا (خَطّف) بكسر الخاء والطّاء مُشدَّدة(١)، في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ ﴾[الصافات: ١٠].

(١) المحتسب: ٢٧١/١.

(٢) ديوانه: ٣٦٠.

(٣) الدِّيوان: ق٧٤.

(٤) تاج العروس: [ع د د]، ٣٥٥/٨.

(٥) إعراب القرآن ابن النّحاس: ٢٠٣/١ -٢٠٣.

(٦) تفسير البحر المحيط: ١٣٤/١.

وعُرف من لغة بكر تَحْقير الأسماء المُبْهمة، مثل قولهم في: هذا، هُذيّا/ وفي: ذاك: ذيّاك/ وفي: أُلا، أُليّا.

قال سيبويه:" وإنَّما ألحقوا هذه الألفات في أواخرها لتكون أواخرُها على غير حال أواخر غيرها، كما صارت أوائلها على ذلك"(٢).

قال عِمران بن حِطّان:

ولَـــيْسَ لِعَيْشِـــنا هَـــذا مَهـــاهٌ ولَيْســـتْ دارُنـــا هَاتـــا بـــدارِ(٣)

فـ(هاتا) معناه هذه، فإذا صُغِّرت قلت: (هاتيَّا) لئلّا يلتبس بالمذكّر، قال سيبويه:" وكَرهوا أن يُحقِّروا المؤنّث على هذه، فليتبسَ الأمر"(٤).

ومن لغتهم أنّهم يجعلون أحياناً اسمين بمنزلة الاسم الواحد، نحو أن يجعلوا (يا ابن أمَّ، ويا ابن عَمَّ) بمنزلة الاسم الواحد، ومثاله قول أبي النَّجم:

يـــا بْنَـــةَ عـــمَّا لا تَلُـــومِي واهْجَعِـــي(٥)

قال سيبويه:" لأنَّ هذا أكثرُ في كلامهم من يا ابن أبي، ويا غلام غلامي"(٦).

وبعض العرب يستعمل (من دونٍ، من فوقٍ، من تحتٍ، من قَبْلٍ، من دُبُرٍ) على أنّها تجري مجرى الأسماء المُتمكِّنة؛ لأنّها تُضاف وتُستعمل غير ظرفٍ، ومن العرب (ومنهم بَكر بن وائل) من يقول: من فوقُ، ومن تحتُ، يُشبِّهه بقَبْلُ وبَعْدُ(٧)، قال أبو النَّجم:

أَقَـــبَّ مِـــنْ تحـــتٍ، عَـــرِيْضٍ مِـــنْ عَـــلِ(٨)

(١) تفسير البحر المحيط: ٣٣٩/٧.

(٢) الكتاب: ٤٨٧/٣.

(٣) شعر الخوارج: ١٥٣.

مهاه: جاء في إسفار الفصيح للهروي النّحويّ ٨٠٥/٢: بإظهار الهاء من مهاه، ومعناه: الحُسن واللّذة، وقيل: الطّراوة والحسن، وقيل اللّمع والصّفاء).

(٤) الكتاب: ٤٨٨/٣.

(٥) ديوانه: ٢٥٩.

(٦) الكتاب: ٢١٤/٢.

(٧) الكتاب: ٢٨٩/٣.

(٨) ديوانه: ٣٥٧.

وفي الفوائد المحصورة في شرح المقصورة:" فإنّه أراد من علو، كلّه بمعنى واحد"[1].

وأمّا الظّرف (دون) فيتصرَّف بقلّةٍ، جاء في همع الهوامع[2]:" ذهب الأخفش والكوفيّون إلى أنّه يتصرّف، ولكن بقلّة، وخرّج عليه: ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾[الجن: ١١].

وقد صرفه موسى بن جابرٍ الحَنَفيّ في قوله:

أَلَمْ تَرَيـــــا أنِّي حَمَيْـــــتُ حَقِيْقَتِـــــي وباشَرْتُ حَـدَّ المـوتِ، والمـوْتُ دُوْنُهَـا[3]

فأعرب (دون)، فرفَعَه على أنّه خبر للمبتدأ، وفي كَشف المشكلات:" أي: ثابتٌ دونُها، ولكنّه جاء منصوباً لتمكّنه في الظّرفيّة"[4] على لغة من قرأ دونَها بالنّصب.

ـ التَّصرُّف في قواعد النَّحو (ومنه الضّرورة):

إنَّ أغلب هذه الأمثلة من شِعر بكر بن وائل ألجأتهم إليها الضَّرورة، وكانت إلى حدٍّ بعيد مفهومةً واضحةً، وقد ألجأت ضرورات أخرى شُعراء بكر إلى نوعٍ من التَّصرّف في النّحو والوزن الشِّعريّ، وهو أمرٌ مألوف عند شُعراء العرب، فمن تلك الضّرورة الفصلُ بين المعطوف والمعطوف عليه لإقامة الوزن، كقول البَعِيْث الحَنَفيّ:

وَجَـــدْتُ أَبَاهـــا رَاضـــياً بي وأمَّهـــا فأعْطَيْـتُ فيهـا الحكـمَ حتّـى حَوَيْتهـا[5]

يريد: وجدتُ أباها وأمَّها راضياً.

ومن الضّرورة حَذف همزة الاستفهام إذا أمِن اللَّبس للضّرورة، كقول عِمران بن حِطّان:

أصـــبحتُ فـــيهم آمنـــاً لا كمعشـــرٍ أتـوني وقـالوا مـن ربيعـةَ أو مـن مُضـر[6]

يريدُ: أمن ربيعة أو مضر، على أنّه يجوز أن تُحذفَ مُطلقاً.

(١) الفوائد المحصورة في شرح المقصورة: ٥١١/١.

(٢) همع الهوامع: ١٥٥/٢.

(٣) الدِّيوان: ق٩٤.

(٤) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات: ٤٨٤/١.

(٥) الدِّيوان: ق٩.

(٦) شعر الخوارج: ١٦٤.

ومن الحذف حذفُ الضّمير الرّابط للصّلة بموصولٍ غير (أي)، ومن هذا الباب حَذف الضّمير الرّابط للجملة الواقعة خَبراً بالمخبر عنه، إذا كان حذفُه يؤدِّي إلى تهيئة العامل للعمل، وقطعه عنه، نحو قول الأغلب العِجْليّ:

أَرَجـــــــــزاً تُريـــــــــدُ أَمْ قَريضـــــــــاً

كِلـــــــــيهما أجِـــــــــدُ مُسْتريضـــــــــا[1]

يريد: أجده مُستريضاً.

ومن هذا الباب أيضاً قول أبي النَّجْم:

قَـــــدْ أَصْـــــبَحَتْ أُمَّ الخِيَـــــارِ تَـــــدَّعي

عَـــــليَّ ذَنْبـــــاً كُلَّـــــه لم أَصْـــــنعِ[2]

فأطلق الرّوي مع نيّة الهاء، أراد: لم أصنعه، قال ابن جنّي:" أطلقَ وهو ينوي الهاء، والإطلاق لا يثبتُ مع الهاء لو أظهرها"[3]. وقال ابن عطيّة:" هكذا الرّواية، وبها يتمّ المعنى الصّحيح؛ لأنّه أراد التَّبرّؤ من جميع الذّنوب، ولو نصب (كلّ) لكان ظاهر قوله أنّه صَنع بعضه"[4].

ومن الضّرورات استعمال الاسم للضّرورة استعمالاً لا يجوز فيه في سَعة الكلام، كقول المرار بن سلامة العِجْليّ:

ولا يَنْطِـقُ الفَحْشَـاءَ مَـنْ كَـانَ بيْـنَهُمُ إذا جَلَسُـوا مِنَّـا ولا مِـنْ سَـوَائِنا[5]

قال ابن منظور:" فاستعمل (سواء) اسماً بدليل إدخال حرف الجرّ عليها، وحكمها في سَعة الكلام أن لا تُستعمل إلّا ظرفا، وكذلك سوى لا يخرج عن الظّرفيّة إلّا في الضّرورة"[6].

ومنه إبدال الحُكم من الحُكم؛ لأنَّ اللّفظَ إذا قُلِب حُكمه أعطى، بدله، حكمَ غيره، كقول أبي النَّجم:

قَبْـــلَ دُنُـــوِّ الأُفْـــقِ مِـــنْ جَوْزَائِـــهِ[1]

(١) شعراء أمويّون: ١٦٠.

(٢) ديوانه: ٢٥٦.

(٣) مختار تذكرة أبي عليّ الفارسيّ وتهذيبها: ٨٠.

(٤) الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٢٥٩/٤.

(٥) الكتاب: ٣١/١.

(٦) ضرائر الشّعر: ٢٩٢.

أراد: قبلَ دنوّ الجوزاء من الأفق.

ومنه تنوين الاسم العلم الموصوف بـ (ابن) المضاف إلى العَلم، أو ما جرى مجراه ردّاً إلى أصله، كقول الأغلب العِجْليّ:

جَاريـــــــةٌ مِـــــنْ قَـــــيْسٍ ابـــــنِ ثَعْلبـــــهْ
كأنَّهـــــــا حِليـــــــةُ ســـــــيفٍ مُذْهبـــــــهْ[٢]

فنوَّنَ (قيسٍ)، ولا يمكن جعل (ابن) بدلاً من قيس ولا صفةً له، " لأنَّ العربَ إنّما تأتي بهما عن طريق الوصف لا عن طريق البدل، بدليل أنّهم يُثبتون التّنوين في قولك: قام زيد بن عمرو، وقامت هِند بنة بكر، وأمثالهما، إلّا في ضرورة الشّعر، ولو كانا بدلين لكثر التّنوين مثل ذلك في الكلام"[٣].

ومن الضّرورات في القافية:

ـ تَخفيف المشدَّد في القوافي ليستويَ للشّاعر الوزن، وتتطابق أبيات القصيدة، كقول عِمران بن حِطّان:

يَوْمـــاً يـــمانٍ إذا لاقيـــتُ ذا يَمَـــنٍ وإن لقيـــتَ معـــدّياً فَعَـــدْنَاني[٤]

وإنّما أراد: فعدنانيّ.

ـ ومنه فكُّ الإدغام ضرورةً، قال أبو النَّجم:

تشـــكو الـــوجي مـــن أظْلُـــلٍ وأظْلُـــلِ[٥]

ففكّ الإدغام في (أظلل) ضرورةً، وذلك جرياً على الأصل.

ـ ومن ذلك أنّه إذا وقع السّاكن أو المجزوم في القوافي، فتحريكها يكون ضرورةً، لأنّهم جعلوا السّاكن والمجزوم لا يكونان إلّا في القوافي المجرورة، حيث احتاجوا إلى حركتها، ولو كانت في قوافٍ مرفوعةٍ أو منصوبةٍ كان إقواءً، كقول أبي النّجم:

(١) ديوانه: ٧١.
(٢) شعراء أمويّون: ١٤٨.
(٣) ضرائر الشّعر: ٢٩.
(٤) شعر الخوارج: ١٦٢.
(٥) ديوانه: ٣٦٣.

إذا اسْـــــــتَحَثُّوها بحَـــــــوْبٍ أو حَـــــــلي[1]

فكسر اللام السّاكنة في الكلام، لأنّه اضطُر إلى تحريكها.

ومن الضّرورة استعمال (فُل) موضع فلان في غير النِّداء، كقول أبي النَّجم:

في لُجَّـــــةٍ أمْسِـــــك فُلانـــــاً عـــــن فُـــــلِ[2]

وفي ذلك تقديران: أحدهما أن يكون أراد: عن فلان، فحذف النّون للتّرخيم في غير نداء، ثُمَّ حذفَ الألفا لأنّها زائدة.

والآخر أن يكون نقله محذوفاً من قولهم: يا فُل للضّرورة[3].

وفي همع الهوامع:" فمن المسموع: فُل للرّجل، وفُلَة للمرأة، يُقال: يا فُل، ويا فُلة، وقد جُرّ (فل) في الضّرورة"[4].

وقال أبو عليٍّ الفارسيّ:" وقد اضطُرّ الشّاعر فاستعمل (فُل) في غير النِّداء"[5].

ومن الضّرورات الشّائعة عند العرب صرفُ اسم العلم لضرورة الوزن، نحو قول مُحارِب بن دِثار:

سَـــــلامُ اللهِ والصَّـــــلَوَاتُ مِنْـــــهُ عَـــــلى عُمَـــــرٍ تَـــــرُحْنَ وتَغْتَـــــدِيْنَا

مضـــــى عمـــــرٌ وصـــــاحبه حميـــــداً همـــــا فـــــازا بحُكْمِهـــــما هَنيّـــــاً[6]

فصرف اسم العلم (عمر) لضرورة الوزن.

- اللَّفظ الأعجميّ في كلامهم:

تأثّر البكريّون عموماً بغيرهم من الأمم المجاورة لهم من ثَقافات أجنبيّة، وقد سَبق الحديث أكثر من مرّةٍ عن مجاورتهم الفرس، وإقامتهم معهم أفضل العلاقات على أكثر من صعيد، فوردت في كلامهم وأشعارهم ألفاظٌ أجنبيّة لا تَطعن في عروبتهم، فشعر بكر بن وائل كان مادّةً لغويّة ونحويّة للنّقاد والدّارسين، يستشهدون به على أصالة اللّغة.

(١) الأصول في النّحو: ٣٩٢/٢. وفي ديوانه: ٣٥١ (برواية حل).

(٢) ديوانه: ٣٥٥.

(٣) انظر حاشية الكتاب: ٢٤٩/٢.

(٤) همع الهوامع: ٤٥/٢.

(٥) البصريّات: ٦٢٩/١.

(٦) الدِّيوان: ق١٢٨.

وأهمّ هذه الألفاظ الّتي وردت في شِعرهم:

١ ـ الآجرّ: قال أبو كَدراء العِجْليّ:

بَنَـــى البُنـــاةُ لَنـــا مَجْـــداً ومَكْرُمـــةً لا كالْبِنـــاءِ مـــنَ الآجُـــرِّ وَالطِّـــينِ[١]

قال المحبّي: "الآجر يُخفّف ويُشدّد، ويُقال فيه: آجور وأَجِرون وآجِرّون ويأجور، ورد في الفصيح، والهمزة فاؤه، إذ ليس في كلامهم أَفعول"[٢].

وفي اللّسان: "آجِرٌ وآجُورٌ على فاعُول، وهو الذي يُبْنى به، فارسيٌّ معرَّبٌ"[٣].

٢ ـ الجَرْدق: قال أبو النَّجم العِجْليّ:

كَـــــأنَّ بَصِـــــيْراً بـــــالرَّغِيْفِ الجَـــــرْدَقِ[٤]

جاء في المعرّب للجواليقي: "الجَرْدَق والجَرْدَقةُ، فارسيٌّ معرَّب، وأصله: كِرْدَهْ؛ وهو الغليظُ من الخبز، ..... ويُقال: جَرذق بالذّال المعجمة، والأوّل أجود"[٥].

٣ ـ خَنْدَريس: ورد هذا اللّفظ في شِعر الحُضين بن المنذر الرَّقاشيّ:

لَجَجَّـــارِ بـــنِ أَبْجَـــرَ كُـــلَّ يَـــوْمٍ إذا يُضْـــحَى سُـــلافَةُ خَنْـــدَرِيْسِ[٦]

سلافة خَنْدَريس: خمر قديمة، مُعتّقة. وكلمة الخندريس فارسيّة معرّبة، جاء في التّاج: "ويجوز أَن تكونَ فارِسِيَّةً معرَّبةً وأَصلهُا خَنْدَهْ رِيش ومعناه : ضاحِكُ الذَّقَن فمَن استَعْمَلَه يضْحَك على ذَقَنِه. فتأَمَّلْ !"[٧].

وقال المُحبِّي: "وإنَّما هي كَنْدريش، يَنتف شاربُها لحيَتَه لذهابِ عقله، فعُرِّبتْ، فقيل: خندريس"[٨].

٤ ـ دَيْزج: قال الحُضين بن المنذر:

عَشِـــيَّةَ جِئْنَـــا بـــابْنِ زَحْـــرٍ وجِئْـــتُمُ بـــأدغم مَرْقُـــوْمِ الـــذِّرَاعَيْنِ دَيْـــزَجِ[١]

---

(١) الدِّيوان: ق٢٦١.

(٢) قصد السّبيل فيما في اللّغة العربيّة من الدّخيل للمُحبّي: ١/١٣٦.

(٣) لسان العرب: [أ ج ر]، ٤/١٠.

(٤) ديوانه: ٢٨٣.

(٥) المعرّب: ٢٥٩.

(٦) الدِّيوان: ق١٠٨.

(٧) تاج العروس: ١٦/٧.

(٨) قصد السّبيل فيما في اللّغة العربيّة من الدّخيل للمُحبّي: ١/٤٦٦.

والدّيزج: : كلمة فارسيّة لها معنى الأدغم، ومؤنثه دغماء[٢].

وقال المطرزي في المغرب: " دغم فرَس أدغَم دَيْزَجٌ بالفارسية وهو الذي لونُ وجهه وخَطْمه يخالف لون سائر الجسد، ولا يكون إلا سواداً، وبالعين غيرِ المعْجَمة الذي في صَدره بياض "[٣].

٥ـ شذا: قال خَلف بن خليفة الأقطع:

إنَّ لَـكَ الفَضْـلَ عَـلى صُـحْبَتي ... والمِسْـكُ قـدْ يَصْـطَحِبُ الرَّامِكـا

حَتَّـى يَظَـلَّ الشَّـذْوُ مِـنْ لَوْنِـهِ ... أَسْـوَدَ مَصْـبُوْغاً بِـهِ حَالِكـا[٤]

جاء في قصد السّبيل: "الشَّذا: قريةٌ بالبصرة، وضربٌ من السّفن، واحدته شَذاة، قال أبو منصور[٥]: ليس بعربيّ، وشجرٌ ينبتُ بالسَّراة، يُتَّخذُ منه المساويك، وعن ابن جنّي أنَّ المِسكَ: الشَّذو بالواو"[٦].

٦ـ الفاثور: ومعناه الطَّسْت عند العامة أَو الخِوان يتخذ من رُخامٍ أَو فضة أَو ذهب[٧].

قال الأغلب العِجْليّ:

إذا انْجَـلى فـاثُور عَـيْنِ الشَّـمسِ[٨]

٧ـ الكِشْمِش: قال أبو الغَطمَّش الحَنَفيّ يهجو امرأته:

كَـأنَّ الثَّآليـلَ في وجْهِهـا ... إذا أسْـفرتْ بِـدَدُ الكِشْـمِشِ[٩]

قال الجواليقي: "والكِشْمِش: ثمرُ نبتٍ معروف بخراسان، مُعرّب"[١٠].

وقال المحبّي: "الكِشْمِش: عِنَبٌ صِغار لا عَجم له، ألينُ من العِنب، وأقلُّ قبضاً، وأسهلُ خروجاً"[١١].

(١) الدِّيوان: ق١٠٦.

(٢) المخصّص: ٩١/٢.

(٣) المغرب في ترتيب المعرّب: ٢٨٩/١.

(٤) الدِّيوان: ق١٦٩.

(٥) تهذيب اللّغة: ٤٠٠/١١.

(٦) قصد السّبيل: ١٩٣/٢.

(٧) لسان العرب: [ف ث ر]، ٤٤/٥.

(٨) شعراء أمويّون: ١٥٨.

(٩) الدِّيوان: ق٢٢٩.

(١٠) المعرّب من الكلام الأعجميّ على حروف المعجم: ٥٥٨.

(١١) قصد السّبيل: ٣٩٩/٢.

٨ـ المُصْطَكى: قال الأغلب العِجْليُّ:

فشَـــامَ فِيْهـــا مِثْـــلَ مِحـــراثِ الغَضَـــا تَقْـــذفُ عَيْنَـــاهُ بِعِلْـــكِ المُصْـــطَكى[1]

قال المحبِّي: "المُصْطكى بالضّمّ، ويُفتح ويُمَدّ، روميّ أو يونانيّ، مُعرّب (مُصْطِيخا)، عِلْكٌ رومانيّ،..... وجزيرةٌ ببحر الرُّوم، منها إلى فمِّ الخليج الفلسطينيّ مئةٌ وخمسون ميلاً"[2].

(١) شعراء أمويّون: ١٧١.

(٢) قصد السّبيل: ٢/٤٧٥.

الخاتمة:

طَمِحْتُ في دراستي شِعر بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأموي أن أتعرَّف شُعراء هذه القبيلة في مرحلة جديدةٍ، هي مرحلة الإسلام، بعد أن عَرفناهم جيّداً في جاهليَّتهم، فرأيتُ أن أُعاود التّعريف بالقبيلة منذ نشأتها، وتكوينها وأصولها وفروعها، وأهمّ مواطنها وديارها، وتَشعّباتها، وتحدّثت عن معتقد القوم بين الجاهليّة والإسلام، فخلصتُ إلى أنّ النّصرانيّة كانت مُتجذِّرةً فيهم، ومؤسِّسةً لأجيال قادمة، وأمّا من أسلم منهم، فقسمان: قِسمٌ حَسُن إسلامه، وكانت له آثار تدلّ عليه، وبَصمات في الدّين واضحة، وقِسمٌ إسلامه هَشٌّ، ارتدّ مع أوّل المرتدّين، وهنا أُشير إلى معركة اليمامة الشّهيرة في بَني حَنيفة، ورِدّة البحرين.

واستبدَّت بأبناء بكر بن وائل في الإسلام نزعةُ القُوّة، وحُبُّ السّيطرة وشهوة الحُكْم، كما كانوا في الجاهليّة سادةً إلى جانب أبناء عمومتهم التّغلبيين، فعاودت المنازعات والخصومات ظهورَها، وإن تَغلّفت بعباءة الإسلام أحياناً، وبَدعوة الدّفاع عن منهجٍ مُعيّن أحياناً أخرى، فَتجدَّدت الأحلاف القديمة، ونهضت عزائم الجاهليّة من جديد.

ولم يكن من السّهل أن يَنفصم البكريّون عن جيرانهم من الفرس، وغيرهم من الشّعوب، فقد قامت بينهم أوثق علاقات المصاهرة، ونشأت علاقات اقتصاديّة وتجاريّة، وأُبرمت بينهم وثائق وعهود تدعو إلى نُصرة بعضهم بعضاً، ولا سيّما بني شَيبان منهم.

وعلى صعيد الشِّعر والشّعراء، فقد حَرصت على الشّاعر المغمور، ذلك أنّ المشهور عرفه النّاس، وسمعوا شعره، وأُلّفت حوله الكتبُ والدّواوين، فعرّفت بالشّاعر في صفحة مُستقلّة أو صفحات حسب المتوافر من أخباره وأشعاره، ووقفتُ في ترجمة كُلّ شاعرٍ عند نسبه وأسرته، وأخباره المختلفة، وأحياناً أناقش عند بعض الشّعراء وجه الخلاف في انتمائه إلى بكر بن وائل، وقد ظهر منهم الموالي، وفي أحايين يقودني التّوفيق إلى تحديد زمن الشّاعر وعصره إذا لم أجد ما أستهدي به في لُجّة طريق الشّعر العائم، ومع ذلك بقيت طائفةٌ من الشُّعراء مجهولةَ العصر عندي.

وقد جعلت الشّعراء بادئ الأمر في أربعة أقسام، حين جعلت شعراء صدر الإسلام في قسم، والمخضرمين في قسم، شعراء العصر الأمويّ في قسم، والمجاهيل في قسمٍ أخير، لكنّ أستاذي المشرف، وفّقه الله، أشار عليّ بضرورة دمج شعراء صدر الإسلام مع المخضرمين، بسبب تداخل العصور، وقِصر الفترة

الزّمنيّة، ثُمّ أنْ أجعل ضمن كُلّ عصر قسماً لمجهوليه، من أولئك الّذين عَرفنا زمنهم لكنّ المصادر أغفلت أسماءهم، فاكتفت بالقول: (رجلٌ من حنيفة، امرأةٌ من شَيبان، رجلٌ من بكر بن وائل.....).

وكان لا بُدّ من الوقوف عند مصادر شِعر القبيلة وتوثيق ذلك الشِّعر، وبيان ما وقع عليه من تصحيفٍ وتحريفٍ، إلى جانب نحل الشّعر، والاضطراب في توثيقه ونِسْبته إلى أصحابه، وذلك كثير في الشّعر العربيّ، بل ظاهرةٌ عامّة لا يكاد يخلو منها شِعرُ شاعرٍ، أو شِعرُ قبيلة، وقد أعانني على إنجاز المهمّة قدرَ المستطاع عددٌ وافرٌ من أمّهات كُتبنا، ومصادر لغتنا الشّريفة، ككُتب التّراجم وكُتب الاختيارات الشِّعريّة، إلى جانب تتبّع أقوال علماء اللّغة الأجلّاء في نقدهم الشّعر، وحُكمهم عليه سَلباً وإيجاباً، كأبي عمروٍ الشّيبانيّ (٢٠٦هـ)، والأصمعيّ (٢١٦هـ) وغيرهما.

ثُمّ دَلفتُ إلى دِراسة موضوعات ما تحصّل لديّ من شِعر القبيلة، والحديثِ عن خصائصه، فتبيّن أنَّ شعراء القبيلة كغيرهم تناولوا موضوعات الشّعر الرَّئيسيَّة، من فَخرٍ وحماسة وهِجاء ورثاءٍ ومديح وحِكمة، وعلى قلّةٍ برزت موضوعات لا تُشكّل مادّةً للدِّراسة هي الحنين والشّكوى، وقد تفاوتت هذه الموضوعات فيما بينها، فكانت موضوعات مثل الحماسة والفخر في المقدِّمة، وهي بطبيعتها تُشكّل جوهرَ شِعر العرب في الجاهليَّة والإسلام، وزادَهم الّذي يُقوّيهم، فيعينهم على مكابدة الفروسيّة.

وأمّا دراسة الخصائص الفنّيّة لشعر بكر بن وائل فكانت معنويّةً (أسلوبيّة) ولفظيّةً (بنائيّة)، فأمّا المعنويّة فالحديث عن وضوح المعاني وبساطتها عند أولئك المتأثّرين بالإسلام، والمنافحين عنه، وأمّا غريب اللّفظ وتعقيده فأثره في شِعرهم المجموع قليل، ويجلوه تفسير الألفاظ الغريبة، الّتي من شأنها أن تحجب المعنى، وتستره.

وكانت صورهم البيانيّة فِطريّةً، بعيدةً عن التَّكلُّف والغُلو، فاعتمدوا على المثل سبيلاً إلى تدعيم شِعرهم، وتفصيل قولهم، واختصار ما يُمكن أن يُقال في سُطور طويلة.

وفي دِراسة الخصائص البنائيّة (اللّفظيّة) وقفت عند المنهج المسلوك في بناء نصوصهم الشّعريّة، أو منهج القصيدة، فوجدتُ أنّ المقطّعات هي الغالبة على شِعرهم، وبرزت بشكلٍ لافت نُتفُ الشِّعر من البيت والبيتين.

ووقفت عند الجانب الموسيقيّ بشقّيه: الخارجيّ والدّاخليّ، فأمّا الخارجيّ وهو الوزن والقافية، فقد وقفت عند البحور الّتي نظموا عليها أشعارهم، فوجدتُ أنّهم نظموا على اثني عشرَ بحراً، يتصدّرها الطّويل، ثُمّ

وقفت عند حُروف الرّوي الواحد والعشرين الّتي نسجوا عليها أشعارهم، فحاز حرف الرّاء نصيب الأسد، ثُمّ اللّام، وهما من القوافي الذّلل، الّتي تكثر على الألسنة، وأكثر ما ينسج العرب عليها.

و رصدتُ في الموسيقا الدَّاخليّة عدداً من العناصر الموسيقيّة، الّتي من شأنها إغناء المعنى، وإطراب السّامع، كالجناس، والتّصريع، وردّ الأعجاز على الصّدور وغيرها.

وفي الجانب اللّغويّ والنّحويّ رصدتُ عندهم الظّواهر الّتي شكّلت مادةً ثرّةً، أعانت النّقاد وعلماء اللّغة على تدعيم حججِهم، وبثِّ آرائِهم، فلم أُدر شاهداً إلّا وله نصيب من تعليق عالم عليه، أو إشارةٍ إليه، إلّا ما ندر، وجُلّ تَصرّفهم في الشّعر، أو توليدهم في بُناه لا يخرج كثيراً عن الضَّرائر الشِّعريّة.

وأمّا ما يُقال في لغتهم فهو في قسمين، الأوّل: ظاهرة الكَسْكسة، وبعض الظّواهر اللّغويّة، كتسكين عين بعض الأفعال ممّا لم يُعرف عن العرب، وانفرادهم في قراءات معيّنة لبعض الألفاظ من كتاب الله ﷻ.

والثّاني: ورود ألفاظٍ أعجميّة، وكلمات أجنبيّة في شِعرهم، وكلامهم عموماً، وقد بيّنتُ أنّ مجاورتهم الفرس على وجه التَّحديد أسهم في ولوج مثل هذه الألفاظ في قاموسهم اللّغويّ، حتّى احتاط العلماء في الأخذ عن بكر بن وائل، كما احتاطوا من غيرهم.

وبعدُ: فإنّ هذه الدّراسة قامت على ما اجتمع لديّ من شِعر بكر بن وائل في صدر الإسلام والعصر الأمويّ، ولو كانت تشمل شِعرهم جميعاً، لما استوفيتها بأعوام، ولبلغ العمل آلاف الأوراق، ذلك أنّني استثنيت في كثيرٍ من الأحيان الاستشهاد بشعر أصحاب الدّواوين، والمجموعات الشّعريّة، إلّا حين اقتضت الضّرورة، وما استخلصته من نتائج يصحّ على الشّعر المجموع بين دفّتي هذا الكتاب، فما اجتمع لديّ لا يُمثّل كُلَّ أخبار القوم ولاأشعارهم، فلا شكّ أنّ أشعاراً جديدةً ستظهر في قابل الأيّام، وكُتباً سَتُبعث من تحت رُكام الدّهر إلى الحياة، ومعها خبرٌ جديد عن القبيلة، أو قِطعٌ من شِعرهم، والله من وراء القصد.

فهارس الدِّراسة

١ـ فهرس الآيات الكريمة
٢ـ فهرس الأحاديث النَّبويَّة
٣ـ فهرس الأمثال
٤ـ فهرس الأعلام
٥ـ فهرس الجماعات
٦ـ فهرس الأماكن
٧ـ فهرس الأيّام والمغازي و الوقائع
٨ـ فهرس الشِّعر
٩ـ فهرس المصادر والمراجع
١٠ـ فهرس محتويات الدِّراسة

فهرس الآيات الكريمة

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ [الفاتحة: ٤]: ٢٣٧

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا ﴾ [البقرة: ٢٦]: ٢٣٧

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]: ١٩٥

﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝١٨٥ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]: ١٦٥، ٢١٠

﴿ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ ﴾ [النساء: ٣٥]: . ٧٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾ [المائدة: ٢]: ٢٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٩٠ ﴾ [المائدة: ٩٠]: ٢٠٧

﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [الأنعام: ١٥١]: ٣٩

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠]: ٣٩

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١١٠ ﴾ [النحل: ١١٠]: ٨٢

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٨٥ ﴾ [الإسراء: ٨٥]: ٢٠٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ ﴾ [فاطر: ٥]: ٢١٠

﴿ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ ﴾ [الصافات: ١٠]: ٢٣٧

﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ ﴾[ص: ٥]: ٢٦

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ ﴾[الدخان: ٤٣]: ٢٣٦

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾[الفتح: ١٦]: ٦٢

﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾[الفتح: ١٦]: ٦٢

﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾[الحاقة: ١٧]: ٢٠٩

﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾[نوح: ٢٦ – ٢٧]: ٧٧

﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾[الجن: ١١]: ٢٣٩

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: ١ - ٣]: ٤٠

فهرس الأحاديث النَّبويَّة

١. "إنَّ الكافر يأكلُ في سَبعة أَمْعاء وإنَّ المسلم يأكل في مِعًى واحد": ٤٩.
٢. " إِنَّ اللهَّ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ، وَإِنِّى لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِى دَمٍ وَلاَ مَالٍ": ٢١٠.
٣. " اللَّهُمَّ يا ذا الحَبْلِ الشَّدِيدِ والأَمْرِ الرَّشِيدِ! أَسْأَلُكَ الأَمْنَ يَوْمَ الوَعِيدِ": ١٩٥.

فهرس الأمثال والأشعار الّتي تضمَّنت أمثالاً أو ما يُشبه الأمثال[١]

- أسرقُ من بُرْجَان: ق ١٨٢، ب ١.

قال خلفُ بنُ خليفة الأقطع:

إِنْ كُنْتِ لمْ تَسْأَلي سَهْما وصَاحِبَهُ ... عَمَّا دَهَاكِ مِنَ المصْلُوْبِ بُرْجَانِ

يُنْبِئْكِ عَنْهُ الَّذِي أَوْفَى عَلَى شَرَفٍ ... حَتَّى أَنَافَ عَلى دُوْرٍ وبُسْتَانِ

- اشدد حيازيمك: ق ٣١، ب ٥.

وهو كنايةٌ عن التّشمّر للأمر، والتّهيّؤ له، وهو مَثَلٌ للصَّبر على ما يلحق الإنسان، قال مُحكَّم بن الطُّفيل في خالد بن الوليد:

وأَمَّا اليَمَامَةُ فاشْدُدْ لَهَا ... حَيَازِيْمَكَ اليَوْمَ يَاخَالِدُ

- أزنى من سَجاح= أغلم من سَجاح: ق ٣٥، ب ١ـ ٨/ ص ٢٠٢، ٢٠٣.
- أَشْأَمُ من قاشِر: ق ٦١، ب ٥/ ص ٢٠١.
- إنَّه لَيَكْسِرُ عليَّ أَرْعَاظَ النَّبْل غَضَباً: ق ١٩٢/ ص ٢٠١.
- سِرْ عَنك: ق ٢٣٦، ب ١ ـ ٥/ ص ٢٠٤.
- والضَّبّ يُخْتل بالتَّمر: ق ٥٠، ب ٢.

قال ابن دغماء العِجْليّ:

سِوَى أَنَّكُمْ دُرِّبْتُمُ فَجَرَيْتُمُ ... عَلى دُرْبةٍ والضَّبُّ يُخْتَلُ بالتَّمْرِ

- العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ بيْنَ جُمَادى وَرَجَبَ: ص ٢٠٣.
- على أهلها تجني براقش: ص ٢٠٢، البيت لحمزة بن بيضٍ الحنفي في شعره: ٣٠٣.

قال حَمزة بن بِيْضٍ الحَنَفيّ:

بَلْ جَنَاهَا أَخٌ عَلِيَّ كَرِيْمٌ ... وعَلى أَهْلِهَا بَرَاقشُ تَجْنِي

- مَنْ لي بالسَّانح بعد البارح: ق ١٩٥، ب٢/ ٢٠٧.

(١) ق: للدّيوان، وص: للدِّراسة.

فهرس الأعلام

الآزاذمر: ٦٤.

الآمديّ: ٢، ٧٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ٩٩، ١٠١، ١٠٩، ١١٠.

أبجر بن جابر: ٢٢، ٢٥، ٣٤، ٣٥، ٣٨، ٦٤.

إبراهيم بن الأشتر: ١٣١.

إبراهيم بن عربي: ١٩.

إبراهيم الخليل (عليه السلام): ٢٦.

الأبرش بن حسَّان: ٧٣.

الأبشيهي: ١٩٣.

ابن الأثير: ١٠٩، ١٠٤، ١٩٩، ٢١٨.

أبو الأسود العِجْليّ: ١٨١.

ابن أبي الإصبع: ٢٢٨.

ابن الأشعث: ٩٠.

ابن الأعرابيّ: ٩٥.

ابن برّي: ١٠٣.

ابن جنّي: ٢٣٧، ٢٤٠.

ابن حجر العسقلانيّ: ١٠٤، ١١٢.

ابن حمدون: ١١٥.

ابن خلدون: ٤٦.

ابن خُمام: ١٦١.

ابن دريد: ١٠٤.

ابن دغماء العِجْليّ: ١٨٩، ٢١٠.

ابن ربيعة بن الأسود: ١٧.

ابن رشيق القيروانيّ: ١٩٦، ٢١٣.

ابن سعد القردوس: ١٤٥.

ابن السِّكِّيت: ٩٥.

ابن سلّام الجمحيّ: ٩٥، ١٠٤، ١٠٥، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١١٨، ١٢٠، ١٧٢.

ابن سيِّد النَّاس: ١٠٤، ١١٢.

ابن سيده الأندلسيّ: ٢٣٣.

ابن الشَّجريّ: ١٠٣، ١٠٤، ١١٥.

ابن شهاب الزُّهريّ: ١٤.

ابن طباطبا العلويّ: ١٧٨، ١٨٣.

ابن طيفور: ١١٠.

ابن عبد ربِّه: ١٠٤، ٢٢٢.

ابن عساكر الدّمشقيّ: ١٠٤، ١١٤.

ابن عطيَّة: ٢٤٠.

ابن عُيينة: ١٤.

ابن قتيبة الدِّينوريّ: ١٢، ١٦، ٢٢، ٣٠، ٩٣، ١٠١، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ٢٢٤.

ابن كثير: ٢٣٧.

ابن الكلبيّ: ٨، ١٠٤، ١١٤.

ابن مَحْيص: ٢٣٧.

ابن مزاحم المنقريّ: ٧٠، ١٠٤، ١١٩.

ابن المغلّس الحنفيّ: ١١٦.

ابن ملجم: ٣٥.

ابن منظور: ١٠٣، ١٠٤، ٢٤٠.

ابن منقر: ٩٠.

ابن ميمون: ١٠١.

ابن نبهان السَّدوسيّ: ٩١.

ابن نجدة بن عامر الحَنَفيّ: ٧٩.

ابن النَّحّاس: ٢٣٧.
ابن هشام الأندلسيّ: ٢٣٦.
ابن يسعون: ١٩١.
ابنة يزيد بن قرّة الشّيبانيّ: ٢٠٠.
أبو الأخيل العِجْليّ: ١٠١، ١٠٢، ١٥٨.
أبو الخمخام: ٤٠.
أبو العبَّاس الجرّاويّ: ١٠٣، ١٠٤.
أبو عليّ الفارسيّ: ١٠٣، ٢٤٠.
أبو عمرو بن العلاء: ١٠٥، ١١٥، ٢٠٢، ٢٣٠.
أبو عمرو المدني: ١٦.
أبو بَصيرة الأنصاريّ: ٥٩.
أبو بكر الأنباريّ: ١٠٣.
أبو بكر الصِّدّيق: ١٠، ٣٢، ٣٩، ٤٨، ٥٦، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٦٥، ١٧٤.
أبو تمّام: ٩٧، ١٠٤، ١١٢، ١٢٢، ١٦٣.
أبو جلدة اليَشْكريّ: ١٩١، ١٩٢.
أبو حارثة بن علقمة: ٣٧.
أبو حُذيفة: ٥٦.
أبو حرَّة الحنفيّ: ١١.
أبو حفص بن وائل: ٩٢.
أبو حنيفة الدّينوريّ: ٣٥.
أبو حيَّان الأندلسيّ: ٢٣٦.
أبو حيَّان التَّوحيديّ: ١١٦.
أبو دجانة الأنصاريّ: ٥٨.
أبو الرَّبيع المصريّ: ٧٩.
أبو رياش: ١١٢.

أبو زيد الأنصاريّ: ٩٧.

أبو سفيان بن الحارث: ٤٩، ١١٣، ١١٤، ١١٨.

أبو طالوت: ٧٨.

أبو عُبيد بن مسعود الثَّقفيّ: ٤٧، ٥١.

أبو عُلاقة التَّيميّ: ١٤٢، ١٧٢، ٢١١.

أبو عمرو الشَّيبانيّ: ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٠.

أبو الغَطَمّش الحَنفيّ: ١١٥، ٢٤٤.

أبو فُدَيْك: ٧٧، ٧٨، ٧٦.

أبو الفرج الأصفهانيّ: ٩٦، ١٠٢.

أبو القمقام الأسديّ: ١١٣.

أبو القيَّار: ١٨٤.

أبو كاهل اليشْكريّ: ٢٣٢.

أبو كدراء العِجْليّ: ٢٤٣.

أبو محمَّد: ١٤.

أبو مريم: ١٠.

أبو منصور: ٢٤٤.

أبو المنهال: ١١٥.

أبو موسى الأشعريّ: ٧٥، ١٢٣.

أبو النَّجم العِجْليّ: ٥، ١٢، ٩٧، ١٤٧، ١٥٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٤، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢.

أبو نخيلة العكليّ: ٩٨.

أبو النَّشناش: ١٢٥.

أبو نصر الفارابيّ: ٢٣١.

أبو هلال العَسْكريّ: ١٨٢، ١٨٦.

الأُبيرد: ١٤٦.

إحسان صدقي العمد (الدّكتور): ٤٣، ٦٠.

إحسان عبّاس(الدُّكتور): ١١٩.

أحمد بن حنبل: ١٥.

الأخطل: ١٦، ٩٩.

الأخطل الضُّبعيّ: ١١٢.

الأخفش: ١١٥، ٢٣٥، ٢٣٩.

أردشير: ٣٣.

أسامة بن منقذ: ١١٣.

إسحاق (من بكر بن وائل): ٩٣.

إسماعيل بن عمّار: ١٦.

الأسود بن شريك: ١٦.

أسود بن عبد الله: ٤٨.

أسود بن عمران: ٤١.

أسود بن عويم: ١٥.

الأسود الغُندجانيّ: ١٠٤.

الأشتر: ٧٠.

أشرس بن عوف الشَّيبانيّ: ٧٣.

الأشعث بن قيس: ٦٩، ٧٠.

أشيم بن شَقيق: ٨٦، ٨٧.

الأصمعيّ: ٩٧، ١٠٦، ١٧٢، ١٨٧، ٢٣٠.

أعشى بني ضَوْرة: ٩٨.

أعشى ربيعة: ٩٨، ١٠٠.

الأعشى الكبير: ١٦، ٤٠، ٩٧، ١٠٤.

أعشى هَمْدان: ٦٩.

الأعلم الشّنتمريّ: ١١٢.

الأعور الشّنّي: ٦٩.
الأغرّ بن مأنوس: ٩٨.
الأغلب بن عامر: ٥٩.
الأغلب العِجْليّ: ١٢، ١٤٧، ١٧٢، ١٧٣، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٤.
الأقعس بن مسلمة: ٤٢.
امرؤ القيس بن حجر: ١٠٨.
أمُّ السَّلسبيل: ١٠٩، ١٥٥.
أمُّ موسى الكِلابيّة: ٢٣٠.
أميَّة بن أبي الصَّلت: ١١٥.
أميَّة بن عبد الله بن بخالد بن أُسيد: ٧٩.
الأندرزغر: ٣٣.
أنس بن مالك: ٦١.
أوس بن ثعلبة: ٨٤، ٨٦.
إياس بن صُبيح: ١٠.
الأيهم السَّيِّد: ٣٧.
أيّوب (من الموالي): ٨٤.
البحتريّ: ١٠٤، ١١٤، ١١٥.
البخاريّ: ١٥.
البَخْتري بن درهم: ٩٢، ٩٣.
بِسطام= شوذب الخارجيّ.
بِسطام بن قيس: ٢٣.
بشر بن العوراء: ٢٦.
بشر بن مروان: ١٣٥، ١٥٦.
بشر بن مسعود: ٢٥.
بشير بن الخصاصيَّة: ١٤، ٤٠، ٤٨، ٥٢.

البصريّ: ١٠٢، ١٠٤.

البَعِيْث الحنفيّ: ٩٩، ١١٥، ١١٧، ١٤٧، ١٧٠، ١٧٥، ٢١٧، ٢٢٩.

البَعِيْث اليَشْكريّ: ١٣٢.

بكر بن وائل بن قاسط: ٩.

البلاذري: ٤٥، ١٠٤.

بلعاء بن مجاهد: ٩٢، ٩٣.

البهلول بن بِشر الشَّيبانيّ: ٨١.

بَهْمن بن جاذويه: ٣٣.

البيهقيّ: ٣٦.

التَّبريزيّ: ٩٩، ١٠٧، ١٠٨.

توسعة بن أبي عتبان: ١٥٠، ٢١٥، ٢٢٦.

تيم بن قيس بن ثعلبة: ١٥.

ثابت بن قيس: ٥٦، ٥٧.

ثعلب: ١١٥.

ثعلبة بن قيس بن ثعلبة: ١٥.

ثعلبة بن عُكابة بن صعب: ١٢.

ثعلبة بن عمير الحنفيّ: ١٦١، ١٦٣، ١٧٥، ١٨٦، ٢١٤.

ثُمامة بن أُثال الحنفيّ: ١١، ٤٥، ٤٧، ٥٣، ٥٤، ٦١، ١١٣، ١١٧، ١٢٣، ١٢٨، ١٣٥، ١٦٥، ١٧٦، ١٨٦، ٢١٤.

ثمامة بن المثنّى بن حارثة: ٦٩.

ثوب بن ربيعة: ١١٤.

جابان: ٣٣.

جابر بن بجير العِجْليّ: ٣٤.

الجاحظ: ٩، ١١، ١٠١، ١٠٣، ١٦٤، ١٧٤.

الجارود بن المعلَّى العبديّ: ٦٣.

جبريل (عليه السلام): ٤٥.
جحش بن زيد الحنفيّ: ١٩٢.
جرول بن الحمارس اليَشْكريّ: ٢٠٠.
جرير: ١٤.
جرير بن الخرقاء العِجْليّ: ٩٦، ١٠٠، ١٣٧.
جندل العِجْليّ: ٣٤.
جهم بن زحر الكوفيّ: ١٤٥.
جواد علي (الدُّكتور): ٣٠، ٩٦.
الجواليقي: ٢٤٤.
الحارث بن حلِّزة اليَشْكريّ: ١٧، ١٠٤.
الحارث بن حسَّان الذُّهليّ: ٦٧.
الحارث بن شريك: ٢٣.
الحارث بن مرَّة: ٢٢.
الحارث بن عبَّاد: ٢١.
الحارث بن نقير: ٩٩.
الحارث بن وائل بن قاسط: ٩.
حارثة (شيخ قيس بن ثعلبة): ٤٠.
حبيب بن عامر: ١٥.
حبيب بن عمرو (المزدلف): ٩٨.
حُبيبة بنت عتيق: ١٣١، ١٤٩، ١٧٨، ١٨٣.
حبيب بن زيد: ٤٥.
الحجَّاج بن هارون النُّميريّ: ٩٢.
الحجَّاج بن يوسف الثَّقفيّ: ١٢، ٧٣، ٧٦، ٨٧، ٨٩، ١١٠، ١٩٢، ١٩٣.
حجَّار بن أبجر العِجْليّ: ١٢، ، ٣٥، ، ٣٦، ، ٥٠، ٥١، ١٢٥، ١٤٧، ١٩٩.
حذيفة بن محدوج: ٦٧.

حذيفة بن اليمان: ٥٢.

الحرث: ١٩٣.

حريث بن جابر الحنفيّ: ١١، ٧٠، ١٨٤، ١٩٥.

حريث بن حسَّان الشَّيبانيّ: ٤٣.

حسَّان أبو رحاب (الدُّكتور): ١٥٤.

حسَّان بن ثابت: ١٦، ١١٤، ١٤٣، ١٧٢.

حسَّان بن خالد الأسديّ: ٩٢.

حسَّان بن خوط: ٤٠.

حسَّان بن محدوج: ٦٧، ٦٩.

حَسَكة بن عتَّاب الحَبَطيّ: ٧٤.

حسن البنّا (الدُّكتور): ٢٠٥.

الحسن بن عبد الله الأصفهانيّ: ٢١.

الحسن بن عليّ: ٦٨.

الحسين بن عليّ: ١٦، ٨٢.

الحسن اليوسي: ١٠٤.

الحصين بن القعقاع اليَشْكريّ: ٢٢٤.

الحُضين بن المنذر: ١٤، ٦٤، ٦٨، ٦٩، ٨١، ٨٢، ٨٧، ٩٦، ١٢١، ١٢٩، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٧١، ٢٠٩، ٢٣٣.

الحطم بن زيد: ٦٣.

الحطيئة: ١٩، ٢٠، ١٣٦.

الحطيم بن ضُبيعة: ٢٨.

الحكم بن عمرو الغفاريّ: ٤٨.

حكيم النَّهشليّ: ٢٦.

حُمران جابر: ٤٢.

حُمران بن عبد الله: ٢٣.

حمزة بن بيض الحنفيّ: ١٠، ٩٩، ١٠٢، ٢٠١.

حمزة بن المغيرة: ١٢.

الحميريّ: ٣٧، ٦٨.

حنظلة بن مالك: ١٠٦.

حُنيف بن عمرو اليَشْكريّ: ١٠٠، ١٠٧، ١١٠، ١٥٦.

الحوفزان بن شريك: ٢٢، ٢٤.

خالد بن حِقٍّ الشَّيبانيّ: ١٨٩.

خالد بن عبد الله بن أُسيد: ٩٠، ٩١.

خالد بن عبد الله القسري: ٨١، ٢١٢.

خالد بن المعمّر السَّدوسيّ: ٦٧، ٦٨، ١٩٩.

خالد بن الوليد: ١١، ١٩، ٢٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٤٩، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦١، ١١٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٥، ١٦٨، ١٧٦، ١٨٩، ١٩٧.

الخالديان: ١٠٤.

خِداش بن إسماعيل: ١٢.

خِداش بن حابس التَّميميّ: ٢٠٤.

خِراش: ٨.

خلف بن خليفة الأقطع: ١٢٦، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٤١، ١٥٤، ١٦١، ١٨٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٣٤.

خُليد بن عبد الله: ١١.

الخليل بن أحمد الفراهيديّ: ١٧١، ٢١٥، ٢٣٤، ٢٣٥.

الخنيفس بن خَشرم الشَّيبانيّ: ٢٠٣.

الخنيفس بن عمرو: ١٠٧.

خولة بنت الأزور: ١١٨.

دِثار بن وائل بن قاسط: ٩.

داود بن حاتم: ١٣٩.

داود بن قحذم: ٩٠.
دعامة الشَّيبانيّ: ٨١.
دِعبل الخزاعيّ: ١١٥.
دغفل بن حنظلة: ١٥.
الذَّهبيّ: ١٠٢.
ذو الرُّمَّة: ٢٣٠.
ذو الكلاع الحميريّ: ٧١.
الرَّاغب الأصفهانيّ: ١٠٤، ١١٦.
الرَّباب (من بني سَدوس): ٢٠٤.
ربيعة بن الأسود: ١٧، ١١٨.
الرَّجّال (الرَّحَال) بن عنفوة: ٤٢، ٥٥، ٥٧.
الرَّحَّال العذريّ: ١٥٥.
رستم: ١٢.
رفَّاعة بن شدَّاد البجليّ: ٨٢.
رَمْلة بنت الحارث: ٤٢.
رَوْح بن زِنباع: ٧٦.
الرَّيّان بن عبد الله اليَشْكريّ: ٨١.
الزُّبيديّ: ١٤.
الزُّبير بن بكَّار: ١٠٤.
الزُّبير بن العوَّام: ٦٦.
زحر بن قيس: ٧٠.
زرعة بن علقمة: ٩٢.
زفر: ٧٦.
الزَّمخشري: ١٣، ١٠٤، ٢٣٢.
زهير بن أبي سلمى: ١٣٤، ١٧٨.

زياد: ١٣.
زياد بن خِراش العِجْليّ: ٧٦.
زياد بن خَصَفة: ٧٢.
زياد بن سميَّة: ١٤٢.
زياد بن صالح الحارثيّ: ٩٢.
زياد بن طريف الباهليّ: ٩٢، ٩٣.
زيد بن عمرو: ٤٢.
زيد بن حارثة: ٥٠.
زيد بن الخطَّاب: ١٠.
زينب: ١٥٥.
سالم بن ذؤابة: ٩٢.
سامي الدّهّان: ١٣٦.
سَبُرة بن الجعد: ٨٠.
سَجاح: ٥٧، ١٧٥، ٢٠٢.
سعد بن قيس بن ثعلبة: ١٥.
سعد بن أبي وقَّاص: ١٢، ٥٢.
سعد بن حذيفة: ٧٦.
سعد بن قرحا التَّيميّ: ٨٣.
سعد العِجْليّ: ١٢، ١٤٦.
سعيد بن ثور السَّدوسيّ: ٧١.
سعيد بن عبد الرَّحمن: ١٤٤.
سعيد بن قُفل التَّيميّ: ٧٣.
سعيد بن مرّة: ٣٣.
سعيد بن مسلم: ١١٨.
سعيد بن المسيّب: ١٤.

سعيد بن منقذ: ٩٠.
السَّكَّاكيّ: ١٩٣.
السُّكَّريّ: ٩٥، ٩٧، ١٠٠.
سَلم (من بني سَدوس): ٢٢١.
سلمى بنت جعفر (زوج سعد بن أبي وقَّاص): ٥١.
سلمى بن حنظلة: ٤٢.
سَلم بن زياد: ٨٨.
سلمة بن أوس: ٩٢.
سلمة بن محمَّد: ٩١.
سلمان العِجْليّ: ١٤٦.
سليط بن عمرو العامريّ: ٤٥.
سليمان بن حبيب: ١٣٧.
سليمان بن داود: ١٩.
سليمان بن صُرَد الخزاعيّ: ٧٢.
سليمان بن عبد الملك: ١٤.
سليمان بن مَرثد: ٨٨، ٨٩.
سُليم بن سليمان: ٩٢.
سمير بن الرَّيَّان: ٧٢.
سنان الأعرابي: ٩٢.
سهل بن حنيف الأنصاريّ: ٦٦.
سهم الحنفيّ: ١١.
السُّهيليّ: ٣٨، ٤٨، ١١٢.
سويد (صاحب شرطة ابن هُبيرة): ٩١.
سويد بن أبي كاهل اليَشْكريّ: ١٧.
سويد بن قطبة العِجْليّ: ٦٥.

سويد بن مقرّن: ١٩.
سويد بن منجوف السَّدوسيّ: ٥٢، ٨٥.
سيبويه: ١٠٤، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨.
السّيوطيّ: ١٠٤، ١٨١، ٢٣٦.
سيف بن عمر التَّميميّ: ٦٨.
شَبَث بن ربعيّ: ٧٤.
شِبل: ٢٣٧.
شَبيب بن يزيد الشَّيبانيّ: ٨٠، ٨١.
شجاع بن الحارث السَّدوسيّ: ١٤٣، ١٥٦.
شُرحبيل بن حَسنة: ٥٧، ٦٠.
الشَّعبيّ: ١٤.
شقيق بن ثور: ١٤، ٨٤، ٨٥.
شَمر بن عبد الله اليَشْكريّ: ٨١.
شهاب بن قيس: ٢٢.
شهل بن شيبان (الفند الزِّمَّانيّ): ٩، ١٠٠.
شَوْذب الخارجيّ: ٨١.
شوقي ضيف (الدُّكتور): ١٣٣، ١٧١.
الشُّويعر الحنفيّ الشَّيبانيّ: ٩٨، ١٠٠، ١٦٥، ١٦٧، ٢١٠.
صاعد الرّبعيّ: ١٠٣.
صالح بن مسرِّح التَّميميّ: ٨٠.
صعب بن عليّ: ٩.
الصَّفديّ: ١٠٤.
صُهبان بن شمر الحنفيّ: ٥٦.
صَيفيّ بن نُشَيْل الشَّيبانيّ: ٧٥.
ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة: ١٥.

ضرار بن الأزور: ١١٨.
ضرار بن القعقاع: ٢٥.
الضَّحّاك بن هنّام الرّقاشي:: ٥٦، ١٣٦، ١٣٦.
الضَّحَّاك بن قيس: ١٠٩، ١٥٢، ١٨٩.
الطَّبري: ٦٥، ٦٧، ٩٠، ١٠٣.
طرفة بن العبد: ١٠٥، ١٠٧.
طريف بن تميم: ٢٤.
طَلْق بن خشَّاف: ١٦.
طَلْق بن عليّ بن قيس: ٤٢.
طليحة الأسديّ: ٤٧.
طلحة بن عبيد الله: ٦٦، ٦٨.
طه حسين (الدُّكتور): ١٥٣.
طوَّاف بن غلَّاق الخارجيّ: ٨٢.
الطَّيالسي: ١٠٠.
ظَبيان بن عمرو: ٦٣.
عائشة: ١٦، ٦٦، ٦٧.
العاتكي: ٢٣٦.
عاصم (مولى لبني شيبان): ٨١.
عاصم بن عبد الله: ٢١٢.
عاصم بن المقشعر الضَّبّيّ: ٢٠٣.
العاقب (عبد المسيح): ٣٧.
عامر بن حنيفة: ٩.
عامر بن سلمة الحنفيّ: ٣٨.
عامر بن صَعْصعة: ١٠٦.
عامر بن كريز القرشيّ: ٦٦.

عامر بن مسعود: ١٤٢.

عبادة بن الحارث: ٤٥.

العبَّاس بن الأحنف: ١٠.

عبد الله بن الأسود: ١٤، ٤١.

عبد الله بسَّام: ٩١.

عبد الله بن ثعلبة الحنفيّ: ١٠٣، ١٤٩، ١٥٩، ١٩٦، ٢٢٤.

عبد الله بن جرير المازنيّ: ٨٥.

عبد الله بن الحارث: ٢٢، ٨٦.

عبد الله بن خازم: ٨٨، ٨٩.

عبد الله بن الزُّبير: ٧٨، ٧٩، ٨٣، ٨٩.

عبد الله بن زيد: ٥٩.

عبد الله بن سعد الأزديّ: ٨٢.

عبد الله بن عامر: ٦٦.

عبد الله بن عبّاس: ١٠، ١١، ٧٥، ٧٧، ٩٥.

عبد الله بن عبد الأعلى الشَّيبانيّ: ١٥٩، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ٢٢٣.

عبد الله بن عمر الحضرميّ: ٧٠.

عبد الله بن كعب بن مالك: ٣٨.

عبد الله بن الكوَّاء اليَشْكريّ: ١٧، ٧٢، ٧٤، ٧٥.

عبد الله بن مرثد: ٤٠.

عبد الله بن مسعود: ٤٥.

عبد الله بن المنتفق: ١٧.

عبد الله بن وأل التَّيميّ: ٨٢.

عبد الله بن وائل بن قاسط: ٩.

عبد الله بن وهب الاسلميّ: ٤٥.

عبد الله الطَّيِّب (الدُّكتور): ٢١٤.

عبد الحفيظ السَّطلي (الدُّكتور): ١١٥.
عبد الحميد: ٨١.
عبد ربِّه الكبير: ٧٩.
عبد الرَّحمن بن بشير العِجْليّ: ٩٢.
عبد الرَّحمن بن عليّ الحنفيّ: ١١.
عبد العزّى بن عبد المطَّلب: ٣٨.
عبد العزيز الفيصل (الدُّكتور): ١٠٨.
عبد القادر البغداديّ: ٩٧، ١٠٣، ١٠٤.
عبد القاهر الجرجانيّ: ١٧٨، ١٩٢.
عبد الكريم الجوزي: ١٤.
عبد الملك بن مروان: ١٦، ٧٦، ٧٩، ٩٠، ٢٠٠.
عبيد الله بن أبي بكرة: ١٤٤.
عبيد الله بن زياد: ٧٧، ٨٣، ٨٥.
عبيد الله بن زياد بن ظبيان: ٨٩، ١٢٦، ٢٣٧.
عبيد الله بن عمر بن الخطَّاب: ٦٩، ٧١، ٧٢.
عبيد بن الأبرص: ١١٥.
عبيدة بن هلال اليَشْكريّ: ٧٩، ٩٨، ١٩٠، ٢٠٩.
عتبان بن وصيلة الشَّيبانيّ: ١٩٠.
عتبة بن أبي عتبان: ١٤٩.
عُتَيبة بن الحارث: ٢٣.
عُتيبة بن النَّهَّاس العِجْليّ: ١٩، ٢١، ٣٣.
عثمان بن عفَّان: ١٦، ٢٥، ٥١، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٥، ١٦٦.
العجَّاج: ١٤٠.
عَدي بن أرطأة الفزاريّ: ٩٠.
عَدي بن حنيفة: ٩.

عَدي بن زيد: ١١٥.

عَدي الطّائيّ: ٧٠.

العُدَيْل بن الفَرْخ العِجْليّ: ١٢، ١٠١، ٢٢٤.

عصام بن عبيد الزِّمَّانيّ: ٩، ١١٣، ١٨٠، ٢٢٤، ٢٢٦.

عطيَّة بن الأسود الحنفيّ: ٧٨.

عقبة بن شهاب: ٩٢.

عقبة بن عمرو: ٥٢.

عَقَّة: ٥٧.

عُكابة بن صعب بن عليّ: ٩.

عكرمة بن أبي جهل: ٥٧، ٦٠.

العلاء بن الحضرميّ: ٦٤، ١١٩، ١٣٤.

علباء بن الهيثم: ٦٩.

علقمة بن الحارث: ٢٢.

عليّ أبو زيد (الدُّكتور): ١٠٨.

عليّ بن أبي طالب: ١١، ١٤، ١٧، ٢٤، ٣٨، ٦٣، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨٣، ١١٩، ١٤٠.

عليّ بن بكر: ٩.

عليّ بن الجهم: ١٠٢.

عليّ بن سنان: ٤٢.

عمّار بن ياسر: ٦٨.

عمران بن حطّان: ١٥، ٧١، ٧٣، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٣٣، ١٧٧، ٢١٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١.

عمران بن عامر: ٩٠.

عمران بن عصام العنزيّ: ٧٧.

عمران بن فُضيل البرجميّ: ٧٤.

عمرة بن أبي عتبان: ١٥١، ١٩٧.

عمر بن الخطَّاب: ١٩، ٢٤، ٣٤، ٤٥، ٥٠، ٦٦، ٩٢، ١٠٩، ١٢٧، ١٦٤.

عمر بن عبد الله بن مَعْمر: ٧٩.

عمر بن عبد العزيز: ٨١، ١٦٧.

عمر بن هبيرة: ٨٨، ١٥٠.

عمرو بن تغلب: ٤٨.

عمرو بن جابر الحنفيّ: ١١٠، ١٧٢، ١٩٨.

عمرو بن حريث: ٨٠.

عمرو بن سَمُرة الحنفيّ: ١٧٦، ٢٠٣، ٢١٠، ٢١٤.

عمرو بن ضُبيعة الرَّقاشيّ: ١٤، ١٠٠.

عمرو بن العاص: ٧٥.

عمرو بن قميئة: ١٠٧.

عمرو بن محجوب العامريّ: ٥٦.

عمرو بن مرثد: ١٦، ٨٥.

عمرو بن مسلم: ٩٢، ٩٣.

عمرو بن مسمع: ٨٣.

عمرو بن يثربي: ٦٦.

عمرو اليَشْكريّ: ٧٨، ٧٩.

عمير بن جابر الحنفيّ: ١٠٣.

عمير بن ضابئ اليَشْكريّ: ١٠١، ١٩٣.

عميرة بن طارق: ٢٢.

عَنْبسة بن سعيد: ٧٧.

عنترة بن شدَّاد: ٢٦.

عَنز بن وائل بن قاسط: ٩.

عيسى بن مريم (عليه السلام): ٣٦.

العَيْنيّ: ١٠٠.

فُرات بن حيَّان العِجْليّ: ٣٢، ٤٦، ٤٨، ٥٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٤، ١٣٦.

الفُرافصة بن عمير: ١١، ٩٣.

الفرزدق: ١٣، ١٥، ١٨، ٨٧، ٩٦، ٩٩، ١٣٧، ١٤٤، ١٩١.

فروة بن مسعود: ٢٦.

الفزر بن الأسود: ٢٦.

فُكَيْهة: ١٧.

قابوس بن قابوس: ٦٤.

القاسم بن سلّام: ١٠٤، ٢٠٠.

القالي: ١٠٤.

قتادة بن حراث: ٢٤.

قتادة بن دِعامة السَّدوسيّ: ١٤.

قتيبة بن مسلم الباهليّ: ١٢، ٩٠.

قتادة بن مُغْرب اليَشْكريّ: ١٠٦، ١٩٢، ٢١٩.

قحطبة بن شبيب: ٩١.

قدامة بن جعفر: ١٢٧، ١٣٣، ١٧٠.

قدامة بن موسى: ١٠٩.

قَرَظة بن كعب الأنصاريّ: ٦٥.

قس بن ساعدة الإياديّ: ٤١.

قطبة بن قتادة: ٥٢.

قطريّ بن الفُجاءة: ٧٦، ٧٧.

قومس: ١٩.

قيس بن سعد: ١٢.

قيس بن عاصم: ٥٠، ٦٣.

قيس بن عُكابة بن صعب: ١٢.

قَيْلة بنت مخرمة: ٤٢.

الكَرْدان بن عمير: ٩٣.
كسرى: ١٠، ٢٣، ٣٠، ٣١، ٣٨، ٤٩٥٠، ٦٠، ٦١، ١٨١.
كلاب بن حَرِيّ العِجْليّ: ١٨٠، ٢١٨.
كليب بن وائل: ٢١.
كوز بن علقمة: ٣٦.
لبيد بن عطارد: ٩٩.
لبيد بن ربيعة: ١١٧.
لُجيم بن صعب بن عليّ: ٩.
اللّيث: ٢٢٢.
مؤرج السَّدوسيّ: ٩٧، ١٠٦.
المالقي: ٢٣٦.
مالك بن مِسمع: ٦٥، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٧.
مالك بن صعب بن عليّ: ٩.
مالك بن مقاتل: ١٦.
مالك بن المنذر: ٩٠.
مالك بن نويرة: ٢٣.
المبرِّد: ١٠٤.
المتلمِّس: ١٠٧.
المتوكِّل العِجْليّ: ٩٩.
المثنَّى بن حارثة الشَّيبانيّ: ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٣٩، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٦٣، ٦٥.
المثنَّى بن لاحق: ٣٣.
مجَّاعة بن مُرارة الحنفيّ: ١١، ٥٧، ١١٨، ١٢٨، ١٣٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٦، ١٨٩، ٢١٧.
مجزأة بن ثور: ١٤، ٥٢.
المجنون: ١١٧.
محارب بن دثار الذُّهْليّ: ١٥٩، ١٨٩، ٢٠٣، ٢٣٢.

المحبّي: ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥.

محرز بن الصَّحصح: ٧٢.

محرز بن قتادة الحنفيّ: ١٠٩.

محكِّم بن الطُّفيل: ١١، ٥٤، ٥٦، ١١٩، ١٢٦، ١٦٩.

المُحلَّل بن وائل اليَشْكريّ: ٨٠.

محمَّد بن إسحاق: ١٠٧.

محمَّد بن ثمال اليماميّ: ٥٨.

محمَّد بن جرير البجليّ: ٨١.

محمَّد بن حبيب: ٩٥.

محمَّد بن خالد: ٩٢.

محمَّد بن عبد الله (رسول الله ﷺ): ١١، ١٤، ١٥، ١٧، ٢٤، ٢٦، ٢٩، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٥٨، ٦٤، ٦٥، ٧٢، ١١٣، ١١٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٨، ١٨٠، ١٨٦، ١٩٧، ٢٠١.

محمَّد شفيق البيطار (الدُّكتور): ١٠٨، ١٤٩.

المخارق بن غفّار: ٩١.

المختار بن أبي عُبيد الثَّقفيّ: ٤٧، ٥١، ٨٩، ٩٠.

مذعور بن عدي العِجْليّ: ١٢، ٣٣، ٤٨.

المرتضى الزَّبيدي: ١٠٣، ١٠٤، ١١٣.

مَرثد بن ظَبيان: ٤٥.

مُرَّة بن ضابئ اليَشْكريّ: ٥٤، ١٠١، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٣.

مِرداس بن حدير الحنظليّ التَّميميّ: ٧٧.

المرزبانيّ: ٩٩، ١٠٨، ١٠٩، ٢١٢.

المرزوقيّ: ٩٩، ١٠١، ١٩٠.

المرقِّشان (الأكبر والأصغر): ١٥، ١٠٧.

مروان بن الحكم: ٦٨.

مروان بن محمَّد: ١٥٢.

مُريَّة بنت جابر: ٢٢.

المستورد العِجْليّ: ٦٢.

مسعدة: ٩٣.

مسعود بن علاج: ٩١.

مسعود بن عمرو: ٨٥، ٨٧.

مسعود بن المختلس الشَّيبانيّ: ٢١١، ٢١٩.

مسلم بن جبير: ٧٨.

مسلم بن سعيد: ٩٢.

مسلم بن عمرو الباهليّ: ١٩٠.

مَسْلمة بن صُبيح: ١٠.

مسلمة العقفانيّ: ٩٢.

مِسمع بن مالك: ٦٣.

المسيّب بن عَلس: ١٠٧.

المسيّب بن نَجَبة الفزاريّ: ٧٢.

مُسيلمة الكذَّاب: ١٠، ١٩، ٢٠، ٤٠، ٤٣، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦١، ١٠٠، ١٠٧، ١٢٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٣، ١٤٤، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠٦، ٢٠١، ٢٠٩.

مُصاد بن يزيد: ٨٠.

مصعب بن الزُّبير: ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٨٧، ١١٩، ١٢٥، ١٤٢، ١٨٢.

مصقلة بن هبيرة الشَّيبانيّ: ١١، ٩٩، ١٩٩.

المضارب بن يزيد العِجْليّ: ١٢.

المظفَّر بن الفضل: ١٩٢.

المُطرّزيّ: ٢٤٤.

مطرِّف بن النُّعمان: ١١.

مُعاذة: ١٥٦.

معاوية بن أبي سفيان: ١٤، ١٨، ٤٦، ٦٣، ٦٧، ٦٩، ٧٢، ٧٥، ٨٠، ١٠٩، ١٢٣، ١٦٩، ١٩٩، ٢٢٢.

معاوية بن فراس: ٢٣.

معاوية بن يزيد: ٨٣.

معبد بن مرَّة العِجْليّ: ١٢.

المعترض بن عِزال: ١١.

المعرّي (أبو العلاء): ٢١٧، ٢٢١، ٢٣٣.

معمر بن المثنّى (أبو عبيدة): ١٥، ٩٥، ٩٧، ١٠٠.

معن بن زائدة: ١١، ٩١.

المغيرة بن شعبة: ٥٢، ١٠٢.

المغيرة بن عبد الله اليَشْكريّ: ١٧.

مفروق بن عمرو الشَّيبانيّ: ٢٣، ٣٩.

المفضَّل الضَّبِّيّ: ٩٥، ١٠٤.

مقاتل بن مِسمع: ٩٠.

المقشعر الضّبّيّ: ٢٠٣.

الممكّأ الشَّيبانيّ: ٢٠٧.

المنتوف: ٩١.

المنذر بن النّعمان: ٦٣، ٦٤.

المهلَّب بن أبي صفرة: ٧٤، ٧٦، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ١٣١.

المهلهل: ١٨، ٢١، ٢٢، ١٠٧.

موسى بن جابر الحنفيّ: ٩٩، ١٠٠، ١٠٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٤، ١٢٩، ١٤١، ١٥٦، ١٦٠، ١٧٧، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٠، ٢٢٩.

النَّابغة الشَّيبانيّ: ١٠٠.

النَّابي بن زياد بن ظَبيان: ١٤٩، ١٩٧.

ناصر الدِّين الأسد (الدُّكتور): ٩٥، ١١٧.

نافع بن الأزرق: ١٠، ٧٤، ٧٦، ٧٧.

نجدة بن عامرٍ الحنفيّ: ٧٤، ٧٥، ٧٦.

نجدة بن عويمر: ١٠.

النَّديم: ٩٩، ١٠٠.

النُّسير بن ثور العِجْليّ: ٤٩، ١٠٩، ١١٩.

نصر بن سيَّار: ٨٩، ١٣١، ١٣٨.

نُعيم بن مُقرِّن: ١٩.

النُّعمان بن شريك: ٣٥.

النُّعمان بن مقرّن: ٥٢.

النُّعمان بن المنذر: ١٦، ٦٠، ٦٢.

النَّمَريّ: ١١٥.

نهار (ابن اخت مُسيلمة الكذَّاب): ١١٥.

نهار بن توسعة: ١٢، ٩٧، ٩٩، ١٣١، ١٤٥.

نهار بن حرب: ١٥٥، ٢٠٠.

نهار العِجْليّ: ١٠٩.

نوح بن شيبان: ٩١.

النُّويري: ١٠٤.

وبرة بن حمزة: ٢٢.

هانئ بن قَبيصة: ٢٣، ٣٦، ٣٩.

الهثهاث بن ثور السَّدوسيّ: ٨٢.

الهذيل: ٥٧.

الهذيل بن مجاشع اليَشْكريّ: ١٠٣.

الهَرهاز البكريّ: ٩٩، ١٣٧.

هِشام بن عبد الملك: ٧٨، ٧٩، ٢٠٣.

هلال الضَّبِّيّ: ٨٩.

همَّام الرّقاشيّ: ١١٣.
هند بنت مرَّة: ٩.
هَوذة بن عليّ الحنفيّ: ١٠، ٣٣، ٣٨، ٣٩، ٤٥، ٥٥، ١٨٨.
وائل بن قاسط: ٨.
واثلة بن خليفة السَّدوسيّ: ١٤٤، ٢٢٥.
الواقدي: ٣٨، ١٠٧، ١١٨، ١١٩.
وثيمة بن موسى: ١٠٧.
وحشيّ بن حرب: ٥٨.
وعلة بن محدوج الذُّهليّ: ٦٨.
وكيع الحنظليّ: ١٢.
وهب بن أبجر: ٢٢٤.
ياقوت الحمويّ: ٥٣، ٢٣٠.
يحيى بن أبي حفصة: ٨٠.
يحيى بن منصور الحنفيّ: ١١٣.
يحيى بن يوسف الزِّمِّيّ: ١٤.
يزيد بن أبي سفيان: ٢٥، ٤٧.
يزيد بن رويم: ٨٤.
يزيد بن جدعاء العِجْليّ: ١٨٠.
يزيد بن الحارث بن يزيد الشَّيبانيّ: ٨٤.
يزيد بن عبد الملك: ٩٠.
يزيد بن عمر بن هبيرة: ١٣٨.
يزيد بن قيس: ٥١.
يزيد بن معاوية: ٨٣، ٨٨.
يزيد بن المهلَّب: ١٦، ٩١، ١٠٠، ١١٠، ١٨٧.
يَشْكر بن بكر: ٩.

يَعْلى بن مُنَيَّة: ٦٦.
يونس بن حبيب: ٩، ١٠٥، ٢٠٢، ٢٢٢.

فهرس الجماعات[١]

آل الأسود العِجْليّون: ٢٩.
آل ذي يزن: ١٥.
آل المهلَّب: ١٢.
الأزارقة: ١٠، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٨.
الأزد: ٤٦، ٦٦، ٧٧، ٩٢، ٩٣.
أزد شنوءة: ٧٦.
أسد: ٢٣٤.
أشراف اليمن: ١٥.
الأعاجم: ٣٣.
الأنصار: ١٥، ٤٦، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ١١٤، ١١٨.
أهل البحرين: ٦٢.
أهل البصرة: ٩٠.
أهل الحجاز: ٤٦.
أهل الرِّدَّة: ٥٦.
أهل الشَّام: ٦٦، ٨٣، ٧٥، ٩٢، ٢٣٠.
أهل صغانيان: ٩٢.
أهل صنعاء: ٧٧.
أهل الموصل: ٨١.
أهل اليمامة: ٩، ١١، ٢٣٠.

(١) أسقطت من هذا الفهرس قبيلة (بكر بن وائل)، لأنَّه لا تكاد صفحةٌ تخلو من ذكرهم.

أهل اليمن: ٧٠.

الأوس: ١٠٠، ١٠٦.

إياد: ٤١، ٢٣٠.

باهلة: ٩٢، ٩٣.

بنو أبي ربيعة: ٢٣.

بنو أميّة: ١٦، ١٩، ٢٦، ١٠٨، ١١٣، ١٢٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٩.

بنو أنف النَّاقة: ١٣٥.

بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان: ٢٣.

بنو ثعلبة بن سعد بن ضبَّة: ٢٣.

بنو ثعلبة بن عُكابة: ١٣.

بنو ثعلبة بن عديّ بن فزارة: ٢٣.

بنو ثعلبة بن يربوع: ٢٣.

بنو جحدم: ٨٨.

بنو جُشم بن سعد: ٨٨.

بنو الحارث بن كعب: ٣١.

بنو جعدة: ٩٧.

بنو الحصن: ١٣.

بنو حنيفة: ٨، ٩، ١٠، ٢٥، ٢٧، ٣٢، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٨٥، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٨٤، ٩٧، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٨، ١١٧، ١١٨، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٥، ١٤٣، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ٢٢٠.

بنو ذهل بن ثعلبة: ٨، ١٨، ٩٩.

بنو ذهل بن شيبان: ٢٤، ٩٨.

بنو رياح: ١٤٦.

بنو زِمَّان: ٨.

بنو سليط بن يربوع: ٢٤.

بنو شيبان:= آل شيبان= شيبان: ١٣، ٢١، ٢٢، ٣١، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٢، ٦٢، ٦٣، ٧٦، ٩٥، ٩٦، ١٠٣، ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٩، ١٦٩، ١٨١.

بنو شيبان بن ثعلبة: ٨، ٣٩.

بنو شيبان بن ذُهل بن عُكابة: ١٣، ٢٤.

بنو صهيب: ٨٩.

بنو ضبَّة: ٨٦، ٢٠٤.

بنو ضُبيعة: ١٦، ٢١، ٣٤، ٤٦، ٨٦، ٩٧، ١٤٧.

بنو عائش بن مالك: ٩، ٧٢.

بنو عامر بن حنيفة: ٤٥، ٥٩.

بنو عامر بن صَعْصعة: ١٠٦.

بنو عبَّاد: ٩٣.

بنو عبد المدان: ١٥.

بنو عبد المطَّلب: ٣٨.

بنو عِجْل= عِجل: ٩، ١٢، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٦٥، ٩٩، ١٠٦، ١٤٦، ١٦٠.

بنو عُكابة بن صعب: ١٢.

بنو عوافة بن سعد: ٢٠١.

بنو غسّان= غسَّان: ٣١، ٧٦، ٢٣٠.

بنو قتيبة: ٩٢.

بنو الكاتب: ٤٦.

بنو مالك بن أقيش: ٣٨.

بنو محدوج: ٦٧.

بنو مُرَّة بن الدُّول: ١٠، ٢١.

بنو مِسْمع: ١٧، ٩٠.

بنو معن: ٩٣.

بنو النَّجَّار: ٤٥.

بنو هميم: ٨٧.

بنو يَشْكُر: ٨، ١٧، ٢٢، ٥٤، ٧٨، ٨٣، ٨٧، ٩٥، ٩٧.

بَهراء: ٢٣١.

تغلب بن وائل: ٨، ٩، ١٨، ٢١، ٧٧، ٦٩، ٨٩، ٩٧، ١٠٤، ١٣٩، ٢٢٠.

تميم: ٨، ١٣، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٤٢، ٤٥، ٥٤، ٨٣، ٨٥، ٨٩، ١٣٩، ١٨٤، ١٩٤، ٢٢٥، ٢٢٧.

التَّوّابون: ٧٢.

تيم الرَّباب: ٣٥.

تيم اللات (تيم الله): ٨، ٢٥، ٣٢، ٦٩، ٧٠.

ثقيف: ٤٠.

جذام: ٢٣٠.

الحَبَش: ٢٣١.

الحروريَّة: ٧٤، ٧٧.

حمير: ٣٠، ٦٨، ٦٩، ٢٢١، ٢٢٦.

الخزرج: ١٠٠، ١٠٦.

الخوارج: ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ١١٩، ١٢٢.

الدُّول بن حَنيفة: ١٠.

ربيعة: ٨، ١٥، ١٧، ٢١، ٣٢، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٣٠، ٣٨، ٤٤، ٤٥، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٩، ٩٥، ٩٧، ١٤٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٩.

الرَّقاشيُّون: ١٤.

رهط حاتم: ١٥.

رهط حرب بن يَشْكر: ١٧.

رهط عمرو بن معدي كرب: ١٥.

الرُّوم: ٣١، ٣٢، ٣٧، ٤٦، ٦٢، ٣٣١، ١٧٢، ٢٤٥.

الزِّنج: ١٨٤، ٢٣١.

السَّاسانيُّون: ٣١، ٣٢.

سَدوس: ١٣، ١٤، ١٥، ١٩، ٨١، ١٩٦.

سعد بن بكر: ٢٣٤.

الشِّيعة: ٧٢، ٧٩.

ضبَّة بن أُد: ٨٦.

عبد القيس: ٤٥، ٥١، ٦٠، ٦١، ٦٥، ٦٩، ٧٤، ٧٧، ١٢٥.

عُقيل= بنو عُقيل: ٢٣٤.

عكّ: ٢٧.

عُميرة: ٢٩.

عَنْزة: ٢٨، ٦٥، ٨٣.

الغساسنة: ١٢٦.

الفرس: ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٨، ٣٩، ٤٥، ٥٠، ٥٩، ٦٥، ٦٣، ١١٧، ١٢٧، ١٦٤، ٢٢٠.

فِهر بن مالك: ٩.

القاعدون: ٧٧.

القِبط: ٢٣٠.

قريش: ١١، ٣٧، ٤٣، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٧، ٦٠، ٨٣، ١٠٩، ١١٢.

القِسِّيسون: ٣٥.

قضاعة: ٣٠، ٤٥، ٢٢٠.

قيس: ٢٢١.

قيس بن ثعلبة: ٨، ١٥، ١٦، ١٨، ٢٠، ٢٨، ٣٨، ٤٠، ٧٥، ٧٦، ٨٣، ٨٤، ٨٧، ١٤٠، ٢٢٦.

كِلاب: ٨.

كلب بن وَبرة: ١٠٨.

كِنانة: ٣١.

كِندة: ١٥، ٣٠، ٦٦، ٦٧، ٨٤.

الكوفيّون: ١١٧، ٢٣٩.

لخم: ٧٦، ٢٣٠.

اللّهازم: ٨، ٢٢، ٢٥، ٨٦.

المتكلِّمون: ١١٦.

مذحج: ٨.

مُضر: ١٥، ٦٠، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٩، ١٤٠، ٢٢٢، ٢٢٩.

المعتزلة: ١١٦.

ملوك كِندة: ١٣.

المناذرة: ٦٢، ١٢٦.

المهاجرون: ٤٤، ٥٤، ٦٠.

الموالي: ٢٣٠.

النَّافعيَّة: ١٠.

النَّجدات: ٧٩.

نُخَع: ١٣١.

نزار: ٢٦، ٨٨، ٨٩.

النَّمِر بن قاسط: ٢٣٠.

الهذليّون: ٩٦.

هُذيل: ٩٧.

هوازن: ٦٢، ٢٣١، ٢٣٤.

فهرس الأماكن

الأُبُلّة: ١٨، ٥٢.

أرض مَسْكن: ٧٦.

الأنبار: ٧٣.

الأهواز: ١١، ٥٢، ٧٧.

أُلَيَّس: ٣٣، ٣٤.

بثينة: ٨.

بحر الرُّوم: ٢٤٥.

البحرين: ٥١، ٦٤، ٧٩، ٧٨.

البَروقان: ٩٢.

البصرة: ١٠، ١١، ١٦، ٢٠، ٤٦، ٥٢، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٩٠، ٨٦، ٧٩، ١٥٢.

البِطاح: ٥٦.

بطن الجَرِيْب: ٨.

بطن عِرق: ٨، ١٨.

بغداد: ٣١، ٥١.

البقيع: ٤٩، ١٦٢.

بَلْخ: ٩٢.

تَبالة: ٨، ٧٨.

تبوك: ٤٠.

التَّغْلمين: ٨.

تكريت: ١٨.

الثِّني: ٣٣.

جؤاثى: ٦٣.

الجزيرة العربيّة: ١٨، ٣٢، ٥٣، ٦٥، ٨٢، ٢٣٠.

جسر سَوَرا: ٩١.

جلولاء: ٩١.

الجوزجان: ٨٨.

الحجاز: ٤٦، ١٥٨، ١٧٢.

حَجْر اليمامة: ٤٠، ٤٨، ٥٧.

حَروراء: ١٧، ٧٣.

حضرموت: ٧٨.

حَضَن: ٨.

الحيرة: ٣٣.

خانقين: ٩١.

خراسان: ١٣، ٤٦، ٧٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٢٣٤.

الخَرْج: ٢١.

الخُرَيْبة: ٦٩.

الخضارم: ٧٨.

الخليج العربيّ: ٥١.

الخليج الفلسطينيّ: ٢٤٥.

دجلة: ١٨، ٣١.

دَرزيجان: ٧٣.

الدَّسْكرة: ٧٣.

دمشق: ٥٣.

الدَّهناء: ٤٣، ٤٤، ١٩٤.

الذَّنائب: ٨.
ذو طَوْق: ٨.
ذو قار: ٦٨.
ذو المجاز: ٣٨.
رأس العين: ٢٣.
الرُّقَيبة: ٨.
الرُّوَيْثة: ٢٠.
الرِّي: ١٩.
زالق: ٧٤.
زَرود: ٥٢.
زُمّ: ٢٠.
السَّبَخَة: ٨٠.
سجستان: ٧٤، ٨٩.
السَّراة: ٧٨.
سَرْخس: ٨٨.
السَّكك: ٩٣.
سَلْمان: ٢٩.
سِنجار: ١٨.
سَنَداد: ٢٨.
سواد العراق: ١٨، ٧٦.
سوق عكاظ: ٣٨، ٢٣١.
سيف كاظمة: ١٨.
الشَّام: ٤٦، ٤٩، ٦٣، ٦٦، ٦٨، ٧٦، ٧٧، ٨٣، ١٢٧، ١٥١.
شُبْرم: ٢٠.
صُرَيفين: ٨٢.

ضُبيعة: ٢٠.

ضَريَّة: ٨.

الطّائف: ٧٨.

الطّالقان: ٨٨.

طبرستان: ١١.

الطّور البرّي: ١٨.

عُباعب: ٢١.

عُبَيَّة: ٢١.

العراق: ١٢، ١٨، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٨، ٦٢، ٦٣، ٦٦، ٧٦، ٦٨، ٧٣، ٧٩، ٨٣، ١٢٦.

عَقْرَباء: ٥٧، ٦٠.

عكاظ: ٣٨، ٤١.

عُمان: ٣٦، ٢٣٠.

عين التَّمر: ٣٢.

فارس: ١١، ٢٣، ٣١، ٣٢، ٤٠، ٥٩، ١٦٤، ٢٣٣.

الفارياب: ٨٨.

الفرات: ٣٠، ٤٨، ٥٠.

القادسيّة: ٥١.

القُريَّة: ١٩.

قُسّ النَّاطِف: ٥١، ٧٧.

القطيف: ٥١، ٧٧.

كَسْكَر: ٣٣.

الكوفة: ١٢، ١٨، ٢٠، ٢٨، ٣٥، ٤٣، ٤٤، ٤٨، ٤٩، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٩، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٦، ٨٨.

لَعلع: ٢٥.

مَاه: ٧٦.

المِجنَّة: ٣٨.

محضرة: ٢٠.

المدينة المنوَّرة: ٥١، ٥٤، ٦٣، ١٨٠.

مرو الرَّوذ: ٨٨.

مصر: ٤٦، ٢٣٠.

مكّة: ٢٠، ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٤٧، ٥١، ٥٣، ٦٣، ١٥٠، ٢٢٠.

مَنفوحة: ٢٠.

الموصل: ٨١.

نجران: ٣٧.

نهاوند: ٥٢، ٦٥.

النُّميلة: ٢١.

النَّهروان: ٧٢.

نَيسابور: ٨٨.

النِّيْل: ٩١.

هَجَر: ٤٥، ٦٣.

الهَدَّار: ٥٥.

هَراة: ٨٣، ٨٤، ٨٥.

هضبة نجد الوسطى: ٥٣.

هَمدان: ٩١.

هَمَذان: ٥١.

هِيْت: ١٨.

وادي الثّرثار: ١٨.

واردات: ٨.

الوَلَجَة: ٣٣.

اليمامة: ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٥، ٣٢، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٦، ٧٤، ٤٨، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٧٤، ٩٧، ١٢٣، ١٣٥، ١٥٤، ١٦٧، ١٦٨، ١٨٠، ١٨١، ٢٠٨، ٢٣٠.

اليمن: ٨٨.

فهرس الأيَّام والمغازي والوقائع

حرب البَسوس: ٢١، ٢٢.

معركة اليمامة= يوم اليمامة: ١١، ٢٥، ٥٣، ٥٦.

وقعة نهاوند: ١٢، ٥٢، ٦٥.

يوم أُباض: ١٣٠.

يوم تحلاق اللِّمم: ٢٢.

يوم تُسْتَر: ٦١.

يوم جُدود: ٢٣.

يوم الجسر (يوم قُسّ النّاطف): ٤٧، ٥١.

يوم الجمل: ١٤، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠.

يوم الحائر (يوم مَلْهم): ٢٢.

يوم الحاجز: ٢٤.

يوم الحِنو: ٢٢.

يوم دوران: ١٣٠.

يوم دَوْلاب: ٧٧.

يوم الذَّنائب: ٢٢.

يوم ذي طُلُوح: ٢٢.

يوم ذي قار: ٢٤، ٦٣.
يوم الزُّويرين: ٢٤.
يوم سفوان: ٢٣.
يوم سَلْمان: ١٨.
يوم الشَّقيق: ٢٤.
يوم الشَّيطين: ٢٥.
يوم صَعْفوق: ٢٤.
يوم صفِّين: ١٤، ٦٩، ٧٠، ٧٤، ١١٩، ٢٠٨، ١٤٠، ١٦٤، ١٩٩.
يوم العُظالى: ٢٣.
يوم عُنيزة: ٢٢.
يوم الغبيط: ٢٣.
يوم فَيحان: ٢٤.
يوم القادسيَّة: ١٢، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٤، ٦٥، ١١٤، ١١٥، ١٢٥.
يوم القَحْقح: ٢٣.
يوم القُصَيبات: ٢٢.
يوم قِضَّة: ٢١، ٢٢.
يوم مُبايض: ٢٤.
يوم مُخَطَّط: ٢٣.
يوم النِّهْي: ٢١.
يوم واردات: ٢١، ٢٢.
يوم الوقيط (الوقيظ): ٢٥.

فهرس الشِّعر

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
		ـحرف الهمزة ـ	
		(ءُ)	
لعمر أبيكَ	العلاءُ	ثُمامة بن أُثال الحنفيّ	١١٩، ١٣٤، ١٧٣
فلن أثني	الجزاءُ	ثُمامة بن أُثال الحنفيّ	١٢٤
ألم ترنا	انتهاءُ	رجل من بني حنيفة	١٣٠
وقد قال	الغطاءُ	ثُمامة بن أُثال الحنفيّ	١٩٤
		(ءِ)	
إنَّ الأعادي	الجوزاءِ	أبو النَّجم العِجْليّ	١٨٧
ولاينطق	سوائِنا	المرار بن سلامة	٢٤٠
ونَسْي	حيائِه	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٣٣
قبل	جوزائِهِ	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٤٠
		ـحرف الباء ـ	
		(بُ)	
تمنّى	قواضبُ	خالد بن المعمّر السّدوسيّ	٧٠، ٢٢١
إذا شمَّر	ربائبُه	الشُّويعر الحنفيّ	١٠٩
أأخضبُ	سليبُ	عبد الله بن ثعلبة الحنفيّ	١٤٩
قتلتُ	وشيّبُ	عبيد الله بن زياد	١٥٠
غداة	شَعُوبُ	عتبان بن وصيلة الشَّيبانيّ	١٩٠
فوالله	كوكبُ	عبيد الله بن زياد	١٩٧
وفتنةٍ	ولا ذَنبُ	خالد بن المعمَّر السَّدوسيّ	٢٠٨
أعلقمُ	ضريبُها	مسعود بن المختلس الشِّيبانيّ	٢٢٠، ٢٢٧
غريبٌ	غريبُ	عبد الله بن ثعلبة الحنفيّ	٢١٦

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
رأيتك	تشيبُ	واثلة بن خليفة	٢٢٥
		(بَ)	
فجاء	الوطبا	خلف الأقطع	١٣٨
إذا حُرِّك	ويُسْحبَا	كلاب بن حريّ العِجْليّ	١٨٩
أرجو بها	ثوابا	علباء بن جحش العِجْليّ	٢١٩
طربتُ	ومغربا	كلاب بن حريّ العِجْليّ	٢٢٦
جاريةٌ	ثعلبَة	الأغلب العِجْليّ	٢٤١
		(بِ)	
لقد علمت	المكاسبِ	النُّسير بن ثور العِجْليّ	١١٤، ١٢٥
إنِّي امرؤٌ	وأبي	الممكَّأ الشَّيبانيّ	١٢٦، ١٢٩، ٢٠٧
وإنَّ مسيري	أُقرَّبِ	البَعِيْث الحنفيّ	١٢٣
هممتُ	لأقاربِه	عُبيد الله بن زياد	١٢٦
يا سيّد النّاس	حسَبِ	أعشى شيبان	١٣٥
نهارٌ	المغيَّبِ	خلف الأقطع	١٣٧
ومن الرِّجال	كالغائبِ	الحضين بن المنذر	١٤٧، ١٩٨
قل للأرامل	عُتَّابِ	عَمرة بن أبي عتبان	١٥١
خيالٌ	المذبذبِ	البَعِيْث الحنفيّ	١٠٩، ١٤٨، ١٧٠
عندنا	العتابِ	مُجَّاعة الحنفيّ	١٧٦
معاذ	ربربِ	البعيث الحنفيّ	١٨٤
الرَّاكبين	الأذنابِ	عَمرة بنت أبي عتبان	١٩٧
أترى	الكذَّابِ	مُجَّاعة الحنفيّ	١٩٧
ينضو	بنجيبِ	عصام بن عبيد الزِّمَّانيّ	٢٢٤
		(بْ)	
يا سيّد النّاس	العربْ	شجاع بن الحارث	١٤٣، ٢١٩

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
زُيِّنَ	الجربْ	خلف الأقطع	١٣٨
وإذا سُبِّبَ	وسببْ	خلف الأقطع	٢٢٥
	ـ حرف التّاء ـ		
	(تُ)		
وهاجرةٍ	واشتويتُها	البَعِيْث الحنفيّ	١٧٨
وجدتُ	حويتُها	البَعِيْثُ الحنفيّ	٢٣٩
	(تِ)		
علوتُ	هاماتِها	خلف الأقطع	١٣٨
ليس آتٍ	سيأتي	عبد الله بن عبد الأعلى	١٦٥، ٢٢٥
كلّ حيّ	وشتاتِ	عبد الله بن عبد الأعلى	١٦٥
	(تْ)		
الله	مسلمتْ	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٣٥
	ـ حرف الجيم ـ		
	(جِ)		
فمن مبلغ	الخوارجِ	قطريّ بن الفجاءة	٨٠
عشيّة	ديزجِ	الحضين بن المنذر	١٤٥، ١٧٩، ٢٤٣
	ـ حرف الحاء ـ		
	(حُ)		
ضحكت	يبرحُ	العُديل بن الفرخ العِجْليّ	١٥٧
إذا عدلت	راجحُ	أبو جلدة اليَشْكريّ	١٩٢، ١٩٦
وسِرْ	تبرحُ	خلف الأقطع	٢٠٧
	(حِ)		
إذا ما أردتَ	مُشَحْشحِ	خلف الأقطع	١٩٥

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
		ـ حرف الدَّال ـ	
		(دُ)	
سُئلتَ	ولا حمدُ	الحطيئة	٢٠
ستلقى	تالدُ	مُحكَّم بن الطُّفيل	١٣١
لقد ولدتْ	زائدُ	الهزهاز البكريّ	١٤٤
لكلّ أناس	تزيدُ	عبد الله بن ثعلبة الحنفيّ	١٥٩، ١٩٦
معاذ إلهي	أربدُ	أبو علاقة التَّيميّ	١٧٢، ٢١١
وهامٍ	واحدُ	مُحكَّم بن الطُّفيل	٢٠٥
أيا بن الوليد	اللّابدُ	مُحكَّم بن الطُّفيل	٢٠٧، ٢١١
		(دَ)	
ألم تغتمض	المسهَّدا	الأعشى	٤١
فسبحان	القِردَه	خلف الأقطع	١٣٨
هم السَّمن	يُقرَّدا	الحصين بن القعقاع	٢٣٤
		(دِ)	
هلمَّ	المتردِّدِ	رجل من بكر بن وائل	١٧
بين الخورنق	سندادِ	أعشى قيس بن ثعلبة	٢٩
لا تقل	الجوادِ	عمران بن حطّان	٧٦
زعمت	فاصعدي	رجل من بكر بن وائل	٩٢
يلومُ	واحدِ	مُجَّاعة الحنفيّ	١٢٤
غدوتُ	وحسَّدِ	حجَّار بن أبجر العِجْليّ	١٢٥
أيُّها المادح	العبادِ	خلف الأقطع	١٣٩
ألا يا اسلمي	الجعدِ	أبو الأخيل العِجْليّ	١٥٨
رأيت الفتى	وصفادِ	ابن خمام	١٦١

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
لعمرك	العهدِ	شجاع بن الحارث	١٥٦
انفوا	الشُّهَّدِ	عبد الله بن عبد الأعلى	١٦٦
حذارِ	الحقدِ	قتادة بن مُغْرب اليَشْكريّ	٢٠١
لقد	راقدِ	خلف الأقطع	٢٠٦
تقول	المتقدِّدِ	حجَّار بن أبجر العِجْليّ	٢٠٨
جارية	بن أُدّ	أبو النّجم العِجْليّ	٢٢٢
طلوبٌ	وتوعّدي	حجّار بن أبجر العِجْليّ	٢٢٤
عزَّتْ	للمتبدِّدِ	عبد الله بن عبد الأعلى	٢٢٥
فإن تقطعوا	قلائدِ	خلف الأقطع	٢٢٥
ونحن قتلنا	زيادِ	عبيد الله بن زياد	٢٣٧
		(دْ)	
مَن هنا	كمدْ	عبد الله بن عبد الأعلى	١٦٠، ٢٢٣
رمتنا	جحدْ	عمرو بن سمرة الحنفيّ	١٧٥، ٢١٢، ٢١٩، ٢٢٣
		ـحرف الرَّاء ـ	
		(رُ)	
أرى العين	ابتدارها	نصر بن سيّار	٩٣
هلالان	الأباعرُ	موسى بن جابر الحنفيّ	١٣٩
وكيف أرجِّي	عامرُ	أبو علاقة التّيميّ	١٤٢
لولا مخافة	مسمارُ	فتى من بني عِجل	١٥٦
ليس المحبُّ	النّارُ	فتاة من بني عِجل	١٥٦
لقد خبّرتْ	والصّدرُ	أبو النّجم العِجْليّ	١٥٧
لو أعظم	يا عمرُ	محارب بن دِثار	١٦٧
جاء	ماطرُه	أبو النَّجم العِجْليّ	١٨٦
كأنّ سيوف الهند	تزهرُ	عمير بن جابر	١٨٦

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
فحكّمنا	يجورُ	حريث بن جابر الحنفيّ	٢٠٨
ما بالُ	قرارُ	مُليكة الشَّيبانيّة	٢٢٠
اجعل	الشَّجرُ	قتادة بن مُغرب اليَشْكريّ	٢٢٧
.....	فطاروا	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٣٣
		(رَ)	
وغادرنا	الإزارا	عنترة بن شدَّاد	٢٦
إنّ الأساود	مذكورا	واثلة بن خليفة	١٤٤
وفي اليأس	يسرا	خلف الأقطع	١٦٩
أرى حَجْراً	مُرّا	عصام بن عبيد الزِّمّاني	٢٢٧
		(رِ)	
لئن كان	أبجرِ	ابن ملجم	٣٥
رضينا	المناخرِ	النَّجاشيّ	٧١
طرقتْ	يسري	الأغرّ بن مأنوس	٩٨
وجدنا	الفزرِ	موسى بن جابر الحنفيّ	١١٣
مُسيلمُ	الحافرِ	امرأة من بني حنيفة	١٤١، ١٧٣
يا بن الوليد	الكافرِ	عمير بن ضابئ اليَشْكريّ	١٤٢، ٢٠١، ٢١٢
تنازعني	للأمورِ	الحضين بن المنذر	١٤٧
عتبتُ	عمروِ	نهار بن توسعة	١٥٢
أستغفر الله	منتصرِ	فتى من بني عِجل	١٥٧
وإنَّ امرأً	غرورِ	الشُّويعر الحنفيّ	١٦٥، ٢١٠
يُحيِّي	الفقيرِ	الشُّويعر الحنفيّ	١٦٧
أليس الموت	القبورِ	الشُّويعر الحنفيّ	١٦٧
أُكاشح	المكاشرِ	عمرو بن جابر الحنفيّ	١٨٠
كأنّها	القصّارِ	أبو النَّجم العِجْليّ	١٨٢

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
كأنّ ضياء	السَّرارِ	عمران بن حطّان	١٨٦
سحبتَ	قاشرِ	امرأة من بني حنيفة	١٨٨
يهوى	ضارِ	عبيدة بن هلال اليَشْكريّ	١٩١
لعمرك	أدري	ابن دغماء العِجْليّ	١٩٧، ٢١٩
ثنى ضلعاً	زاجرِ	عمرو بن جابر الحنفيّ	٢٠٦
يا بن الوليد	الكافرِ	مُرَّة بن ضابئ اليَشْكريّ	٢٠٦
علا	تجري	عبيدة بن هلال اليَشْكريّ	٢٠٩
أعينيّ	الوعرِ	ابنة حذاق الحنفيّة	٢٢٦
قالت	قرقارِ	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٣٦
وليس	بدارِ	عمران بن حطّان	٢٣٨
	(رْ)		
لو عُصْر	انعصرْ	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٣٣
أصبحتُ	مضرْ	عمران بن حطّان	٢٣٩
	ـ حرف الزَّاي ـ		
	(زِ)		
أكلتْ	إعوازِ	رجل من تميم	٢٨
	ـ حرف السّين ـ		
	(سِ)		
تجهّزي	الشُّمسِ	قتادة بن مغرب	٢٢٧
لحجّار	خَندريسِ	الحضين بن المنذر	٢٤٣
إذا انجلى	الشَّمسِ	الأغلب العِجْليّ	٢٤٤

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
		ـ حرف الشّين ـ	
		(شُ)	
أغبتَ	خِداشُ	سَلم من بني سَدوس	٢٠٤، ٢٢١
		(شِ)	
مُنيت	كُندشِ	أبو الغطمّش الحنفيّ	١١٥
كأنَّ الثّآليل	الكشمشِ	أبو الغطمّش الحنفيّ	٢٤٤
		(شْ)	
إنِّي لأهوى	الجحمرشْ	أبو الأسود العِجْليّ	١٨١
		ـ حرف الصّاد ـ	
		(صُ)	
وكائن	القنيصُ	مختلفٌ فيه	١١٥
		ـ حرف الضَّاد ـ	
		(ضُ)	
فلا حفظ	تفيضُ	الحضين بن المنذر	٢٠٩
		(ضَ)	
أرجزاً	قريضا	الأغلب العِجليّ	٢٤٠
		(ضِ)	
نَمَتْ	الرَّفضِ	ثعلبة بن عمير الحنفيّ	١٨٤
شَتتْ	المفضي	ثعلبة بن عمير الحنفي	٢١٢
		ـ حرف الطّاء ـ	
		(طُ)	
سكرتُ	غطيطُ	هوذة الحنفيّ	١٨٩

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
		ـ حرف الظّاء ـ	
		(ظُ)	
نَسِيٌّ	حفيظُ	الحضين بن المنذر	٢١٨
		ـ حرف العين ـ	
		(عُ)	
وأنت على	مانعُ	الضَّحّاك بن هنّام	١٣٥
منع الرّقاد	مضجعُ	توسعة بن أبي عتبان	١٥٠، ٢١٥، ٢٢٦
أعُتيب	تضعضعُ	توسعة بن أبي عتبان	١٥١
يا ويح	مصرعُ	عبد الله بن عبد الأعلى	١٦٥، ٢٢٢
ويطمع	مطامعُه	الشُّويعر الحنفيّ	١٦٨
دعانا	يَسجعُ	ثُمامة بن أُثال الحنفيّ	١٧٤
		(عَ)	
ذهبتم	موضّعا	موسى بن جابر الحنفيّ	١٢٧
إنَّ المروءة	فأضاعَها	الحضين بن المنذر	١٤٥
إنِّي ويحيى	الشَّبعا	عصام بن عبيد الزِّمَّانيّ	١٨٠
فما نفرتْ	وقَّعا	موسى بن جابر الحنفيّ	١٩٦
إذا ابن	القلاعا	خلف الأقطع	١٩٩
أحجّاج	معا	ابنة يزيد الشّيبانيّ	٢٠٠
أبى همّ	امتناعا	خلف الأقطع	٢١٢
ندافع	امتناعا	خلف الأقطع	٢٢٢
أتلهين	اتِّباعا	خلف الأقطع	٢٢٢
أبى ابن	اتِّباعا	خلف الأقطع	٢٢٢
		(عِ)	
لقد بشَّرتْ	موضعِ	جرول بن الحمارس	٢٠٠

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
يا بنة عمّا	واهجعي	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٣٨
قد أصبحت	تدَّعي	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٤٠
		(عْ)	
ألا قومي	المخدعْ	مسيلِمة الكذّاب	٢٠٢، ٢١٨
		ـ حرف الفاء ـ	
		(فُ)	
نزعنا	تحالفُ	بعض بكر بن وائل	٨٥
لا تبخلنّ	والسَّرَفُ	خلف الأقطع	١٦٨
		(فِ)	
وينسى	الحنيفِ	مصقلة بن هُبيرة	٢٠٨
		(فْ)	
على أنَّ	للتَّلفْ	رجل من بني حنيفة	١٣٥
فلسنا	السَّرفْ	رجل من بني حنيفة	١٣٥
إنَّا وإن	والشَّرَفْ	رجل من بني حَنيفة	١٧٤
		ـ حرف القاف ـ	
		(قُ)	
فلله عينا	البوائقُ	رجل من بني حنيفة	١٣٠
أنا رسول	الخالقُ	مُسيلمة الكذّاب	١٧٥، ٢٠٩
		(قَ)	
لبّيك	ورقّا	بكر بن وائل	٢٧
		(قِ)	
أتانا	موفّقِ	حسّان بن ثابت	١٦
ألا من	الشّقيقِ	عبد الله بن الكوّاء	١١٩

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
رُبّ رخو	كالمخراقِ	مُحكَّم بن الطُّفيل	١٢٥
كأنَّ بَصيراً	الجردقِ	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٤٣

ـ حرف الكاف ـ

(كَ)

لبّيك	ويكفرونكا	بكر بن وائل	٢٨
أبوكَ	وخالكا	فرات بن حيّان	١١٣، ١١٨، ١٤٣
إنَّ لك	الرَّامكا	خلف الأقطع	٢٤٤
فَشَامَ	المُصْطكى	الأغلب العِجْليّ	٢٤٦

(كِ)

فإن نلقَ	هالكِ	فرات بن حيّان	١١٤
ألا مبلغ	الصّعالكِ	أبو سفيان بن الحارث	١١٨
مُسيلِمة	تُشْرَكِ	ثُمامة بن أُثال الحنفيّ	١٤١، ١٧٤، ٢٢٦

(كْ)

نحن غرابا	عكّ	غلامان أسودان	٢٧

ـ حرف اللّام ـ

(لُ)

تهدِّدني	بعلُ	حجّار بن أبجر العِجْليّ	٣٦، ١٤٧، ١٩٩
إلى الله	قليلُ	عبيدة بن هلال اليَشْكريّ	٦٨
ونحن أناس	أهلُ	الحضين بن المنذر	١٢٨
كانت حنيفة	تنكلُ	موسى بن جابر الحنفيّ	١٣٠
عدلتُ	شغلُ	خلف الأقطع	١٣٦
وقالوا	ذليلُ	نهار بن حرب	١٦٤، ٢٠٩، ٢٢٠
رأت مضر	الفضلُ	الحضين بن المنذر	١٤٦
وعِجل	النّبلُ	حجّار بن أبجر	١٤٧

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
فلا تغرّنّك	ولا حُولُ	موسى بن جابر الحنفيّ	١٦٥
أرى الرّكبان	يقولُ	مُحكَّم بن الطّفيل	١٧٦
رأيتُ	غوائلُه	حرب بن جابر	١٨٤
إلى معدن	الجزلُ	خلف الأقطع	١٩٩
اغْدُ	نرسلُه	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٣٢
إذا كنتِ	الوسائلُ	بعض قيس بن ثعلبة	٢٦٣
		(لَ)	
ما بالُ	أطلالا	العُديل بن الفَرخ العِجْليّ	١٠١
وأمّا سعيد	قابلَه	خلف الأقطع	١٤٤
		(لِ)	
وقد ميَّلت	بكر بن وائلِ	نهار بن توسعة	١٣
وقد فَضَلتْ	الأوائلِ	الفرزدق	١٨
إنَّ اليمامة	بني ذهلِ	الحطيئة	١٩
لأمدحنَّ	بني ذهلِ	الحطيئة	١٩
وكندة	بكر بن وائل	أبو طالب	٨٧
وجاؤوا إلينا	بكر بن وائلِ	شاعر	٦٧
إنَّ في الدّين	الفصيلِ	محرز بن قتادة	١٠٩
يا سعاد	الرَّحّالِ	حنيف بن عمير	١١٢
اصبر النّفس	المحتالِ	حنيف بن عُمير اليَشْكريّ	١١٥، ١٦٤
وإذا الرّجال	نعلي	موسى بن جابر الحنفيّ	١٢٧
إذا الحرب	حيالِها	حُبيبة بنت عتيق	١٣١، ١٧٨
نسيرُ	والقنابلِ	رجل من بكر بن وائل	١٣٢، ١٨٥، ٢٢٣
وقال رجال	قابلِ	رجل من بكر بن وائل	١٣٢
ليت الحرائر	الأجبالِ	معنق السَّدوسيّ	١٣٢

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
إلا إنّ عيني	واحتفالِها	حُبيبة بنت عتيق	١٤٩
فإنّا حِجار	جبالِها	حثيبة بنت عتيق	١٨٣
صُلب	التَّغزّلِ	أبو النَّجم العِجْليّ	١٨٧
جاءت	الأوَّلِ	أبو النَّجم العِجْليّ	١٨٨
حتّى تحنَّى	يذبُلِ	أبو النَّجم العِجْليّ	١٩١
وإن عضَّت	مثلي	موسى بن جابر الحنفيّ	١٩٢
تسمع	المسحلِ	أبو النَّجم العِجْليّ	١٩٢
مَدّوا	حبلي	موسى بن جابر الحنفيّ	١٩٥
هجرت	والأزلِ	وهب بن أبجر	٢٢٤
إن تقُدْهُ	المختالِ	عمران بن حطّان	٢٢٤
كأنَّ	الشّوّلِ	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٣٢
فصدرتْ	الموصلِ	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٣٧
أقبَّ	من علِ	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٣٨
تشكو	وأظللِ	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٤١
إذا استحثّوها	أو حَلي	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٤٢
في لُجَّةٍ	عن فُلِ	أبو النَّجم العِجْليّ	٢٤٢
		(لْ)	
ما أبالي	الجبلْ	موسى بن جابر الحنفيّ	١٢٧
وترى	طفلْ	موسى بن جابر الحنفيّ	١٨٦
بنات	اللّيلْ	أبو ميمون العِجْليّ	٢١٢
		ـ حرف الميم ـ	
		(مُ)	
غِضاب	اللّهازمُ	الأخطل	١٦
ولو سُئلتْ	ومَلْهمُ	ضرار بن الأزور	٢٧

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
أتاني	يزعمُ	جرير بن الخرقاء العِجلي	١٤٤
ونجّاه	أزومُ	يزيد بن جدعاء العِجْليّ	١٨٠
وكسرى	اللّحامُ	خالد بن حِقٍّ الشَّيبانيّ	١٩٠
		(مَ)	
نفس عصام	والإقداما	أبو بكر الصّدّيق	٣٤
لبئس ما	مسيلِمَة	مُحكَّم بن الطُّفيل	٥٨، ٢١٧
تبكي	بكاهما	الفرزدق	٩١
نبكِّي	أباهما	الجعد بن درهم	٩١
لهفي	شمامَه	الأخطل الضُّبعيّ	١١٢، ١٥٠، ١٨٥، ٢٢
أعدُّ	والأصمّا	رجل من بني شيبان	١٢٩، ١٧٧
قلتُ	مَسلمَه	مُجَّاعة الحنفيّ	١٤٢، ١٧٧، ١٨٤، ٢٢٦
ليتنا	خزامه	رجل من بني حنيفة	١٨٥
أَخْنَسَ	المخطمَه	أبو النَّجم العِجْليّ	١٨٧
فَطَمنا	غَشمشما	جحش بن زيد الحنفيّ	١٩٢
إنَّ في تركنا	والمقامَه	رجل من بني حنيفة	١٩٤
يا ليل	مُلتقاهما	الزَّباب من بني سَدوس	٢٠٤
نعم	مقلتاهما	سَلم من بني سَدوس	٢٠٥
		(مِ)	
أبي الإسلام	تميمِ	نهار بن توسعة	١٣
أبلغ	أقوامِ	موسى بن جابر الحنفيّ	١١٣
نفسي	حاتمِ	خلف الأقطع	١٣٩
لعمرك	رامِ	سلمان العِجْليّ	١٤٦
إذا ما	غرمِ	ثعلبة بن عمير الحنفيّ	١٦٢
فتعرككم	فتُتئمِ	زهير بن أبي سلمى	١٧٨

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
تقول لي	أقمِ	حمزة بن بِيْض الحنفيّ	١٧٧
قَرِّبي	تميمِ	أبو جلدة اليَشْكريّ	١٩٢
أخا	مرامِ	العُديل بن الفرخ العِجْليّ	٢٢٤
	(مْ)		
ومنّا الّذي	الحُرمْ	الحنفيّ	٤٩
طال ليلي	والحُطَمْ	المثنّى بن حارثة	٦٣
قومي	عالمْ	الحطيئة	١٩
قد قابلوا	فحمْ	الأغلب العِجْليّ	٢٣٤
	ـ حرف النّون ـ		
	(نُ)		
ألم تريا	دونُها	موسى بن جابر الحنفيّ	١٢٧، ٢٣٩
لقد حباني	سليمانُ	خلف الأقطع	١٣٧
ينالُ	سمينُ	خلف الأقطع	١٣٧
مَن لقلب	سَكَنُ	امرأة من بني شيبان	١٥٣، ٢٢٧
أعاتبُ	حزينُ	ثعلبة بن عمير الحنفيّ	١٦٢
وجدتُ	ظنونُها	موسى بن جابر الحنفيّ	١٦٨
ابتغوا	السّننُ	امرأة من بني شيبان	١٨٩
ألا إنّ الخنيفس	اللّعينُ	أُبَيْدة	٢٠٣
أيا ابن المقشعر	عرينُ	الخنيفس الشَّيبانيّ	٢٠٣
ظعن الأبرار	ظعنوا	امرأة من بني شيبان	٢٢٥
	(نَ)		
أنا سِماك	دجانة	أبو دُجانة الأنصاريّ	٥٨
ما قاتل	وحسّانا	الأعور الشّنّي	٦٩
لشتّان	وبيننا	قطريّ بن الفجاءة	٧٩

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
ألا لا يجهلن	الجاهلينا	عمرو بن كلثوم	١٣٦
سموت	رحمانا	رجل من بني حنيفة	١٥٢
بان الخليط	هوانا	الرَّحّال العذريّ	١٥٥، ٢٢٧
وعاذلةٍ	العاذلينا	ثعلبة بن عمير الحنفيّ	١٦١، ٢٧٣
تولَّوا	أكتعينا	أعشى ربيعة	١٨١
لمّا رآه	مِخنَّا	أبو الأسود العِجْليّ	١٨٢
سلام	تغتدينا	محارب بن دثار	٢٤٢
	(نِ)		
ولقد أمرّ	يعنيني	موسى بن جابر الحنفيّ	١٢٧
لم تكن	رمتني	حمزة بن بِيْض الحنفيّ	٢٠١
قد كنت	حيطانِ	أمّ موسى الكلابيّة	٢٣٠
بَنى البناة	والطّينِ	أبو كدراء العِجْليّ	٢٤٣
يوماً	فعدنانيّ	عمران بن حطّان	٢٤١
	ـ حرف الهاء ـ		
	(هـَ)		
حلفتُ	حافيَه	أرنب الحنفيَّة	١٩٠
	ـ حرف الياء ـ		
	(يَ)		
عكّ	اليمانية	غلامان أسودان	٢٧
ونحن قتلنا	اليمانيا	البَعِيْث اليَشْكريّ	١٣٢، ١٩٠
ألا أيّها الذّئب	بدا ليا	امرأة من بني عِجل	١٦٠
وليس عَلَيَّ	شيّا	محارب بن دثار	١٦٧
ولا ضَيرَ	تاليا	امرأةٌ من بني عِجل	١٦٦
إذا ظُلم	كلابيا	حريث بن جابر الحنفيّ	١٩٥

المطلع	القافية	الشَّاعر	الصَّفحة
ونفسٍ	ريّا	محارب بن دثار	١٩٧
أحمدُ	سويّا	محارب بن دثار	٢١٢
		(يْ)	
أنا ابن حسّان	النّبيّ	رجل من ولد حسّان	٤١
فَبَصُرتْ	الزِّيّ	الأغلب العِجْليّ	١٨١
لها أشارير	أرانيها	أبو كاهل اليَشْكريّ	٢٣٢

فهرس المصادر والمراجع

١. آثار البلاد وأخبار العباد: للقزوينيّ (٦٨٢هـ)، دار صار، بيروت، ١٩٦٠م.
٢. الآحاد والمثاني: لأبي بكر الشَّيبانيّ (٢٨٧هـ)، تحقيق: د. باسل فيصل أحمد الجوابرة، دار الرّاية، الرّياض، ط١، ١٩٩١م.
٣. اتِّفاق المباني وافتراق المعاني: لتقيّ الدّين المصريّ، تحقيق: يحيى عبد الرّؤوف جبر، دار عمّار، عمّان، ط١، ١٩٨٥م.
٤. الأحاديث الطّوال: للطّبراني (٣٨٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفي، مطبعة الأمّة، بغداد، ط٢، ١٩٨٣م.
٥. أخبار الدّولة العبّاسيّة: لمؤلّفٍ من القرن الثّالث الهجريّ عن مخطوطٍ فريدٍ من مكتبة مدرسة أبي حنيفة، بغداد، تحقيق: د. عبد العزيز الدّوري ود. عبد الجبّار المطلبيّ، دار الطّليعة للطّباعة والنّشر، بيروت.
٦. الأخبار الطِّوال: لأبي حنيفة الدّينوري (٢٨١هـ)، مطبعة السّعادة، مصر، ط١، ١٣٣٠هـ.
٧. أخبار القضاة: (لوكيع) لابن صدقة الضّبّي(٣٠٦هـ)، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التِّجاريَّة الكبرى، مصر، ط١، ١٩٧٤م.
٨. أخبار مكّة: للأزرقيّ (نحو ٢٥٠هـ)، تحقيق: رشدي الصّالح مَلحَس، دار الأندلس، مطبعة ماتيو كرومو، إسبانيا.
٩. الاستذكار: لابن عبد البرّ القرطبيّ (٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمَّد عطا ومحمَّد علي معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البرّ القرطبيّ (٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمّد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م.
١١. الاستيعاب (هامش الإصابة في تمييز الصَّحابة): دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ١٣٢٨هـ.
١٢. أُسْد الغابة في معرفة الصَّحابة: لابن الأثير الشّيبانيّ الجزري (٦٣٠هـ) ، تحقيق: علي محمّد معوّض و عادل أحمد عبد الجواد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٤م.
١٣. الاشتقاق: ابن دريد (٣٢١هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

١٤. الإصابة في تمييز الصّحابة: لابن حجرٍ العَسْقلانيّ (٨٥٢هـ)، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ بالتّعاون مع مركز هجر للبحوث والدّراسات العربيّة والإسلاميّة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

١٥. إصلاح ما غَلِط فيه النَّمريّ: للأسود الغُندجانيّ (٤٣٦هـ)، تحقيق: د. محمَّد علي سُلطاني، معهد المخطوطات العربيّة، الكويت، ط١، ١٩٨٥.

١٦. الأصنام: لابن الكلبيّ ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصريّة، ط٣، ١٩٩٥م.

١٧. الأصوات اللغويَّة: د. إبراهيم أنيس، مكتبة ومطبعة نهضة مصر.

١٨. الأصول في النَّحو: لابن السَّرَّاج (٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسّسة الرِّسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.

١٩. إعراب القرآن: لابن النّحّاس (٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، مكتبة النّهضة العربيّة، ط٢، ١٩٨٥م.

٢٠. الأعلاق النَّفيسة: لأحمد بن عمر بن رُسْتَه، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٢١. الأعلام: لخير الدّين الزّركلي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٢٢. الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني(٣٥٦هـ)، تحقيق: عدد من المحقّقين، مصوَّرة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثَّقافة والإرشاد القوميّ، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢٣. الأمالي: للقالي (٣٥٦هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت.

٢٤. إمتاع الأسماع بما للنّبيّ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: للمقريزي (٨٤٥هـ)، تحقيق: محمّد عبد الحميد النّميسي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٢٥. أمثال العرب: للمفضّل الضَّبّيّ، تحقيق: د.إحسان عبّاس، دار الرّائد العربيّ، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٢٦. أنساب الأشراف: للبلاذريّ (بعد ٢٧٠هـ)، تحقيق: عدد من المحقِّقين، وزارة الثَّقافة والأبحاث العلميَّة والتّكنولوجيَّة التَّابعة لألمانيا الاتّحاديَّة، مطبعة الشَّركة المتَّحدة للتَّوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٢٧. أنساب الأشراف: للبلاذريّ (بعد ٢٧٠هـ)، تحقيق: محمود الفردوس العظم، دار اليقظة العربيّة، دمشق، ١٩٩٩م.

٢٨. الأنساب: للسّمعاني (٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
٢٩. الأنساب: للصّحاري (ق٦هـ)، تحقيق: د. إحسان النّص، مسقط، ط٤، ٢٠٠٦م.
٣٠. الأوائل: لأبي هلالٍ العسكريّ (٣٩٥هـ)، تحقيق: د. محمَّد السَّيّد الوكيل، دار البشير للثّقافة والعلوم الإنسانيّة، طنطا، ط١، ١٩٨٧م.
٣١. أيّام العرب في الجاهليّة: لمحمَّد أحمد جاد المولى، وعلي محمَّد البجاوي، ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت،
٣٢. الإيجاز لأسرار كتاب الطِّراز في علوم حقائق الإعجاز: ليحيى بن حمزة العلويّ (٧٤٩هـ)، تحقيق: د. بن عيسى باطاهر، دار المدى الإسلاميّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
٣٣. الإيناس بعلم الأنساب: للوزير المغربيّ (٤١٨هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلاميّة، دار الكتاب المصريّ (القاهرة)، دار الكتاب العربيّ (بيروت)، ط٢، ١٩٨٠م.
٣٤. البخلاء: للجاحظ (٢٥٥هـ)، تحقيق: طه الحاجري، دار المعارف، القاهرة، ط٧.
٣٥. البداية والنّهاية: لابن كثير (٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
٣٦. البصائر والذَّخائر: لأبي حيّان التّوحيدي (نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.
٣٧. البصريّات: لأبي عليّ الفارسيّ (٣٧٧هـ)، تحقيق: محمّد الشَّاطر أحمد، مطبعة المدنيّ، مصر، ط١، ١٩٨٥م.
٣٨. البطولة في الشّعر العربيّ: تأليف د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط٢.
٣٩. بلاد العرب: للحسن بن عبد الله، المعروف بلُغْدة الأصبهاني (نحو ٣٠٠هـ)، تحقيق: حمد الجاسر ود. صالح العلي، منشورات دار اليمامه للبحث والتّرجمة والنّشر، الرّياض.
٤٠. بلاغات النِّساء: لابن طيفور (٢٨٠هـ)، صحَّحه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عبَّاس الأوّل، القاهرة، ١٩٠٨م.
٤١. البلدان وفتوحها وأحكامها: للبلاذري (بعد ٢٧٠ هـ). تحقيق: د. سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٤٢. بنية القصيدة العربيّة حتّى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح نموذجاً): د. وهب روميّة، دار سعدالدين، دمشق، ١٩٩٧م.

٤٣. تاج العروس من جواهر القاموس: المرتضى الزَّبيدي (١٢٠٥هـ)، تحقيق: عدد من المحقّقين، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت.

٤٤. تاريخ ابن أبي خيثمة: لأبي بكر أحمد بن أبي خَيْثَمة (٢٧٩هـ)، تحقيق: صلاح بن فتحي هلل، الفاروق الحديثة للطّباعة والنّشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

٤٥. تاريخ ابن خلدون: عبد الرَّحمن بن خلدون (٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م.

٤٦. تاريخ بغداد: للخطيب البغداديّ (٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٤٧. تاريخ الطّبريّ: لأبي جعفر الطّبري (٣١٠هـ)، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت.

٤٨. تاريخ مدينة دمشق: لابن عساكر (٥٧١هـ)، تحقيق: عدد من المحقّقين، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، ١٩٥١ ـ ١٩٨١م.

٤٩. تحرير التّحبير: لابن أبي الإصبع المصريّ (٦٥٤هـ)، تحقيق: د. حفني محمّد شرف، لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ، الجمهوريّة العربيّة المتّحدة.

٥٠. التّحرير والتّنوير: للطاهر بن عاشور التّونسيّ (١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنّشر والتّوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

٥١. تطوّر الغزل بين الجاهليَّة والإسلام: د. شكري فيصل، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٢م.

٥٢. تفسير البحر المحيط: لأبي حيّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ)، تحقيق: عدد من المحقّقين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٥٣. تفسير البحر المحيط: لأبي حيّان الأندلسيّ (٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمَّد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٥٤. التّهذيب بمحكم التّرتيب: لابن شُهَيد الأندلسيّ (٤٢٦هـ)، تحقيق: د. حاتم الضّامن، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٥٥. تهذيب اللّغة: للأزهريّ (٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة، القاهرة، ١٩٦٤م.

٥٦. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفيّة ابن مالك: للمرادي (٧٤٩هـ)، تحقيق: د. عبد الرّحمن علي سليمان، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

٥٧. الجمل في النّحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ)، تحقيق: د. فخر الدّين قباوة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٥٨. جمهرة الأمثال: لأبي هلالٍ العسكريّ (٣٩٥هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.

٥٩. جمهرة أنساب العرب: لابن حزم الأندلسيّ (٤٥٦هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٤.

٦٠. جمهرة النّسب: لابن الكلبيّ (٢٠٤هـ)، تحقيق: محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربيّة، دمشق.

٦١. جنى الجنّتين في تمييز نوعي المثنّيين: للمحبّي (١١١١هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التّراث العربيّ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

٦٢. الجنى الدّاني في حروف المعاني: للمرادي (٧٤٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدّين قباوة. محمّد نديم فاضل، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٦٣. الجيم: لأبي عمرو الشَّيبانيّ (٢٠٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، ١٩٧٤م.

٦٤. حديث الأربعاء: طه حسين، المكتبة التّجاريّة الكبرى، القاهرة.

٦٥. الحروف: الفارابيّ (٣٥٠هـ)، تحقيق: محسن مهدي، دار الشُّروق، بيروت، ١٩٧٠م.

٦٦. الحماسة البصريَّة: لأبي الفرج البصريّ (٦٥٦هـ)، تحقيق: د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

٦٧. الحماسة المغربيّة: للجرّاوي (٦٠٩هـ)، تحقيق: د. محمَّد رضوان الدَّاية، دار الفكر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٥م.

٦٨. حمزة بن بِيض الحَنفيّ (حياته وشعره): د. حمد بن ناصر الدَّخيل، النَّادي الأدبيّ، الرِّياض، ط١، ١٩٩٧م.

٦٩. الحيوان: للجاحظ (٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥م.

٧٠. خاص الخاص: للثّعالبي (٤٢٩هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٧١. خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب: لعبد القادر البغداديّ (١٠٩٣هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٩٩٧م.

٧٢. الدّرّة الفاخرة في الأمثال السّائرة: لحمزة بن الحسن الأصبهانيّ (٣٥١هـ)، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٧٣. الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون: للسَّمين الحلبيّ، تحقيق: د. أحمد الخرّاط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٤م.

٧٤. دلائل الإعجاز: لعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمّد شاكر، دار المدني جدّة، ط٣، ١٩٩٢م.

٧٥. الدِّيباج: لأبي عُبيدة معمر بن المثنّى (٢٠٩هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن سليمان الجربوع ود. عبد الرَّحمن بن سليمان العُثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.

٧٦. ديوان أبي النَّجم العِجْليّ: تحقيق: د. محمّد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، ٢٠٠٦م.

٧٧. ديوان امرئ القيس: بشرح أبي سعيدٍ السُّكّريّ (٢٧٥هـ)، تحقيق: د. أنور أبو سويلم ود. محمّد الشّوابكة، مركز زايد للتّراث والتّاريخ، العين، ط١، ٢٠٠٠م.

٧٨. ديوان بني بكر في الجاهليّة: تحقيق: د. عبد العزيز نبوي، دار الزّهراء للنّشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

٧٩. ديوان جرير: تحقيق: د. نعمان محمَّد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

٨٠. ديوان حسّان بن ثابت: تحقيق: د. وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م.

٨١. ديوان الحطيئة: برواية وشرح ابن السّكّيت (٢٤٦هـ)، تحقيق: د. نعمان محمَّد أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

٨٢. ديوان حميد بن ثور: تحقيق: د. محمَّد شفيق البيطار، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ٢٠٠٢م.

٨٣. ديوان شعراء بني كلب بن وبرة: صنعة د. محمَّد شفيق البيطار، دار صادر، بيروت ٢٠٠٢م.
٨٤. ديوان عمرو بن كلثوم: تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
٨٥. ديوان الفرزدق: تحقيق: عبد الله الصّاوي، مطبعة الصّاوي، ط١، ١٩٣٦م.
٨٦. ذيل الأمالي: للقالي (٣٥٦هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١.
٨٧. الرّثاء: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٤.
٨٨. الرِّدَّة، للواقدي (٢٠٧هـ)، تحقيق: د. يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
٨٩. رسالة الغفران: للمعرّي (٤٤٩هـ)، تحقيق: د. عائشة بنت عبد الرّحمن، دار المعارف، القاهرة، ط٩.
٩٠. الرّوض الأنف في شرح السّيرة النّبويّة: للسّهيلي (٥٨١هـ)، تحقيق: عبدالرّحمن وكيل، دار الكتب الإسلاميّة، القاهرة، ١٩٩٠م.
٩١. الرَّوض المعطار في خبر الأقطار: لابن عبد المنعم الحميريّ (٩٠٠هـ)، تحقيق: د. إحسان عبّاس، مؤسّسة ناصر للثّقافة، يروت، ١٩٨٠م.
٩٢. سنن أبي داود (٢٧٥هـ): دار الكتاب العربي، بيروت، عن وزارة الأوقاف المصريّة.
٩٣. سنن البيهقيّ الكبرى: تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكّة المكرّمة، ١٩٩٤م.
٩٤. سوق عكاظ ومواسم الحجّ: تأليف عرفان محمَّد حمّور، مؤسّسة الرّحاب الحديثة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
٩٥. سير أعلام النّبلاء: للذّهبيّ (٧٤٨هـ)، تحقيق: عددٌ من المحقّقين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسّسة الرّسالة، بيروت.
٩٦. السّيرة الحلبيّة: لعليّ بن برهان الدّين الحلبيّ (١٠٤٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٤٠هـ (١٩٧٨م).
٩٧. السّيرة النّبويّة: لابن هشام، تحقيق: مصطفى السّقّا و إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي،
٩٨. شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك: لابن عقيل المصريّ (٧٦٩هـ)، تحقيق: محمّد محي الدّين عبد الحميد، دار التّراث، القاهرة، ط٢٠، ١٩٨٠م.

٩٩. شرح حماسة أبي تمّام: للأعلم الشّنتمري، تحقيق: د. علي المفضّل حمّودان، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثّقافة والتّراث، دبي، ط١، ١٩٩٢م.

١٠٠. شرح ديوان الحماسة: للتّبريزيّ (٥٠٢هـ)، عالم الكتب، بيروت.

١٠١. شرح ديوان الحماسة: للمرزوقي، تحقيق: عبد السَّلام هارون و أحمد أمين، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

١٠٢. شرح القصائد السّبع الطّوال الجاهليّات: للأنباري (٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار المعارف، مصر، ط٣.

١٠٣. شرح القصيدة الخزرجيّة: السّبتي (٧٦٠هـ)، تحقيق: د. محمَّد هيثم غرَّة، دار البيروتي، ٢٠٠٣م.

١٠٤. شعر الأخطل: صنعة السّكّريّ (٢٧٥هـ)، تحقيق: د. فخر الدّين قباوة، دار الفكر (دمشق)، دار الفكر المعاصر (بيروت)، ط٤، ١٩٩٦م.

١٠٥. شعراء أمويّون: د. نوري حمّودي القيسي، عالم الكتب، مكتبة النّهضة العربيّة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

١٠٦. شعراء بني عُقيل وشعرهم في الجاهليّة والإسلام حتّى آخر العصر الأمويّ: د. عبد العزيز بن محمَّد الفيصل، شركة العبيكان، الرِّياض، ١٤٠٨هـ.

١٠٧. شعراء تغلب: أخبارهم وأشعارهم في العصر الجاهليّ، أطروحة دكتوراه، علي أبو زيد، جامعة دمشق، ١٩٨٧م.

١٠٨. شعراء حِمْيَر، أخبارهم وأشعارهم في الجاهليّة والإسلام: تحقيق: د. مقبل التّام عامر الأحمدي، مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، ٢٠١٠م.

١٠٩. شعر بني تميم في العصر الجاهليّ: تحقيق: د. عبد الحميد المعيني، نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٩٨٢م.

١١٠. شعر الخوارج: جمع وتقديم: د. إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت، ط٢، ١٩٧٤م.

١١١. شعر الفتوح الإسلاميّة في صدر الإسلام: النّعمان عبد المتعال القاضي، الدّار القوميّة للطباعة والنّشر، القاهرة، ١٩٦٥م.

١١٢. الشِّعر والشُّعراء، لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، تح: أحمد محمّد شاكر، دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٦م.

١١٣. صحيح مسلم: لمسلم بن الحجّاج القشيريّ النّيسابوريّ (٢٦١هـ) تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت.

١١٤. صفة جزيرة العرب: لابن الحائك الهَمْداني (٣٣٤هـ)، تحقيق: محمَّد بن علي الأكوع، مركز الدّراسات والبحوث اليمنيّ، صنعاء، ط٣، ١٩٨٣م.

١١٥. الصّناعتين: لأبي هلالٍ العسكريّ، تحقيق: د. علي محمَّد البجاوي ومحمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، ١٩٨٦م.

١١٦. طبقات فحول الشُّعراء: لابن سلاَّم الجمحيّ (٢٣٢هـ)، تحقيق: محمود محمّد شاكر، دار المدني، جدَّة.

١١٧. الطَّبقات الكبرى: لمحمَّد بن سعد البصريّ الزّهريّ (١٦٨هـ)، تحقيق: د. إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

١١٨. الطّيف والخيال في الشّعر العربيّ القديم: تأليف د. حسن البنّا عزّ الدّين، دار النَّديم، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

١١٩. ضرائر الشّعر: لابن عصفور (٦٦٩هـ) ، تحقيق: السّيّد إبراهيم أحمد، دار الأندلس، ط١، ١٩٨٠م.

١٢٠. العباب الزّاخر واللّباب الفاخر: للصّغانيّ (٦٥٠هـ)، تحقيق: محمَّد حسن آل ياسين، منشورات وزارة الثّقافة والإعلام، العراق، ١٩٨١م.

١٢١. عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النّسب: لأبي بكرٍ الهمدانيّ (٥٨٤هـ)، تحقيق: عبد الله كنّون، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.

١٢٢. العصر الجاهليّ: تأليف د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢٤، ٢٠٠٣م.

١٢٣. العقد الفريد: لابن عبد ربّه الأندلسيّ (٣٢٧هـ)، تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزّين، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٥٣م.

١٢٤. العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده: لابن رشيق القيروانيّ (٤٦٣هـ)، تحقيق: محمَّد محي الدّين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م.

١٢٥. عيار الشّعر: لابن طباطبا العلويّ، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطّباعة والنّشر، الرِّياض.

١٢٦. الغزل عند العرب: تأليف حسّان أبو رحاب، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٧م.

١٢٧. الغزل منذ نشأته حتّى صدر الدّولة العبّاسيّة: تأليف د. محمَّد سامي الدّهّان، دار المعارف، القاهرة، ط٣.

١٢٨. الفاخر: للمفضّل بن سلمة بن عاصم (٢٩١هـ)، تحقيق: عبد العليم الطّحاوي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ١٩٧٤م.

١٢٩. الفتح الكبير في ضمّ الزّيادة إلى الجامع الصّغير: للسّيوطيّ (٩١١هـ)، تحقيق: يوسف النّبهاني، دار الفكر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

١٣٠. الفتوح: لابن الأعثم الكوفيّ (٣١٤هـ)، تحقيق: د.سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

١٣١. فحولة الشّعراء: للأصمعيّ (٢١٦هـ)، تحقيق: ش. تورّي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

١٣٢. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: للبكريّ (٤٨٧هـ)، تحقيق: د. عبد المجيد عابدين ود. إحسان عبّاس، دار الأمانة، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٩٥٨م.

١٣٣. الفضّة المضنية في شرح الشّذرة الذّهبيّة: العاتكي، تحقيق: د. هزّاع سعد المرشد، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، ط١، ٢٠٠٣م.

١٣٤. الفهرست: للنّديم (٤٣٨هـ)، تح: رضا – تجدد، الحقوق محفوظة للمؤلّف، طهران، ١٩٧١م.

١٣٥. الفوائد المحصورة في شرح المقصورة: لمحمّد اللّخميّ السّبتي (٥٧٧هـ)، تحقيق: د. محمّد حامد الحاج خلف، منشورات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، المغرب، ٢٠٠٧م.

١٣٦. القاموس المحيط: للفيروزآبادي (٨١٧هـ)، تحقيق: يوسف الشّيخ ومحمّد البقاعيّ، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م.

١٣٧. قصد السّبيل فيما في اللّغة العربيّة من الدّخيل: للمُحبِّي، تحقيق: محمود عثمان الصّينيّ، مكتبة التّوبة، الرّياض، ط١، ١٩٩٤م.

١٣٨. الكامل في التّاريخ: لأبي الأثير الشّيبانيّ الجزريّ (٦٣٠هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

١٣٩. الكامل في اللّغة والأدب: للمبرِّد (٢٨٦هـ)، تحقيق: محمّد أحمد الدّالي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت ط٥، ٢٠٠٨م.

١٤٠. كتاب الرِّدّة والفتوح، كتاب الجمل ومسير عائشة، لسيف بن عمر التَّميميّ (١٨٠هـ)، تحقيق: د. قاسم السَّامرّائيّ، دار أميّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الرّياض، ط٢، ١٩٩٧م.

١٤١. كتاب سيبويه: لأبي بِشر عمرو بن عثمان، سيبويه (١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السّلام هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

١٤٢. كشف المشكلات وإيضاح المعضلات: للباقولي (٥٤٣هـ)، تحقيق: د. محمّد أحمد الدَّالي، مجمع اللّغة العربيّة، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.

١٤٣. الكَشْكول: للبهاء العامليّ (١٠٣١هـ)، منشورات مكتبة دار البيان، مؤسَّسة الزّين للطّباعة والنّشر، بيروت، ١٣٠٥هـ.

١٤٤. كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدّين بن حسام الدِّين الهنديّ (٩٧٥هـ)، مكتبة التّراث الإسلاميّ، حلب، ط١، ١٩٧٠م.

١٤٥. اللّامع العزيزيّ في شرح ديوان المتنبّي: لأبي العلاء المعرّي (٤٤٩هـ)، تحقيق: محمّد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للدِّراسات الإسلاميّة، الرِّياض، ط١، ٢٠١٠م.

١٤٦. اللّباب في علوم الكتاب: لأبي حفص الدّمشقيّ الحنبليّ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعليّ محمَّد معوّض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

١٤٧. لحن العوام: للزُّبيديّ (٣٧٩هـ)، تحقيق: د. رمضان عبد التَّوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م.

١٤٨. لزوم مالا يلزم: لأبي العلاء المعرّي (٤٤٩هـ)، تحقيق: كمال اليازجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

١٤٩. لسان العرب: لابن منظور (٧١١هـ) ، دار صادر، بيروت، ط١.

١٥٠. اللّهجات العربيّة: عبد الغفّار هلال، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

١٥١. ليس في كلام العرب: لابن خالويه (٣٧٠هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار مصر للطّباعة، القاهرة، ١٩٥٧م.

١٥٢. المؤتلف والمختلف: للآمدي (٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السّتّار أحمد فرّاج، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ١٩٦١م.

١٥٣. المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر: لابن الأثير (٦٣٧هـ)، تحقيق: د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر، القاهرة.
١٥٤. مجمع الأمثال: لأبي الفضل الميدانيّ (٥١٨هـ)، تحقيق: محمَّد محي الدّين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
١٥٥. مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد: للهيثميّ (٨٠٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٥٦. المحبّر: لمحمّد بن حبيب (٢٤٥هـ) برواية أبي سعيدٍ السّكّريّ (٢٧٥هـ)، تحقيق: د. إيلزة شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
١٥٧. المحتسب: لابن جنّي (٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النّجدي ناصيف. د. عبد الحليم النّجّار، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، القاهرة، ١٩٩٤م.
١٥٨. المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده الأندلسيّ (٤٥٨هـ)، تحقيق: عدد من المحقّقين، معهد المخطوطات بجامعة الدّول العربيّة، ط١، ١٩٥٨م.
١٥٩. مختار تذكرة أبي عليّ الفارسيّ وتهذيبها: لابن جنّي (٣٩٢هـ)، تحقيق: د. حسين بوعبّاس، مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلاميّة، الرّياض، ط١، ٢٠١٠م.
١٦٠. مختلف القبائل ومؤتلفها: لابن حبيب (٢٤٥هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللّبنانيّ، بيروت، ١٩٨٠م.
١٦١. المخصَّص: لابن سيده الأندلسيّ (٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
١٦٢. المدخل إلى تقويم اللّسان العربيّ: لابن هِشام اللّخمي الأندلسيّ (٥٧٧هـ)، تحقيق: د. حاتم الضّامن، دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
١٦٣. المديح: تأليف سامي الدّهّان، دار المعارف، ط٥، ١٩٩٢م.
١٦٤. المرأة في الشّعر الأموي: د.فاطمة تجور، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.
١٦٥. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: عبد الله الطَّيِّب، الدَّار السُّودانيّة، الخرطوم، ط٢، ١٩٧٠م.
١٦٦. مروج الذّهب ومعادن الجوهر: للمسعودي (٣٤٦هـ)، تحقيق: محمَّد محي الدّين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٩٧٣م.

١٦٧. المستطرف في كلّ فنٍّ مُستظرف: للأبشيهي (٨٥٤هـ)، تحقيق: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

١٦٨. مسند أحمد: لأحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب أرناؤوط وآخرون، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م.

١٦٩. مصادر الشّعر الجاهليّ: د. ناصر الدّين الأسد، دار المعارف، القاهرة، ط٧، ١٩٨٨م.

١٧٠. المصباح لما أعتم من شواهد الإيضاح: لابن يسعون، تحقيق: محمَّد الدّعجانيّ، الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنوّرة، ط١، ٢٠٠٨م.

١٧١. مصنّف عبد الرّزّاق: لعبد الرّزّاق بن همّام الصّنعانيّ (٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرّحمن الأعظميّ، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

١٧٢. المعارف: لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٦٩م.

١٧٣. المعارف: لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

١٧٤. معاني القرآن: للأخفش الأوسط (٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

١٧٥. معجم البلدان: لياقوت الحموي (٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

١٧٦. معجم قبائل العرب: لعمر كحّالة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م.

١٧٧. معجم ما استعجم: للبكري (٤٨٧هـ)، تحقيق: مصطفى السّقّا، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

١٧٨. المعرّب من الكلام الأعجميّ على حروف المعجم: للجواليقي (٥٤٠هـ)، تحقيق: د. ف. عبد الرَّحيم، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٠م.

١٧٩. معرفة الصّحابة: لأبي نعيمٍ الأصبهانيّ (٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرّياض، ط١، ١٩٩٨م.

١٨٠. المغازي: لموسى بن عقبة (١٤١هـ)، تحقيق: محمَّد باقشيش أبو مالك، جامعة ابن زهر، المغرب، ١٩٩٤م.

١٨١. المغازي: للواقدي (٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت.

١٨٢. المغرب في ترتيب المعرّب: للمطرزي (٦١٠هـ)، تحقيق: محمود فاخوري. وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٩٧٩م.

١٨٣. المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: د. جواد عليّ، دار السَّاقي، ط٤، ٢٠٠١م.

١٨٤. المقابسات: لأبي حيّان التّوحيدي (نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق: حسن السّندوبي، المكتبة التّجاريّة الكبرى، القاهرة، ط١، ١٩٢٩م.

١٨٥. المكاثرة عند المذاكرة: للطّيالسيّ، عارضه بنسختي الفاتح والإسكوريال، تحقيق: محمَّد بن تاويت الطَّنجيّ، أنقرة، ١٩٥٦م.

١٨٦. منتهى الطّلب من أشعار العرب: لابن ميمون، تحقيق: د. محمَّد نبيل الطّريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

١٨٧. من لغات العرب لغة هذيل: تأليف د. عبد الجواد الطّيّب، مكتبة الإسكندريّة، القاهرة.

١٨٨. المنمَّق في اخبار قريش: لابن حبيب البغداديّ (٢٤٥هـ)، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، مصوّرة عن طبعة حيدرآباد، الهند.

١٨٩. الموت في الشِّعر العربيّ السّوري المعاصر: د. وليد مشوح، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، ١٩٩٩م.

١٩٠. الموشّح: للمرزبانيّ (٣٨٤هـ)، جمعيّة نشر الكتب العربيّة، القاهرة، ١٣٤٣هـ.

١٩١. نسب عدنان وقحطان: للمبرّد، (٢٨٦هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التّأليف والتَّرجمة والنّشر، ١٩٣٦م.

١٩٢. نضرة الإغريض في نصرة القريض: للمظفّر العلويّ (٦٥٦هـ)، تحقيق: د. نهى عارف الحسن، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

١٩٣. نقد الشّعر: لقدامة بن جعفر (٣٣٧هـ)، تحقيق: د. محمّد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلميّة، بيروت.

١٩٤. النّكت والعيون: للماوردي البصريّ (٤٥٠هـ)، تحقيق: السّيّد بن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلميّة، بيروت.

١٩٥. نهاية الأرب في فنون الأدب: للنّويريّ (٧٣٣هـ)، عددٌ من المحقّقين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

١٩٦. الهجاء: تأليف د.محمَّد سامي الدَّهّان، د ار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٨٣م.

١٩٧. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: للسّيوطيّ (٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

١٩٨. الوافي بالوفيّات: للصّفديّ (٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد أرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٩٩. الواقدي وكتابه المغازي: تأليف د. عبد العزيز السّلّوميّ، الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنوّرة، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٠٠. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: لنور الدّين السّمهُودي (٩١١هـ)، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٠١. ولاية اليمامة: تأليف د. صالح بن سليمان النّاصر الوشمي، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامّة، الرّياض، ١٤١٢هـ.

٢٠٢. وفيّات الأعيان: لابن خلّكان (٦٨١هـ)، تحقيق: د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٢٠٣. وقعة صفِّين: لابن مزاحم المنقريّ (٢١٢هـ)، تحقيق: عبد السَّلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.

الدَّوريّات:

٢٠٤. الاحتجاج في الشّاهد المصنوع: د. محمَّد موعد، مجلّة جامعة دمشق، المجلّد (٢٠)، العدد (٣، ٤)، ٢٠٠٤م.

٢٠٥. حركة مسيلمة الحَنَفيّ: د. إحسان صدقي العمد، حوليّات كليّة الآداب، الحوليّة العاشرة، الكويت، ١٩٨٨م.

٢٠٦. شعر نهار بن توسعة: تحقيق: د. خليل إبراهيم العطيَّة، مجلة المورد، وزارة الإعلام العراقيّة، بغداد، ١٩٧٥م.

٢٠٧. اللّغات العربيّة في تفسير البحر المحيط: لأبي حيّان الأندلسيّ (نحو ٤٠٠هـ)، تحقيق: دينا الحارثي، رسالة ماجستير، السّعوديّة، جامعة أم القرى، ١٩٩٥م

فهرس محتويات الدِّراسة

الموضوع	رقم الصَّفحة

المقدِّمة ١ ـ ٧.

تمهيد:

أوّلاً: نَسَبُ قَبِيْلةِ بَكْرِ بنِ وَائلٍ ورجالاتها .....٨ ـ ١٨

ثانياً: مَنَازِل بَكْر بنِ وَائل .....١٨ ـ ٢١

ثالثاً: أيَّامُ بكر بن وائل .....١٢ ـ ٢٦

رابعاً: عقيدة بكر بن وائل في الجاهليَّة .....٢٦ ـ ٢٩

الباب الأوَّل: بنو بكر بن وائل في صَدر الإسلام والعَصر الأمويّ: .. ٣٠ ـ ٧٣

الفصل الأوّل: بنو بكر بن وائل في صدر الإسلام.....٣١ ـ ٧٣

القسم الأوَّل: مُعتقد بكر بن وائل بين النَّصْرانيَّة والإسلام .....٣١ ـ ٣٧

القسم الثَّاني: وِفَادَتُهم على الرَّسول ﷺ ، وكتب الرَّسول إليهم .....٣٧ ـ ٤٥

ـ وفد بكر بن وائل..... ٤٠ ـ ٤١

ـ وفد حنيفة ..... ٤٢ ـ ٤٣

وفد شيبان ..... ٤٣ ـ ٤٤

القسم الثَّالث: دخولُهم في الإسلام، وتأثُّرهم به .....٤٦ ـ ٥٢

القسم الرَّابع: موقف بكر بن وائل من الرِّدّة: .....٥٣ ـ ٦٥

١ ـ ردَّة بني حنيفة، ومَعْرَكة اليمامة ..... ٥٣ ـ ٦٢

٢ ـ استقواؤهئم بالفرس، وسعيهم إلى إعادة مجدهم..... ٦٢ ـ ٦٥

القسم الخامس: مواقفهم من أحداث الفتنة الكبرى: .....٦٦ ـ ٧٣

١ـ معركة الجمل..... ٦٣ ـ ٦٩

٢ـ معركة صفِّين ..... ٦٩_ ٧٣

الفصل الثّاني: بنُو بَكرٍ في عصر بني أميَّة: ..... ٧٤_٩٣

القسم الأوّل:البكريّون الخوارج ..... ٧٤_ ٨٢

القسم الثّاني:: مواقف بكر من الأحداث السِّياسيَّة في العصر الأمويّ. ..... ٨٣_٩٣

١- بيعة عبد الله بن الزُّبير، وموقفهم من ابن زياد ..... ٨٣_ ٨٧

٢- بيعةُ أهلِ خراسان، وشَأنُ أَوسِ بنِ ثَعْلبة ..... ٨٨_ ٨٩

القسم الثَّالث: علاقاتهم بغيرهم من القبائل، ومُشاركتهم في الفتوح. ..... ٨٩_ ٩٣

الباب الثَّاني: مصادر أشعار بكر بن وائل وموضوعاتها، وتوثيقها. ٩٤_١٣٤

الفصل الأوَّل: مصادر شعر بكر بن وائل وتوثيقها ..... ٩٥_ ١٢٠

القسم الأوّل: رواية أشعارهم وتدوينها ..... ٩٥_ ١٠١

القسم الثّاني: مصادر شعرهم المفرد والمجموع ..... ١٠١_ ١٠٤

القسم الثَّالث: توثيق شعرهم ..... ١٠٥_ ١٢٠

١ـ الضَّياع ..... ١٠٥_ ١١٠

٢ـ الاضطراب في نسبة شعرهم، واختلاطه باختلاط النَّسب بين القبائل..... ١١٠_ ١١٦

٣ـ النَّحل في أشعارهم ..... ١١٦_ ١٢٠

الفصل الثَّاني: موضوعات شعر بني بكر بن وائل..... ١٢١_ ١٦٩

القسم الأوّل: الفخر والحماسة..... ١٢٢_ ١٣٢

القسم الثّاني: المدح ..... ١٣٣_ ١٣٩

القسم الثَّالث: الهجاء..... ١٤٠_ ١٤٨

القسم الرَّابع: الرِّثاء. ..... ١٤٨_ ١٥٣

القسم الخامس:الغزل ..... ١٥٣_ ١٥٨

القسم السَّادس: الشَّكوى ..... ١٥٩_ ١٦٢

القسم السّابع: الحِكمة..... ١٦٣_ ١٦٩

الباب الثّالث: *الدّراسة الفنّيّة للشعر* ..... ١٧٠_ ٢٤٥

الظّواهر الأسلوبيّة ..... ١٧١_ ٢١٠

١_ الوضوح والغموض..... ١٧١_١٨٢

٢_ الصُّور البيانيّة الّتي تبرز المعاني وتوّضحها من تشبيه واستعارة وكِناية..... ١٨٢_١٩٦

٣_ المحسّنات المعنويّة كالطباق والمقابلة والتّكرار. ..... ١٩٦_ ٢٠٠

٤_ مصادر معانيهم، الّتي غالباً ما استقوها من البيئة المحيطة بهم، يُضاف إلى ذلك ما أخذوه من المعتقدات و المعاني الدّينيّة..... ٢٠٠- ٢١٠

الظّواهر البنائيّة..... ٢١١_ ٢٤٥

١_ منهج القصيدة (أو المنهج المسلوك في بناء النُّصوص الشّعريّة)

٢_ موسيقا الشّعر بشقيّها الخارجي والدّاخلي، فأمّا الموسيقا الخارجيّة فتشمل الوزن والقافية، وأمّا الدّاخليّة فتقوم على أمور أهمّها ما أسماه علماء البلاغة بالمحسّنات اللفظيّة، إضافة إلى الاقتباس و بعض الأمور كالتلاؤم بين الحروف والحركات، أو بين الحروف بعضها مع بعض.

٣_ الظّواهر اللغوية والنّحويّة والتّصرف في بعض القواعد.

الخاتمة ..... ٢٤٦_ ٢٤٨

فهارس الدِّراسة

١ـ فهرس الآيات الكريمة ٢٥٤
٢ـ فهرس الأحاديث النَّبويَّة..... ٢٥٦
٣ـ فهرس الأمثال..... ٢٥٧
٤ـ فهرس الأعلام ٢٥٨
٥ـ فهرس الجماعات..... ٢٨٤
٦ـ فهرس الأماكن ٢٩٠
٧ـ فهرس الأيّام والمغازي و الوقائع ٢٩٥
٨ـ فهرس الشِّعر ٢٩٧
٩ـ فهرس المصادر والمراجع ٣١٣
١٠ـ فهرس محتويات الدِّراسة ٣٢٨